سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

السلطان محمد بيبرس ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله
مثل شيحة حمال الدين وأولاد اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوى على خمسين جزأ

(الطبعة الأولى)

المجلد الخامس

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

کتابخانه مجلس شورای اسلامی

کتاب ..... سیرة السلطان بیبرس

مؤلف ..... جلد پنجم

موضوع .....

شماره قفسه .....

شماره ثبت کتاب

۶۵۹۹۸

۱۱
۹۵۹

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[السلطان محمود الظاهر بيبرس] ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيخة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوى على خمسين جزءا

الطبعة الاولى

المجلد الخامس

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

١١
٦٥٩

الجزء الحادى والأربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ولما علموا أن أهل الشام ضجت ودار البحث عن الغريم فوضعوا الأولاد والبنات والذخائر فى الصناديق وقصدهم أن يحملوها ويسافروا إلى بلادهم فاجتمع عليهم حمقان وأناهم بالجمال كما ذكرنا وشالهم إلى جسر الريتون فهذا هو الأصل والسبب ولما حضرهم حمقان وطلع أولاد الناس إلى وسط الديوان وسأل العياق فاخبروه بأنهم من مدينة القيطلار فأراد الباشا أن يرسلهم للسلطان ويعلمه بالذى جرى فعاجلوهم أولاد الشام ومالوا فيهم بالسلاح فتلوهم فانغاظ الباشا من ذلك الحال فقال حمقان يادولتلى لا يضيق صدرك فان أهل الشام لم يظلموهم فى قتلهم لأنهم كانوا أخذوا اموالهم واولادهم فكان القتل جزاء لهم وإنما نأخذ أموالهم وقفلهم ترسلها للسلطان وتعلمه بالذى جرى منهم والسلطان يفعل مايريد ثم ان حمقان احضر له الباشا كلما يحتاج وسافر من الشام إلى مصر فكان دخوله فى يوم مشهود وانعقد له موكب وزينت البلد وضربت له المدافع وكان الملك عرتوس تلك الايام فى مصر فسلم عليه وأعطى السلطان مكتوب باشة الشام وأعلمه بكل الامور وماجرى من الاحكام فقال السلطان لابد لى أن أكب على مدينة القيطلان وأهلك مافيها من عباد الصلبان فقال له حمقان لم يحتاج يامالك الزمان أنا أروح للقيطلان وأتحايل على ملكها واكاتبه دولته وأحضر الجميع بين يديه ولا يحتاج تعب مولانا يروح للقيطلان فقال السلطان ايش تعمل وهذه بلاد كفر وإن وقعت فى أيديهم لم يرحموا وإن ملكوك لم يطلقوك لأنهم أولاد زنى وسجنوا أخى المقدم معروف عندهم سبعة عشر سنة

فقال حمقان إذا أراد الله تعالى ووصلت اليها خربتها وتركت النوح فى جنباتها ولا تلزم ملك القيطلان إلا منى والله تعالى ببركة مولانا السلطان يساعدنى وطلع حمقان من قدام السلطان وحده على حالة الانفراد ووصل إلى اسكندرية ونزل فى غليون

وراح إلى مدينة القيطلان فاخذ له دكان وأخذ أوضة وصار فى النهار يقوم الدكان وفى الليل يبيت فى الخان مدة أيام حتى تعرفوا به أهل البلد وهو يضرب لهم الفال ويقال لهم أنا منجم ورمال فصاروا يجتمعون عليه ويتقربون بالهدايا اليه فلم يقبل منهم لا كثير ولا قليل فاعتقدوا فيه أنه لا نظير له ولا مثيل وبلغ خبره إلى البب عبد المسيح قالوا له أرباب دولته إن هذا رجل رمال ويفتح الفال وهو صادق فى كل ما قال فامر باحضاره فلما حضر قال له اخبرنى عن ناس أرسلتهم إلى بلاد بعيدة ولم أعلم باخبارهم فضرب له تاجرة وقال له اعلم يا بب أن الذى أرسلتهم إلى بلاد بعيدة هم ثلاثة أشخاص راحوا إلى بلاد الاسلام وتجسسوا واجتهدوا على أفعال أنت أمرتهم بها ولكن انكشف خبرهم للمسلمين فقبضوهم وأخذوا منهم كلما جلبوه من أموال وأولاد وردوهم إلى أماكنهم وقتلوا الثلاثة أصحابك وهذا جرى فقال عبد المسيح وكيف يكون العمل فى أخذ ثارهم يا بانا فقال له حمقان إذا أردت أن تبلغ مرادك من المسلمين فاجمع أموالا كثيرة وأرسق بها مراكب مابين ذهب وفضة وخذها وروح الغمامة القدسية اغسلها من عين سلوان وطهرها من الدنس والنجاسة واصنع ملابس للعساكر منها يعنى انك تشترى أقمشة وتفصلهم ملابس وتلبس العسكر من المال الذى طهرته وكذلك تشترى سلاح وتفرقه على العساكر وتأخذ ذخرة للمأكول الذى يكفى عسكرك كله مدة الحرب من المال الطاهر وتركب على ملك المسلمين وأنت تكسره فى الحرب وتأخذ بلاده قهرا عنه وبعد ذلك الجزية والخراج الذى كانت توردها ملوك الروم لملك المسلمين تبقى أنت أحق بها منه وأنا على ان أخلى ملوك الروم جميعا يساعدوك ولم يخالفوك

فقال عبد المسيح يا أبانا ما عندى مال يقوم مقام ذلك القدر فانا عندى نقدية لنهاية مقدار عشر خزنات دواقيت فقال حمقان ونعود كثير حتى تكفى قدر طلبك فقال اعوذ عشر خزن على الخمسة التى عندى يبقى خمسة عشر على كل حال يكفوا العسكر ذهابا وإيابا فقال حمقان أنا اجيب لك عشر خزن دواقيت من هنا من بلدك لأن القيطلان لم تخل من الأموال وأين مال الوزير القيطلانى جدك

فقال عبد المسيح والله يا أبانا لم أعلم فقال له عندك هنا محل مرصود انا اوريك فيه المال الذى فيه لأنى اعرف كنوز الأرض ولا يخفى على طولها ولا العرض ثم انه امر المقدم سعدون الرماحى وكان لحقه واجتمع عليه فى القيطلان فراح ليلا إلى خزنة القيطلان وفرغ صناديقها فى اجربة وملأ الصناديق رمل ورمل ونحس

فى مكان ودفن الاجربة وقال لحمقان على محلهم فلما كان ذلك قعد حمقان يبخر ويتلوا شرح القريصة والبب عبد المسيح واقف فقال حمقان افتح ياعبد المسيح ففتحوا وطلعوا أجربة ذهب فقال له دخلهم خزنتك واوضعهم فى صناديق لاتنفتح الافى القدس فقال سمعا وطاعة واحضر النجارين وعمل صناديق ووضع فيهم المال وأدخله الخزنة مع الصناديق الأصلية فقال له حمقان حضر فليون ونزل مالك فيه واعلم التجار وأرباب الأموال كل من له مال فليحضر به حتى يطهره فى الغمامة القدسية وأنت أيضا لك نصيب فى كنز فى القدسية أنا أفتحه بين يديك وأخرج لك منه مال قدر الذى عندك مرتين فنادى البب عبد المسيح فى القيطلان على كافة التجار أصحاب الأموال كل من أراد أن يطهر ماله فليحضر عند البب حتى يطهره مع ماله فى الغمامة القدسية فصارت التجار تحضر الأموال فقال لهم الذى له مال يسلمه للبطرق الحكيم المنجم فانه هو الذى يطهر الاموال وأول من سلم ماله اليه كان البب عبد المسيح فنقل جميع المال الذى كان فى الخزنة ونزل فى الفليون وبعد ذلك حضروا التجار أموالهم والوزراء جميعا وأرباب الدولة فقال البطرق المنجم يابب عبد المسيح كل من له مال فالجائز له أن يحضره فى التطهير وبعد طلوعه من عين سلوان يستلمه بيده فقالت الوزراء نحن نسافر يامولانا وكذلك التجار فقالوا مثل الوزراء وأما الاصناف والرعايا الذين لهم أموال جعلوا وكيلهم البطرق كالمنجم فقال البب ياأبانا اماترضى أن تكون وكيلى وتطهر لى مالى وتأتينى به أقعد أنا فى بلدى وأكاتب ملوك الروم تحضر على ماتجىء انت بالمال أكون أنا جمعت العساكر مع الرجال فقال له ياب انا أرضى بذلك ولكن أنا أعلمتك أن نصيبك فى القدس وهو كنز فيه مال قدر الذى عندك مرتين او أكثر وعليه ارصاد لايسلموه الا لك وهو الذى تنفق منه على الملوك والعساكر التى تحارب بها ملك المسلمين فلما سمع البب عبد المسيح هذا الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال له يا أبانا ان اخذت بلاد المسلمين هذه السنة جعلتك وزير مملكتى وأشاركك فى نعمتى فقال حمقان يابب أنا لم أرد الا الجهاد فى دين المسيح فقط وليس قصدى مال ولا نوال ولازال حمقان مع عبد المسيح بمثل ذلك حتى نزلوا الاموال فى الفليون ونزل البب والوزير وأرباب الدولة وأخذوا جميع أموال القيطلان وهو شىء لايعد ولايحصى وفتحوا القلاع واشتغل الهوى وهم طالبين القدس [وأما] سعدون الرماحى فسافر على البرسبق الفليون وكان حمقان أعطاه كتاب الى باشة القدس فلما وصل الفليون الى مينة السويدية طلع باشة القدس وتلقاه الحكيم المنجم ومن معه على السويدية وضربت المدافع لقدومه وصنع باشة القدس

عزومة للحكيم ومن معه وقدم السماط لهم وكان داخله البنج الدائر لايرقد منه الانسان إلا بعد أربع ساعات فلما أكلوا السماط وقعدوا فى حظهم وحصل الاطمئنان للذين كانوا تأخروا خوفا من مثل ذلك الشىء ولما رأوا الناس أكلوا ولم يحصل لهم شىء فالذى كان تأخر تقدم وأكل حتى أكلوا جميعا وبعد العشاء نزلت عليهم غشاوة البنج فناموا جميعا وقبضهم حمقان ووضعهم فى الحديد وأخرج مافى الصناديق من أموال البب عبد المسيح وأموال التجار أهل القيطلان وأموال الوزراء وأرباب الدولة وأمر باشة القدس أن يرسل نجاب بكتاب للسلطان بما وقع وما فعل حمقان ويعلمه بالقبض على ملك القيطلان فسار النجاب إلى مصر ودخل على السلطان وأعطاه الكتاب فقال الوزير شاهين ان هذا حمقان مثل فعل ما فعل شيحة فى القيطلان مدة ما خلص أخى الشهيد معروف بن جرثم انه ارسل رد الجواب يطلب حضور حمقان ومحبته ملك القيطلان وأرباب دولته ومن معه فى الاغلال وكان الأمر كذلك لما جاء رد الجواب

فقال حمقان سمعا وطاعة وأخذ ملك القيطلان ومن محبته وسار بهم إلى مصر وكان لدخوله يوم عظيم انعقد له موكب ومشى ملك القيطلان بين يديه حتى أوقفه قدام السلطان فلما بقى فى الديوان قال له السلطان ياعبد المسيح أنا لما قتلت أباك وأعمامك وولينك يامعون على تخت القيطلان وقلت ان حصل منك ملعنة يجرى عليك ماجرى على أبيك وأعمامك هكذا حصل قال نعم يامولانا السلطان تقسب فى المكائد وتفعل المفاسد وترسل العياق يسرقوا أولاد وبنات الناس وأموال التجار من أماكنهم ولم تخف ولم تعتبر بما تقدم لأهلك يامعون فقال عبد المسيح يارين المسلمين أنا كنت قاعد فى بلدى لم أتحرك ساكنا ولم أتعرض لأحد وانما جران هو الذى جانى وأغرانى وأرسل هؤلاء العيارين العياق ولم يكن لى خاطر فى ارسالهم وأرجو يامولانا السلطان السماح منك وانا فى عرض سيدى المقدم حمقان وفى عرض الملك عرتوس وانا يامولانا السلطان صحيح ان جوان أغرانى ان افعل الفساد واعمل مكيدة للمسلمين وهاهو الامل خاب وانا عرفت الخطأ والصواب ومالى ومال وزرائى وارباب دولتى صاروا فى قبضتك وكذلك الرجال فالمال ياأمير المؤمنين نفدى به رؤسنا ونلتمس العفو ياامير المؤمنين وان حصل منا ثانيا فيكون جزاؤنا القتل فقال السلطان هذا القول لااسمعه لان كنيار القيطلان كان اذا اطلقته وأرسلته إلى بلاده لم يهجع والخطا منى الذى أبقيتك بعد ابيك واعمامك يا كلب فاخاب الذى قال

والمثل على اهلك وانت من بعده حيث قال

كان فى الحارة كلب اقلق الناس من عواه
لعين مات خلف جروا فاق فى النبح عن اباه

وهاانت تروم ان تفتخر يا كلب بين ملوك الروم حتى يقولوا عنك ان ملك القيطلان اخذ ثار ابيه واعمامه من الاسلام فلم اطلقك يا ملعون هات راسه يا مقدم ابراهيم وهؤلاء الوزراء والحجاب اصلبهم فى شوارع مصر ليتفرجوا عليهم العالم لاجل اعتبار امثالهم فقال عبدالمسيح انا فى عرض الملك عرنوس [ياسادة] وكان هذا عبد المسيح تربى مع الملك عرنوس لما كان فى القيطلان فلما وقع فى عرضه تلك النوبة قام عرنوس واخذ حمقان معه وقال له انا اسال عمى فى عبد المسيح وانت كن مساعد لى ودخلوا على السلطان وتقدم عرنوس وحمقان وقالا يامالك الاسلام شانك وماتريد هذا الملعون عبدالمسيح فقال السلطان ياحمقان إذا كنت عارف فعله الذى فعله وتريد عدم قتله فلاى شىء اتيت به إلى هذا المكان وإنما انا لم اخيب سؤالك ولا ابن اخى عرنوس فانه عندى عزيز اطلقوه هو وجماعته كرامة لكم فتقدم عرنوس اليه واطلقه وقال له ياعبد المسيح ياأخى اما اعتبرت بما جرى لابيك واعمامك وانت لم تكن قطرة فى بحر السلطان ولم تحمك منه مدينة القيطلان وهاهو واحد مغربى من جملة خدم السلطان لعب بعقلك واوقعك فى الاسر والهوان انت وارباب دولتك فتب عن ما كنت عليه عازم وان فعلت مثل هذه الفعال فتصبح على نفسك نادم ولاينفعك جوان ولا كل عباد الصلبان فقال له صدقت وانا اريد ان اروح بلادى فكتب له عرنوس كتاب الى ابى بكر البطرنى فنزله فى مركب من مراكب النصارى تردبه الى القطيلان واعطاه عرنوس خمسة آلاف دينار ينفقها فى سفره هذا ليروح بلاده ويقيم تحت طاعة السلطان ويورد الجزية فى كل عام ولم يحصل منه خلل ولاسقام واما حمقان فطلب من السلطان الاذن بالسفر الى بلاده فأنعم عليه السلطان وقدم له خمسين مملوك بخيلهم وسلاحهم وملبوسهم وعشرة احمال اقمشة من ملبوس الملوك الوزراء يعنى كشاميرو قطيفة وبنبزار وصرمى وقدم له عشر جنائب للركوب بعدد الذهب وركابات من الذهب وهدايا على قدر مقام السلطان وسافر حمقان مجبورا الخاطر حتى وصل إلى مدينة طنجة وطلع مع الملك عبد الودود وتلقاه من ابعد مكان وكذا جده ابو امه وسعدون الرماحى واقام فى بلاده بين احبابه واجناده [واما] الملك عربوس لما رحل حمقان اراد ان يسافر الى بلاده مدينة الرخام فتودع من السلطان وركب وكان معه عشر مماليك واربعة سياس وعشر فراشين لاجل نصب صيوانه فقط وعشر طباخين والطباخين والفراشين يركبون الجمال فوق الخيم والنحاس وكذا السياق واما المماليك فصحبة سيدهم على الخيول يقطعون الارض عرضا وطول حتى

وصلوا إلى مدينة بقراط وتركها على يساره وأمر الفراشين أن ينصبوا الخيام قدامها على النيل [قال الراوى] وكان بمدينة بقراط ملك اسمه البب صناوير وكان فى الصيد والقنص وفى عربدته نظر إلى صيوان الملك عرنوس فيه الشمس والقمر فتعجب مما فيه من الاشخاص والتحف والصور فسأل عن هذه الخيمة لمن فقالوا له للملك عرنوس وكان عنده عايق ملعون يقال له صلبون فالتفت إليه وقال له مرادى منك هذه الليلة أن تسرق لى عرنوس فقال له مرحبا وسمعا وطاعة وسار ذلك العايق من عند الملك إلى خيام الملك عرنوس ودار حتى أقبل الليل فاندك على الصيوان ولاجل أمر يريده الله تعالى كان الملك عرنوس صلى فرضه واضطجع يريد المنام فضاق صدره وأراد يقول فاستحس الذى يدور حول صيوانه فاضطجع وهو حاسب حساب خصمه . فلما أقبل الملعون صلبون إلى عرنوس وأراد أن يرمى على وجهه منديل مبنج فقفز عرنوس كانه النمر من على السرير وقبض على ذلك الملعون ورفعه إلى فوق وخبطه فى الارض لخلخ اعضاءه فصاح واى فقال عرنوس انت من اين فقال له يامالك عرنوس انا عايق من عند الملك صناوير صاحب هذه المدينة وهو الذى أمرنى بالنزول عليك وقال لى لابد ان تأتينى به مكتفا وان غلبت منه هات رأسه من على جثته وها أنا أيت اليك ووقعت بين يديك فضربه الملك عرنوس بالسيف على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه ثم ان الملك عرنوس لبس ثياب العايق وأخذ الراس فى يده وسار يتمشى حتى وصل تحت القلعة ودق فنظره من فوق السور وظن أنه العايق ففتحوا الباب . فلما دخل عرنوس لم يكلم أحدا ونظروا الرأس بيده فقالوا له أحسنت ياصلبون المسيح يأخذ بيدك لانك بون البون فسار الملك عرنوس وطلع إلى الديوان وكان أوصى المماليك العشرة الذين صحبته وجميعهم فرسان أجلاد معودين للحرب والجلاد وقال لهم لا تفترقوا بعد ساعة وأدخلوا خلق البلد فى الليل وكل من رأيتموه اقتلوه لانى انا نويت على قتل ملك المدينة ولربما يثور العايط فى الديوان فاذا كنتم انتم فى البلد وأنا فى الديوان ولربما يضيع حواسهم ويتحيروا فى أمورهم فقالوا احنا أرواحنا فداك ولم نتمكن منك أعداك وسار عرنوس كما ذكرنا إلى الديوان وكان البب صلبون واقف منتظر قدومه أى قدوم العايق . فلما نظر الى الملك عرنوس وهو قادم عليه ظن أنه العايق وقال له قتلت الديابر وعرنوس فقال له الملك عرنوس ياملعون ايش لك على من الاذية حتى ترسل هذا الكلب وتأمره أن يقتلنى وها أنا قطعت راسه وأتيت بها اليك حتى تنظرها بعينيك ثم أقطع راسك من على كتفيك وحط عرنوس يده على قاسم الحديد وقال الله اكبر على من طغى وتجبر

وضرب البب صناويز على هامه أطاح راسه قدامه ودار فى الديوان كل من رآه أعدمه الحياة عندها طبقت بعرنوس النصارى فصار يبر فيهم بالحسام دبرا حتى بقت أجسادهم أكوام وكانت المماليك دخلوا البلد وكبروا باسم الفرد الصمد فاختاروا الكفار وتركوا الملك عرنوس وطلبوا شوارع البلد فالتقاهم بالحسام وبرى الرؤوس كبرى الاقلام وطحن الكفار تحت غسق الظلام وكانوا سكارى من المدام وغالب الناس نيام وليس أحد متأهبا للحرب والصدام فاشفى منهم الملك عرنوس فؤاده وبلغ من قتلهم قصده ومراده واجتمع على المماليك وقال لهم بلسان العرب اتبعونى ودعوهم فى غفلاتهم يقطعون بعضهم بعض فتبعوه إلى محل خالى هذا والكفار كل من رأى زوال ضربة بالحسام ولم يعرفوا الحبايب من الاعداء اللئام وكان الذى فى القلعة الف ومائتين فلم يطلع النهار حتى هلك منهم ثمانمائة وبقى أربعمائة فمال عليهم عرنوس وسقاهم من سيفه مر كؤوس فطلبوا منه الامان فقال لا أمان إلا لمن يؤمن بالله تعالى ويرمى سلاحه فاسلم الباقون على يد الملك عرنوس إسلاما صحيحا وأمنهم الملك عرنوس على تخت مدينة بقراط ووقفت مماليكه فى خدمته وكذلك كبراء البلد من تحت طاعته وأدخل خيامه وأتباعه تلك المدينة وأقام بها مدة أيام وهو فى خير وانعام الى ليلة من الليالى فى الثلث الاخير من الليل قام قلقان من النوم وقعد يتسلى ليلا فسمع دق ناقوس فى دير قريب من المدينة فقال لمن حوله من الخدم الذى من أهل البلد هذه النواقيس من الذى يدقها وهى فى أى مكان فقالوا له يامالك قريب من البلد دير اسمه دير البنات والذى فيه كلهم بنات ملوك مترهبين فى ذلك الدير فلما سمع الملك عرنوس ذلك الكلام قام من وقته حتى وصل إلى هذا الدير ودق الباب فدخل الملك عرنوس وهو لابس ملابس النصارى فرحبوا به البنات وأجلسوه الى جانبهم ونظر الى البنات فرآهم جميعا جمالات وهم أولاد ملوك الروم فجاءت له بنت وقالت له يا سيدى أنا قلبى يحدثنى أنك أنت الديابرو عرنوس انا متولعة بمحبتك من قديم الزمان حتى انى رأيتك هذا الوقت فى هذا المكان فقال لها وأنت من ومن هو أبوكى كيف ترهبتى فى الدير وأنت بهذا الجمال فقالت أنا اسمى كترونة بنت البب كنتارون صاحب مدينة باب الملك . ولما سمعت بذكرك من بنات الروم استنظرت بأن تورد من بلاد أبى وكنت أطلبك تتزوج بى فلم يكن لى نصيب وأنت عنا بعيد غير قريب وطلبونى بغض ملوك النصارى للزواج فمن حبك لم أرض وترهبت وأقمت فى هذا الدير هذه المدة وها أنا سرت بين يديك وعتابى وخلاصى كله عليك فقال لها الملك

مرحبا بك فان أراد الله تعالى أكون لك زوجا وانى ما اريد منك إلا الدخول فى الاسلام فقالت له علمنى ياسيدى وانا أسلم معك وكل ما تعلمت شيئا أنا أتبعك ثم انها قامت وأحضرت له الطعام ووضعته بينها وبينه فتقدم الملك عرنوس ليأكل فصارت تأكل معه وتلاطفه فى الكلام فنظر الملك عرنوس بفراسته وكمال عقله ان هذه الملعونة افعالها معه زور ومحال وليس مرادها منه إلا هلاكه وسوء ارتكابه فأخذ حذره منها وجعل يردها بالكلام حتى قامت تحضر صحفة المدام فتحمل هو بضد البنج فصارت تسقيه من المدام وكانت اشغلته بالبنج فلم يرقد عرنوس فلما رأت ان البنج لم يرقده فوضعت فى الكاس قص من السم وناولته فكان الملك عرنوس ملاحظها فقال لها اشربى هذا الكاس فقالت له اشربه انت فقال لها هذا مسموم وانت الذى وضعت السم فيه وكما سميتيه اشربيه وان لم تشربيه قطعتك بالحسام يا لئيمة اللئام ولكن اعلمينى من الذى اشرا كى على قتلى حتى تجارينى على بهذه الفعال فقالت له اعلمك بصدق المقال وهو انك لما فتحت مدينة بقراط بالحسام وجعلتها اسلام وبلغ الخبر إلى ابى فارسل احضر عالم ملة الروم جوان واخبره بانك انت الديابرو عرنوس وفتحت هذه المدينة وشاوره كيف يكون التدبير فى ذلك الامر العسير فقال جوان اما عرنوس فان موته قريب ان طاوعتنى على ما اقول فقال له اعلمنى وانا اطاوعك فقال له ارسل بنتك الى دير البنات فى صفة انها راهبة وتأمر البنات الذين فى الدير ان يكثروا من دق ناقوس الدير فى الليل لعل يسمع عرنوس ويعلم ان هذا الدير فيه بنات الملوك فاذا دخل الدير ورأته بنتك ودخل الدير تواددى وتعلمه انها متعلقة بمحبته من زمان صباها فاذا اعرض عليها الاسلام [قال الراوى] فانها تسلم بالخديعة والمحال حتى يأمن منها فتدفع له البنج بالطعام وان امكنها ان تدغر له السم اوفق واصلح فان قبضته بالبنج ترسله اليك تقتله وان سقته السموم اراحت منه النصارى ويرضى عليها البطرق زرارة صاحب الدير والحارة .

ثم ان البنت قالت للملك عرنوس فأمرنى ابى بذلك الحال واعطانى جوان البنج والسم وقعدت فى قلب الدير اربعة ايام حتى اتيت انت وجرى ما جرى وهذا ما عندى من الخبر على الحقيقة وها انا اعلمتك بالطريقة فقال لها الملك عرنوس وجوان هذا الوقت عند ابوكى فقالت له نعم فعندها حط يده على الحسام وضربها قسمها نصفين وقام عرنوس وخرج من الدير وراح الى مدينة بقراط وجمع العسكر الذى فى المدينة وكانوا قدر اربعمائة وارسل نجاب الى مدينة الرخام يعلم المقدم

اسماعيل أبا السباع يأتيه بالعساكر ريلحقه سريعا على مدينة باب الملك والعجل ثم قبل فرات الأمل ولما وصل الجواب إلى المقدم اسماعيل أبي السباع جمع العساكر أتباعه وكذا نصير النمر حضر رجاله من قلعته وركب الاثنان فى عساكر لا تخاف الموت ولا تفزع من الفوت وعدتهم عشرين الف خيال وعشرة آلاف قراب وساروا يقطعون الأرض حتى وصلوا إلى مدينة قراط وكان الملك عرنوس مقيم فى انتظارهم ولما وصلوا سار بهم إلى مدينة باب الملك وحط قدامها هذا ما جرى من عرنوس

[وأما ما كان] من البب كنتارون لما نظر للملك عرنوس حط قدام بلده لان الملك عرنوس قطع راس البنت ووضعها على مزراق وشهرها قدام صيوانه ونظرها أبوها فلطم على وجهه وراسه حتى تقعقعت أضراسه وقال لجوان أنت الذى دبرت هذه التدابير أهلكت بنتى بشوم رأيك الفاسد فقال له جوان أنت عندك عساكرك لا تعد ولا تحصى أخرجهم للقتال ولا تخف من عرنوس ولا من جميع المسلمين فان المسيح ينصرك عليهم فاخرج من خيامه ونصب بيارقه وأعلامه وصف رجاله والابطال ووقع الحرب والقتال وطال بين الفريقين المطال وكان من اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص اثنان نظروا إلى هذه الوقعة وكانا مختفيين فى تلك القلعة فأخذ بعضهم بعض وساروا إلى مقدمهم واعلموه بان الملك عرنوس فى قتال البب كنتارون صاحب مدينة باب الملك فقال لهم روحوا إلى مصر واعلموا السلطان فساروا إلى مصر واعلموا السلطان فبرز إلى العادلية وشال ثانى الايام بالعسكر حتى حط على مدينة باب الملك فالتقاه الملك عرنوس وسلم عليه وساله عن سبب انزعاجه فقال له من اجلك لانه لم يبق لى صبر عن بعدك فشكره على ولما علم البب كنتارون بان ملك الاسلام اقبل قال لجوان كيف يكون العمل فقال له اطبق بعسكرك ليلا على عرضى المسلمين اكبسهم وهم نائمين على ما يطلع النهار يكونوا جميعا راحوا منتار هذا ماجرى واما الملك عرنوس دخل تلك الليلة على السلطان وقال يا ملك الاسلام انا قصدى هذه الليلة اقتفى ظهر الكفار بعسكرى ليلا واحول بينهم وبين مدينتهم وانت تكبسهم فى الظلام وتضع فيهم الحسام فان رجعوا للقلعة اكون انا فى صدرهم حتى تنقضى هذه النوبة فقال السلطان افعل ما تريد

فاخذ عرنوس رجاله وصبر لثلث الليل وجاز بين عرضى الكافرين وكان المامون وضب عسكره واراد ان يكبس عرضى الاسلام فالتقوه تحت عسق الظلام وغنى الحسام وفلق الهام وهشمت العظام وزاد على الكفرة اللئام فارادوا الانهزام فالتقاهم الملك

عرنوس وسقاهم من الموت امر كؤوس ودام القتل فيهم طول الليل حتى هلكت الكفرة بصيرف الاسلام الابرار التقى السلطان مع البب كنتارون فأطبق عليه كانه مجنون وضايقه عند الطراد واتبعه فى الجلاك حتى أشرف على الموت والنفاد وطبق السلطان فى أطواقه عصر خناقه وجذب رجله عن جواده وتقدم المقدم سعد بن دبل وأوثق كتافه وشده وشاع الخبر بأسر البب كنتارون وعلمت الكفار فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار ولم ينج الا من كان أجله مديد وجواده سابق شديد ولم يطلع النهار الاوالدنيا خالية من الكفار وامر الطبجى ضرب المدافع على حصن باب الملك هدم أصوارها بعد مانهبها وشال قاصد مدينة مصر حتى وصل وعرنوس معه واتقد موكب عظيم ووصل الملك الى قلعة الجبل واقام يتعاطى الاحكام كما أمر الملك العلام وبلغ البب دردريك صاحب رومة المدائن الوسطى بما جرى على باب الملك وان البب كنتارون اسير عند السلطان ملك المسلمين فقال للذى أخبره وايش أوقع كنتارون فى يد ملك المسلمين فأعلموه بالملك عرنوس والبنت الذى قتلها عرنوس والعبارة التى جرت فقال مابقى لها أوفق من الصلح أنا أكاتب ملك المسلمين ثم انه كتب كتاب واعطاه الى قصاد من دولته وهم أربعة رؤوس ومعهم ستة أدنى منهم فى المقام وقال لهم رودوا ملك الاسلام وتمايزوا وان رأيتم فيه مطمع عودوا الى واعلمونى فقالوا له سمعا وطاعة وانزلهم فى غليون وسافروا الى الاسكندرية ونظرهم باشة الاسكندرية فمنعهم عن دخول المدينة حتى يعلم أخبارهم وأرسل لهم جاسوس من طرفه فغاب وعاد واعلمه بانهم قصاد قادمين من عند البب دردريك ملك رومة المدائن الوسطى فأمر بحجزهم فى المدينة والحفظ عليهم وأرسل خبر السلطان فأمر باحضارهم فلما حضروا قبلوا الارض وقدموا الكتاب فقال الملك من الذى أرسلكم فقالوا أرسلنا البب دردريك

فقال الملك دردريك ليس بطائع ولا يدفع الجزية ايش جرى له فقالوا له هذا كتابه فأخذه ابراهيم وقدمه لمن يقراه واذا أوله صليب وعنوانه صليب ونحن نوحد الملك القريب المجيب ونصلى على طه النبى الحبيب اما بعد فمن حضرة البب دودريك صاحب رومة المدائن الوسطى الى حضرة ملك الاسلام ان الذى قتله الديابرو عرنوس غير عدل كون أنه قتل بنت البب كنتارون وبعدها ركب على باب مدينة الملك وبلغك ذلك فاتيت اليه وساعدته وأسرت البب كنتارون وصار عندك يا ملك مسجون فانا علمت بذلك فكتبت لك هذا الكتاب اسألك يا ملك الاسلام ان تزيل عنا هذه الغليون وتطلب البب كنتارون

وبصير بيننا الهدنا مع الصلح فان الصلح خير من الافساد والحرب والعناد فان أطلقته علمت ان سياقنا عندك مقبول وان خالفت فانت تعلم ماتقول وشكر يارب المسيح فلما سمع السلطان ذلك الكلام فقال السلطان ايش هذا الكلام الذى كتبه دردريك وماهو الاتهديد ووعد ووعيد وأنا والله ليس عندى له الاضرب الحسام الحديد وقطع الغمام والكفوف فى النهار الشديد وطعن يتمتع صم الجلاميد اما يعلم هذا الملعون انى أهلك جميع عساكره بضرب الحسام واحرمه ان يتهنى بطعام اويتلذ بمنام وكانه طمعان فى دولتى واستخف هذا الملعون جانبى فقال له الوزير قلاوون يا بعض شاه اسمعنا ماقى الكتاب فأمر السلطان المقرى ان يعيد الكتاب على جميع الامراء فقراه ثانيا فقالت الامراء جميعا هذا الكتاب ليس فيه شىء يورث الغيظ هذا طالب الصلح والصلح أحسن من القتال وايش الذى يحوج للاغاظة والحرب والله العظيم هذا حرام كل يوم قائل مصر ان كل يوم قائل عجم احنا ماهو شىء خائفين على راسنا وانما اذا سلم الانسان مرة لم يسلم الثانية فقال السلطان أنا ما أقصد انكم تتبعونى فى الجهاد وليس مرادى انكم تساعدونى على بلوغ المهاد وانما أنتم يا امراء جميعا الزموا بيوتكم فانا غنى عن قتالكم ومعاونتكم والتفت السلطان الى الملك عرنوس وقال له قم أنت الى أولئك القصاد واقطع مناخرهم وآذانهم واحلق لحاهم وشواربهم حتى يعودوا الى دردريك بذلك التشويه واعتنى ما فى خيله يركب واحمض ما فى طعامه يشرب فقام باشة البطارقة وقبل الارض وقال له ياسيدى لاتؤاخذنا بذنب غيرنا نحن قصاد ولنا ملوك حتى تجارينا على ما أجرمنا ونلتمس العفو عنا واحنا فى عرض الدبابر و عرنوس فقال الملك يا ملك عرنوس أنا نصدى التشويه فيهم لتكسر أنف الذى أرسلهم وحيث أنهم وقعوا فى عرضك وأنت عندى أعز من أولادى فاحلق ذقونهم وشواربهم واطلقهم يروحوا الى من أرسلهم ففعل الملك عرنوس فيهم كذلك وساروا القصاد حتى وصلوا الى الاسكندرية فنزلوا فى الغليون وراحوا صلوا الى البب دردريك وأعلموه بفعل السلطان فجمع عساكره من اراضى السماسم والروم ومدينة الحكم وصار فى عسكر عرمرم وكانت تجريدة العسكر مائة وعشرين الفا وسافر يقطع الجبال والبرور حتى أشرف على وادى الزهور وهذا ما جرى وأما السلطان كاتب الفداوية وطلبهم للجهاد لان دردريك تحرك ويكون اجتماعكم من كل كيخية ومقدام حتى تقابلوني على مدينة الشام وسارت الكتب وركب السلطان فتقدم ايدمر البهلوان وقبل ركابه وقال له يا أمير المؤمنين لاتزعل علينا فانا على كل حال غرس نعمتك وليس لنا معيشة الا فى خدمتك فاذا غضبت علينا واحرمتنا من الجهاد وحاشاك يا ملك الزمان ان تفرط فى خدامك

على شان غلطة اللسان ، ان كان احدنا اساء الادب وتكلم بقبائح فعادة مولانا السلطان ان يكون لنا مسامح لان الله تعالى أولاك على رقاب العباد لتنزل عنهم الضلال والفساد وتهدى الى طريق الهدى والرشاد ومازال الامير ايدمر البهلوان يتكلم بمثل هذا الكلام ويتخضع لملك الاسلام حتى انه أنعم بالركوب وفرقه من الامراء فتقدم الاغا شاهين الافرص وهو الوزير الاعظم وقبل ركاب السلطان وطلب منه العفو للامراء جميعا والامان وكذلك الملك عرنوس حتى ان السلطان عفى عنهم وبرز الملك بالعرضى الى العادلية ونصب العرضى بها ثلاثة ايام حتى تكاملت العساكر وضرب مدافع الخصم ومدفع الركوب وسار الملك بالعساكر وهو يطوى البرارى والآكام حتى أشرف على بلاد الشام فاجتمعت بنو اسماعيل على المعرة عند المقدم سليمان الجاموس وأثاروا على الشام فالتقوا السلطان وكل منهم تقدم وخدم وترجم وافصح عن مابه تكلم ففرح السلطان باطاعتهم وأقام يومين وفى اليوم الثالث جاءت الجواسيس وهم اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص وقالوا يا ملك الاسلام اعلم ان البب دردريك صاحب رومة المدائن الوسطى جهز عمارة مراكب قدرها اربعمائة قطعة خشب وانزل فيها عساكر لا تعد ولا تحصى وكان قاصد مدينة الاسكندرية فخرج عليه ريح اسمها نوة قاسم جران ففرقت منه مقدار خمسين مركب وباقى عمارته طلعت على وادى الزهور ومنبع النهور مرتع الغزلان وذلك الوادى مكان طيب فيه المياه بكثرة فأقام فيه الملعون بعسكره ليأخذ راحة ومن بعد الراحة قصده ان يسير الى حلب لاجل حرب الاسلام ونحن لما عرفنا منه ذلك الحال أتينا الى مقدمنا المقدم موسى بن حسن القصاص وقد اعلمنا بما رأينا فقال لنا امضوا الى مصر واعلموا ملك الاسلام فاتينا اليك لتعلمك والسلام ران البب دردريك قادم على بلاد الاسلام فقال السلطان النصر من عند الله وانعم على الاتباع وسيرهم سلام وامر السلطان العساكر بالشيل من الشام وصار الى وادى الزهور فرأى عساكر الكفار وعرضى البب دردريك هناك فتركه الى اليسار ونزل السلطان على اليمين ونصبوا الخيام والسرادقات مع الاعلام وترتبت الصفوف والمئات والالوف وكتب السلطان كتاب واعطاه الى ابراهيم بن حسن وقال له اريد منك تعطيه الى دردريك وتأتينى برد الجواب فقال سمعا وطاعة وأخذ الكتاب وصار الى عرضى الكفار ونزل عن حجرته وصرخ على الكفار فتهاربوا من صيحته ودخلوا على البب دردريك وهم فى خوف واعلموه بقدوم ابراهيم فقال اخلوا له الطريق حتى يأتى وانظر ما معه من الاخبار واذا ابراهيم بن حسن مقبل وتهدد على البب دردريك وحذره حتى قام قائما على الاقدام واخذ الكتاب وقراه يجد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى من

حضرة ملك الاسلام إلى أيادى الملعون دردريك يا كافر يا عدو الله أنت طلبت منى الصلح وإطلاق كستارون وكان هذا منك خديعة ومحال ومقصودك أن تفتح باب تنقض به الهدنة لأجل الحرب والقتال هذا قصدك وأنا عرفت منك ذلك فتمنعت عن الصلح وأمرت أن أقطع آذان قصادك ومناخيرهم ولكن الملك عرنوس شفع فيهم والذى جرى لا يعاد فان أردت أن يحمى مالك وبلادك وأجنادك من القتل ومن الخراب فتأتى إلى عندى خاضع معلق سيفك فى رقبتك ذليل أحاسبك على كلفة الركبة وأبايعك نفسك بالمال وآخذ عليك الجزية الطاق طاقين فان فعلت ذلك نجوت أنت ومن معك من المهالك وإن خالفت والعياذ بالله من المخالفة لا بد أن تنظر ما يجرى عليك وعلى بلادك وعلى عسكرك وجميع أجنادك من القتل والشتات والفنى والممات فان الله أوعد الاسلام بالنصر وها أنا حذرتك والسيف أصدق وأنبأ من الكتب وحامل الاحرف كفاية والسلام على من ظلت على رأسه الغمام فلما قرأ البب دردريك ذلك الكتاب ناوله إلى إبراهيم فقال إبراهيم هات رد الجواب فكتب له ما عندى إلا حرب يصد وطعن يقد النبال وأول الحرب يكون فى غداة غد وشكرا يارب المسيح فأخذه إبراهيم ووضعه فى قلب الجزمة وطلب حق الطريق فاعطى له البب دردريك ألف دينار ونزل إبراهيم من الديوان وهو مثل سبع الأجمة وخرج من العرض حتى التقى بالمقدم على بن الشباح ماسك حجرته فتقدم وركبها وسار إلى عساكر الاسلام وتقدم إلى صيوان السلطان وقبل الأرض وناوله الكتابين وقال يادولتلى هذا كتابك وهذا رد جوابك فالتقى رد الجواب بالحرب فرقه وأمر بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الكفار ودام الطبل حتى مضى الليل وطلع النهار وخرج بطريق وطلب القتال فنزل أيدمر البهلوان قتله وثانى قتله وثالث قتله وهكذا إلى آخر النهار قتل عشرين وأسر عشرة وثانى الايام نزل المقدم حسن النسر بن مجبور قتل خلق من الكفار لم يحصى لهم عيار ودام الامر كذلك سبعة أيام واليوم الثامن قدم جوان ودخل على دردريك فأعلمه بالواقعة فقال ياولدى هذا الذى يفعله ملك المسلمين إتلاف على ملة النصارى لعدم من يرده عنهم وأنت إن أردت أن تصبر على ذل ملك المسلمين يغضب عليك المسيح فان أردت رضا المسيح عليك جاهد على دينه حتى تبلغ المقصود .

فقال دردريك يا أبانا كل من نزل الحرب اما أن يقتلوه المسلمون أو يأسروه وأنا خايف أن يقتلونى أو يأسرونى فقال جوان لا تخف منهم أنا أوصيك على حربهم أخليك تغلبهم فانهم ليس عندهم معرفة الا آتل الكرستيان وأما جوان له تدابير لم يعرفها ابليس ولا أولاده فقال البب دردريك دبر لى يا أبانا حتى أشوف .

فقال جوان عند ما ينفتح باب الحرب أمر العساكر بالحملة وأطبقوا كلهم جملة ولا يتهاون أحد عن القتال حتى نهلكوا المسلمين وتفنوهم جميعا فقال دردريك هذا ليس انصاف بل هو جور وإسراف وهو حرام فقال جوان كذبت فارهلا كهم حلال كما أمرنا البطرق ذعربال فى كتاب الكفر والضلال فلما كان عند الصباح واصطفت الابطال للحرب والقتال هز جوان الشنابير فزحفت العساكر كبير وصغير فقتلها أبطال الاسلام كانهم سباع الآجام وعمل الحسام الصمصام واشتد الزحام وقل الكلام وصارت القتلى أكوام وحمل الملك الظاهر وجرد الضرب بالحسام الباتر وتوكل على الله العزيز القادر وكم هلك كل كافر وملأ بالقتلى جميع الاودية والمحاجر وحمل الملك عرنوس وقتل بالسيف والدبوس وأبرى الجماجم والرءوس وسقى الكفار أمر كؤس وحمل المقدم إبراهيم وسقى الكفار منهلا من حميم وأبلاهم بالعذاب الاليم وملأ الارض باللحم الرميم وحمل المقدم سعد بن دبل بقلب أقوى من الجبل وأبرى رءوس العدى تحت القسطل وفتك فى الاعداء وقتل وحرق الصدور والمقل وحمل أيدمر البهلوان وأجاد الضرب والطعان وأروى من الدماء السيف والسنان وملأ الارض بالقتلى وجعلهم كيمان وحملت أبطال الاسلام من بنى اسماعيل وأشفوا من أعداهم الغليل وبطل القال والقيل وكان لهم يوم طويل وحملت الامراء وهبروا الكفار هبرا وأى هبر وكسر سور الاعداء عشرة بعد عشرة كانت وقعة عسرة وزاغ من الشجاع بصره ودام القتال واشتد النزال وتزلزلت الارض بالزلزال وحكم الحسام الفصال ودام الضرب والحرب عمال الى أن ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال واندق طبل الانفصال ونظر جوان الى ذلك الحال فتقدم الى وسط المجال وقلع القلنسوة من على رأسه ورماها وصاح الجهاد يا بناء النصرانية فقد انفتح لكم باب سقر وخازن جهنم بباريكم بالنظر فاثبتوا للمختار ولا تهربوا منه فالكم غنى عنه فعند ذلك ثبتوا الكفار وزاد الفلام اعتكار فهاجب الابرار وحماهم المهيمن الجبار فكم من رأس طار ودماء فار وجواد غار وانعقد الغبار فى ظلام الاعتكار وفى نصف الليل التقى السلطان بالبب دردريك وهو يعوى ويصيح كصياح الديك فأطبق عليه فى الميدان وضايقه فى الحرب والجولان ومد له كف بالتقوى ملان وصاح يا عزم النبى العدنان وجذب رجله وإلى الارض كبله وكان خلفه المقدم سعد بن دبل يدور من حول حصان السلطان فلما رآه أسر ذلك الكافر تسلمه منه وشده كتاف قوى سواعده والاطراف هذا ونار الحرب ثائرة وطاحون الفنا والموت دائرة والدنيا مظلمة

وليس أحد يعرف الارض من الدما وتكحلت الاجفان بمراود العمى ودام الامر كذلك حتى غاب الدجا وبدا الصبح مبتلجا فحمحمت سباع الاسلام وجرد الضرب بالحسام وهمهموا كما تهمهم أسد الاجام واهلكوا جمعا كثيرا من الكفرة اللئام فانهزموا الكفار واوسعوا فى القفار وطلبوا أهلهم والديار وولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وقد رأوا طعم الموت أشد مرار فتبعت اعقابهم الاسلام وشتتوهم فى البرارى والاكام وجمعوا متاعهم والخيال وخيولهم والانعام وبلغوا القصد والمرام وأما جوان فانه هرب وخاف من الهلاك والعطب فادركه الملك عرنوس ونضه وقال له ياملعون كل بلية حصلت للمسلمين أنت السبب فيها والله لم يمكنك الهروب والفرار حتى ارشم جسدك بكى النار حتى تبقى شهرة بين الكفار واتى به ووضعه قدام السلطان فالتفت اليه السلطان وقال له ياجوان إلى متى هذا العناد الذى أنت دايز به لهلاك الكفار والاسلام أما تعلم ان سفك الدما فى جميع الملل حرام وأنت ياملعون ياددريك كنت طايع وما تعصى تحت اطاعة وايش الذى اغراك على هلاك اهل ملتك حتى تخرب بلادك لكن بخاطرك اقطع رأسه يا إبراهيم فانه كافر لئيم فقال البب دردريك ياملك الاسلام اذا كنت اسلم يجوز قتلى فقال السلطان إذا اسلمت لايجوز قتلك ولو كنت فعلت مهما فعلت

فقال اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله فامر السلطان باطلاقه وفرح الملك عرنوس باسلامه وقال يا ملك الاسلام هذا من رؤوس الكفار الكبار واسلامه لم يدخل على بال أحد فقال السلطان لاحرج على فضل الله فقال البب دردريك يامونا السلطان أريد منك ان تامر جوان بكتمان سرى وتعلمه لى حتى أروح بلادى وهو صحبتى واجمع مالى واعود أنا وعيالى الى خدمتك وأكون من بعض دراتك ورعيتك فقال السلطان اذا كان معك جوان فانه يغريك على رجوعك للكفر بعد الايمان وان فعلت ذلك وحق من رفع السماء بغير عمد وهو الله الواحد الاحد يكون سببا لقلع أثرك وموتك وخراب ديارك فاحذر على قدرما تستطيع وخذ جوان معك حتى يقضى الله ماهو قاض فقال جوان ياملك المسلمين ان عرفت جمايل جوان تشكره على فعله لانى كم جايت لك بلاد فتحتها وأخذت منها أموال وبنات ملوك أخذتموهم حملتموهم جناقات وخلفتوا منهم اولاد يقاتلوا فى الجهاد

فقال السلطان روح يا ملعون هذا غصب عنك فانك أنت اليوم فى كرامة البب دردريك لكونه اسلم وحديث الرسول قال اذا أتاكم عزيز قوم فاكرموه وقد أكرمنا هذا الملك لعل الله ان يثبت الايمان فى قلبه وخرج البب دردريك وأخذ

جوان وكان المقدم إبراهيم فى هذا الوقت عنده مشدود الحرب ابن عزاقيل فانه انجرح فى هذه الوقعة جرح بالغ ولما دخل عليه ابراهيم تطب له جرحه فقال الحرب ياعم أنا لما أصابنى ذلك الجرح فعميت فرأيت صفوف بنات كامثال البدور الطالعات وهم واقفين وبايديهم كاسات من الجوهر وهم يتولون لى أهلا وسهلا بك يا مقدم حرب أنت المطلوب وبرؤيتك ترتاح القلوب فلما رأيتهم هجمت واردت ان أدخل عندهم فقالوا لى لاتبلغ حظك منا الا اذا دفعت مقدمنا وان أردت ان تواصلنا فواصلنا اليك قريب حتى تترك من الدنيا كل حبيب ولم يبق فيها نصيب فانتبهت ياعم على ذلك وقلبى متعلق بالذى رأيتهم واشتهى ان أكون معهم ولم أفارقهم

فقال المقدم ابراميم يا مقدم حرب منامك هذا يدل على موتك ولكن ياولدى هذا جرحك انقطب ولم يبق شىء يورث العطب وما هى الا اضغاث أحلام والموت قريب من جميع الانام فقال حرب والله يامقدم ابراهيم ان قلبى متوجع بما رأيت ولو أرى من يقتلنى كنت اعطيته كلما ملكت يدى ولو أن الذى يقتل نفسه بيده يموت عاصى كنت اقتل روحى حتى أنظر الذى رأيتهم فى المنام واتملى بحسنهم والسلام فتركه ابراهيم وطلع قدام السلطان وكان دردريك أخذ جوان وطلع ركب حصان من خيل السلطان وأركب البرتقش وجوان فسأل ابراهيم عن الخبر فاعلموه الأمراء باسلامه فقال والله ما أسلم الازور وبهتان واقام منتظر مايكون هذا ما جرى

[وأما] البب دردريك فانه لما طلع مع جوان قال له جوان ايش عملت انت رايح قصير مسلم وتترك ملة الصليب فقال جوان أنت دخل على قلبك كلامى أنا ما جيتك عندى الاانعلمنى كيف يكون العمل حتى أبلغ من المسلمين الأمل فقال له تأخذ اموالك وتعود إلى ملك المسلمين وتقدم له الهدايا من احسن ذخائرك لان المال محبوب فان قبل منك اطلب خدمته فاذا قال لك اتمنى قل له ندبمك أينما جاست أكون معك حتى لا أحرم طلعتك فاذا اقمت معه دائما أبدا وطالت عليك الايام اجتهد على قتله او قبضه وان قدرت على قبضه تشنقه على صور بلدك حتى تشهد لك بذلك الملوك ولم يبق يقاومك أحد وانا امر ملوك الروم ان يوردوا لك الجزية التى يوردوها إلى ملك المسلمين ويبقى لك الافتخار عليهم اجمعين ففرح البب دردريك بذلك ودخل بلاده وجمع اكابر دولته وجوان معهم وأسلمهم بالذى جرى له فقالوا له افعل ماتريد وحمل أمواله وركب عياله وسار إلى أن وصل إلى مصر كان السلطان رحل ودخل على مصر بموكب عظيم وجلس على تخت قلعته وبعد أيام قلايل اتى له جواب من الاسكندرية على جناح الطير يخبر بان البب دردريك ملك رومة المسداين الوسطى اتى بامواله وعياله وجوان

والبرتقش معه فى الحديد ويريد الوصول إلى السلطان فأمر السلطان باحضاره فانتقل
حتى صار قدام السلطان وأول مافعل قدم جوان والبرتقش قدام السلطان وقال يا مولانا
كما أخذتهم ها أنا أحضرتهم والذى تريده افعله بهم فتعجب السلطان من فعاله وقال له
أنت اعتمدت على نصرة الاسلام وعدارة الكفرة اللئام فقال نعم يامولانا السلطان
ولا بقيت قط افتر عن خدمتك حتى اموت فقال السلطان خذوا جوان إلى السجن
فوضع فى السجن هو والبرتقش والتفت إلى دردريك وقال له تمنى فقال خدمتك
وأكون دائما معك وأينما قمت اتبعك أمر له ببيت فى قلعة الكبش نزل فيه عياله اخلع
عليه السلطان وجعله أميرا على مائة مقدم على جيش ألف ونظر إبراهيم إلى ذلك فالتفت
إلى سعد وقال يا سعد هذه مكيدة اجتهد فيها جوان وأنا ان تكلمت لم يسمع كلامى
فالسكات أولى فقال سعد إيش الخبر فقال دردريك كافر ودبروا على السلطان فحاذر
ياسعد معى على الغفر وأنا لوكان الظاهر يقبل منى كنت اقول له فقال سعد يا ابن خالتى
أنت تعارض حكم الله تعالى الله يفعل ما يشاء واما الكافر دردريك فانه اجتهد فى
تحطيم العبادة مدة أيام وجاب له رجل فقيه يقرئه الفاتحة ويعلمه الصلاة والعبادة
وانهمك على ذلك فصار السلطان يغالط الليلة وتروح اليه فى صفة درويش فيجده
يطعم الفقراء وعنده فقهاء يقرأون القرآن وبعض ليالى يكون عنده ذكر الله تعالى مدة
أيام فاعتقد السلطان ان اسلامه صحيح وأمن من جانبه بلاشك ولا تلويح إلى ليلة قعد
معه وهو فى صفة درويش عجمى ولما اختلى معه قال له يا أفندم ان ملك العرب يعنى عادل
والا ظالم فقال يادرويش ملك الاسلام عادل وأنت ابشر الجأك فى السؤال عنه فقال
له أنا أصلى من عند القان هلاوون وكان أرسلنى ان أدبر مكيدة على قان العرب لكن لم
اعرف لى طريق أعمل به مكيدة فالتزمت الادب وعلمت ان قان العرب مسعود ومن
اعانده مات مكمود فقال دردريك يا كلب العجم حيث انك من عند هلاوون وأتيت
لى بلاد الاسلام فلا يمكن اطلاقك الاقدام السلطان فقام دردريك وقبل الارض
بين يديه وقال يا ملك الاسلام العفو فانى غلطت وقلت لك يا كلب العجم وهذه
استحق عليها قطع اللسان والتمس العفو من مولانا السلطان فسامحه الملك وازداد فيه
رغبة ومحبة ونزل من عنده وتركه شهرا كاملا وأما البب دردريك فانه أحضر جوان
من الحبس سرا والبرتقش معه وشاورهم كيف العمل فأخذ دردريك ووضعهم
عند كافر فى حارة الروم يسيرهم إلى بلادهم وبعد أيام تخفى السلطان ليلا ونزل لم يعد
وكان معه إبراهيم وسعد والبب فى ذلك أن السلطان لما نزل معهم صار إلى الرميلة
وقال لابراهيم انزل على المحجر وسعد على سرق السلاح . وأما السلطان فسار على

الصليبة وقال الاجتماع يكون على باب المتولى ولما نزل السلطان على الصليبة فهو سائر
وإذ بانسان يقول آه ياقلبى قتلنى ياأخى بلاذنب لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فسار
السلطان على حس التكلم فالتقى دهليز ببيت أظلم فدخل فيه ويده على سيفه فلاخطى
عثر فى حفرة فوقع ونزل عليه ثار بدخان فكفرها السلطان فتبهج وقبض باليد وكان
الذى فعل ذلك جوان والبرتقش والبب دردريك ولما فعلوا ذلك وضعوا السلطان
فى صندوق وساروا به تحت الليل ادخلوه فى بيت رجل بحارة الروم يقال له يعقوب
الملافطى له الفة بالملعون جوان وثانى الايام كان يوم أحد والنصارى لهم عادة يروحوا
إلى دير مصر العتيقة رجال ونساء فأخذوا معهم الصندوق إلى الدير وانزلوه من مصر
العتيقة فى مركب الدمياط ومن دمياط سافر به جوان إلى مدينة الملافطة هذا
ما جرى واما دردريك فانه بات فى بيته وعند الصباح دخل بيت يعقوب الملافطى
وتخبأ فيه حتى تبرد الفتنة ويسافر بلاده وأما حريمه وأولاده كان أرسلهم سابقا كما
ذكرنا له كلام والمقدم إبراهيم وسعد فانهم وصلوا إلى المتولى ولم يجدوا السلطان
فقال إبراهيم للنفريط منا ولكن من يقدر أن يخالف السلطان وليس غريما إلا
الملعون دردريك فقال سعد والاسم الاعظم انى ما بقيت أدخل القلعة ولا أقعد فى بلاد
الاسلام الا ان كان الملك الظاهر فيها موجود وراح الى بيت دردريك فرمى
مفرده وطلع ونقش البيت فلم يجد فيه احدا الا دردريك وحده نايم فلم يكلمه وقال
احنا ظلمناه وهاهو لم يعلم بشىء من ذلك ونزل المقدم سعد واعلم ابراهيم بمانظر فقال
ابراهيم هذه تمام الحيلة اقامة الملعون فى بيته ولكن عند الصباح إذا طلع الديوان أنا
اطلب منه السلطان فقال سعد أنا لم اطلع الديوان لانى حلفت لا أقيم فى بلاد الاسلام
إلا إذا عاينت السلطان ثم ان المقدم سعد طلع من مصر يقتفى اثر السلطان له كلام

واما المقدم إبراهيم فطلع إلى الديوان واخبر الملك عرنوس بالذى جرى وقال
يا ملك عرنوس انا اقول ماسرق السلطان الا هذا الملعون دردريك وعاد يقول والله
يا ملك عرنوس دردريك هرب إلى بلاده واخذ جوان معه وهو الذى دبر له على
سرقة السلطان وانا ما اقدر شى اقعد الا إن كنت آخذ رجالى من حوران والحق
ذلك الملعون على بلاده ولا اعود إلا بالسلطان فقال عرنوس واحنا نقعد عن عمى
الملك الظاهر والتفت إلى السعيد وقال له اجلس يا اخى محلى ابيك حتى اسافر انا
بالعسكر واعراء الرجال باخذ الاهبة للسفر وبرز الى العادلية حتى تكامل العرض
وشال بالعساكر مرحلة بعد مرحلة حتى حط على الشام وكاتب الرجال المقيمين فى
القلاع والحصون واقام حتى تكاملت الفداوية وتوابعهم ورشال من على الشام قاصد

رومة المدائن الوسطى له كلام . واما الملك محمد السعيد فانه قعد على كرسى الديوان
اول يوم والثانى وفى ثالث يوم طلع المقدم جمال الدين فقام اليه السعيد واستقبله مثل
ما يفعل ابوه واجلسه إلى جانبه ولما جلس شيخة سأل على السلطان فاخبره السعيد بما
جرى من امر البب دردريك واسلامه واقامته بعد ما احضر ماله وعياله وصار السلطان
وهرب مابان ولم يسرق السلطان إلا دردريك وجوان مما اعلمه ان سعد حلف لا يقيم
فى بلاد الاسلام إلا إذا عرف مكان السلطان فقال المقدم جمال الدين انا اقول ان
دردريك إذا سرق السلطان لم يقدر ان يوديه رومة المدائن ولم يقدر ان يقتله ولكن
الواجب ان انزل انا ايضا والحق الملك عرنوس ونزل المقدم جمال الدين يقتفى اثر
السلطان له كلام . واما المقدم سعد فانه صار إلى الاسكندرية وسال باشتها عن
الملعون دردريك فقال له لم ارى له جرة ابدا فتركه وعاد الى دمياط فقال له والله يا مقدم
انا رأيت جماعة كفرة من بلاد الملافطة نزلوا هنا بمتاعهم ومعهم صندوق كبير ولهم
ثلاثة ايام من حين خرجوا من المينة فلما سمع ذلك سعد قال ان صدقى حذرى مولانا
السلطان ما اخذ الا على مدينة الملافطة وانا لم اعد الا بخبره وغير زيه مثل بطريق
ونزل فى مركب طالب المدينـــة المذكورة وسافر مدة ايام فخرج عليهم هواء
خلاف المطلوب ضيع المركب وجاءت على جبل يقال له جبل النار ومن خلف ذلك
الجبل وادى اسمه وادى الهلاك لانه عديم المياه والنبات فلما انكسرت المركب
تحت ذلك الجبل ومات كل من فيها . واما سعد تعلقت آماله بذكر الله تعالى على
طريق المطلع لذلك الجبل ولما طلع يلتقى صخورا واحجارا وكان سعد جيعان جوع
شديد فصار يشجع نفسه مدة ثلاثة ايام حتى خفى حسه فاستغاث الى الله تعالى فلاح له
على بعد صور مدينة فسار حتى وصل اليها وكانت هذه مدينة الكويح فدخل فى تلك
المدينة وفك حزامه واخرج شيئا من الذهب واشترى ما كولا ومشروبا واخذ
الراحة حتى صحى من تعبه وغشوته ورابع يوم طلع الديوان إلى ملك البلد وتامل
فوجد المقدم جمال الدين قاعد بجانبه فصار بين المصدق والمكذب وقال فى نفسه
ليس هذا كثيرا على سلطان الحصون فان كان هو فاكون انا قلت المقصود فعند
ذلك تقدم وقوى قلبه وقال يا بب انا رجل لى ايام ادور عليك لان لى أخا مصابا
يضعف فى بدنه وأنت الذى تعرف دواءه وكان سعد سال من بعض الناس عن شيخة
فاعلموه بانه حكيم فلما كلمه سعد بذلك الكلام قال له مرحبا بك ولكن انت من اى
البد فقال له من القيطلان فقال له شيخة اقعد عندى حتى ترتاح من تعب السفر
وبعد الراحة ارسلك تاتى باخيك إلى هنا وانا اطيبه لك فقال له مليح فالتفت شيخة

إلى الخدم وقال لهم خذوا هذا الرجل إلى البيت واعطوه دقيق وسمن بقرى و
تحل يعجنه بيده ويأكل منه فانه فيه داء لا ياكل من طعامنا ولا يشرب من شرابنا فاخذ
وانزلوه إلى بيت الحكيم وقدموا له ما قال عليه فعجن وخبز واكل حتى اكتفى
وبعد ذلك أتى شيخة اليه واصرف الناس وسلم عليه فحكى له سعد على ما جرى عليه وقال له
أنت كيف عملت حتى صرت وزير الهذا الملك فحكى له شيخة والسبب ان شيخة لما علم
بعد السلطان من السعيد كما ذكرنا ونزل يقتفى اثره فبحث فى كتاب اليونان عليه
وكان يحفظه فعلم أن السلطان فى هذه النوبة لا يظهر الا فى بلاد الكويح فسار حتى
دخل بلاد الكويح وبقى محتارا باى حيلة يدخل على ملك الكويح و كان اسمه البب
العيدروس فصار يتحدث مع الذين يدخلون الحارات ومع ارباب التداخل فعلم منهم
المقدم جمال الدين شيخة أن البب العيدروس ملك بلاد الكويح له بنت اسمها كارنة
وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال بها ودلال لها خصر نحيل وخد اسيل وردف
ثقيل وهى كما قيل فيها بعض واصفيرا هذه الابيات

مليحة حازت جميع الدلال ... وفاقت على اهل الكمالى
لها عيون غنج لواحظ ... ترمى على العاشين نبالى
لها خصر نحيل ما رأيت مثله ... فهو فى نحالى مثل حالى
لها ردف ثقيل وشعر كحيل ... وخد اسيل وغرة وهلالى
لها حواجب وعيون سرعان ... لها لفتات كمثل الغزالى
ما رأيت فى العالمين كمثلها ... ولا لها فى البنات من امثالى
إذا عانقت شيخ هرم كبير ... اصبح فى عزة شدة ونوالى

[قال الراوى] لهذا الديوان العجيب بعد الصلاة والسلام على الحبيب انه مع
ما كانت عليه هذه البنت من هذا الجمال كانت بها علة وسقام واحتارا بوها فى دوائها
فلما علم بذلك المقدم جمال الدين شيخة بخبر هذه البنت لبس على رأسه عمامة
صفراء وتزيا بزى أهل الحكماء ودخل على الملك العيدروس وقبل الارض بين
يديه ودعا له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم فقال له الملك العيدروس ما تريد
فقال له يا بب أنا كنت مقيم فى بلاد الهند الحكيم وأداوى كل سقيم وادور على صنعتى
واداوى المرضى فاتانى حوارى من المسيح اتباع عيسى بن مريم وقال لى إن ملك
الكويح له بنت ماتت بحسرتها الملوك وقد اصابها مرض فسر اليه وداويها له فسافرت
من الهند حتى اتيت اليك فى بلادك لاداوى بنتك وأنت ايش تقول فقال البب
حكيم أنت إن داويت بنتى وطابت على يديك ازوجك بها واجعلك وزيرى

وأفيض عليك من نعيمى وخيرى فقال خذنى اليك فقام الملك وأدخله على بنته فنظر اليها شيخة وعرف داءها وكان شيخة فهم ودارك فى الحكمة فاجتهد حتى طيب البنت فى خمسة ايام ونظر الملك لبنته فرآها برئت من سقامها ففرح وأحضر البطرق وكل له اكليلها وأمره ان يدخل عليها فقال له يابب لا يمكن ذلك إلا بعد مدة أيام حتى يتكامل شفاها وتصبح مما كان قد اعتراها فقال له الذى تعرفه افعله ثم انه أخلع عليه وأجلسه وزيره وأعطاه سرايته بجانب سرايته لأجل إقامته مع زوجته فصار شيخة يساير البنت حتى علمها دين الاسلام وهداها الملك العلام وكشف الله عن بصيرتها فاسلمت ودخل بها شيخة فوجدها درة لم تثقب ومطية لغيره لم تركب فتملى بحسنها وجمالها والتزم بقدها واعتدالها مدة من الزمان حتى قدم المقدم سعد ابن دبل وأعلمه بالذى حصل فأخبره سعد بالذى حصل فأخبره سعد باليمين الذى حلفه بأنه لا يعود إلى بلاد الاسلام إلامع السلطان فقال شيخة وأنا ما أتيت هنا الا لادور على السلطان [قال الراوى] ياسادة كرام صلوا على البدر التمام مصباح الظلام ورسول الملك العلام وقد أقاموا أيام قلائل الى يوم من الايام نظر الملك العيدروس فوجد غبار قد ثار وعلا وارتفع حتى سد منافذ الاقطار فارسل من يكشف له الخبر فغاب الرسول ساعة من الزمان وعاد فقال له هذه عساكر المسلمين أقبلت إلى بلادنا يريدون حربنا وقتالنا فعند ذلك أخذ الملك العيدروس العجب والاندهاش وتولى عليه الرعب والارتعاش وقال اناعمرى لم أعرف المسلمين ولا يعرفونى لأنى جئت غنبا حتى انهم يحاربونى فما السبب الذى أتى بهم إلى بلادى فقال الحكيم وهو المقدم جمال الدين شيخة يا بب لا تخف ولا تحزن ولا تحمل على قلبك من المسلمين فأنا أكفيك شرهم وأريحك من حربهم ولو كانوا بعدد التراب والحصى فقال له ايش الذى تريد أن تعمله فيهم فقال الحكيم أنا كنت فى بلادى عايق وأعرف فن العياقة وأنزل فى العساكر أسرق ملوكهم ومن حيث ان المسلمين أتوا الينا فانا أوريك ما أصنع بهم وأسرق لك كبارهم وتوضعهم فى الحبس وبعد ذلك تهجم على باقى عساكرهم وتفنيهم عن آخرهم فقال العيدروس المسيح يطول عمرك هذا ماجرى فى مدينة الكويح

[اسمع ماجرى] لسيد ملوك هذا الزمان ملك مصر والشام الضارب بالحسام الصمصام وقالق هام الكفرة اللئام وحامى بيت الله الحرام الملك محمود الظاهر بيبرس ابن القان شاه جك انه لما سافر به جوان إلى بلاد الملافطة ومعه الملعون يعقوب وكان له معرفة بملك الملافطة واسمه البب قفلاطون وكان هذا الملعون جبار

عنيد وشيطان مريد لا يخشى الموت ولا يرهب من القوت ولكنه كان يحسب للعواقب حسابا فدخل عليه يعقوب وصحبته التعيس النحيس خليفة ابليس اللعين جوان وتلميذه البرتقش الخوان وهو يقرأ فى قداس مع الغلط واللحن يستاهل اللعن فى الحياة وبعد الممات وتقدم البرتقش اليه وقال له يابب قم على حيلك تلقى عالم مة الروم والامر المحتوم البركة جوان فانه اتى لبلدك يطرح البركة للناس اجمعين حتى تعم بركته جميع ارضك وبلادك واهلك واجنادك ويصير كل واحد اثنين فقام البب اجلالا وتعظيما وتلقى جوان وباس يده واجلسه إلى جنبه وصار يحادثه ويساير وجوان يزخرف له ابواب الكلام الممزوج بالزور والبهتان وبعد ذلك سأله عن سبب قدومه فقال له جوان اعلم انى اتيت اليك بملك المسلمين حتى تسجنه عندك وتذيقه العذاب الشديد وان آمرك أن تركب على بلاد المسلمين وترفع ضرب الحسام والحرب والصدام وتخرب ديارهم واطلالهم وتسبى حريمهم ونساءهم وتعود بالسلامة إلى محل ملكك وقد انقضت الاشغال فقال له يا جوان انا عمرى ما رأيت المسلمين ولا رأونى ولا حاربتهم ولا حاربونى وبينى وبين بلادهم سفر بعيد والوصول لهم صعب شديد فان أخذت عساكرك وسرت إلى بلادهم فيكون فى السفر هلاكهم ويكونوا تعبانين وقت القتال ولم ابلغ بهم الآمال لان المسلمين فى بلادهم مرتاحين وأنا وعسكرى تعبانين والارض ارضهم فعلى كل حال يغلبونا ولا نغلبهم ويقع علينا قول القائل لم من يدر العوقب فما الدهر له بصاحب فقال له جوان لا تخف يا ملك الزمان فأنا اساعدك واجيب لك ملوك الروم تحارب معك وتغلبهم ببركة جوان ولا تخف من انس ولا جان والمسيح ينصرنا عليهم واجمع عسكرك وجندك ولا تلوم النصر الامنى فقال له البب قفلاطون ياجوان أنا أعلم انك طول عمرك تأمر ملوك الروم بحرب المسلمين ولا وقعت وقعة الا ويعودوا النصارى منها مكسورين وينهبوا أموالهم ويهلكوا أبطالهم حتى أن ملك المسلمين رتب الجزيه على النصارى فى كل عام يدفعونها خوفا على بلادهم لا يخربوها المسلمون واخيرا تيت إلى وتصدك أن تهلكنى وتهلك جميع عساكرى وجندى وتخرب بلادى كما فعلت بملوك الروم وتدعى انك ناصح للكرستيان وما انت الاشيطان فى صورة انسان كلب خوان ثم انه صاح على عسكره وقال هاتوا عدة الضرب واربطوا جوان فقال البرتقش الحق بيدك يابب لان جوان بدرة نجسة جعله المسيح نقمة ولم يعرف ملكا الا واهلكه ولم يدخل بلدا الا واخربها [قال الراوى] فعند ذلك طرحوا جوان وضربوه الف

كرباج على جلده وهو يستغيث فلا يغاث حتى ان جسمه تمزق ثم انه قال له اقسم برب المسيح لانه اذا تفرقت الملل فالرب واحد ان رأيتك ياجوان ثانى مرة دخلت بلدى لاقطع من لحمك وأشويه وأطعمك منه حتى يعتبر بك كل منافق فانك من المنافقين الكبار ولا تحب للنصارى الا الهنتار فقال جوان اعطنى ملك المسلمين فقال له انفذ أنت بعمرك والا قتلتك يا كسناس لا كنت ولا استكان ولا عمرت بك أوطان يا كلب الرجال ان ملك المسلمين يبقى عندى حتى إذا علموا به أرباب دولته وأتوا الخلاصه أحاربهم هنالك بيان الفارس الجحجاح من الفارس الجعجاع فان غلبتهم قتلته وقتلتهم وان هم غلبونى ووقعت فى أيديهم أسيرا افدى نفسى بملكهم أولى من ان يقتلونى وأصبح على التراب مقتولا عفيرا وانما أطلع أنت من بلدى بالخيبة ولا ترينى وجهك فليس لك عندى مقام ولاهيبة فطلع جوان وهو على مافعل ندمان وقد صعب ذلك عليه وكبر لديه ونتف لحيته وعارضيه وقال للبرتقش يا سيف الروم انا درت الدنيا وسحت الأرض شرقا وغربا وقابلت ملوك ووزراء وحجاب فما سمعت أحدا كلمنى بمثل هذا الكلام الذى هو عندى اشد من ضرب الحسام ورشق السهام فقال البرتقش لعله ان يكون يخادع ملك المسلمين حتى تأتيه عسكره انا ياجوان قلت لك الف مرة ان الوقت بقى قريب على تقطيعك على العربية وأنت لم تسمع كلامى اقعد بقى فى بحيرة يقرة حتى يأتيك القضاء المبرم والبلاء المحكم المقدم جمال الدين شيحة سلطان الحصونين والقلاعين عايق عياق مصر والشام يأخذك يقطعك وترتاح المسلمين والنصارى من طلعتك لان وجهك شوم على كل من رآك اراحنى من مصاحبتك فقال بعد عمر طويل أنت يابرتقش دائما تقرأ فى دفاتر النحوسات والكيد والمعانده وانا لابد لى ان اهلك النصارى والمسلمين قبل ان أموت وبعدى لم يبق أحد وسار جوان يقع له كلام

[قال الراوى] وأما ملك الملافطة فانه وضع ملك المسلمين فى محل عالى يشرف عن الخلا من جانب وعلى البساتين من جانب وقال لعسكره هذا ملك لابد له أن يكرم لان اهانة الملوك عيب وأنا ما أخذته بحرب حتى كنت افتخر عليه وتركه بعد ما رتب له كل مايحتاج اليه وقد تفكر السلطان غدرات الزمان وما جرى له من اللعين جوان فبكى وان واشتكى وأخذ يتوصل الى الله والرسول

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
والقى بكفيه الصبى استكانة ... من الجوع ضعفا مايمر وما يحلى
ولا شىء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العاهى والعلهز الغسل
وليس لنا الا اليك فرارنا ... واين فرار الناس الا الى الرسل

[قال الراوى] وقد بات السلطان ويفقد الابيات ويرخى العبريات على الوجنات وهو يقول ياغيث المستغيثين ياراحم الضعفاء والمساكين أسألك اللهم ان تجعل لى من لدنك مخرجا قال فبينما هو فى الدعاء والتوسل وإذا به سمع حسن انسان ولا يرى يقول أصبر يا أمير المؤمنين فان لكل شىء أوان والصبر مفتاح الفرج فصبر السلطان وسلم أمره للعلى الديان هذا ما جرى هنا [اسمع ما جرى] للملك قفلاطون فانه كان ليلة نائم فتذكر ما فعل معه ملك الكويخ لانه قاتل اباه مدة قديمة ويعلم أنه ليس هو من رجاله وليس له قدرة على حربه وقتاله فقال فى نفسه لا بد ان ملك الاسلام له معرفة بخدائع الحرب والصدام وأنا أسأله فى شأن ذلك ثم أنه قام ليلا وطلع الى الملك الطاهر وقعد معه وتحدث معه فالتقاه طيب المحادثة لطيف الكلام حلو الشمائل والخصال فسأله كيف قدر جوان عليه حتى أتى به إلى هذا المكان فاعلمه السلطان بدردريك وما فعل فى حقه حتى اغراه جوان وسرقه وقال السلطان ان عشت وابقانى الله وعدت الى بلادى لابد ان اورى دردريك مقامه وأعجب انتقامه واجعل يوم ان أراه آخر ايامه لانه كلب غدار ولاله الا الحرق بالنار فقال له البب قفلاطون يا ملك المسلمين أما أنت وديعتى لم يصبك ضرر ولا بد ان اسفرك إلى بلادك معززا مكرما وأبلغك قصدك والمنى وأنا لى حاجة أريد ان أقضيها وتكون على يدك وهو عدولى وقاتل أبى وهو ملك الكويخ الملك العيدروس وعداوتنا قديمة وأنا اشتهى ان اقدر عليه وأكل من لحمه قطعة وأشرب من دمه جرعة وأريد منك يا ملك الاسلام ان تساعدنى عليه حتى أهلكه وآخذ روحه من بين جنبيه وأملك بلاده وأهلك عساكره وأجناده ويكون جميلك الأسبق وصاحب الأيادى البيضاء على فقال السلطان يا قفلاطون لا تخاطر على فاذا بقصدك منى شيئا فافعله واعلم ان ورائى رجال يرون الموت مغنم والحياة مندم وسوف تراهم عن قريب يأتوك وعلى فعالك يجازوك وتنظر منهم الموت الأحمر والبلاء المصور فقال قفلاطون وأنا ايش عملت معك حتى تجازينى أنا طلبت منك المساعدة على عدوى فان ساعدتنى فيكون ذلك من فضلك وان تأخرت فليس لى عليك سبيل فقال السلطان أنا لم اتأخر عن الجهاد والغزو فى طاعة رب العباد فاذا كنت تريد الحرب والقتال وضرب السيوف الطوال فدع العساكر تبرز وأنا أوريك ماافعل فى عدوك وأقوده اليك ذليل حقير وأتركه ملقى على الارض عفير فعند ذلك فرح الملك قفلاطون ورقص عجبا واهتز طربا وتهشم خيرا وعند الصباح برز قفلاطون بعساكره وزحف قاصدا بلاد الكويخ يصحبه السلطان له كلام

[قال الراوى] واما ما جرى للمقدم جمال الدين شيحة فانه لما اوعد الملك العيدروس انه يزل يسرق اكابر المسلمين كما ذكرنا فنزل اول ليلة وسرق الملك عرنوس واتى به ليلا الى العيدروس واوقفه بين يديه ففتح عينيه الملك عرنوس فوجد نفسه مكتفا قدام الملك ملك الكويج وعلى يمينه المقدم جمال الدين ولكن لم يعرفه فصرخ صرخة تخلق الحجر وقال من الذى تجارى على يا كلاب الكفر ابلغ من قدركم انكم تتجارو اعلى الملوك وتأخذوها بالاحتيال فغمزه بطرف خفى فعرفه الملك عرنوس فقال له بالاشارة لاى شىء قبضتنى فقال له شيحة اصبر يا ملك عرنوس حتى يتم المكتوب واملكك هذه الأرض والبلدان حتى افوق على نفسى وافتش على السلطان وكان هذا الكلام بالرموز على ماقيل

اشارتنا فى الحب زمز عيوننا وكل لبيب بالاشارة يفهم
حواجبنا تمضى الحوائج بيننا ونحن سكوت والهوى يتكلم

[قال الراوى] فقال عرنوس للعيدروس يا ملعون انك اعتمدت على ذلك اللص الحرامى الذى سرقنى من صوراتى وجاء بى اليك ولكن والله يا ملعون لم يطلع من بعدك ان تبل فى سلاح ولم تنل منى مقصود ولا بد لك من هلاك عسكرك والجنود لان ورائى ابطال الاسلام كانهم سباع الآجام وهم الفداوية وبنو اسماعيل الكرام الضاربين بالحسام الصمصام الذى قال الناظم فى حقهم هذه الابيات صلوا على سيد السادات صاحب المعجزات الباهرات

قوم إذا دعيوا ليوم كريهة والخيل بين منكس ومداعس
لبسوا الحرير على الحديد تشرفا يتزاحمون على ذهاب الانفس

[قال الراوى] فلما سمع الحكيم وهو المقدم شيحة هذا الكلام من عرنوس فقال يا دبابرو عرنوس وحق مريم والمسيح والمذبح والذبيح لم اخلى البب يقتلك حتى اجمع ابطال المسلمين واصففهم جميعا صفا واحدا وامتركم فى يوم واحد ثم نزله إلى السجن [ياسادة] ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وانتشرت الشمس فى البرارى والبطاح وسلت على زين الملاح خرجت الطائفتان للحرب والقتال وتعدلت الصفوف وترتبت المئات والالوف

وإذا بفارس فى الحديد غاطس قد انحدر من عرضى الاسلام وتوسط الميدان فلمحته الفرسان وإذا به راكب جواد من افخر الخيول الجياد ادهم ملمع بحافر كالدرهم إذا طلبوا اثره لم يلحقوا منه إلا الغبار ومعتقل برمح كعوب خطار وعلى راسه بيضة عادية وفى يده صفيحة هندية تسبق رسل المنية ولما هوى شعث الحصان تميل على السرج

عجبا فجاش الشعر فى خاطره فباح بما تمكنه ضمائره فانشد يقول صلوا على طه الرسول صلى الله عليه وسلم

إذا قنع الفتى بذميم عيش وكان له اختفاء كالبنات
ولم يكرم النزيل اذا أتاه ولم يردى الكمات بنى الكمات
ولم يهجم على الاسد الضوارى ولم يطعن صدور الصافنات
فقل للنادبات اذا نعوه ألا فاقصرن فعل النادبات
ولا تندب بنى الاليث غاب همام فى الحروب الثائرات
دعونى للحروب وما ألاقى فموت العز اطيب من حياتى

[قال الراوى] وصاح ذلك الفارس بملء فيه من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى انا عيسى الجاهرى ابن المقدم ابراهيم حاس يا كلاب الكفر ومال على الميمنة أقلبها على الميسرة ومال ميمنة أقلبها ميسرة وهجم على الوسط خطف منه أربعة فرسان وعاد الى الميدان وطلب البراز فلم يبرز اليه أحد فعند ذلك رجع الى عسكره مسرور القلب والفؤاد ونزل بعده ناصر الدين وفعل كما فعل عيسى وحمى الميدان الى آخر النهار فرجع الملك العيدروس مهموم فطيب قلبه الحكيم واوعده ان هذه الليلة يأتى اليه بأكابرهم ثم لما أرخى الليل ستاره أخذ المقدم سعدمعه ونزل فسرق ابراهيم وناصر الدين بن سعد وودعهم الى السجن يعلم الملك العيدروس وعاد ثانيا وعاد ثالثا ومعه سعد أخذ عيسى الجاهرى والحرب بن عزاقيل ووصلهم للسجن وعاد أخذ ابن المناوى وحسن ابو الذوائب وهكذا ولم يطلع النهار حتى أخذ من عرضى الملك عرنوس عشرين بطل من كل خودة وراح ومن كل سنطة مفتاح ففرح العيدروس بفعله وقال منلك من يكون حماية لدين الكرستيان فقال له يا باب الليلة الآتية اقبض لك على باقى أكابرهم والليلة الثالثة نكبسهم فى الليل ونميل عليهم كل الميل ولم يطلع الصباح الا وهم فى التلا على الارض والبطاح ففرح العيدروس بكلامه وايقن ببلوغ مرامه [ياسادة] ولما طلع الصباح افتقدت عسكر الاسلام اكابرهم فهاجوا وماجوا وكفوا ايديهم عن القتال وقعدوا على هذا العيار طول النهار ولما أمسى المساء نزل الحكيم وأخذ صهر الفخر واسماعيل أبو السباع وجرينش وعماد الدين علقم ومن مثلهم عشرين بطلا ووضعهم فى الحبس وقال للبب هيدروس الليلة الآتية لنا انا وأنت تدبير يعجز عنه كل كبير وصغير ولما كان فى الليلة الثالثة عند حضور الطعام كان المقدم جمال الدين اشتغل شغله فى المطبخ فبنج جميع الاطعمة ووضع السماط وتحمل شيحة بضد البنج وقعد مع الملك والوزراء على الاكل فكل من أكل نام فى مكانه فقام شيحة ودار

عليهم كالمسحر فى رمضان وذبحهم كذبح الخرفان وفيق العيدروس من النوم وقال له يا بب انظر مافعل المسيح برجالك وجنودك واقبالك وأنت لم يبق لك فى الدنيا مقام الاان دخلت فى دين الاسلام فان أسلمت نجوت وان لم تسلم جعلتك مثلهم والسلام ولولا انى متزوج بنتك والا كنت من قبل أن أقتلهم قتلتك .

[قال الراوى] فقال له العيدروس وأنت ياحكيم ايش جرى منى فى حقك حتى تفعل هذه الفعال فقال له لانك على الكفر والضلال فلا تطيل المقال إما تسلم والا تموت فى الحال فقال العيدروس اعلم أن أباه نصرانى وجده نصرانى فكيف يسلم وينجس الشجرة من دون أهله فقال شيحة والاسلام غنى عنك وذبحه فى الحال ونزل أطلق الاسلام وأتاهم بالخيل والعدد وأمرهم بالركوب وسبقهم الى أبواب البلد ففتحها ونبه على عسكر الاسلام بالكبسة على البلد فى الظلام فركبت المجاهدون وكبسوا على البلد فى الوقت والحين وصاحوا الله أكبر فجابوهم المسجونين وغنى السيف الجانى فى نواعم الابدان وزاد الكرب ووقع الحرب واشتغل كل صارم غضب ونفذت الاسنة فى الاكباد والقلب وصار الهين صعب وحمحم كل شجاع ودب وانصب على الكفار صواعق العذاب صب واشتد الحرب وغنى الحسام الصمصام وبطل العتب والملام وقل فى الفريقين الكلام ودمدمت أبطال الاسلام كما تدمدمت أسد الآجام وزعق غراب البين وبشرهم بالاعدام وانفلق الهام وهشمت العظام ، صارت الجماجم تحت الاقدام ونعق ظير النباح عليهم وحام وبشرهم بالشتات من بعد الالتئام ودام الامر على هذا المرام حتى غاب الليل بالظلام وأقبل النهار بالابتسام فافاقوا الثلثام يجدوا حيهم مكبوس والسيف يكبس أعناقهم والدبوس وفى ذلك الوقت أقبل الملك الظاهر ومن خلفه ملك الملافطة قفطلون فنظر الى ابطال الاسلام وهم يقاتلون فصاح السلطان الله اكبر يا كلاب المشركين

أنا ملك الاسلام ياعصبة الكفرى ... انا خصنى الرحمن بالفتح والنصرى
اقاتل فى الكفار بالسيف ضاربا ... واغمد سن الرمح فى وسط الصدرى
انا الظاهر المنصور فى الحرب من له ... وقائع مشهور ومثبوتة الذكرى
وخلفى بنو اسماعيل حقا تراهم را ... اسود نقد الهام بالصارم الذكرى
وسعد وابراهيم لم انس فضلهم ... اسود ضوارى فى المهامة والقفرى
يميلون فى يوم الجهاد بهمة ... وقلبهم اقوى من الجامد الصخرى
وأما جمال الدين سلطان جزيرهم ... له الشرف العالى مع المجد والفخرى
إذا نادت الابطال فى الحرب من لها ... يجاوبهم فى موقف الكر والفرى

ومثل جمال الدين لم يعاد ينتشى ... من الآن حتى تبعث الناس للحشرى
وصلى الهى بكرة وعشية ... على الهاشم المبعوث ازكى الورى الطهر
محمد المختار طه شفيعنا ... كذا الآل والاصحاب ما كوكب يسرى

وسمعت دولة الاسلام حسن السلطان فايقنوا بالامان واطمأنت قلوبهم بما سمعوا من من الشعر والاوزان وجود الضرب بالسيف الران والطعن بالرمح المزان وانعقد البار الى الغنات فصاحوا النصارى الورك الورك يعنى الامان الامان من سيفك يامالك الاسلام والسنان فنادى منادى لا أمان الامان يرمى سلاحه ويأتى خاضع ذليل الى أيادى البب قفطلون والذى لم يفعل ذلك فايشرب مركاس المنون هنالك أرمت الكفا رسلاحهم وأيقنوا بعدم نجاحهم وجلس الملك الظاهر على تخت مدينة الكويج وجاء الملك عرنوس وسلم عليه فزحزح له السلطان من مكانه وأجلسه الى جانبه فهناه بالنصر والظفر على اعدائه وأخبره الملك عرنوس بما فعل المقدم جمال الدين شيحة فى ملك الكويج وأقبل المقدم جمال الدين فقام السلطان اليه وأجلسه الى جانبه وبعدها دخل البب افلاطون قدام السلطان وباس الارض واعتذر وقال يا ملك الاسلام اطلب منك السماح فقال السلطان سامحك الله لكن طالب منك عمارة مراكب اسافر فيها أنا وعساكرى الى بلادى ومعى عساكرى واجنادى فقال سمعا وطاعة واريد منك يا ملك الاسلام ان تسلمنى ارض الكويج وادفع حقها عشر خزن كل خزنة الف كيس وكل كيس الف دينار ذهب مقبوضة حالا نظير كلفة ركوبك وركوب الملك عرنوس وأورد الجزية كل عام عن الكويج والملافطة خزنتين سنوى فقال ابراهيم هات المال يا معلم قفطلون فاورد المال وامر السلطان بنهب الكويج فنهبوها عسكر السلطان ولم يتركوا الا السراية اكراما لشيحة وزوجته ولما انتهبت البلد استلمها ملك الملافطة وكتب السلطان عليه الجزية والزمه بها وأحضر ملك الملافطة الغلايين لاجل العساكر تنزل فيها كما أمر السلطان فقال شيحة سير واعلى رومة المدائن الوسطى حتى اطلع اجيب الملعون دردريك فسافروا أيام قلائل حتى أقبلوا على المينة وهى مينة رومة المدائن ونظر البب دردريك الى قدوم العمارة على بلاده اراد ان يحارب فقال له وزيره يابب اعلم ان هذا الملك الظاهر قلبه عليك ملآن وان حاربته ووقعت فى يده فلم يبقى عليك وان اردت ان تأمن غضبه فقدم له من أصناف الهدايا واعتذر له بما جنيت فى حقه فانه قريب الرجوع واما ان حاربته يغلبك وان وقعت فى يده قتلك

[قال الراوى] فقال البب دردريك وان أنت الواسطة يا وزير فقال الوزير أعطنى

جزية العام الماضى والقابل خزنتين وحق دمك خزنتين وهدايا للدولة الذين حول السلطان مثل ابراهيم وسعد ومن يقوم مقامهم واعطنى كتاب منك بحتمك فيه اعزاز للسلطان وكتاب للملك عرنوس تقع فى عرضه ان يساعدنى قدام السلطان فكتب له البب دردريك واعطاه المال ونزل الوزير بالمال والمكاتيب ووصل المينة وهو معلق سيفه فى رقبته حتى وصل قدام السلطان وقال يامولك الاسلام اتعلم انت ان سفك الدماء حرام والبب دردريك اخطأ فى حقك وعرف قدر نفسه واقر بذنبه وهو من خوفه من هيبة مولانا السلطان لم يقدر يقابل لما يعلم من جريمته ارسلنى اليك ومعى جزية العام الماضى والعام القابل خزنتين وحق دمه خزنتين ويرجو مولانا المسامحة فى الذنب الماضى تعطيه اجازة يقيم فى بلاده وان حصل منه ادنى خلل تأتيا سيفك يامولك الاسلام طويل له ولغيره وهذه ايضا معى خزنة خامسة تفرقها على أرباب دولتك الذين تعبروا فى التفتيش والحرب ومثل ذلك فقال الملك ياوزير انا ما كنت جيت الا على خراب بلده ولكن أين هو هذا الملعون فقال الوزير يحضر اذا . ولانا أنعم عليه بمنديل الامان فقال ابراهيم يامولك الدولة اذا كان الرجل قد اعترف بذنبه واشترى رقبته منك بخزنتين وأورد الجزية الذى تطلبها منه الصواب ان تبقيه والخزنة الذى أرسلها لخدامك فقاعلينا خلى كل من أخذ سهمه منها يعود مجبور الخاطر يبقى يبيع دمه تحت اقدامك فى يوم القتال فقال ناصر الدين الطيار صدقت ياعمى فيما تقول فقال الملك عرنوس ياعمى اخطأ من رأى الصواب ولو كان هذا الملعون ما فعل شى الذى فعله من كان يأخذ منه حق رقبته بل كان جالس فى مدينته ولكن كل شىء له سبب

ألم ترى ان الله أوحى لمريم ... وهزى اليك الجزع يتساقط الرطب
فلو شاء هز الجزع من غير وحيه ... ولكن جعل ربى الى كل شىء سبب

وسبب أخذ هذين الخزنتين حق رقبته ذنبه الذى فعله فى حقك وجريمته وبقى المجلس محتفل بالناس وكلا يتكلم بكلام واذا بالمقدم جمال الدين داخل ومعه دردريك حافى الاقدام وسيفه معلق فى رقبته

وكان السبب فى ذلك ان شيحة لما طلع تنكر فى صفة باشة البطارقة ووقف فى خدمة دردريك وسمع الكلام الذى جرى بينه وبين وزيره فقال فى نفسه عمار البلاد أحسن من خرابها ولكن حتى اتم القصة واقبض أنا عليه واقدمه قدام السلطان يبقى اذا عفى عنه من تحت السيف يعلم دردريك أنه قدر عليه وعفى عنه ما نكر ما منه وصبر شيحة بعد رواح الوزير وتحايل على دردريك وقبض عليه فى وسط سرايته وفيقه فى مخدع فلما أفاق وجد نفسه مكتف

وشيحة فوق رأسه فقال له أنت من يا سيدى فقال شيحة كانك نسيتنى يادردريك أنا ملك القلاعين شيحة جمال الدين أمرنى السلطان بأخذ رأسك واقدمها بين يديه فقال له ياسيدى أنا أرسلت وزيرى له بالخراج واشتريت نفسى وانا فى عرضك وأدفع لك حق رأسى خزنة فقال شيحة أما انا أمرنى السلطان ولا يمكنى أن أخالفه ولكن فى نظير ما وقعت فى عرضى وقد جعلت لى خزنة حق دمك فانا أحملك للسلطان وأنت حى وأقطمك بين يديه وبعده أشفع فيك عسى يطفى غيظه إذا لقاك بين يديه مكتف فقال دردريك يا سيدى يمكن يقتلنى فقال له يالملعون ولما تخاف من القتل لأى شىء تفعل فعل القبيح ولكن لاتخف أنا أرد لك بلدك وأشفع فيك عند السلطان ولكن اصحى بعدها يقع منك قلة الادب فقال دردريك حاضر وأخذه شيحة وقدمه قدام السلطان كما ذكرنا فقال السلطان يا دردريك ايش رأيت فقال المقدم جمال الدين يامولانا هذا وقع فى عرضى وأنا لم يمكنى ان أخالف سعادتك غير أنى كنت اردت ان اجيب دماغه . ولما وقع فى عرضى جبته بالحياة والامر أمرك وهذا ما هو محل عتاب هاهو بين يديك وان أمرت بقتله لامانع او تأخذه معك إلى مصر فلا مانع أو تعفو عنه فهذا من فضلك يكون فقال السلطان لاجل خاطرك سامحته ولا تؤاخذه بجريمته فعند ذلك أطلقه المقدم جمال الدين من الاعتقال وقام على حيله وقبل انك السلطان فألوى وجهه منه غضبان وقال والله يا ملعون لولا خاطر المقدم جمال الدين والملك عرنوس واكابر دولتى لقطعت راسك وكنت احرق روحة المداين بالسكك والفدان ولكن هى قدامك على طول الزمان ونزل السلطان فى قلب الغليون فقال له شيحة العفو يامولك الاسلام وراح دردريك احضر اقامات إلى عرضى السلطان وذخاير وعلوفات شىء يحمله من دقيق وسمن وعسل وزبيب واغنام وسكر ومربات اصناف وحلويات وما يليق للملوك واتباعهم من المأكولات وقدم له عشر رؤوس خيل بعددها من الذهب المرصع باصناف الجوهر وشىء لا يكال ولا يوصف لان دردريك بقى خائف من السلطان مما فعل وبعد ذلك امر السلطان بالسفر إلى الاسكندرية فكان الطيار معتدل حتى وصلوها وضربت المدافع لقدوم السلطان على مينة الاسكندرية ودخل السلطان البلد فى موكب منعقد وارسل الى مصر بطاقة فزينوا البلد ثم ان السلطان سار من الاسكندرية إلى مصر وانعقد الموكب له وصار بالموكب إلى قلعة الجبل وجلس على تخت مصر وهو محفوف بالفتح والنصر واقام يتعاطى الحكم بالعدل والانصاف كما امر النبى محمد الاشراف إلى ليلة من الليالى كان السلطان نائم فافاق يقول يادايم ياستار استر فدخل إبراهيم بن حسن اليه بعدما اخذ

الدستور وسلم مكانه إلى مشدوده على بن الشباح ودخل على السلطان فوجده نائم فعلم
أن الذى سمعه حلم فعاد إبراهيم إلى مكانه ووقف فى غفر السلطان حتى ظهر الفجر
وقرأ اوراده وختم صلاة الافتتاح وهى صلاة الصبح وظهرا جلس فى الديوان على
جرى العادة وتكامل الديوان فتذكر السلطان ما رأى فى المنام فامتزج بالغيظ فتقدم
إبراهيم بعد ما سلم الطير لابنه عيسى الجاهرى وتقدم ولاطف السلطان بالكلام حتى
ذهب غيظه فقال الملك أفارايت انى أنا الملك عرنوس فى بستان وعرنوس له اجنحة
ويريد الطيران فلم يهن على اتركه يطير فوضعته فى قفص كبير فلما وضعته فى ذلك القفص
وامنت عليه فرايت طيور سود بكثرة داروا حوله فاردت أن اطردهم عنه فاشتغلت
أنا بعضهم وبعضهم ملكوه فما لحقت أن ادركه حتى أن الطيور مالوا عليه وقطعوه
وهذا منامى وأنا خائف على عرنوس فقال ابراهيم يا مولانا الموت علينا حق والله
تعالى يقضى ما هو قاض وفى ذلك النهار قدم الملك عرنوس من مدينة الرهام ومعه
اسماعيل ابو السباع وجوينش ابنه والمقدم نصير الدمر واربعة أولاد الملك عرنوس
فامر له السلطان بالجلوس إلى جانبه وقال له مرحبا باولدى وباسطه ولاعبه فقال الملك
عرنوس يا عمى أنا رأيت أن المقدم معروف بن جمر اتانى فى المنام وقال لى ياولدى
أنا مشتاق إلى رؤيتك فلا تحرمنى زيارتك فقلت له يا بى وأنا ايضا متعلقه آمالى
بنظرك ولكن من أى طريق اوصل اليك واقيم معك فقال لى من طريق الجهاد
فقلت له اقيم معك وانرك حريمى واولادى فقال لى أما اولادك نيتبعوك وازواجك
كذلك يأتوك ولك عندى ازواج غيرهم مقيمين ينتظروك أنظر بعينك إن كانوا
يعجبوك فالتفت فرايت عصابة من النساء واقفين صفين صف على يمينى وصف على
يسارى وبايديهم كاسات وطاسات واطباق من البلور وهم تارة يلعبون وتارة
يضحكون وتارة يتمايلون وبجمالهم وحسنهم يتعاجبن فقلت يا أبى وهؤلاء البنات
من أى أولاد الملوك فقال لى هم بنات الحور فلا تتاخر عن القتال فتفوتك لذة
الوصال فقلت له وأنا اقاتل من فقال قاتل الكفار الملحدين اعداء الله ورسوله ثم
انه ضمنى الى صدره وقال لى عد اقض اشغالك وها أنا مقيم فى انتظارك فانتبهت
وأنا مشغول برؤية أبى ولكن أنا اكثر اشتغالى بهؤلاء البنات المعدومين الصفات
واتمنى أن أنظر اليهم ثانيا ولو كان اجلى فانيا فقال السلطان والله يا ملك عرنوس أن
هذا المنام يدل على زوال نعيم الدنيا والتمتع بنعيم الآخرة فقال عرنوس اللهم عجل لنا
بذلك فهم كذلك وإذ قد وصل نجاب وباس الارض وقال نجاب من حلب فقال له
الملك هات الكتاب فتمنى واعطى الكتاب لا براهيم بن حسن فقدمه للسلطان

ففتحه وقرأه واذا فيه من حضرة عبدكم الاصغر خادم الركاب عماد الدين أبى الجيش باشة
حلب انا يوم تاريخ الكتاب بين مقيمين واذا بالبر اسود وبان عساكر كانها البحار الزواخر
يقدمها البب روح الازرق ملك رومة المدائن الصغرى وصحبته جوان والبرتقش الخوان
فقمنا الحصار وضربنا بحال النار فحصرونا وكل محاصر مأخوذ فادركنا والا فارسل لنا
من يدركنا والسلام فلما عرف السلطان ما فى الكتاب أراد ان يبرز عساكره واذا هو
بنجاب آخر أتى من الشام ومعه كتاب مضمونه انه حط على الشام عشرون ملكا بعساكرهم
وكتاب آخر من اللاذقية يذكر فيه حرلها عساكر كفار تسد منافس الهوى وبطلون نجدة
من السلطان فقال السلطان بقوا ثلاث ركبات قدموا على ثلاث جهات الشام وحلب واللاذقية
ولا بد لنا ان نرجه لهم ثلاث تجريدات فقال عرنوس أما أنا فلا بد لى ان أكون اول من
يروح اليهم فان انتصرت فلا مانع وان قتلت فذلك المقصود لانى رأيت مكانى واسأل الله
تعالى ان يحقق منامى حتى أبلغ ما رأيت من نعم الآخرة فقال الملك الظاهر أى جهة تروم
فقال عرنوس اذهب الى الجهة التى بكرن فيها الملعون روم الازرق خلى عنك يا ملك الاسلام
انا اذهب الى جهة وابنى قطلونج بعسكره فى جهة وستمورج فى الجهة الثانية فتاتم عرنوس
هذا الكلام الاوكتاب رابع اتى من ديار بكر فقال عرنوس وهذه يروح فيها عمى المقدم
اسماعيل وابن عمتى عماد الدين علقم ومن بتبعهم من بنى اسماعيل فقال السلطان وهو كذلك
الذى تريده يكون

ثم ان السلطان طرح الكلام وضاحك عرنوس ولاطفه وكلما ينظر الى وجهه ويتفكر ما رآه
فى المنام يتحسر ولما أمسى المساء قدم الطعام الفراش قدام السلطان فطلب عرنوس وامره
ان يأكل معه الطعام فأكل

وبعد الاكل امر السلطان بالشربات وكان مسلط الشربتلى ان ان يدغر لعرنوس البنج
فى الكاس فبنجه ووضعه فى السجن وفيقه فقال عرنوس لماذا تفعل هذه الفعال يا عمى
اتمنعنى عن الجهاد فبكى السلطان وقال يا ملك عرنوس ان اباك كان له على البدء المباسطة
ولم يعيش فى دار الدنيا حتى انى كنت اكافئه على صدق وداده بل غدر به الزمان
واحرمنى منه وخلفك أنت من بعده فأنا يا ولدى كلما أنظر اليك كانى انظر الى أبيك
وهذه الركبة لم آمن عليك منها واريد أنك لم تحضرها ولا تنظرها ومرادى يا ملك
عرنوس انى لم أحرم من رؤيتك واذا جرى عليك قضاء الله تعالى لم أطاق فراقى
اطلعتك فقال عرنوس يا عمى هذا منك بعيد والقضاء مامنه مفر ولا محيد اطلقنى والله
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والذى له أجل مديد لم تقطعه سيوف الحديد فقال

السلطان صدقت ولكن لعل الله ان يجعل اجلك حديد وتركه السلطان ونزل الى
الديوان هذا وعرنوص يقول يامالك الاسلام لا تفعل فعل الجاهلين ولا تحرمني ان
اجاهد مع المسلمين فلم يرد عليه ولم يلتفت لكلامه لانه عارف مرامه وعرنوص من
يوم مارأى المنام زاد فى بنات الحور هيام وغرام ولما نزل السلطان الديوان قال للوزير
أى جهة ترسل لها الاول فقال الوزير يا مولانا لا تعرف الوزير على الجهات اجعلها
ركبة واخدة وأول الدخول على الشام فاذا انكسروا الذى فى الشام تتبعوهم الى
حلب فان انهزموا من حلب ندركهم على اللاتقية حتى تتم هذه القضية واذا انهزموا
فى البر والفقر ندركهم على ديار بكر وتكون هى وقعة الانفصال والنصر من عند الله
الملك المتعال فقال له السلطان رأيك صراب وبرز السلطان بالعساكر للعادلية وعمل
مولد لسيد المرسلين وبعد ثلاثة ايام سافر بالعساكر وطلب البر الافقر بالدولة كلها
والعسكر ومازال يقطع البر والآكام حتى وصل الى ارض الشام ونصب عرضيه
قدام عرضى الكفرة اللئام هذا ماجرى واما ما كان من الملك عرنوص فانه لما بقى فى
الحبس بعد سفر السلطان فأتى الملك محمد السعيد واخذ بخاطره وقال له يا بن عمى لا تأخذ
على خاطرك من ابى فانه خائف عليك فقال عرنوص ما فيش ضرر فقدم له السعيد
الطعام فلم ياكل فقال له السعيد ايش ياأخى تغم نفسك فى الفارغ فقال عرنوص انا لا
سرقت من السلطان ولا عصيت عليه ولاقتلت له ولد يمز عليه حتى حبسنى فقال
السعيد ياأخى خائف عليك ان تموت فقال عرنوص انا قاعد من يقتلنى انا اقيم هنا حتى
يجىء السلطان قال السعيد ان كنت تقعد ولم تسافر احلف لى انك لم تذهب للجهاد
وانا اطلق صراحك ياأخى فقال عرنوص والاسم الاعظم ان حلتنى من ذلك الحديد
لم اذهب من عندك الا اذا قالت لى توجه انت فقام السعيد فكه بيده واخذ بخاطره
واحضر له الطعام واكل معه فقال عرنوص يا ملك محمد يا سعيد قولى توجه الحق
السلطان والاوحق النبى العدنان افتلك ولا الحقك ابوك ولا احد من الفرسان
فقال السعيد ياأخى وعلى ايش تحلف روح الحق ابى منك له تصطفل تموت تعيش انا
لادخلت ولا خرجت ولا نقتلنى ولا اقتلك فركب عرنوص على ظهر جواده ذات
النسور وطلع طالب البر والاكام طالب عسكر الاسلام هذا ما جرى لعرنوص واما
الملك الظاهر خط على الشام وكان الملعون جوان قد صاح على روم الازرق وقال له
يابب لاتخلى المسلمين يأخذوا براحة للقتال خذوهم على غفلة منهم واكبسوهم ولا
تبقوهم وهز الشفيار جوان فزحفت العشر ملوك بعساكرها فالتقيا سباع الاسلام
وقاتلوا تحت الرايات والاعلام ووقع الضرب الشديد بحد الحسام والطعن بالرماح

المعتدلة القوام وبطل العتب والملام وقل الكلام وصارت القتلى اكواما على الارض
ودام الامر كذلك الى أن ولى النهار بالانقسام وأقبل الليل بالظلام فاندق طبل
الانفصال فاراد الاسلام أن ترجع فصاح جوان على روم الازرق وقال له لا تنفصل
الساكر فلم تلقى وقعه مثل هذه الليله وهز جوان الشنابير وقال يا أبناء الروم بيعوا
ارواحكم كل من مات اكتبوا اسمه وجوان يعطيه عمر ثانى ويرسله سفر من غير
توانى قاتلوا يا معاشر الكفار حتى تبقوا الى سقر حجار ويرضى عنكم الصليب
والزنار ويغضب عليكم الملك الجبار لاتخافوا من حرب المسلمين فانهم فقار وليس
لهم حيلة الا المنتار دونكم والحملة حتى تدخلوا فى السعير جملة ومن تأخر عن القتال زاغ
يمينا أو شمال يغضب عليه القسيس ويطرد من دخول الكنيسة ويكون ناكح امه
ابليس البدار اليه يامعشر الكفار ورمى جوان القلنسوة عن راسه وصار ينادى
بذلك النذى هنا لك عادت الكفار وقويت قلوبهم وانعقد العجاج وانطبقوا الكفار
افواجا افواج واظلم الليل الداج وانتظم بحر المنايا وماج فنادى السلطان يا ابطال
الاسلام الجنة تحت ظل الحسام جاهدوا فى سبيل الله الملك العلام ولاتخشوا عتب
ولاملام وها انا قدامكم ومقامى مثل مقامكم وحسامى قبل حسامكم فقاتلوا ولا
تفشلوا وخوضوا فى هذه الصفوف وجودوا ضرب السيوف واسقوا العدى
كاسات الحتوف وخاض السلطان فى العجاج ونثر للكفار افرادا وازواج
وفرق الصفوف وطير الجماجم والكفوف ولوح الاعناق والقحوف فكم راس
طار ودماغ قار وجوان أغار وغنى الحسام البتار وسن الرمح الخطار وكانت ليلة مظلمة
وحجب الغبار بين الارض والسماء وتكحلت الاجفان بمراود العمى وصارت
النعم نقما والاجساد رمما وزاد العطش والظمأ وحسرات الانفس على محربه من
بارد الماء ودام الامن على ذلك الحال حتى ذهب الليل بالانسدال واقبل النهار
بنوره المتلال وطمعت الكفار اللئام واشتد الامر على ابطال الاسلام فى الحرب
والصدام وعند ما تضاحى النهار اقبل الملك عرنوص وهو على جواده ذات
النسور ونظر لطاحون الحرب دائرة الابطال الى العدوى متبادرة فكب
رأسه فى قربوص سرجه وحمل وخاص فى الغبار والقسطل وقد بسيفه الجماجم
والقلل واهلك كل قوم وصاح ياكلاب الروم انا الملك عرنوص أنا صاحب
السيف والدبوس انا افرس من تفحذ على ظهر القربوص انا الملك محمد سيف
الدين عرنوص ولكن فى حملته تمتع الجموع عن ابطال الاسلام وسقى الاعداء

كاس الحمام وانتقم منهم غاية الانتقام وأروى من دمائهم الرمح والحسام وجعل اجساد
الكفرة اللئام على الارض اكوام واتسع المجال على ابطال الاسلام وكل منهم اقتحم
القتال وهام وهبر فى الكفار بحد الحسام ودمدموا كما يدمدم آساد الآجام ونظرة الكفار
الى بعضهم بعض فرأوا أكثرهم انطرح على الارض فاجتمعوا الملوك الى روم الازرق
وقال له ايش مرادك بذلك الحال تهلكنا بعسكرنا فى القتال ولم تأمر بالانفصال وتطاوع
جوان على شقشقة اللسان حتى هلكت عباد الصلبان واذا ماتت عساكرنا ايش الذى
ينفعنا يبقى جوان يقاتل معنا فقال لهم روم صدقتم وامر بدق طبل الانفصال فما صدقت
النصارى ان يسمع حتى ادارت رؤوس خيلها وطلبت خيامها وعادت الاسلام طالبة
الخيام واما الملك عرنوس فانه عارض الكفار وحال بينهم وبين خيامهم وصار يضرب
فيهم بالحسام الفصال ويردهم الى محل القتال ونظر السلطان الى ذلك الحال فعلم أنه
طمعان فيما نظر المنام فارسل له عمه المقدم اسماعيل فقال له لا أعود عن القتال حتى اقتل
الملعون روم الازرق او يقتلنى وارتاح من ذلك العلق فلما طال على السلطان الوقوف
فساق الملك الحصان واقبل على عرنوس وقال له سرمعى يا ملك عرنوس ولا تتعرض
للاعداء فان القتال اذا فاتك اليوم فانه لم يفوتك غدا

فقال عرنوس ياعمى تحرمنى من الثواب وانا قصدى فى الاستشهاد ويكون ذلك فى
الجهاد وقد اعلنتك برؤيتى والموت صار منايا وبغيتى فقال السلطان لاحول ولاقوة الا
بالله العلى العظيم وأخذ عرنوس غصبا من مقام الصدام وعاد به الى الخيام واجلسه
بجانبه وصار يباسطه ويلاعبه وقال له ياولدى طعم الموت مر لايقبله عبد ولا حر
فقال عرنوس ياعم انا الموت بغيتى وابلغ به منيتى فسكت السلطان وطلب الطعام فحضر
فقال عرنوس لم أرد الاكل الامن أثمار الجنة فان الله اوهبنى ذلك احسانا منه ومنه
فلما رأى السلطان أن عرنوس لا يلين فالتفت الى الوزير شاهين قال له كيف
يكون العمل فقال الوزير قل امسكوا عرنوس وضعه فى الحديد حتى وتنقضى هذه الركبة
وترتاح من هذه النوبة الصعبة فصاح الملك وقال امسكوا عرنوس وتقدم السلطان بيديه
وقبضه وقال له أنا ليس عندى أعز منك ولا يهون على ان الكفار يقتلوك وابقى انحسر
عليك وعلى أبيك

ثم انه سلمه الى اقش النجيلى باشة الشام وقال له احفظه واخدمه على طول الايام هذا ما جرى
للسلطان أما روم الازرق فانه بعد الانفصال هد خيامه وطلب الارتحال وصار الى حلب
واجتمع بباقى العساكر والملوك وأعلمهم بما جرى فى بلاد الشام وهلاك عساكره من

يد ابطال الاسلام وصف الملوك صفوف وتجهز للحرب ومعافات الحتوف وما
ذلك النقض والابرام حتى اقبل الملك الظاهر البيارق والاعلام ومن خلفه ابطال
الاسلام كانهم اسود الآجام فقال جوان البب روم الازرق ادركهم قبل ان يأخذوا
الراحة من السمر وقاتلهم بالليل والنهار حتى يعدمون القوى والحيل وكان السبب
فى مجىء السلطان انه لما سجن عرنوس وبات واصبح يلتقى عسكر الكفار
طلبوا البرارى والقفار فعلم انهم يجتمعوا على حلب فاراد أن يكون خلفهم فى الطلب
وقال الخيل يا اربابها فتفخذت على السروج ركابها وطلبوا البر فرسانها ونجابها
صاروا مع السلطان تابعين عباد الصلبان حتى لحقوهم على حلب كما ذكرنا وتكلم
جوان مع روم كما وصفنا فقال روم الازرق اسكت ياجوان الحرب لا يكون الا
على الانصاف ولما الحيلة والغدر نهلك عساكرنا ولم ننال مقصد فسكت جوان
وثانى الايام كتبت السلطان كتاب وارسله مع ابراهيم بن حسن فراح ابراهيم وهدد
روم الازرق حتى قام واعطاه الكتاب فقراه يلتقى فيه يا ملعون اعلم ان فى هذه
النوبة لابد من قتلك باذن الله الملك الديان ولم يبق لك محامى ولا ناصر ان لم
تقبض على جوان وتأتى الى عندى وسيفك معلق فى رقبتك ابايعك نفسك بالمال
وأطلب منك كل ماتسكلفته الركبة من مصر الى هذا المكان واضاعف عليك الجزية
الطاق اثنان فان خالفت ذلك وطاوعت جوان احرث رومة المدائن بعد قتلك
بالسكة والفدان وانت تعلم بذلك يا ملعون ولكن عقلك خالطه الجنون

فلما قرأ البب روم الكتاب التفت الى جوان وقال له اما تدبر على هلاك المسلمين
والا اقبضك واسلمك لهم بالعين فقال جوان انا عندى عشرون عاتق اولهم بواص
اليفروى واخوه عبد المسيح وآخرهم سليط اليرملى وهم سيوف بلاد الروم فى الحرب
لهم سطوات وهجوم تزعزع جل الارض من تحت التخوم فان امرتنى يابب انزلتهم الى
الميدان واريك افعالهم فى الحرب والطعان فقال البب روم هكذا قصدى ولم ارض بقتل
احد من عسكرى وجندى هذا والمقدم ابراهيم وانف طالب رد الجواب وله ظفرات على
الكفرة كانه سبع الغاب فقال يا روم كانك اوقعتنى وجراب كتاب السلطان ما اعطيتنى
اتريد ان اعرفك مقامك واجعل هذا اليوم آخر ايامك اما تعلم انى سيع حوران وحامل
كتاب السلطان هيا يا كلب هات الكتاب واعطينى رد الجواب وحق طريق بادب وإلا
والاسم الاعظم اقص راسك بذى الحيات والحقك بمن مضى وفات واقطع بعدك راس جوان
ولم القى إنسان من عباد الصلبان فقال جوان اكتب له رد الجواب بالحرب واعطيه

حق الطريق لاجل يروح من عندنا ونحن ندبر تدبيرنا فكتب روم الازرق رد
الجواب واعطاه لابراهيم واعطاه الف دينار حق الطريق ونزل ابراهيم فى امان
وسار إلى السلطان وسلمه الكتاب ورد الجواب فالتقاه بالحرب ومزقه ودق
طبل الحرب وأقاموا إلى الصباح وكان جران احضر العياق وطلب منهم الحرب
وكتب لكل واحد مائة سنة زياد فى عشرة وقال لهم يا أولادى أنا ما ربيتكم الا
لمثل هذا اليوم لاجل أنه تنصروا دين المسيح ونجاهدوا المسلمين وتبقى لكم بين
النصارى عز وتمكين فقالوا له سمعا وطاعة نزل منهم واحد وصال وجال وطلب
الحرب والقتال وقال الميدان يامسلمين فقال السلطان قدم يا ايدمر فركب ايدمر واراد
الخروج إلى الميدان وإذا بالغبار غير وانكشف عن فارس فى الحديد غاطس ورد
ايدمر من الميدان واطلق على ذلك العياق ولاصقه فى الحرب وضايقه وسد عليه جميع
طرقه وضربه بالسيف على لاقه أخرجه يلمع من علائقه فنزل اليه الثانى ألحقه بالاول
والثالث تلقاه وطير بالحسام اعلاه والرابع الحقه برفقاه والخامس لحقه على العبرة رماه
والسادس اعدمه الحياة والسابع والثامن والتاسع جعلهم لمن سبق توابع وأما العاشر
فقسمه بسيفه الباتر واضافه إلى أهل المعابر وصار كل عايق ينزل لم يترك يجول
ولا يقول حتى يجعله على الارض مقتول ولم ينتصف النهار على العشرين حتى افناهم
على الارض اجمعين ونظر السلطان هذه الافعال فلحقه الانذهال وامعن النظر فى
الفارس المأنوس وإذا به الملك محمد سيف الدين عرنوس فقال السلطان هذا من الذى
اطلقه من الشام وأنا سلمته اقفى الجيلى من خرق عليه من شرب كأس الحمام قم
يا إبراهيم انده عليه وحضره إلى هذا المقام فاراد إبراهيم أن يركب وإذا بجوان هو
الشنايير وصاح على الكفار فزحفوا من جميع الاقطار عندها تلقاهم الملك عرفوس
تحت الغبار ولعب فى ايدانهم بسيفه البتار وبنا على رؤوسهم الغبار فصاح السلطان
الخيل وركبت الفداوية والامير وركب السلطان والوزراء وهجموا على الكفرة
وهزموهم هبرا وكردسوهم على الارض والغبرى ونشروهم خمسة خمسة وعشرة عشرة
وانطبق الفريقان ولعب السيف اليمانى فى نواعمهم الابدان وزاد الطعن بالسنان وعلى
العبار وانعقب البقع المرار وقدحت حوافر الخيل شرار ونار وعميت الابصار وتصرت
الاعمار وسال الدماء وطارت الجماجم وخليت المروج من الاصحاب بعد ما كانوا لها
حمى وعارت النعم نقم ووجود الفريقين عدما وتكحلت الاجفان بمراود العمى وحجب
غبار الخيل بين الارض والسما وسلط الملك عرنوس على الكفار وضرب فيهم بالسيف
البتار وتبعته الابطال من بنى اسماعيل الابرار وقاتلوا معه عصبة الكفار وباحت

القلوب بالاسرار وتهتكت الاستار ودام عرنوس يقاتل حتى انه قارب الشنيار الكبير
وضرب حامله قله وصرخ فى البب روم الازرق فخبله وضربه بقاسم الحديد حكمت
قصيرة وقعت على عنق جواده أبرته كما يبرى الكاتب القلم وأما روم الازرق وقع الى
الارض فسارت به الكفار وطبقوا على الملك عرنوس فصاريهر فيهم ولحقته الرجال
وحاروا عنه بكل سيف فصال و ام الامر على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل
الليل بالانسدال واندق طبل الانفصال وعادت الاسلام الى مضاربها والخيام وكل منهم
كانه غاص فى بحر من الدما وعاد السلطان وهو مثل الارجوان من دماء الكفار عباد
الصلبان وكذلك ابراهيم بن حسن وسعد بن دبل فتهم اشفوا الغليل وابطلوا القال والقيل
وكان لهم يوم طويل وجلس السلطان وطلب الملك عرنوس فلما حضر قام له السلطان واجلسه
بجانبه فقال له الملك عرنوس يا ملك الاسلام أنت لاى شيء تقبضنى وتحبسنى هذا شيء منك
غير موافق فقال له من خوفى عليك ولكن من الذى أطلقك فقال اطلقتنى جارية والسبب
فى ذلك أنها كانت جعلها لى افش النجيلى لخدمتى فليلة ان خلصتنى قلت لها ان فكيتنى مما
أنا فيه اتزوج بك فقامت وفكتنى فلما خلصت قلت لها أزوجتكى وانى زوجتنى نفسك
فقالت لى زوجتك نفسى فقلت لها لما ألحق السلطان وأعود من هذه الركبة آخذك الى مدينة
الرخام واجعلك عندى فى أعز مقام وتركتها وأتيت الى هذا المكان وقاتلت معكم عباد
الصلبان فقال السلطان الله يحميك يا ملك عرنوس ولا يفجعنى فيك فقال عرنوس والله
يا ملك الاسلام انا ما مرادى الا الشهادة لانها باب السعادة فقام السلطان وقال له يا عرنوس
انت لست مطيعا لى اما تعلم ان اطاعة الملوك فرض

فقال نعم فقال السلطان اقعد عند عماد الدين ابى الجيش حتى ألحق الكفار على اللاذقية
فقال عرنوس سمعا وطاعة اقيم يا عمى من غير حبسى فقال السلطان مليح وكان روم الازرق
تلك الليلة شال بعسكره وحط على اللاذقية فركب السلطان ولحقه بالعساكر جملة الحرب
ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اقبل الملك عرنوس وكب رأسه فى قربوص سرجه وصاح
الله اكبر ودهس فى الكفار فاحتاطوا به كما يحتاط السواد بالبياض او النيل بالبلاد او الخاتم
بالاصبع فلحقه أبطال الاسلام وخرج السلطان من تحت البيارق من خوفه على الملك
عرنوس وكردس الكفار كردوس على كردوس رابرى بسيفه الجماجم والرؤوس ودام
الامر على ذلك الحال حتى انهزمت الكفار من بين أيديهم والقى الله هيبة الاسلام
عليهم فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وتشتتوا فى الهوات القفار

فقال السلطان اين الملك عرنوس فقالوا له يا ملك ها هو حاضر فاحضره بين

يديه وعاتبه بالكلام فقال عرنوس يا ملك لاتحرمنى من الثواب فهو كذلك واذا بالمقدم
جمال الدين اقبل على السلطان وقال يامالك البب روم فى ديار بكر بجهز نفسه فالحقوه
واجعلوها رقعة الانفصال وبعد يطل الحرب والقتال فقال السلطان ياأخى قلبى ليس
مطاوعنى على الملك عرنوس وانا خايف عليه فقال شيحة يامالك الاسلام الحذر لم يمنع القدر
ولكن فى طريق ديار بكر ديرقريب منها اسمه دير الفستقية اسواره شاهقة فاذا أردت
ان تسجن الملك عرنوس اجعله فى ذلك الدير لعل الله يجعل فى أجله تأخير فقال السلطان
هذا رأى صواب فعند ذلك قال له شيحة وانا على قبضته من دون جلبته وقام شيحة وطلب
عشرة مقادم من بنى اسماعيل برجالهم وقال ادخلوا ذلك الدير وامنعوا منه النصارى جميع
ولا تبقوا فيه رفيع ولا وضيع فدخلوا الفداوية وفتح لهم شيحة الدير فصاحوا الله اكبر
ومالوا على الرهبان بعدما أعرضوا عليهم الاسلام وقال شيحة للملك عرنوس مرادى
أن تكون معى واترك السلطان فانه قلبه عليك من هذه الوقعة قال عرنوس أنا قصدى
افوه بالشهادة فانى ياعم شيحة رأيت أبى كذا وكذا فقال شيحة يامالك عرنوس الموت
حق لم يتأخر عنه أحد ولا بدلنا جميعا منه وقعة شيحة يصانع عرنوس حتى بنجه وأدخله
الدير وقفله عليه وجعل حوله عشرة فداوية بتوابعهم وقال للسلطان هذا عرنوس لم
تجعل همه ولكن البارى جل وعلا لاأحد يقدر يرده فاتفق ان الملعون جوان مر على ذلك
الدير واحتاط بالاتباع وسأل منهم أنتم عفرة على من فاعلوه بعرنوس وماقال لهم شيحة
فتركهم وراح الى اروم الازرق وقال له يابب احنا كلما نغلب المسلمين ياتينا الديابر وعرنوس
مثل الشيطان وينصرهم على عباد الصلبان وانا انفتح لى باب على قتله فقال له البب روم
الازرق كيف يكون قتله فاعلمه بدير الفستقية وقال آخر كلامه واهز أنا الشنانير زحف
النصارى للقتال ومع ازدحام الحرب اترك العساكر تحارب وروح معى الى دير الفستقية
نقتل الديابر وعرنوس رنعود نساعد العسكر

فقال البب روم طيب يا جوان ولما كان ثانى الايام واصطفت العساكر للحرب
والصدام وليس احد من المسلمين يعلم ماقضاء الملك العلام وزحفت الكفرة اللئام
فالتقتها أبطال الاسلام وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ودام
القتال وغنى السيف الفصال والتفت الملعون جوان الى روم الازرق وقال له هذا
وقت اغتنام الفرصة فان عرنوس فى دير الفستقية وليس أحد ملتفت اليه عند ذلك
انتخب البب روم من العسكر اربع ملوك بعساكرها وكانوا مقدار عشرين الف وعسكر
روم الازرق جميعهم تبعوه وكانوا مقدار عشرين الف ايضا وصار جوان يدل بهم

الى الدير ولاجل امر يريده الله تعالى وجدوا باب الدير مفتوح وليس أحد يسأل على
من يحضر ولا من يذهب فما يشعروا الا وعرنوس المنايا شرعت عن ذراعها ومدت الى
حكم القضاء طول باعها واقبلت الكفار بكل حسام بتار وقد ذكرنا ان حول الدير من
بنى اسماعيل عشر مقادم فتلقوا ذلك الجيش وكل منهم قاتل على قدر جهده وأما روم
الازرق فانه دخل الدير من محل يعرفه الملعون جوان ودخل معه خلق كثير من عباد
الصلبان ونظرهم الملك عرنوس فعلم المقصود وايقن انه فى ذلك الوقت مفقود فاحسن
الشهادتين وقال لروم الازرق والله يا ملعون لولا ان المنية حملتك الى هذا المكان وأنا
مقيد الرجلين لكانت تقصر يدك وان تصل الى عندى بسيف او بسنان وانما هذا قضاء
الملك الديان فاطبقت الكفار على الملك عرنوس فصرخ فيهم فهجم عليه الملعون البب
روم الازرق وضربه بالسيف فحكم على زنده اليمين فانقطع وانثنى عليه بضربة ثانية
رمى بها شماله وثالثة فى سط رأسه فانفلقت ودام كذلك حتى قطعه وكانت العساكر
الذى معه أهلكوا الذى عنده فى الدير ولم ينفذ منهم أحد بل راحوا جميعا قتلى ونفذ
فيهم القضاء والقدر باذن الرب القديم الذى علا فاقتدر ولما فرغ البب روم من هلاك
الملك عرنوس عاد بعساكره الى جهة القتال وقاتل بمن معه باقى النهار حتى انفصل الحرب
وعادت كل فرقة الى مكانها فقال المقدم ابراهيم يامالك الاسلام انا قلبى يحدثنى ان الملك
عرنوس مات وفات فيه الفوات وقد سمعت صياحته وصياح من معه فى دير الفستقية
والظاهر لى انه شرب كاس المنية فقال السلطان روحوا شوفوا ايش الخبر فسار المقدم
ابراهيم والمقدم اسماعيل ابو السباع وجماعة من العسكر الى مكان الملك عرنوس فوجدوه
كما ذكرنا

فلما نظر المقدم اسماعيل الى ابن أخيه الملك عرنوس على ذلك الحال انكفى عليه وبكى
حتى جرت الدموع من عينيه فلم تقدر احد يقومه حتى جرى الدم من محاجر عينيه ومن
ذلك الوقت لم ينظر للدنيا زوال ولا ضياء ولا نور بل عمى وعدم مقلتيه وأما المقدم نصير فانه
صاح آه ياسيدى ياليت يومى قبل يومك والله ما قتلك الا هذا القصير فهو الذى دبر
عليك هذا التدبير وسجنك فى هذا الدير وباتوا تلك الليلة فى قال وقيل ولم يبقى لرد القضاء
سبيل وطلع نصير النمر وركب حجرته وقصد الى قلعته وأما السلطان فانه نادى يا معاشر
المسلمين ان الملك عرنوس قتله هذا الملعون روم الازرق وانا لم اقعد عنه حتى اقتله فى ثأره
وأعجل من الدنيا بدماره فاذا زحفت الاعداء علينا وزحفنا عليهم كل منكم وشأنه اخبر
فان أراد الله ان يتقدم وان شاء فليتأخر فان الجهاد فى سبيل الله ليس غصبا عنكم وهو فرض

عليكم وقال الله تعالى وهو أصدق القائلين (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما)
فلما سمعوا ابطال الاسلام من الملك الظاهر ذلك الكلام ما منهم الا اشتد وهام
واشتاق إلى الحرب والصدام واندقت الطبول وزحفت أبطال بنى اسماعيل والأمراء
عرضا وطولا ووقف المقدم جمال الدين قدام رجاله وقال يابنى اسماعيل أنا قدامكم
فى القتال ومن بعد الملك عرنوس لم يبق لنا قعاد عن المجال وأنا أول من يقاتل وزحف
المقدم جمال الدين وتبعته الفداوية كانها الأسد الضارية وكذلك الملك الظاهر حمل
وتبعته الأمراء والوزراء والأتراك والاكراد الايربية والمماليك والخزندارية
وصاح الاسطى عثمان وقال اتجدونى ياأولاد الشيخ فى هذا النهار حتى نكسب العز
والافتخار فكل من السياس قال له لبيك ياجد وأما الملك الظاهر لما صرخ وحمل
فارتجت لحملته السهول والجبال ودمدمت الأبطال واستقبلوا القتال وضربوا بكل
سيف فصال وجاء الحق وزهق المحال وقصرت الاعمار الطوال وقطعت الجماجم والاوصال
وحمحمت طيور الآجال وهاجت الأبطال كما تهيج فحول الجمال واظلمت الدنيا من
الغبار وانفتحت المقابر وعميت النواظر وتفرقعت المرار وغنى الحسام الباتر وباحت
القلوب بالسرائر وبقى الجبان من شدة ما رأى حائر والشجاع جلدان للحرب وصابر
وصار الاول لم يسمع كلام الآخر ولله در الملك الظاهر لانه أشد من السبع الكاسر
وأسرع من النمر إذا كان نافر فداس بحصانه فى الصفوف وقطع الجماجم والكفوف
وظهر على شداقه الزبد كانه القطن المندوف ودام داعس حتى وصل الى الشنيار
الكبير ومن خلفه كل فداوى وأمير وهو يقول ليس أحد منكم يأخذ أسير بل
عجلوا الكفار بالموت والتدمير فان عرنوس ابن عمكم وأخذ الثار له يلزمكم
وأما أنا فمساعد لكم ولما وصل الى الشنيار الكبير ضرب حامله بالنمشة قسمه نصفين
ومال الشنيار فخصفه المقدم ناصر الدين الطيار فانه كان هو وأبوه محاذيا للسلطان
هذا والسلطان دعس فى ذلك الجمع المطاق حتى وصل الى روم الازرق وحمل عليه
وانطبق وقال له ياملعون قتلت الملك عرنوس وتريد ان تنجو فى هذا النهار المنحوس
ومال السلطان بكليته عليه وصرخ فيه حتى لم يعرف ما بين يديه وضربه باللت الدمشقى
فى وسط رأسه أدهشه ومد له زند ملآن بالتقوى والايمان وعصر على خناقه حتى
كاد ان يخرج احداقه وجذبه رجله وسلمه لسعد بن دبل وقال له اعلم ان هذا قاتل
عرنوس ابن خالك فاحتفظ عليه أنت ورجالك حتى اذبح قبل دفنه عرنوس ليبرد
غليل من الضرر والنحوس ولما علمت الكفار بأن روم الازرق اسر حملوا على انهم

يجتهدوا فى خلاصه وكان المقدم ابراهيم على يمين السلطان فقتل اثنين من ملوك الروم
وأسروا واحدا فلما رأى السلطان أسر روم الازرق فاعتمد على الاسر نقلت الروات
فى هذا اليوم قتل ما يزيد عن ستين الف من الكفار واستشهد من الاسلام مقدار
عشرة آلاف من جماعتهم العشر مقادم الذين كانوا مع الملك عرنوس فى دير الفستقية
وكان معهم الفين فقتلوا ذلك اليوم وحان فيهم الحين وأما الاربعون ملك الذين
كانوا صحبة الملعون روم الازرق فلم ينفذ منهم أحد لان شيحة رمى منهم اثنى عشر
بالنبال وكان يتلبد بين الخيول ويرصد الملك منهم ويضربه بالنبلة فلم تخطىء من عينه
وتنفذ من قفاه ويترك ويسير الى غيره وليس أحد يعلم به حتى هلك اثنى عشر ملك بالنبال
على ذلك المثال وأما السلطان فهو خائض فى الجرع وكل من عارضه يقتله فأهلك من
من الملوك أحد عشر والثانى عشر هو روم الازرق أخذ أسيرا كما ذكرنا والمقدم
ابراهيم قتل خمسة وأسر اثنين فلما رأى السلطان أسر روم الازدق وسعد قتل اربعة
والباقى قد هلكوا على يد الفداوية والأمراء ولم يأت آخر النهار حتى ان النصارى
رأوا حالهم بلا رأس ولا ذنب فانهزم كل منهم وطلب الهرب وكانت نجاة نفسه هى
الغنيمة والمكسب وتبعتهم أبطال الاسلام وهم يضربوا فى اعناقهم بالحسام حتى
دخل الليل بجيوش الظلام وولى النهار بالانقسام وعادوا المسلمين منصورين مؤيدين
حامدين شاكرين حتى وصلوا خيامهم وأمر الملك بجمع الخيل الشاردة والعدد
المبددة وأمر السلطان أن ينحت ذلك المكان ويهدم الدير من جميع الأركان ويبنى
قبر للملك عرنوس وأخذ الملك جميع اعضاه وغسل بيديه وهو يبكى عليه وبعده صلى
عليه هو والمجاهدون صلاة الجنازة ودفنه فى ذلك القبر وذبح الملعون روم الازرق
على قبره والمقدم ابراهيم ذبح الملكين الذين أسرهم وكل من كان من بنى اسماعيل
مع الأمراء أتى بأسير وذبحه على قبر الملك عرنوس وأمر السلطان يبنى على أركان
الدير الاربعة كل ركن قلعة وأقام السلطان حتى كمل بقى القلاع وأمر ان يكون
فيها عسكر من توابع الملك عرنوس وسماهم قلاع الارانطة وأما اسماعيل أبو السباع
فانه بعد ما فرغ من عزاء الملك عرنوس ذهب من ذلك المكان الى رواية باره يقيم فيها
وأما أولاد الملك عرنوس فأقاموا فى مدينه الرخام وحلف السلطان انه إذا وقع الملعون
جران فى يده يقطعه ولم يبق عليه ثم انه كتب إلى جميع ملوك الروم يقول الذى
نعلم انه ملوك الروم جميعا من الآن وصاعدا لم يبقى مبايعة وأى ملك وقع فى يدى فى مقام
الحرب ليس له الا قطع راسه ولو يعطينى فى حق رقبته جميع أموال الروم فوصلت الكتب
إلى ملوك الروم بهذا الوصف فكل منهم اعتمد على جران اذا رأوه يمسكوه ولم

يطارعوه على ما يقول وبالغ الخبر إلى جوان بان السلطان قطع على ملوك النصارى
كل من وقع عنده جوان ولم يقبضه ويسلمه للسلطان فليس له جزاء إلا قلع آثاره
وخراب دياره وليس له مرابعة مطلقا من بعد موت الملك عرنوس وأى بلد ملكتها
ذبحت بطارقها ورهبانها والقسيسين وبلغ بطارقة الروم ذلك الكلام فقاطعوا على
ملوكهم بأن استقبال جوان حرام وإذا وقع فى أيديكم فسلموه لملك الاسلام فلما علم
جوان بهذا الحال خاف من ملوك الروم أن يمسكوه فاصطنع له تنور من النحاس
الاصفر ووضع فيه فحم صفصافا وعود قمارى وبعض من الكافور والعنبر وشاطها
على رأسه وغير زيه ولبس ملابس المجوس ومشائخ النار وجعل ذلك المعبد على رأسه
وصار قاصداً إلى بلاد الاكاسرة وملوك العجم ودام يقطع البرارى والاكم حتى
قريب من مدينة توروبز العجم فبينما هو سائر فى القان وإذ قد قابله رجل تراكب
على حصان من النحاس الاصفر وإلى جانبه كلب سلاقى من النحاس الاصفر والحصان
النحاس عليه سرج وله لجام كانه حصان حقيقة إذا طلبه المرء رمح وإن أوقفه
وقف وكذلك الكلب السلاقى يطرده خلف الغزال ويصطاد به من البرارى والتلال

فلما نظر جوان إلى ذلك الحال فقال ما هذا إلا كهين سحار فتقدم له جوان وصاح
يا كهين الزمان النار تحسك وتمسك وتحرق الشعر الذى فى وشك وتكوى عصعوصة
فلسك فقال الكهين آمين من أنت يا شيخ الارفاض ومن أين أتيت إلى هذا المكان
فقال أنا مظلوم يا كهين الزمان وهو انى يقال لى جوان عالم ملة الروم واتفق أنى
اطلعت على جميع الاديان جهارا فما رايت أحسن من النار فاردت أن اتبعها لانها
الربة الكبرى فعلموا بى النصارى فطردونى وكان مرادهم أن يقبضونى ويسلمونى
للمسلمين يقطعونى وكذلك المسلمين يكرهونى ويقولون هذا جوان كافر منحوس
والسبب فى ذلك أنى قتلت منهم الديار وعرنوس ولما ضاقت على البرارى والقفار
فدخلت إلى النار وشكيت لها هذا الخوف والاضرار فقام شيخ الزبانية الاكبر
وأعطانى هذا المجمر وقال لى أوضعه على رأسك وسير به للملوك الارفاض الكبار
ليعلموا أنك محشور فى حماية النار فقلت له أخاف من عباد الصلبان فقال لى لا تخف
من جميع الامم وسر إلى توريز العجم وكل من لاقاك أحكى له على ما بلاك وها أنا
لقيتك يا كهين وأعلمتك بالخبر اليقين فاسألك بحق النار ومن أوقدها أن تكون لى
معين فقال له الكهين مرحبا بك ياجوان إن كنت كما تقول دخلت فى حماية النار
فقال جوان وحقها ومن أوقدها وسجد لها وعبدها أن جوان لها تابع ولا يمنعه عنها
مانع ولكن أنت ما اسمك يا كهين حتى أعرفك حق اليقين فقال له اسمى الكاهن ارمالية

صاحب الاقاليم الخالية فقال له جوان أنت تأخذ بلاد المسلمين وتبقى تحت أمرك
النصارى وغيرهم أجمعين فقال صدقت ياجوان ولكن أنا لست ملك بعساكر حتى
كنت أركب على الملوك وأحاربها ولكن أنا أركب معك للقان هلاوون بن منكطمر
ابن دبخس خان فانه ملك جميع العجم وله عساكر وأمم فقال جوان طيب وسار معه
حتى دخلوا على هلاوون فلما دخلوا قام القان هلاوون واستقبل الكهين وسلم عليه فاخبره
بما طلب جوان فقال هلاوون يا كهين الزمان أنا ليس لى قدرة على قتال العرب إلا ان
كان مثلك يعينى عليه فقال الكاهن وحق النار لم أخلى عنك حتى أملكك بلاد العرب
والروم وجميع الاطلال والرسوم عند ذلك التفت الى رشيد الدولة وقال له إيش رأيت
فقال رشيد الدولة ياقان الزمان ليس كل مرة يتخلص الانسان من قتال العرب وأنا أعلم
أنك ركبت عليهم كرة والنار تنصره عليك وعند ما تقع فى يده يبايعك نفسك بالمال
وهذه النوبة حلف قتال العرب كل من وقع فى يده يقتله من الذى يطاوع جوان ملوك
الروم وغيرهم فالصواب أنك تقولوا لهم يروحوا لغيرك وترتاح أنت من ذلك الصداع
فترك كلامه والتفت إلى ثقلون الزمان هذا قصده أن يفتح البلاد بالجن الشداد وقتال
العرب لم يقدر على ذلك فطاوع الكهين على ما يريد وعن رأيه لا تحيد حتى تملكك
البلاد ويهلك لك العباد وتبقى الدنيا كلها ملكك عرب وعجم وترك وديلم فالتفت إلى
رشيد الدولة قال له يارشيد ان ثقلون طاز قد قال لى بخلاف ما قلت انت فقال رشيد
الدولة يا قان الزمان كل وزير يدبر على قدر معرفته وانت وشأنك أخبر فعندها
طلب جوان وأحضر أرباب معابد النيران وقال لهم اسجنوه فى عبادة النار فاخذوا
جوان والكهين معهم وساروا الى نيران فارس وهى النار التى فى مدائن كسرى الى
الآن لم تخمد إلا عند ولادة أشرف الورى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولما
كان فى ذلك النهار وأدخلوا جوان فى بيت النار فطاف حولها سبع مرات وسجد
لها كفرا وغرورا نعوذ بالله من ذلك وليس بعد الكفر ذنب وصار يتلو على النار
من كلام المجوس بصوت رخيم تشتاق لسماعه النفوس فاذهل خدامين المعبد وقالوا
للقان هلاوون ان هذا عابد للنار حق عبادتها فانه مجتهد فى دخولها وليس له مأوى
الا لها ففرح القان هلاوون بما سمع منهم وأكرم جوان ورفع قدره كرامة للنار
وبعدها قال الكهين ارمالية يا كهين الزمان أنا رضيت ان انفق من مالى عشرة قناطير
من الذهب ومائة قنطار من الفضة ومائة الف من العساكر بخيولها وعددها وكل
من تحتاج من سلاح وذخائر ومأكل ومشرب لعل ان ابلغ الارب واقتل ملك العرب
فان كنت انت معاون لى على ما أريد وساعدنى بعزم شديد والا هلاوون يجعل

اتكالة على النار ذات الوقيد ويطلب منها النصر والتأييد فقال الكاهن ارمالية وحق النار ذات الشرار أنا لم أحوجك القتال ولا أضيع لك مال بل أنا أحرق أموال العرب بلا تعب ولا نصب وتعاهدوا على ذلك وأرسل هلاوون الكتب إلى خراسان والرياض واصفهان وجميع الملوك الذى تحت أمره أن كلا منهم يتجهز للقتال وبعد ايام قلائل قام عليه أهل خراسان وسنده وقيشان والرياض واصفهان فما بلغ شهر كامل حتى بقى عنده مائتين ألف مقاتل والجميع على الخيول العربية برز الخام والخيام والسرادقات والاعلام واندقت طبول الرحيل واجتهدوا فى التسيير والتحميل وساروا بقطعون القفار والسبب حتى صاروا قدام حلب ونظر عماد الدين أبو الجيش إلى ذلك الحال فأيقن بالانذهال قفل أبواب البلد وركب المدافع على الأسوار ورمى على تلك العساكر جمال النار فقال هلاوون للكهين ارمالية يا كهين الزمان هذه البلاد أول مملكة العرب فان أخذناها بلغنا كل الارب فقال جوان انا اعلم من كتاب اليونان وحكمة اليونانية التى رتبوا الحكم والقواعد من قديم أن مملكة العرب تحكمها العجم وتصير الأرض كلها ارتاض وعجوس وأما ابناء العرب فيفسا قوا بين أيادى العجم فى يوم منحوس فقال الكاهن فى هذه الايام وأنا لابد أن أنصر الاعجام ولم أخف من كل الانام كان عماد الدين أبو الجيش كتب كتاب وأرسله إلى مصر يعلم السلطان وكان الملك الظاهر يوم جالس وإذا بالنجاب قادم فقال السلطان من أين فقال النجاب حلب الشهبة قالت سائر المدن غيبدى وأنا على تخت عزى ما بين سعد وسعيدى فعلموا أن نجاب من حلب فأمر السلطان بقراءة المكتوب وإذا فيه سلام وتسليم به المسك يختم على جمع جامع ما به الذكر يعلم حوى كل سيد وابن سيد وسيد فصيح ليث بالاشارة يفهم من حضرة العبد الاصغر والمحب الأكبر عماد الدين أبى الجيش باشة حلب إلى أيادى سيد ملوك بنى آدم وظل الله فى العالم اعلم يا مولانا السلطان أننا يوم تاريخ الكتاب كنا مقيمين وإذ بالغبار غبر وعلا الى الصفا وتكدر وانكشف وبان عن عسكر وضرب طبله ونقروهم نحو مائة الف خيال تمام خلاف التوابع والالوام ويقدم الجميع القان هلاوون بن منكطمر بن ديخس بن كسرى صاحب الايوان ومعه هذه الالوف والاعوان وبصحبته كاهن سحار يقال له ارمالية رأس الفجار ومعه الملعون جوان والبرتقش الخوان فانه ترك عبادة الصلبان واتبع النيران واعتمد أن يدخلها سريعا بلا توان

فلما رأينا ذلك الحال والبر امتلا بالعساكر والرجال أقمنا الحصار وضربنا

بحلل النار بعد ما أغلقنا أبواب البلد وأرسلنا ذلك الكتاب ليطلع على ذلك لاسباب فأدركنا بسيفك المسنون وجوادك الميمون وأمرك المكنون وإلا فابعث لنا من يدركنا والامر أمرك أطال الله فى عمرك والسلام على نبى ظللت عليه الغمام فلما قرأ السلطان الكتاب امر بتجهيز العساكر وقال وحق الذى مرج البحرين وأنار الكوكبين وخلق من كل شىء زوجين ان وقع جوان فى يدى لابد لى ان أطعمه ولو احتمى له اهل الثقلين وان وقع هلاوون فى يدى لأنشره بالمنشار مثل الخشب واجعله فلقتين ولا أبالى بما يجرى وليتمادى على صاحب العزة والقدرة ثم ان السلطان بعد ذلك بكى وقال كان الملك عرنوس يدى اليمين فانقطعت وأنا من حزنى عليه عيونى دمعت فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسافر السلطان بالعرضى يجد الطاب قاصد مدينة حلب له كلام

[قال الراوى] وأما ما كان من أمر الملعون جوان فانه التفت إلى الكهين ارمالية وقال له يا كهين الزمان ان باشة حلب قفل البلد وحصن الاسوار واحنا نقع خارج للبلد وهذا شىء عار فقال له الكهين يا جوان وحق النار ذات الشرار أنا قد ربيت العساكر كلها فى قلب حلب ولا أبالى بقان العرب ثم انه قام ودخل إلى بيت رصده وقتال شيئا يعرفه وخرج وبيده ترخ من الورق الاسود وفرشه فى الارض ورسم عليه بالقلم فاتسع ذلك الفرخ حتى صار قدر حلب وانفرد على البلد فطاها وأظلها وزاد دجاها فصارت البلد ظلام واشتد الحال على أهل البلد فركب الباشا وطلع هلاوون ودخل عليه وقال يا قان الزمان انت الملك ومرادك أن تقاوم ملك العرب وإيش أدخل الرعاية حتى انك تلقى هذا الظلام عليهم تعطلهم عن حالهم وغالب الناس فقراء يجرون على قوتهم واحنا ناس رعاية اذا كان الملك الظاهر سلطان فهو يحكمنا وانت غلبته وأخذت البلاد منه فتحكمنا مثله والذى كنا نورده له نورده لك ولا تبخل يا مولانا علينا لاننا طائعين لسنا عاصين ودام باشة حلب لاطف الكهين وهلاوون بمثل هذا الكلام حتى لان جانبه ورفع الظلام بشرط أن تفتح باب البلد ويصير الاخذ والعطا والبيع والشراء للارقاض بغير جناية ولا خوف وان عدم لاحد خيط فى ابرة فالخيط من قصب والابرة من ذهب فقال عماد الدين رضيت بذلك وفتح البلد وزالت الظلمة عن الناس وأما الكهين فانه ضرب على عساكر القان هلاوون سور من النحاس وجعله قدام حلب وأماكن من داخله سكنتها الدولة وجعل قصر من النحاس وجلس فيه هو والقان هلاوون ومن تبعهم من كبار الدولة واصطبلات للخيل ومساكن للعسكر حتى

صارت مدينة اكبر من حلب وكل من رآها يتعجب واقام على ذلك الحال ايام وليال حتى قدم الملك الظاهر بعسكر الاسلام وعلى رأسه بيرق المظلل بالغمام ونظر إلى حلب وقدامها بلد أكبر منها فتعجب فقال إبراهيم بن حسن يادولتلى كم سنة أقام ذلك الكافر حتى صارت اماكن وعمايز فقال له السلطان هذا بعلم القائم والله تعالى قادر أن يهلك من تعدى وظلم ونصب السلطان صيوانه وأمر العساكر أن ينصبوا خيامهم ففعلوا ما أمرهم وأقام السلطان ثلاثة ايام حتى أن العساكر أخذت الراحة ورابع يوم كتب كتاب وأعطاه لابراهيم فاخذه وسار حتى وصل إلى الاسوار وقال قاصد ورسول فانفتح له الباب فدخل حتى صار تخت العصر ووجدنا السلالم تطلع حتى وقف قدام الكهين وقال بجاب وحامل الكتاب فقال جوان زمانك فرغ باك مرادك ان الكهين يقوم باخذ كتابك مثل غيره فانغاظ الكهين وقال يا جوان انت فضولى ايش الحال فيما ليس لك فيه شيء أنا قوم اغاظة فيك حتى لا تتكلم فيما لا يعنيك

تم الجزء الحادى والاربعون ويليه الجزء الثانى والاربعون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثانى والأربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وقام فاعطاه ابراهيم الكتاب ففضه وقرأه إلى الكهين ارمالية والقان ايش الحاكم حتى اتيتم إلى بلادنا من غير ذنب حصل لكم منا واحوجتونى ان اركب وآجى إلى حربكم فان كان قصدكم اخذ بلاد الاسلام فدونها ضرب الحسام الصمصام وإن كان قصدكم حماية جوان فهذا لايكون ولا بد من تقطيعه على القربة وحرقه فى الرميله وهذا شيء مقدر عليه لم يمنعه منه احد وإن كان قصدكم الحرب والافتخار بالطعن والضرب فانا عندى رجال يشتهون حرب الصفاح احلى عندهم من شرب ماء القراح فلازم من رد الجواب والامر لله العلى الوهاب وان اردتوا عدم اقامة الفتنة وابطال هذه المحنة تقبضوا على جوان وتأتوا به إلى عندى احاسبكم على كلفة الركبة وارتب الجزية عليكم اضعافا وهذا ما عندى والاسلام على البدر التمام فلما قرأ الكاهن الكتاب التفت الى هلاوون وقال له تاخذ كتاب قان العرب حتى تعرف ماطلب فقال هلاوون انا عارف مطلوبه وقلبى ذائب منه وها انت حضرت فلا تسألنى إلا اذا غلبت اضعف فقال له الكهين ارتاح وانا له كفاية وحق النار الحية واعطى الكتاب لابراهيم وكتب له ارد الجواب فقال له واين حق الطريق ياكهين الزمان فاعطى له عقد جوهر فيه عشر فصوص كل فص يساوى الف دينار فأخذه المقدم ابرهيم وطلع فرحان وصار حتى وصل قدام السلطان وناوله الكتاب ورد الجواب ففتحه فلقاه بالحرب فشرعطه وامر بدق الطبل حربى ولما اتى الصباح صففت الصفوف وتعدلت المئات والالوف وخرج طومان من العجم راكب على جواد أدهم وصال وجال وطلب الحرب والقتال فعند ذلك خرج اليه ايدمر البهلون واطبق عليه فى الميدان وضايقه ولاصقه وضرب بالسيف على عاتقه اخرجه يلمع من علائقه فنزل الثانى فى خلاه والثالث والرابع إلى آخر النهار ملك عشرين وجرح عشرة واسر خمسة وثانى الايام صاح هلاوون على

عسكره وقال لهم اتركوا البراز وزاحموا العرب فى الحرب لاجل الانجاز واحملوا عليهم حملة واحدة وتكاثروا عليهم حتى تهلكوا ابناء العرب عن آخرهم وكان ذلك برأى جوان فرجعت العجم وتبعها الترك والديلم فتلقتها أبطال الاسلام وانعقد عليهم الغبار والقتام وصاحت الاعجام وضربوا بالنبال والسهام ورفرف طير المنايا عليهم وحام وتزلزلت الاقدام وتنكست الاعلام وقل الكلام وبطل العتب والملام وزاد بين الفريقين الخصام وتصادموا أشد صدام وغنى الحسام الصمصام وصارت القتلى على الارض أكوام فلله در الملك الظاهر فانه أهلك فى الحرب كل رافضى وكافر واذهل بفعاله المقل والنواظر وجبر الخواطر وحكم ضربات سيفه فى الجماجم والخواصر ولله در المقدم إبراهيم فانه سقى الاعادى منهلا حميم وصب عليهم العذاب الاليم وأما المتقدم سعد بن دبل فكم هلك وكم قتل وذهل كل فارس بطل وكذلك أبطال الاسلام جهدوا نفوسهم فى القتال والحرب والصدام واستعانوا بالملك العلام ودام الامر على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال واندق طبل الانفصال وعادت الناس الى أماكنهم والابطال يا سادة فى ذلك النهار هلك خلق كثير من العجم وجرى عليهم ما خط بالقلم وشابت منهم المفارق والدم وانتصروا الاسلام وانتقموا من أعاديهم فى الحرب غايه الانتقام واستعانوا عليهم بالملك العلام ولما عادوا الى الخيام دخلوا كبار الدولة الى القان هلاوون وقالوا له يا قان الزمان الذى هلك فى هذا النهار اثنى عشر ألف من عباد النار وأما العرب فلم يقتل منهم إلا القليل وايضا يا قان الزمان أنت تعلم أن العرب هذه بلادهم والعساكر لهم متتابعة مثل العيون النابعة واحنا بلادنا بعيدة وإن لم يساعدنا هذا الكهين وإلا هلكنا أجمعين وكم مرة ركبنا على قان العرب ولم تنالوا منه غير التعب والنصب وهذه الركبة غير ما ظاهر شرها على خيرها فلما سمع القان هلاوون ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقام قائما على الاقدام ودخل على الكهين أرمالية وبكى بين يديه وقال له يا حكيم الزمان أنا كنت قاعدا فى بلدى مرتاح لا أقاتل ولا أناضل ولا أحط يدى على صدرى حتى أتيت لى أنت ورغبتنى فى الركوب على قان العرب وأرعوتنى أنك تبلغنى منهم الارب فاين وعدك يا كهين واين كلامك فكان قولك كان غرورا وليس لك مقدرة على هذه الامور .

[قال الراوى] وكان القان هلاوون يتكلم بذلك الكلام والكهين أرمالية شاخص اليه حتى تم كلامه وقال له ياقار الزمان انت خفت من العرب وقانهم وهم ناس ضعاف ليس لهم بطش وانا وحق الشمس وشعاعها والافلاك ، طلوعها والنار الحية وما فيها من الدخان والاسرار الخفية فى غدات غد لم يفرغ النهار إلا وجميع ما تراه عينك

من عرض قان العرب زايل ولم يبق منه أثر ولا دليل يا ساده ثم ان الكاهن قام ودخل بيت رصده واجتهد فى تلك الليلة حتى صنع با لحكمة أربع شمعات كل شمعة قدر فخد الآدمى وأحضر أربعة من أرهاط الجان وأعطى كل واحد منهم شمعة وقال لهم ادخلوا إلى عرض العرب وقفوا فى وسطه والهموا أطراف الشموع إلى صيوان قان العرب فاذ قادت فيه النار فخذ واكل واحد منكم على جهة يمين ويسار وخلف وأمام وكلما رايتموه احرقوه لا تطلعوا حى يبقى العرق كله نار وعودوا إلى عندى بعد ذلك هذا مرغوبى فأخذوا الارهاط الشموع بعد ما اوقدوهم وساروا كما أمرهم فأول ما ولعت النار فى صيوان السلطان وبعده ولعت فى الذى حوله فما مضى قدر ساعتين الا وصار عرضى السلطان كله نار كانه نزل عليه من السماء شهاب وصار جميع جوانبه التهاب وغالب الناس كانوا نيام مما قاسوه فى الحرب والصدام فانحرق جميع الحكام حتى سروج الخيل واللحام والبعض من الخيل والجمال كانوا فى الرباط والعقال فانحرقوا مع الذى انحرق وبقى البر كانه بحر زمهرير واندهش كل مملوك وكل أمير ومقدم متاع الغنى والفقير وطلع السلطان وهو قرعان وضاق فى وجهه كل مكان واشرف على زوال ملكه والخذلان وليس له طاقة ان يقاتل لم يعلم ما سبب هذه الفعال ولم يصبح الصباح الا وجميع الامتعة عدمت با الحريق عن عدد وسلاح وخيل وزخيرة وما كول وخيام وما شية ذلك وأما الخيل فلم ينفذ منها الا القليل وركب السلطان على حصانه عريان وكذلك ابراهيم وسعد وبنو اسماعيل وكانت كسرة على المسلمين أى كسرة كل من نظر اليها تاه عقله وزاغ بصره وسار السلطان وتبعته الناس وهم ذاهلين العقل والوسواس ما لكهم فى القلب والذهن والراس يقطعون البر والاكام حتى وصلوا إلى أرض الشام نزل السلطان بالشام وهو فى انحس مايكون من شدة الضرو والآلام والعساكر اقباوا منقطعين من عشرة ومن عشرين فلما استقر السلطان كتب كتاب وارسله إلى ابنه محمد السعيد يأمره با حضار صناع الخيم ليعملوا خيم والسروجية يعملوا سروج وأرباب السلاح ليصنعوا سلاح ومكذا حتى صنعوا كلما يليق للحرب وأما الموجود فى خزاين السلطان أخرج منه ووضب لابيه كلما يحتاج سريعا حتى تكامل عرضى مثل الذى انحرق منهم حتى لايخسروا شيئا ولا يحتاجون إلى شىء وبرز السعيد بذلك العرض واجلس أخاه أحمد سلامش وسافر السعيد عن عجل يقطع البرارى والاكام حتى وصلوا الى أرض الشام فتسلم السلطان العرضى وأمر السعيد ان يعود إلى مصر وينفق الاموال على ارباب الصنايع وان يجتهدوا فى مثل ذلك الحال وعاد السعيد وعلى ما امره أبوه

عازم حتى وصل إلى مصر له كلام . وأما ما كان من أمر السلطان فانه تسلم العرضى وأمر بنصب الخيام الجدد التى حضرت وبعد نصب الخيام أمر الامراء أن تأخذ لها ولمن معها من العساكر خيام على قدر كفايتهم فأخذ كل أمير على قدر احتياجه وكذلك اقتدروا العساكر كل من عدم له آلة حرب يأخذ عوضها والذى عدم له سرج ياخذ عوضه كذلك الخيل حتى عرف السلطان أن جميع العساكر أخذت حقها وقويت قلوب العساكر للجهاد وتأهبوا للمسير وقد المشيئة والتدبير وسال السلطان بالعرضى من على الشام يقطع البرارى السيب حتى أشرف على حلب وكان الكاهن ارمالية لما علم بهزيمة السلطان تركه ولم يلتفت الى هزيمته وصبر عليه حتى علم أنه وصل إلى الشام فقال له جوان يا كهين الزمان ما تلحق قان العرب حتى تهلكه وتنزل به العسف فقال له ياجوان أنا ما قلت لك لا تعارضنى لانى كنت ناوى اتبعه ولما تكلمت أنت فلم أتبعه لاجل اغاظتك فسكت جوان وقاموا على حلب هذه المدة حتى أقبل الملك الظاهر ومعه الامراء والعساكر فقال الكاهن ها هو أتانا قان العرب ولم يبق إلا الحرب والقتال فقال القان هلاوون انا أعلم بان قان العرب ما يقعد عنا وها هو جمع رجاله وأتى الينا فقال الكهين أنا له كفاية وحق النار الحامية ثم انه قام إلى بيت رصده وأخرج منه أربع شمعات مثل الذى فعلهم أول مرة وأعطى لكل مارد واحدة وأمرهم أن يفعلوا كما فعلوا اول مرة فى عرضى السلطان فما أفاق السلطان الا والنار فى جوانب العرضى توقد وكلما القوا عليها الماء أو الردم فما تزيد إلا وهجا وزفيرا وهجرا العساكر على وجوههم فى البر وكذلك السلطان انهزم وتبعوه عساكر العجم حتى أهلكوا خلقا كثيرا من عسكر السلطان وانهزم ثانيا إلى الشام وكان السلطان حاسب هذا الحساب ومتيقن أن ذلك العرضى يجرى عليه كما جرى على الذى قبله ومحاذر على مهمات خلاف التى عدمت فجهز بالحاضر ثالث مرة وأرسل الى مصر يطلب غيرها وهكذا حتى تممت الامور خمس مرات كلما يجهز السلطان ركبة يتحرق مهماتها حتى أن الملك الظاهر لم يبق فى خزانته شىء من المال وليس عنده مهمات يستعين بها على الحرب والقتال ولما أعياه الحال سافر الى مصر ودخل وهو مكسور الخاطر ويقول هذا حكم به مولانا العظيم القادر القاهر ولما وصل الى مصر وهو فى هموم وحضر أحضر علماء الاسلام ولما حضروا قال لهم ياسادات الاسلام ان واحد كهين كافر ساحر حرق لى العرضى خمس مرات . هو الآن حاطط على حلب وأنا لم يبق معى شىء أجد له به فى الطلب فهل يجوز أن استلف من التجار شيئا استعين به على حرب الكفار والا اقعد حتى الكفار اللئام يملكوا منى بلاد الاسلام فقال العلماء وان كانوا يسلفوك استلف منهم

فاحضر التجار وأخذ منهم مبلغ جسيم وجهز ركبة سادسة وسار إلى حلب فانحرقت الركبة مثل الذى قبلها وكان السلطان كما ذكرنا أخذ اموال الامراء وأولاد مصر والتجار حتى جهز تلك الركبة السادسة أو انحرقت فضاق صدر السلطان وتمنى انه لم يخلق وعاد منكسر حتى وصل إلى الشام فقالوا له الامراء يا بعض شاه احنا ما بقاشى عندنا شىء ولو كان عندنا كنا ساعدناك لان المال ليس أغلى من الارواح فقال السلطان لكم اسوة فى حتى تنفذ أحكام الله تعالى ثم ان السلطان أمر باحضار كل تجار الشام والاغنياء وأرباب الاموال فلما حضروا عنده فى الديوان قال لهم يا معشر الاسلام اعلموا أن الكفار أخذوا حلب وبعد حلب ياخذوا الشام وأنا نفقت كل مالى ومال أهل دولتى وكذلك تجار مصر أخذت أموالهم وأنتم أقرب لحلب فساعدونى حتى أرد ذلك العدو عن بلادكم فقالوا له أنت ملك والملوك تلاقى بعضها وتقاتل على مناصبها واحنا وياك ولغيرك كل من ملك التخت احنا تحت امره وليس بيدنا شىء نفعله فقال السلطان كلامكم صحيح فقال ولكن أنا عايز منكم تسلفونى أموال على قدر جهدكم عند ما ينصرنى الله أرد عليكم ما اخذته منكم فقالوا له ليس عندنا شىء نسلفه لك فان أموالنا للتجارة وليس لنا تفريط فقال السلطان إذا لم تسلفونى أقول لكم ان هذه البلاد بلادى والارض أرض السلطان وهذه الارض أوهبها لى الملك الصالح فى ايام حياته فانا ابيعها كما اشاء لكم او لغيركم واهدم منازلكم وابيع احجارها فان اردتم ان تحفظوا اما كنكم فاشتروها منى فانى معذور فقالوا له كبراء الشام وايش فى نيتك ان تفعل معنا فقال اما ان تعاونونى أو ترحلوا من ارضى وتتركونى فقالوا له تجعل لك حكم على الارض فقال لهم رضيت بذلك فقالوا له تجعل على كل بيت دينار وكل خان اثنين وكل دكان نصف دينار فى المدينة وعلى قرايا الشام كل قرية عشر دنانير فامر الكتاب أن يكتبوا الاماكن والقرى فوافق حكر السنة الواحدة على اما كن المدينة نصف خزنة وعلى القرى التى حول الشام خزنة فصاروا خزنتين فقال السلطان أنا متولى سنة ملكة الاسلام من سنة ٥٨٣ ونحن فى سنة ٦١٣ صار لى ٢٧ سنة سبعة وعشرون سنة لم آخذ شيئا منكم وها انا قصدى حتى استعين به على الجهاد ورد اهل الكفر عن بلاد الاسلام فقالوا له اتق الله تعالى فقال السلطان وحق الذى لا إله إلا هو العالم بما كان ومايكون لولا احتاجى لطرد ذلك الملعون من بلاد الاسلام ما اخذت منكم لا مال ولا نوال ولكن اذا اراد الله سبحانه وتعالى ونصرنى على ذلك الملعون فانى اردها عليكم واقع الاحكام عنكم فقال الشيخ النووى والله ما ينفعك ولا تبلغ به غرض وإن طاوعتنى لم تاخذ شىء من الناس فانه من باب الظلم فتر فيه السلطان

وقال له لاتعارضنى فى بلادى ولا افعل شيئا الاعلى مرادى كيف اترك بلادى تملكها
منى الكفار والاعادى وهؤلاء الاسلام رضوا بأن يملكهم غيرى من الارفاض
اللئام والله لولا انهم مؤمنون لبدلت السيف فيهم اجمعين وهل يجوز عندك يا شيخ
الاسلام أن المؤمنين يرضوا أن يكونوا تحت احكام الكافرين قم التزم بالمجاورين
ولا تتعرض للمجاهدين فطلع الشيخ النووى وهو يقول يا ظاهر سلطانه عليك العمى
كما انك تهين اهل الفضل والعلماء هذا ما جرى وأما السلطان فلم يبالى بما قاله الشيخ
النووى ولاعتب عليه لم يعلم انه تنكرة الاسلام وهو عنده فى اعلى مقام ولكن
الضرورة هى التى احوجته لذلك وأمثاله واجتهد السلطان حتى وضب الركبة السابعة
وقال للمقدم إبراهيم يا أبا خليل أنا اغتاظ منى شيخ الاسلام حين تعديت على أهل
أهل الشام فقال إبراهيم والله يا دولتلى أنا عندى مال يكفيك وإن أردت انفق مالى
فى الجهاد بين يديك فانى كما تعلم أن المال ليس اغلا من الروح فقال السلطان لعل الله
لم يحوجنى وعلى ذلك العدو ينصرنى كل هذا والسلطان ذوو المخابز وأرباب الصنائع
فى اشغالهم حتى تكامل المطلوب وتجهزت العساكر وقال السلطان هذه الركبة السابعة
يا إبراهيم فقال إبراهيم الامر لله العزيز الحكيم وشال السلطان حتى حط على حلب
وكان الكهين قاعد له بالمرصاد فلم يتركه أن ينصب الخيام حتى اشتعلت النار فى العرضى
مثل العادة ولم يفرغ النهار ويقبل الليل بالاعتكار الاوعرضى السلطان جميعه اكلته النار
ويقع حرب ولاحصار وانهزمت جيوش الاسلام ورجعوا وهم مكسورون إلى ارض
الشام ولما وصلوا إلى الشام افتقدوا السلطان فلم يجدوه فقال إبراهيم للعساكر هل فيكم
أحد رأى السلطان لما انهزمتم فقال له كان معنا ولما وصلنا إلى الشام فما وجدناه فطلع
المقدم إبراهيم يفتش عليه ويتأسف على ما جرى له وما حوى له وأما كان من الملك
الظاهر انه ضاقت عليه الدنيا ولما وصل إلى الشام حصل عنده خجل لكونه فعل فى
أهل الشام مافعل ولم يبلغ من عنده امل وتشمت فيه أهل الشام لانه اساء عليهم وجار
فى الاحكام فطلع من العرضى وأخذ عزيمته حتى وصل إلى جبل عالى فطلع إلى
اعلاه فوجد مغار فدخل فيه وبكى وقال إلهى وسيدى ورجائى اسألك بحق دين
الاسلام لاتفضحنى فى دولتى وإن كان لم أجد منك ناصر ولامعين وأردت لى
يامولانا بالذلة جزاء لماقدمت يدى من سوء فعلى وذنوبى وكثرة عيوبى الذى أنت
تعلم بها ولم أقدر على تكفيرها وأردت يامولاى أن تقاصصنى ارجو منك الستر فيما
تجازينى به فى الدنيا ولاتفضحنى بين اعدائى فانا اعلم أن الملك لك حقيقة والخلق

خلقك يقينا فان اردت أن تملك الكافر وتخذل المؤمنين فالحكم لك يا رب العالمين
وانه علمت أن تعرضى جهلا منى وغرور فلا تؤاخذنى بما فعلت انك أنت الله
الغفور اللهم انى أسألك بحرمة نبيك ورسولك الصادق الوعد الامين الذى أرسلته
رحمة للعالمين وبحق أهل بيته وأزواجه الطاهرين وبالكتاب الذى جاء به نبينا
الكافة المؤمنين وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم لقولك دعواهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين إلهى أنت أمرتنا بالجهاد فى
الكافرين وقلت فيه وقولك الحق اليقين وكان حقا علينا نصر المؤمنين وبكى السلطان حتى
غشى عليه وقال فى بكائه إلهى اقبضنى ولا تفضحنى انك على كل شىء قدير ياسادة وإذا
بشعبان طلع من صدر المغار ومشى وانتفض انصار كانه آدمى وقال جاء النصر من رب
العالمين ابشر بالنصر يا أمير المؤمنين وهذا كتاب وزيرك الأغا شاعين فأخذ السلطان
منه الكتاب وفرده ونظره فيه وإذا بضباب خرج من ذلك الكتاب وتركب على
عينيه فقال السلطان الحمد لله على ذلك ان كان هذا قصاصى فى الدنيا رضيت به لاجل انى لم
أنظر الشامتين ولم أعلم الاعداء من المحبين فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فداعى
السلطان وأظلمت عينيه وإذا بالمقدم إبراهيم بن حسن داخل عليه فراى ماحل به فقال له
يامولاى الاسلام لا بأس عليك انا أرسلت الى قلعة حوران أجيب مال يكفيك حتى تبلغ
قصدك وامانيك فقال السلطان يا إبراهيم أنت تجيب المال لمن أنا شايف الدنيا حتى انك
تجيب لى المال وإنما خذنى وودينى للجامع حتى أقيم فيه واتعبد ولا أسأل عن أحد فقال
إبراهيم وكيف ذلك يامولاى الدولة قم وأنا أنظر لك حكيم ولكن يامولاى الحاج شيحة
مابانى ولاظهر له فى هذه النوبة نيشان فهتم كلامه الا وباب المغار أظلم وأقبل زول وهو
كانه قطعة غمام وقال السلام عليك يامولاى الاسلام فقال السلطان وعليك السلام من أنت
يامن خاطبنى بالسلام فقال له أنا ابنك البراق الخاطف أن الابيض الذى قربتنى
أنا واخوتى مدة ماتعذبت أقمت عندنا أيام قبطاويل حين ملك بلادك فقال السلطان
ياولدى اذا كنت انت ابنى خذنى عندكم لانى صرت كفيف وانخرق ناموسى مع
الكافر ارمالية وحرق لى سبع عراضى ولم اعلم كيف يكون العمل وضاقت بى
الاسباب والحيل فقال البرق الخاطف يامولانا اما من جهة عينيك فهذه دعوة الشيخ
النووى عليك ولكن كان قضاء الله عليك والله تعالى لطف بك فلا تيأس من رحمة الله
وانا اعلمك يامولاى الزمان ان ذلك الكهين ارمالية يكون موته على يديك وانه يقتل
بقبلة مظلمة ضاعة الحكيم بالناس فانه يعلم ذلك الكافر يضيق على اهل الايمان ويحرق

اموالهم فاصنع قوس ونبلة وارصدهم لقتل ذلك الملعون على يديك فادخل المغار واتل حسبك ونسبك ينكشف لك باب فى الحائط فى صدر المغار ومفتاحه فيه فافتح تجد قوس ونبلة خذهم واقعد فى المغار حتى يأتيك ويضربك فلا تبالى بضربته واضرب النبلة جبهته ولاتخف منه فانها مقسومة له فى الدنيا وموته بها فقال السلطان وانا ايش ينوبنى ذلك الملعون حيث انى كشف العيون فلما تم كلامه واذا باب المغار انفسد والكهين مقبل وهو يهد اركانه الاسد فعارضه البرق الخاطف وقال له ليس لك اليه وصول فانغاظ الكهين وقال له انت تعارضنى فى حكمى وأنا عندى مثلك ألوف تقف فى خدمتى وصار يتلو عليه أسماء يريد أن يحرقه بها فمع اشتغال الكهين بالبرق الخاطف انصرفت الغمة عن عيون السلطان فنظر صدر المغار وقال له أنا محمود بيبرس ابن القان شاه جلك فانكشف له عن باب فى صدر المغار ففتحه واخذ القوس وتلا آيات الله المعظمات وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وضرب النبلة فى الكهين ارمالية وهو مشتغل بالبرق الخاطف فوقعت فى فمه خرجت من قفاه فانقلب الى الارض وهو يخور فى دمه وينطرب فى عند وتصارخت أعوان الجان وهم يقولون لاشلت يداك ولاشمتت بك أعداك كما أرحتنا من خدمة هذا الملعون يا امير المؤمنين ونظر السلطان اليه وهو قتيل فبقى بين مصدق ومكذب وكانه فى منام واضغاث احلام واما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحة فانه كان غائب مدة فى بلاد الروم فاتفق انه حضر إلى مصر وسأل السعيد عن السلطان وما جرى له فاعلمه السعيد بكل ما جرى لحد ما اخذ الاحكار السلطان من اهل الشام وهذا آخر عهدنا فقام شيحة وطلع شعرتين كانا معه من المماليك تاج ناس واطلق فيهم فاحتملته سحاب ووضعه قدام تاج ناس فلما صار عندها قامت له وقبلت يده وقالت له ما جاك الا حاجة ياسلطان القلاع فقال لها يا ملكة هذه حاجة ليست كالحاجات وحكى لها على ما جرى فقامت ودخلت محل رصدها وطلعت قالت له السلطان قتل خصمه ولكنه محتاج إلى المعونة فقم بنا حتى نلحقه واخذته على تختها وسارت طالبة الشام

[قال الراوى] وكان السبب فى مجىء الكاهن ارمالية الى الشام وادراكه السلطان فى الغار كان جوان قال له يا كهين الزمان كم مرة وقان العرب ياتيك وانت تحرق عرضيه وتتركه يهرب الى الشام قم وروح له اقتله حتى تريح منه الانجام وتبقى الدنيا كلها ارفاض فقال له صدقت فيما قلت والتفت الى القان هلاون وقال له الحقنى بالعساكر على الشام وانا اسبقك اقتل قان العرب وسار هو على سريره واستخبر على

السلطان حتى عرف طريقه فى المغار وجرى ما جرى وقتله السلطان وكان هلاون سار بعسكره الاعجام وعمد على الشام حتى وصل اليها وحط بعساكره عليها ونظرته الفداوية فانغاظوا وقالوا بعضهم يا بنى اسماعيل اذا كانت الارفاض جاءت الى الشام وقصدهم ان يملكوا الحكم على الاسلام فايش قصدنا بالعيشة فى الدنيا مع ان الموت احون لنا من الاقامة فى يداعدائنا فضربوا مع بعضهم رأى انهم ينزلون على العجم ليلا ويذبحوا على قدر جهدهم وكل مقدام التزم بجهة من جهة العجم وعند المساء كبسوا على العجم ودار قطع الرقاب والغنم وكان السيف أقوى حكم وجار فى حكمه وظلم وعند الصباح استيقظت العجم واستظهرت بكثرة الترك والديلم وصاحت النقباء عليهم وشجعوهم فاجتهدوا فى القتال وافترسوا الاسلام بضرب النبال فبينما الناس كذلك واذا بشرار ونار وحم بالاحجار وقد اظلم ضوء النهار وعميت من العجم الابصار فافترسوهم الاسلام وهبروهم بالحسام وكانت هذه الغبرة غبرة الملكة تاج ناس وارهاط الجن الاسلام تنادى حاس وسمع عثمان بن الحيلة الغارة فأتى ومعه السياس وكان يوم مظلم كانه ديا جى الاغلاس

[قال الراوى] وسار المقدم جمال الدين واعلم السلطان بالخبر اليقين فقال له يا أخى وانا أيضا قتلت الكهين ومرادى اركب واعاون الاسلام على الحرب والصدام ولكن اين الحصان اريد من يعلم الاسطى عثمان فقال شيحة عثمان يحارب وانما أنا أجيب لك حصان فاحضر له شيحة حصان من خيل الاعجام وركب السلطان وكذلك المقدم ابراهيم ولما ظهر السلطان ورأى طاحون الحرب دايرا فصاح السلطان الله اكبر سبحان من انقذنى من الضر والعمى وهو الله الذى لا إله الا هو باسط الارض ورافع السماء الله اكبر الحمد لله الذى صورنى من العدم وهو الكريم التواب انه كريم حى قادر قاهر مسبب الاشياء ومنشى الاسباب ربى هدانى فى طريق الايمان وأراح عن قلبى ظلام وضباب

يا معشر الكفار ميلوا نحوى ... تحت العبا يركى ترون الاعجاب
انى انا بيبرس محمود اسمى ... خادم قبر النبى الاواب
حولى اجاويد الحصون الاشراف ... من كل مقدار يحكى سبع الغاب
كذا امارات مصهر تسمع قولى ... وما منهم إلا على فارس وثاب
خدمتهم لما بقوا من خلفى ... يفنوا الاعادى بالحسام القرضاب
اما المقدم سعد مع ابراهيم ... يوم الكريهة سقر حايم واعقاب
أولادهم عيسى وناصر الاسلام ... اسود خناجرهم أحد من الانياب

وسلطانهم شيحة وفضله مشهور خضعت له الدولة عجم مع أعراب
أما ملوك الروم تبات من بأسه فى أشد الخوف يحسبوا له الف حساب
وصوروا له فى الكنائس تمثال وفى الدور والبيع والاقباب
ثم الصلاة على النبى العدنان محمد المبعوث بالآيات والكتاب

وفانرد السلطان وضرب بالسيف اليمانى قدام أهل الايمان فصاح ابراهيم بن حسن

اقا اكبر اليوم بلغنا قصدنا والاراد بالنصر من عند الملك الوهاب
والفرح بالظاهر امام الاسلام بيبرس محمود الفعايل ومهاب
لما ركب ظهر الجواد الادهم وخلفه الوزراء وجميع الاصحاب
انى أنا أفديه بروحى والمال والاهل والاولاد وكل الاحباب
يامعشر الكفار هيا ولوا ادباركم حقا وكانوا هراب
حاكم أمير المؤمنين الظاهر ياماقطع منكم جماجم ورقاب
خلفوا فوارس يهبروكم هبرا من كل ضيغم للكريهة ضراب
ياسعد ساعدنى وجاهد جنبى فى طاعة الله العلى التواب
حتى نبيد جيش الاعادى بالسيف ونكتسب مجدا رفيعا وثواب
واختم كلامى بامتداح الهادى الطاهر المطهر النبى الاواب

ولما حمل سعد وباقى الفداوية كل منهم قاتل وماقصر كانه الليث القسور واما الملك تاج ناس امرت ارهاط الجان ان يحذفوا العجم بالاحجار والرمل والعفار وكان يوم يشيب الوليد وقد هلك من الاعجام كل جبار عنيد وصارت القتلى رمما على الارض والصعيد ونظر جوان الى ذلك الحال فقال يابرتقش الحق الكهين وشوفه فى الشام ان كان طيب أنا أظن انه مات ما كان جرى على العجم هذه المجرى فغاب البرتقش وعاد على جوان وقال له الكاهن مات وانت ان شافك القان هلاوون لم يبقى عليك لانك أنت السبب فى هذه الوقعة وليس هو مثل ملوك الروم فقول له أنا عالم الملك ارسلنى المسيح الصواب الهروب فأخذ البرتقش وطلبوا الهرب لهم كلام واما ملك الاسلام فانه دام فى حملته حتى ادرك الازدهارات وضرب حامل العلم رماه نصفين ولما مال العلم خطفه المقدم سعد لانه كان هو وابنه محاذيين ركاب السلطان ويحمون جواده ويدورون حوله بالنبال وهكذا ونظر هلاوون الى أعلامه مالت وعساكره هلكت فضاقت به الدنيا فهجم على السلطان وانطبق عليه لانه يعلم انه لم يبق له خلاص من بين يديه فضايقه السلطان ولاصقه وسد عليه طرقه هذا والجمع من الاسلام حول السلطان مانعين الاعجام ويضربوهم بالشاكرية

والحسام حتى ان السلطان طبق على خناق هلاوون وجذبه من رجله واخذه أسيرا وسلمه الى سعد وحلف لابد له ان ينشره ولما علمت بأن قان العجم أسر والكهين هلك ولوا الادبار فاراد السلطان ان ينزل فقال شيحة سر بنا وراهم حتى تأخذ توريز لانك خدمت سبع ركبات فى سبب هذا الملعون فسافر السلطان بالعساكر والملك تاج ناس معه حتى وصلوا الى ملك توريز العجم وقال السلطان ياتاج ناس انتى عليكى فتح أبواب مدينة توريز قان هذا الملعون لو عنى وأتلف على سبع ركبات وأنا قصدى نهب بلده وخراب ملكه وانشره هو وثقلون طاز فانهم بلوى على بلاد الاسلام فقالت له البلد مفتوحة ولم يجد عايق درنك وما تريد وسلطان القلاع قدامك فى قلب البلد فصار السلطان وكبس البلد هلك خلق كثير من الارفاض فاستغاثوا العجم وطلبوا الامان فقال الملك ان أردتم الامان فارموا سلاحكم فرموا السلاح هذا والسلطان جلس على تخت توريز العجم واحدقت به الفداوية والامراء فامر باحضار النشارين ووضعوا القان هلاوون بين خشبتين من الخشب النقى وركبوا على رأسه المنشار فصاح وطلب ان ينشروه من رجليه فنشروه من رجليه ونهب السلطان أموال توريز ودخل السلطان محل الكاهن ارمالية فوجد أموالا لاتعد ولاتحصى فنهبوا السلطان وبعده نشر هلاوون نشر ثقلون طاز فأتى اليه رشيد الدولة ومعه ثلاثة أولاد وقبل الارض قدام الملك وقال يا ملك الاسلام هؤلاء أولاد هلاوون وهم بيازيد وابره ومنكطمر ولكن ابره الاكبر ولكن نرجوا من مولانا السلطان العفو عنهم حتى يدفنوا أباهم ويتولى احدهم على تخت أبيه فقال السلطان يكون الاكبر وهو الكلب ابره وان حصل منه ادنى خلل الحقته بأبيه فقال رشيد الدولة ضمانه على فاخلع عليه السلطان وبايعه على ملك أبيه وكتب عليه الخراج سنوى وشال السلطان من على توريز طالب بلاد الاسلام حتى وصل الى الشام وصار الى المغار فالتقى جثة الكهين ارمالية باقية عظامها فامر السلطان بحرقها فأتوا له كبار الشام وقالوا له نريد منك ان ترفع الاحكام عنا اكراما للشيخ النووى فقال لهم الشيخ النووى دعى على بالعمى ولكن له عندى الكرامة لكونه انه شيخ الاسلام وانا لما أروح مصر أرد عليكم كل ما أخذته منكم كرامة لحضرة الشيخ النووى وسافر الملك الظاهر الى مصر واعطى الامراء حقهم فى الغنيمة واستوفى ماضاع منه فى هذه المدة ادخله بيت مال المسلمين وأعطى أهل مصر كل ما أخذه منهم وانعقد له الموكب وطلع الى قلعة الجبل وجلس على تخت مصر مؤيد منصور اطلق من فى الحبوس وبطل المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الاذية وأقام يتعاطى الاحكام وفى قلبه لهيب النار على الملعون جوان

وسأل عن شيحة فاعلموه انه طلع فى طلب جوان وحلف لا يعود الابه حتى يقطعه كما اجتهد فى اتلاف الاسلام

وأما المقدم جمال الدين فانه صار إلى بحيرة يشرة يدور على جوان فلم يلقاه فاستشرق اخباره فعرف انه فى كنيسة قريبة من مدينة الافلاق فسار قاصد الملك الكنيسة وهى تسمى كنيسة مريم فلما وصل إلى الكنيسة وعرف أن جوان فيها فصبر حتى أقبل الليل ورمى المفرد وطلع من الصور وتمكن من الكنيسه ونزل فلم يلق فيها حد لا أبيض ولا اسود وكان متحمل بضد البنج خوفا أن يكون جوان طالق له البنج فيها وكلما وصل إلى سلالم فلا يطلع على سلمه حتى يجسها فاذا لقاها سلمية داسها والتى بها مهلك يتأمل فى مهالكها حتى عرف المكان طلب وعلم انه ليس فيه شيء يعيقه أبدا فقال فى باله شيحة أن هذا المال الذى فى هذا المكان الاسلام احق به فالصواب أن اجمع الفداوية واقول لهم أن يأخذوا ثلث الاموال واجعل الثلث للرجال والثلث للسلطان والثلث لبيت مال المسلمين وطلع من الكنيسة ولم يأخذ شيئا واراد أن يعود فالتقاه السابق فحكى له على ما جرى فقال السابق يا أبى أن الفداوية طماعين وإذا أخذوا هذا المال يفتتنوا وربما انهم يعصوا عليك إذا قلت لهم خذوا ثلثه كلكم وأنا وملك الاسلام الثلاثة وبيت مال المسلمين الثلث وأنا الرأى عندى أن تعلم السلطان قبل كل شيء فكتب شيحة كتاب وارسله مع السابق للسلطان فلما وصل الكتاب وقراه السلطان فاخذ ابراهيم وسعد والوزير شاهين وجماعة من اكابر الدولة وطلعوا وركبوا وصاروا طالبين شيحة جهة ملك الافلاق والسابق معهم فكان شيحة أخذ الرجال واعلمهم بالمال فقالوا له افعل ما بدا لك فنحن لانخالف مقالك ووصل بهم إلى الكنيسه ودخل وهو متوقع مما رأى وطلع من الصور وفتح باب الكنيسة وادخل الرجال ووراهم المخدع الذى فيه صناديق الاموال فانذهلوا لانه شيء كثير وكان ذلك المال وضعه فى ذلك المكان له سبب ياسادة وهو ان البب رومان ملك رومة المدائن له اربعة أولاد روفس ودومار وفرتين ومرتين لكن كلما ضرب تخت رمل وجد أن الذى يقتله ابنه دوفس فتجنبه خوفا منه وكان دوفس فاجرا على ابيه بما يعلم انه يكرهه ولا يعلم السبب فكان دوفس دائما يأخذ من خزنة ابيه كل صندوق واخوه ويوضعهم فى الكنيسة هذه وقصده انه يحتوى على جميع ما حواه من الاموال حتى لا ياخذوا إخوته منه شيئا وكان اعلم جوان بذلك الحال قد بر له جوان هذا التدبير وأخذ هذه الكنيسة جوان على اسمه ولم يخلى أحدا القسيسين ولا الرهبان يقيموا فيها حتى لا يطلع أحد على هذه الاحوال وصار جوان أيضا يجمع من الروم اموالا على قبول الجهاد وانه يجهلهم

يتعاونون على أخذ بلاد الاسلام ويكون رئيس الركبة رومان وان تأخر رومان يكون دوفش هو الذى يركب بتدبير جوان حتى جمعوا ذلك المال فى هذا المكان وكان الذى جمعه دوفش ستمائة صندوق ملآنه دراهم ودنانير ذهب وفضة ومن ضمنها أربع صناديق عقرد جوهر وفصوص جوهر ولؤلؤ والماس من هذه الاشياء

[قال الراوى] واتفق ان شيحة وهو داير يدور على جوان عبر تلك الكنيسة من غير مواعدة له ونظر الى ذلك المال فاراد ان ينفع به الاسلام فكان هذا هو الاصل والسبب والامر الكائن لما طلع شيحة كما ذكرنا اتفق حضور جوان فتأمل فى الارض وارتعشت اعضاؤه وعلم ان شيحة طالبه وما أتى فى هذا المكان الا ليجد فى طلبه فاشار على البرتقش فقاله نظرك صحيح وشيحة لا يعود الا ومعه الرجال حتى يأخذوا هذا المال فدبر يا جوان قبل قدوم السلطان فقال جوان طيب وخلا كل شيء فى مكانه وصبر الى الليل وأوقد الكنيسة كلها شمع كافورى بالبنج واخفى نفسه وجعل غالب الشمع فى المكان الذى فيه المال وأرسل البرتقش لدوفش يامره بالحضور ويعلمه بالقضية ياسادة واما الفداوية لما انشغلوا عن أخذ الصناديق وكرفوا رائحة الشمع فارتخت أعضاؤهم ولم يبق لهم شيء يأخذوه ونظرهم شيحة فعلم بحالهم وأراد ان يشوف الخبر واذا بدوفش أقبل ومعه جوان فضرب شيحة بدبوس حديد أرماه وكتفه ودخل الى المخدع يلتقى الفداوية ليس لهم مقدرة أن يحركوا يدعن يد فكتفوا الجميع وقال جوان لم يتكلم احد حتى ينظر أمر هؤلاء الرجال ماجاءوا أولاهنا الان كان شيحة أرسل أحد من أولاده يعلم رين المسلمين وأقام شيحة والرجال فى الحديد عند دوفش وجوان له كلام واما محمد السابق فانه وصل الى ذلك المكان وطلع السابق من السور وصفر وكان جوان قاعد له بالمرصاد حتى أقبل فلاعاه حتى نزل من الاعلى الى الاسفل وقبضه دوفش وطلع جوان على الباب فتحه وأوقد شمعة ولوح بها للسلطان فظن انه شيحة فاتى السلطان ومن معه دخل بهم وأشار لهم الى المكان المعلوم وكانت الشموع المبنجة موقودة فدخل السلطان فاخذ البنج هو ومن معه فتقدم دوفش وقبض الجميع وكتفهم وأراد ان يقتلهم فقال له البرتقش خذهم وسر بهم الى ابيك اقتلهم قدامه فاذا رآهم ماتوا يمدك بعساكر تملك بها بلاد المسلمين

قال دوفش صدقت فيما قلت ووضع الجميع فى الحديد ودور بطهم على خيول بالعرضى وطلع بهم قاصد رومة المدائن فقال جوان يا بب دوفش اعطنى شيحة الذى قصده ان يقطعنى وأنا مرادى اقتله قبل ان يقتلنى فقال دوفش كل الاسرى سائرون الى رومة المدائن وحين يصلوا افعل بهم ما تريد فما تم دوفش كلامه الا وخيال مقبل وصرخ لين ونظره

دوفش فقال للقاطرجية الذين يسوقون الخيل ادخلوا بهم فى هذا المغار الذى قدامكم حتى أقاتل انا هذا الفارس وأرده عنكم ونظر جوان إلى ذلك الخيال فعلم أنه مسلم فاخذه شيحة وطلع به الى الجبل من طريق يعرفها وأما دوفش أراد أن يستقبل ذلك الخيال ويقاتل فلما قرب منه ونظر اليه فارتجف من رؤيته فألوى عنان الحصان وهرب فى البرارى والقيعان وأما الفداوى فتبع الخيل وما عليها إلى المغار . فلما دخل قال للقاطرجية ايش الذى معكم فاعلموه فضرب المتكلم رمى عنقه والثانى به الحقه والثالث والرابع جعلهم توابع وكانوا عشرة جعلهم توابع وكانوا عشرة جعلهم عشرين والتفت إلى ملك الاسلام وقال يادولتلى انا اسمى المقدم سيف بن فضل وأبى له النصف فى سلطنة القلاع والحصون وأنا وارث أبى وانتم الآن صرتوا عندى فى هذا المكان ومرادى يا دولتلى ان تكتب لى بالنصف الثانى حجة حتى تبقى السلطنة كلها لى فان كتبت لى حجة اطلقتكم وتمضوا فى حالكم وان خالفت باظاهر والاسم الاعظم اقطع راسك بالشاكرية انت ومن معك من البيلزيجية فاراد السلطان ان يحاوله فقال الوزير ياملكنا اكتب له كما اراد ولا تتوقف فاذا اجتمع هو وشيحة يفتصل منه له فقال السلطان يعتب على شيحة فقال الوزير عذرى مقبول فكتب له السلطان حجة وختمها واعطاها له وقال له يامقدم سيف إذا حضرت عندى فى مصر أنا أساعدك على شيحة

[قال الراوى] وكان قصد السلطان الخلاص هو وجماعته على أى وجه كان واما المقدم سيف بن فضل لما كتب له السلطان الحجة اطلقه وقال له خاص رفقاك وركب حجرته وطلب البر يقع كلام [ياسادة] والملك الظاهر لما خلص هو خاص رفقته وقال لهم هذه بلاوى شيحة ولا اخذنا مال ولا نوال سيروا بنا نطلب بلاد الاسلام واما جوان فاخذ شيحة وطلع به من الجبال وسار به فى البرارى الخوال حتى وصل الى جبل عالى قريب من بحيرة غرة فلما وصل طلع الى اعلى الجبل وشيحة معجبته فاتى إلى بلته وطرق الباب والتفت لشيحة وقال له عمرك رأيت بيت جوان فقال له من أين لك بيت ياملعون فقال جوان هذا بيتى وفيه أولادى ولما انفتح الباب قال جوان ياورمة خذى هذا احفظيه عندك واوعى له فقالت له من هذا قال هذا شيحة المسلمين وقصده ان يقطع اباكى جوان فاخذته البنت وتركه جوان وخرج لينظر ما جرى على المسلمين فالتفت شيحة إلى تلك البنت وقال لها انتى بنت من فقالت له انا بنت عالم الملة جوان فقال لها وهل لكى اخوات قالت نعم انا اسمى رومة واخى اسمه اسفرط فقال شيحة يا هل ترى اذا كان ابوكى يرضى انا كون خدامه كما كنت اولا

لها ربانى ويزوجك لى واقيم عنده واقعد على دين المسيح الدين الصحيح فقالت له ابى يقول انك ناوى تقطعه فقال شيحة أيام كنت مع المسلمين وأما إذا رضى أن يقبلنى كيف اقطعه وأنا زوج بنته وهو يبقى لى استاذ وأنا جيتك وحبك سكن بقلبى والفؤاد فقالت له سق عليه أخى اسفرط وأنا إذا سألنى اقول له رضيت أن شيحة يتزوجنى فقال لها واين اسفرط حتى اسوقه على ابيك فقالت له مقيم فى الدير فى بحيرة غرة فقال شيحة لو كنت مخالص لكنت اروح له فقالت أنا اطلقك لكن تحلف لحلف لها انه يروح يدور على اسفرط فاطلقته وطلع شيحة يدور على جوان وولده لكن محبة تلك البنت تمكنت من قلبه ونزل لحق السلطان بعد نزول شيحة اقبل جوان فوجد بنته فقال لها أين شيحة فقالت له هرب ومراده يكون على دين المسيح ويخدمك كما كان ويتزوج بى فقال جوان انطلى كلامه عليكى يا ملعونة قومى معى فان جاء هنا يأخذك ثم إن جوان أخذ بنته ونزل وترك البيت على حاله لانه نظر السلطان وهو عائد عليه فخاف ان شافه يقتله فما كان له الا الهروب وأما شيحة لما لاقى السلطان حكى له السلطان على سيف ابن فضل وشيحة حكى له على رومة بنت جوان وأخذ السلطان والرجال ونهبوا البيت الذى كانت فيه رومة وانتقلوا للكنيسة نهبوها وأعطوا للرجال سهامهم وطلب العودة إلى مصر فقال شيحة يا ملك الاسلام روح انت برجالك وأما أنا فلابد لى أن اجيب هذه بنت جوان فانى حبيتها ولم يبقى لى صبر عنها وراح طالب رومه له كلام وأما السلطان فانه سار على مصر برجاله جميعا بحسب الذى كلفه فى السير ركبات حتى وصل إلى مصر فزاد له خزنة ونصف وقال السلطان أنا عندى موت جوان احسن من كسب المال فان ذلك الملعون نقمة على المسلمين واقام السلطان يتعاطى الاحكام كما أمره الملك العلام [قال الروای] والسلطان مقيم وقزران طالع فلما وصل قبل الارض وقال يامولانا أنا اغات الحريم تابع السلطان القلاع والحصون وفى هذه الليلة انسرق سيدى من جانب حريمه ولم نعلم غريمه فقال السلطان يلزمنا أن نبحث عنه عد إلى محل خدمتك وإذا بالوالى طالع بقتيل وخدم ودعا للسلطان وقال يا ملك الاسلام هذا غفير سوق الست صفية مرت عليه الليلة فرأيته مقتول ولم اعلم من الذى قاتله فاتيت به بين يديك فقال السلطان ادفنه وأنا ادور على من قتله واجازيه بما يستحقه يا سادة والسبب فى ذلك أن فداوى ظهر من اللجيج اسمه المقدم شجاع الدين وهو من بنى اسماعيل لكنه جار له فى اللجيج سنين عوام فلما ثقل ماله عاد إلى بلاد الاسلام ودخل قلعته ونظر إلى شيحة فسأل عن السلطنة فاعلموه رجاله بشيحة فلم يطق ذلك الكلام وحلف له لا بد

له ان يؤثر فى السلطان الملك الظاهر وشيحة اثر ويأخذ السلطنة منهم غصبا وان تحامقوا عليه بتقلهم وركب حجرته وتزيا بزى عربى بدوى وصار الى مصر ووضع حجرته فى جبل الجيوشى وطلع الى القلعة يلقى السلطان جالس على الكرسى وشيحة جانبه ولكن رجل قصير القيمة فتعجب لكون ان ذلك رجل قصير ويجالس الملوك وهذا مقدام يقف كما يقف الصعلوك واقام يرتقب شيحة ونزل من القلعة وراح الى محل غيره فى صفة رجل غريب بدوى وقال انا من القليوبية وارسلنى شيخ العرب سيف القبائل تعلبة الى ولده شيحة ولم اعلم مكانه فاعلمه الناس ان قاعة شيحة فى الحسينية وبيته فى سويقة صفية فسار الى البيت وعرفه وعاد الى القاعة وصار يدور حولها ولم يلتفت اليه احد ولم يسألوا عنه حتى دخل الليل اراد ان يرمى مفرده على صور القاعة وادا بشيحة خرج من القاعة وسار من الحسينية قاصدا سوق صفية فتبعه حتى دخل الى بيته وطلع على الست صفية وجلس كان الفداوى ياله معه حتى اندرج النوم والفداوى على السطح فنزل عليه بنجه وأخذه من جانب حرمه وطلع من صور البفت ونزل فعيط عليه الغفير وقال من هذا وتقدم اليه فضربه الفداوى رمى رأسه وسار الى حماية وهذا السبب فى قتل الغفير وسرقة شيحة

[قال الراوى] واما المقدم شجاع الدين فانه سافر بشيحة يوم وليلة حتى طلع من الطينة وفيق شيحه وقال له تأكل ياشيحة فقال شيحة يا فداوى أنت على اى شىء واخدنى عندى دين لك والا فتلت لك قريب حتى تقتلنى بدله فقال شجاع الدين واى ذنب ياشيحة تبق بدوى وسلطان على ابناء الحصون وهذا فى العيوب اكبر ما يكون فقال شيحه وغيرك فعل مثل هذا وآخر اطاع فاذا كنت تهتدى بالله رتعطينى وتطلقنى وتبقى جيله اذا وقعت فى يدى ارحمك ولم أقاس عليك وأما اذا عاد تنى تندم ولا ينفعك الندم اذا قال له المقدم فقال شجاع الدين يا ابن سنماته مطيله هل سمعت اذنك ان فى الدنيا مثل شجاع الدين حتى امتثل لكلام المقعبرين هيا كل لك لقمة خلينى اسافر يأكل شيحة على قدر ما اعطاه الفداوى وأخذه وراءه على كفل الحجرة رصار فعبر على قلعة مريكنه وكان بها مقدم عاتق يسمى المقدم مريكن الذى قتله المقدم على بقطر وأخذ حجرته المريكنة واعطاها الابراهيم بن حسن ولما التقى به المقدم شجاع الدين كان صاحبه سابقا فسلم عليه وسأل صلبون المقدم شجاع الدين عن الذى معه فأعلمه بانه شيحة وقصدى ياأخى اعزله وانسلطن انا بدلا عنه ومرادى فى واحد يكون صاحب همة يشاركنى وأسلطنه على مصر والشام وأعزل الظاهر

فقال صلبون انا أكون معك على ماتريد ولا اخشى من الحرب الشديد فاتفق

هو واياه ودخل معه إلى قلعة ووضعوا شيحة فى الحبس وأرادوا أن يقيموا العصيان وينهبوا المسافرين والتجار فقال شجاع الدين حتى أعلمك على حيلة تملك بها المسلمين أنا وانت وهو انك تحبسنى عندك وتوسل للفداوية تعلمهم أنى محبوس عندك وتقول لهم إنك قصدك تسلم معهم وتدخل فى دين الاسلام وتطلبهم يأتوا عندك حتى تسلمنى اليهم فاذا حضروا على ذلك الحال ادغر لهم البنج فى الطعام فيأكلوا ويتبنجوا فنقبضهم ونأمرهم أن يكتبونى ويطيعونى وأكون أنا سلطان القلاع والحصون فان رضوا لا بأس وإن خالفوا اقطعت رؤوسهم وراس شيحة معهم وعلى طول الايام أقتل الظاهر أنا وأجعلك مكانه والسلام ففرح صلبون بذلك وانا معك على ماتريد وقال صلبون اكتب أربعين كتاب إلى أربعين مقدم أرلهم سعد الدين الرصافى وآخرهم المقدم حسن البشنانى وكانت نسخة الكتب الى جناب محبنا المقدم فلان اعلم ان المقدم شجاع الدين ورد على قلعتى ومعه شيحة مكتف فقبضت عليه بعد ما عزمته وبنجته وها هو عندى وقصدى ان تحضر اتفيقوا شيحة والفداوى شجاع الدين لأنى لم أعرف ضد البنج ايش يكون وان الذى أكلوه من البنج شىء كثير كان أعطاه لى جواز ولم أعرف ايش الخلاص منكم وايضا اذا حضرتم تتوسطوا بين المقدم شجاع الدين شيحة لعله يطيعه وتبطل الفتنة والسلام على من قرأ الكتاب وأفاد الجواب وكتب بعده لسليمان الجاموس نقيب الرجال فضرب الطبول على شواشى الجبال فاجتمع الرجال وقالوا ما الخبر

فقال لهم هيا بنا على قلعة مريكنة فان شيحة هناك مع المقدم سجاع الدين وصاروا جملة خمسة وسبعون مقدام ولما وصلوا تلقاتهم المقدم صلبون واكرمهم فقالوا له أين شيحة فقال لهم عندى وأدخلهم على شجاع الدين وقال لهم فيقوه واقبضوه فأعطوا له ضد البنج فافاق فلقى الرجال حوله فقال لهم أهلا وسهلا ما عيب عليكم تطيعوا شيحة فقالوا له يا شجاع الدين طاوع شيحه مثلنا وكن من أتباعه احسن يسلخك لانه صلاخ بنى آدم فقال فشرتم فهم بالكلام والسجان داخل بالحديد وقام شيحة خلص نفسه وكسر الحديد فلما سمع شجاع الدين قال يارجال اقبضوا على هذا الملعون ابن مريكن فقال صلبون لأى شىء يقبضونى هو انا عاصى مثلك وأدخل الجماعة ديوانه وقدم لهم الزاد وفيه البنج فلما اكلوا تبنجوا فوضعهم جميعا فى الحديد وفيق شجاع الدين واقام العصيان معه فقال للمقدم صلبون ضعهم عند شيحة واحترس عليهم حتى أنى أروح مصر ولم اعد الا بالسلطان حتى اقطع رأسه أو ينزل لى من على السلطنة ولكن احتفظ أنت على هؤلاء المحبوسين فقال له على رأسى وركب شجاع الدين

وسافر إلى مصر فلما وصل مصر وضع حجرته فى مغار وسد عليها بالأحجار وصار إلى قلعة الجبل فلزم باب القلعة ولم يفارقه طول النهار ولم يختلط بأحد خوفا من الانكسار وعند الغروب دار حول القلعة حتى عرف المرايات وبات عند حجرته فى المغار فلما عرف أن ابراهيم بن حسن غفير بيت السلطان ومعه سعد فصار بالنهار يتسلل فى الليل يبات فى الجبل إلى جمعة كان ابراهيم وسعد بالعادة يبات فى القاعة والسلطان يبات فى الحريم فلما علم المقدم شجاع الدين ان الملك هذه الليلة لم يتداركه أحد فرمى مفرده وطلع إلى مبيت السلطان وكان بالأمر المقدر هذه الليلة قاق الملك ولم ينم إلا فى الثلث الأخير لأن قلبه مشغول على غياب شيحة فانذعر عليه الفداوى بقلب جسور وغطى وجهه بمنديل مبنج ألقى النوم عليه ووضعه فى جمدان وطلع به إلى المكان الذى نزل منه وسار إلى المغار وأخرج حجرته وركبها وأردف السلطان وراءه وطلب البر والفلاء فما طلع النهار إلا وهو فى ارض بعيدة وطلع النهار وأتت الأمراء ينتظرون الملك فالتقوه عدم وشاع الخبر بذلك فنزل السعيد وجلس على كرسى القلعة وقال يا أمراء مصر السلطان فقد فى هذه الليلة وعمى المقدم جمال الدين قيل عنه انه فى قلعة مريكنة عند صلبون ابن المقدم مريكن وانتم امراء وليس فيكم من يجتهد فى حرب هذا الملعون حتى يخلص عمى شيحة والفداوية لو لم يكونوا منحاشين لكانوا اجتهدوا فى حرب ذلك الملعون وأنا بلغنى أن صلبون هذا ماقواه الا المقدم شجاع الدين وعلمه حيلة فعلها على الرجال حتى قبضهم فقال ايدمر البهلوان يا بعض شاء أنا اروح إلى هذا الملعون واتركل على من يقول للشىء كن فيكون إما انى اقتله وأسر شجاع الدين وأنال النصر من رب العالمين أو اكون مثلهم مسجون وكل عسير لابد ان يهون فعندها قال السعيد من تأخذ معك فقال أخذ معى الامراء الذين يتبعونى فلان وفلان ثلاثين اميرا فعينه السعيد وامره أن يأخذ مطلوبه وبرز ايدمر إلى العادلية وسافر طالب قلعة مريكنة كلام وأما شجاع الدين لما دخل بالسلطان قلعة مريكنة وحبسه مع الرجال فقال شجاع الدين فى باله أن هذا الملعون نصرانى وكيف انه يساوينى وهو قاعد فى قلعته ولا يفعل شيئا والتعب على أنائم انه دخل على صلبون ذبحه وقبل جماعة من القلعة وطفشوا الباقين فدخل وطلع السلطان وشيحة والفداوية وشدهم على خيالهم عرضا ونهب قلعة مريكنة وسافر منها إلى قلعة صور ودخل البب صوردين فالتقى عنده جوان فقال اهلا وسهلا بسلطان القلاع والحصون ايش معك ياسيدى ما جوان أنا معى الظاهر وشيحة وبنو اسماعيل الذين طايعنهم ومرادى أهلك الجمع والسلطان أنا بدلهم فقال جوان تستاهل والتفت إلى البب

صوردين وقال له قم غازى مع المقدم شجاع الدين حتى تملك بلاد الاسلام فازالا على الدندنة عندك محبوسين فقال سمعا وطاعة وقام جهز نفسه وركب بعساكره وسافر حط على حلب وكان ايدمر اراد ان ينزل على قلعة مريكنة فعلم بالركبة فسار الى حلب ونصب عرضيه وأقام ليلته وثانى الايام انفتح باب الحرب فنزل الامير الجاولى الى الميدان وطلب البراز فنزل له شجاع الدين بامرجوان وقاتله ساعة زمانية فأسر الجاولى ونزل بعده الخطيرى اسره وبعد بشتك وسنقر وبهاء الدين اندق طبل الانفصال وفى الليل نزل شجاع الدين سرق خمسة امراء وثانى الايام حارب وأخذ خمسة امراء وفى طرف أربعة ايام أسر وسرق الثلاثين امير ولم يبق الا ايدمر وحده فنزل الميدان وتقاتل مع شجاع الدين الى الى الظاهر فضربه أيدمر بالحسام جرح صفه وشجاع الدين ضرب أيدمر وقعت الضربة على عنق حصان ايدمر فقفز ايدمر الى الارض فهجم الفداوى على ايدمر وهو على الارض وضربه فزاع منه وكان ايدمر فى الصراع فى اعلى درجة فانتب للفداوى وزاوغه ونظر شجاع الدين فى نفسه فرأى ان ايدمر يفوق عليه فعاد الى الرضى حارب حتى وصل الى الملك صوردينى وقال له أنا قصدى ان نعود الى صور لان قلبى خائف على المحبوسين يتسبب لهم من يخلصهم ويضيع تعبى فسرنا فى هذه الليلة نعاود إلى صور فقال صوردين افعل ما تريد وشال من أول الليل كمثل المكسور حتى وصل الى صور اصبح ايدمر فرأى النصارى راحوا بلادهم فشال خلفهم من خوفه على الامراء وصار حتى وصل الى صور ونصب العرضى قدام البلد ونظر المقدم شجاع الدين الى عرضى الاسلام تبعه الى هذا المكان فانفاظ وقال لجوان انظر هذا البيلرجى أنا تركت له حلب ولم يخلصه دلك حتى لحقنى الى هنا فقال له جوان منك أنت لو كنت لما سرقت الامراء سرقته لكنت استرحت منه

فقال شجاع الدين فى هذه الليلة انزل وأسرقه هذا المعرص ثم انه صبر الى الليل ونزل واختلط بناس العرضى ودار حول صيوان الامير ايدمر ورمى فيه فارتجت نار وفيها البنج وشق الصيوان من ظهره ودخل الى ايدمر لفه فى جمدان ولفعه على أكتافه وطلع من الصيوان واذا بالذى صرخ فيه وضربه بشاكريته وقعت على عقيصة ظهره فوقع الى الارض وميل عليه وأوثقه كتاف وسلمه الى توابع ايدمر فوضعوه فى الحديد وكان الذى فعل تلك الفعال المقدم حرب بن عزاقيل وسبب مجيئه كان السعيد خاف على ايدمر ومن معه من الامراء وأيضا قلبه على أبيه وعلى شيحة فالتفت ان المقدم الحرب ابن عزاقيل اليفروى وقال له مرادى ان تلحق ايدمر البهلوان وتساعده على خلاص ابى ومن معه من الاسلام

فقال له الحرب هذا عين مقصودى أنا ألحقهم واكتسب الثواب وكان المقدم الحرب خلف ولدا وسماه حرب على اسمه وكبر وبلغ مبلغ الرجال فاحضره وقال له ياحرب ياولدى انا مسافر سفر بعيد وقليل رجوعى فوصيتك يا ولدى بامك وتركها ولبس عدته وركب حجرته وسار حتى وصل الى حلب فالتقى العرضى شال فتبع الجرة الى صور وكان دخوله ليلا فالتقى شجاع الدين وهو حامل ايدمر فلطشه وخلصه منه ووضعه فى السجن رفيق ايدمر وقال له ياأمير احترس على نفسك قدام الاعداء فقال شكر الله فضلك ياهيدى حرب والله العظيم هذه لم انساها فقال الحرب اصبر لما ندخل الى صور وأنظر لعلى اخلص الفداوية والامراء والحاج شيحة والسلطان ودخل المقدم حرب الى بوان صور فكان جوان قاعد سهران ينتظر قدوم شجاع الدين بايدمر واذا بالمقدم حرب داخل عليه فنظر له جوان فعرفه فعلم ان شجاع الدين انقبض وهذا حرب بن عزاقيل هو الذى قبضه فكلم البرتقش وقال له ياسيف الروم ساعدنى على قبضه فقام البرتقش وجاء من وراء ظهر حرب وضربه بدبوس حديد على اذنه فارتمى حرب فى الديوان فقام جوان وقطع رأسه وهو فى غشوته وقال ياسيف الروم ادخل عرضى المسلمين وخلص يا ابنى شجاع الدين خليه يساعدنا على المسلمين الذى مرادهم يغشوا جوان وانا قصدى اخلص تارى منهم قبل موتى وانت يا ابنى ذخيرتى وعليك عمدتى فى شدتى فانى ربيتك فقال البرتقش انا انزل واخلصه لكن والاسم الاعظم ان غدرت من المسلمين أحدا لأفرى بطنك بالخنجر وادخل دين الاسلام فقال جوان والاسم الاعظم لم أغدر ولم أقتل احدا من المسلمين الا برضاك فقام من عند جوان البرتقش ودخل عرضى المسلمين ينبح الغفرى واخذ شجاع الدين وطلع به على حمية وأى حمية فقال شجاع الدين من أنت فقال أنا البرتقش وحكى له على قتل الحرب الذى قبضه فقال له من قتله فقال جوان فصعب على شجاع الدين موت حرب وطلع مع البرتقش الى الديوان فالتقاه جوان وقال لا تظن ان جوان يغدر بك كلا تقع اخلصك وبكرة انزل احارب فقال شجاع الدين انا بقيت اقعد عن الحرب ابدا ولو كنت أشرب شراب الردى ثم انه ركب على ظهر حجرته وبرز الى الميدان وصال وجال فى أربعة اركان المحال ونادى بصوته وقال ميدان ياظاهرية ميدان يابيلرجية ميدان يافداوية ميدان ياسماعيلية ياغنم شيحة القصير والله ياقرون لم يبق لكم خلاص مالم تبايعونى على السلطنة والا أقلع آثاركم واخرب دياركم واقتل كبيركم وصغيركم فعند ذلك ركب الامير ايدمر البهلوان وقفز الى الميدان واذا بخيال خرج من مدينة صور راكب على جواد قرطامى وقال ارجع يا أمير أيدمر

حتى انى أحارب هذا الكلب وأعرفه قدره فتأمل ايدمر لذلك الخيال واذا به ملك الاسلام فصاح سلام ورحمة الله انطبق السلطان على المقدم شجاع الدين وضايقه ولاصقه وضربه بالله الدمشقى رماه من على حجرته لى الارض وقال كتفه ياأمير ايدمر فنزل ايدمر وشده كتاف وقوى الله السواعد والاطراف وساقه الى عرضى الاسلام واقبلت الفداوية والامراء على خيولهم كانهم لم يكونوا محبوسين فتعجب من ذلك ايدمر البهلوان

[قال الراوى] وكان السبب فى خلاص السلطان ومن معه من أبطال الاسلام ان ملك مدينة صور وهو البب صوردين له بنتين الكبيره اسمها مريم وكانت مترهبة ومقيمة فى الدير والصغيرة اسمها ضياء وكانت مقيمة عند أبيها واختها فى كل سنة تأتى الى عندها وتزورها وتبيت ليلة أو ليلتين وتعود الى الدير فاتتها فى هذه الايام وباتت عندها فرأت فى منامها ان القيامة قد قامت والميزان انتصب ورأت الاسلام يخطرون الى الجنة والنصارى يساقون الى النار فقالت للذى يسوق النصارى لماذا تسوقنى معهم وأنا قطعت عمرى مقيمة فى الدير اتعبد فقالوا لها بئس العبادة التى تعبديها فانها الاكفر وضلال ولا يعبد بحق الا الله الملك المتعال وساقوها الى جهنم فقالت أنا مستجيرة بأهل الايمان واذا برجل من الاسلام أخذها وقال هذه زوجة ولدى فقالت له ياسيدى ومن أنت فقال لها أنا حرب ابن عزاقيل اليفروى قتلنى جوان قدام أبيكى ومت على دين الاسلام ولى ولد اسمه حرب على اسمى فاذا طلع الفجر ادخلى للسلطان اطلقيه وسلمى عليه وقولى له يسلم عليك خدامك حرب ويقول لك من فضلك خذنى معك واعطنى لولده حرب فافاقت البنت وقلبها متعلق بما رأت ونزلت ليلا الى السجان وقالت له اين المسلمين المحبوسين فادخلها اليهم فانحنت على السلطان وباست رجله وأطلقته والسلطان أطلق شيحة وشيحة أطلق الجميع وقال للبنت اطلعى عند اختك ودخل الاصطبل نقى من الخيل أجودها وركب السلطان على حصان قرطامى مثل حصانه وكذلك الفداوية وطلع ذبح الغفرى وغطل المدافع وينج الطبجية وكان جوان أمر شجاع الدين بالحرب نزله الميدان فلم يشعر الا والدنيا انقلبت وابطال الاسلام من فى البلد زحفت وأما السلطان فانه لحق شجاع الدين وأسره كما ذكرنا وعاد الى البلد كانت الفداوية والامراء ملكوا السراية وأهلكوا الكفار وأورثوهم الهلاك والدمار فطلع السلطان وجلس على سرير البب صوردين وطلب الملعون جوان

[ياسادة] فأمر السلطان محصور والاسرى الذى أسروهم من صور الى بين يديه وسألهم عن ملكهم فقالوا يا ملك الاسلام ليس لنا ملجأ الا ان كان يروح الى عسقلان فانه له مع ملك عسقلان

محبة من قديم الزمان فعند ذلك أمر العساكر أن يشيلوا بالعرضى بعد ما نهب صور ولم يتركها الا خراب يزعق فيها البوم والغراب وسافر السلطان طالب عسقلان . وأما شيحة فتش على شجاع الدين فلم يجده فطلع تابع جرته وكان الذى أطلع شجاع الدين تبع من أتباعه فراح إلى قلعته وأما شيحة سائر فى الطريق فالتقى رجل بدوى يتوكا على عصى وعلى عينيه رفروف خلق وهو يقول يامن ياخذ بيدى ويدلنى على الطريق فتقدم شيحة اليه ليعرفه فضربه بالعكاز الذى فى يده وقبض على خناقه وقال له وقعت يا شيحة أنا لى سنين بدور عليك فقال شيحة وأنت من تكون يامعون فقال أنا اسمى دبيران نصرانى والذى أرسلنى أدور عليك المقدم كفير ولم يبق لك خلاص منى حتى أسلمك اليه ووضعه فى جدران بعد أن بنجه وحمله وسار به الى قلعة المقدم كفير فلما رآه فرح به وقال وقعت يا شيحة أنت ناوى تقطع عالم الملة وتخلى الدنيا بغير جوان حتى ينقطع المطر ولم يبق زرع ولا نبات ثم انه حبسه عنده وطلع يدور على جوان يعطيه له يقتله وهذا الذى جرى فلما سمع المقدم بدر الغفير هذا الكلام بنجه وحبسه فى مغار وسد عليه بالاحجار بعد ما كتفه كتاف شديد وسار إلى قلعة كفير وطلع من السور ليلا قتل دبيران وفك المقدم جمال الدين شيحة وكان فى القلعة خمسون كافر قتلهم بدر الغفير وساعده شيحة حتى أخلوها ونهب بدر الغفير القلعة ولم يبق فيها إلا امرأة عجوزة ونزل الى المغار ذبح كفير وأخذ الأموال وعاد طالب قلعته وأما شيحة فانه طلب قلعة شجاع الدين حتى وصلها فتصور فى صفة رجل ضعيف أتلفه الكبر وسار إلى باب القلعة وطلب القوة من الحى الذى لا يموت فقال شجاع الدين هاتوا ذلك الفقير حتى أنظره لربما يكون شيحة فأتوا الكواخى اليه وأخذوه قدام شجاع الدين أوقفوه فلما بقى قدامه ارتعش قليل وارتمى على التراب فقلبوه واذا هو ميت فقال شجاع الدين مات المعرص ولا بد ما معه قبارصة افتشه قبل أن أدفنه ثم انه فتشه فرأى معه صرة ملآنة بالذهب فادخله فى قاعته وقال أنا أكفنه وأدفنه بكره وصبر إلى الليل واختلى المقدم شجاع الدين وصار يقلب هدوم الميت فعثر صره ثانية فقال هكذا الشامتين عندهم قبارصة فحله وفتح الصرة فخرجت منها رائحة دخلت فى مناخيره أسكرته واستحيى ذلك الميت وقام اليه ولفه فى جدانه ونزل به من سطوح القاعة إلى الخلا وسار به إلى مغار وشيحه فى أربع شباحات وفيقه فقال اشهد ولا اجحد فين أنا فقال له شيحة انت عندى يا مقدم شجاع الدين ايش الذى أغراك على ذلك العمل حتى خضت فى بحر الجهل والضلال وتعديت على الرجال فقال شجاع الدين وأنت من تكون فقال له انا صاحب السوط الغضبان أنا ابو السابق ونورد ونويرد وعلى

الطويرد عياق الايمان انا سلطان القلاع والحصون وملك بنى اسماعيل أنا المقدم جمال الدين فلما علم شجاع الدين ان جمال الدين شيحة فقال له وايش نيتك أن تفعل معى ياشيحة فقال له اما ان نجاهد فى الله عما سلف وإلا أعرفك مقامك فى هذا المكان لانك تدعى كذبا واما فعلك يورث التلف فقال اطلع فطلع السوط الغضبان وضربه بالسوط فقال الخوند والاسم الاعظم فدهن له محل الضرب واطلقه وقال له سر معى قدام السلطان حتى اكتب اسمى على سلاحك واكتبك إلى الديوان وسار به إلى مصر وطلع الديوان فوجد السعيد جالس فسأله عن ابيه فقال ياعم من حين جانا الخبر انه شال من على صور قاصد من عسقلان لم نعلم بعدها ايش جرى فقال شيحة أنا اتبع جرته وطلب عسقلان وكان السلطان لما حط على عسقلان ارسل كتاب إلى ملك عسقلان يهدده فيه بخراب عسقلان ان لم يقبض على جوان والبرتقش وملك سور ويأتى بهم اليه فارسل ملك عسقلان الجواب بالطاعة للسلطان وأوعده بانه يقبض على جوان إذا أقام عنده ثم ان عسقلان أخبر جوان بذلك وقال لابد أنك ترحل من عندى وإلا أقبض عليك وأرسلك للسلطان غدا فقال له جوان انا أبات عندك تلك الليلة وبكرة سلمنى له ثم ان جوان اخبر البرتقش بذلك وعزموا على ذبحه ليلا فذبحوه وفيقوا ملك صور فركب حصانه والبرتقش ركب حصانه وجوان ركب حمارته وخرجوا من مدينة عسقلان حتى وصلوا الى البحر فالتقوا مركب طالبة جزاير الذهب فنزلوا فيها وأما اهل عسقلان أصبحوا يجدوا ملكهم مذبوح فخرجوا للسلطان وأعلموه فقال هذه أفعال جوان وشال الملك بالعرضى إلى صور وأرسل سعد جاء بالمراكب وقال لابد ان اتبع جوان وكان الذى أعلمه ان جوان نزل البحر أهل عسقلان لانهم شافوه وبعد أيام جاءت المراكب فنزل السلطان فى القراب العظمى ونزلت الامراء والفداوية فى المراكب وسافروا وقاموا فى الاسكندرية فطلع عليهم ريح وقام البحر وقعد نتفرقوا كل مركب فى ناحية

[قال الراوى] واما ما كان من أمر شيحة فانه وصل الى عسقلان فلم يجد السلطان فقال له شجاع الدين ياخذنا اطلع أدور من جهة وانت من جهة حتى تعثر بجوان أن لقيته انا أحضرته بين يديك وان لقيته انت فهو المقصود فقال له شيحة الله ينصرك

[ياسادة] واما السلطان فما أفاق البطريق الا والغراب العظمى مجرور الى جزيرة من غير احد يجره لا بقلوع ولا مقداف حتى دخل إلى جزيرة وكانت هذه الجزيرة اسمها جزيرة الغار المطلسم وكان فى تلك الجزيرة مغار مطلسم وعليه طير من الحجر

مرصود إذا جات مركب يزعق ذلك الطير والرصد يسحب المركب حتى يدخل الجزيرة ويزعق الطير ثانيا ويقول أهل الجزيرة جاءكم فلان وفلان وكان حول ذلك المغار اثنا عشر حصن وفى كل حصن الف مقاتل فلما دخل الغراب سحبه الرصد نزلت الافرنج قبضت الاسلام باليد فان الرصد رسم عليهم بان لا يقاتلوا فاخذوهم وادخلوهم قدام حاكم المغار وكان اسمه كفرون فلما صاروا قدامه قال لهم من فيكم سلطان المسلمين فقال السلطان أنا وكان كفرون هذا له أخ أنا نابح الزبن ساكن فى قلعه البوغاز وهى قلعه حصينة مكينة وأراد كفرون أن يقتل السلطان فقال له السلطان تقتصر يدك يا كلب أن تمدها وأنا خائف سباع الاسلام أفلا يد من خراب ملكك وليس لك ملجأ وكانك باخى سلطان القلاع والحصون يخلصنى ويقاتلك فقال احبسوا المسلمين عند أخى فاخذوهم وسلموهم إلى أخيه فى قلعة البوغاز فاراد أن يحبسهم وإذا بكتاب قادم عليه من عند الملك دورا صاحب مجمع البحرين وعند دخول القاصد نظر المسلمين فلما أخذ نابح الكتاب قراه فرآه يطلب الخراج فقال سمعا وطاعة فقال له أنا مستعجل اسافر إلى قلعة سيدى وأعود ثانيا فقال له المال حاضر وعبى له الخراج وسلمه وأعطاه عساكر توصله إلى قلعة مجمع البحرين فلما دخل النجاب وسلم المال فقال له البب دور أنت ايش عوفك حتى غبت على قدر هذا فقال يا بب أن البب نابح كان مشتغل بحماعة وهم ملك الاسلام ومن معه فكان ذلك سبب اعاقتى فقال له وهذا الوقت ملك المسلمين عند البب نابح الزبن محبوس فقال نعم فقال له وايش قدره هذا الكلب حتى قبض على ملك المسلمين وأنا اعلم أن ملك المسلمين قوى وكل النصارى يوردون له الخراج فحكى له أن الذى ارسلهم له أخوة صاحب الجزيره والمغار المطلسم كفرون فتعجب البب دورا وقام وطلع إلى والدته وكانت أمه دائما تقول له إن المسلمين أهل شجاعة فلما طلع لها قال لها يا امى أنت كنت تقولين لى عن المسلمين انهم أهل شجاعة وها هو احتال عليهم كفرون وقبضهم وارسلهم لا خيه نابح سجنهم عنده فقالت له يا دورا يا ولدى إن قدرت على خلاصهم فخلصهم لان المسلمين دول أملك وأنت مسلم صحيح فقال لها وكيف ذلك فقالت له أنت ابوك اسمه الملك محمد سيف الدين عرنوس وهو من اكابر الاسلام وهذه نسبتك وأنت حقيقة مسلم وابن مسلم والسبب فى ذلك انى تزوجت ابوك بالكتاب بعد ما اسلمت على يديه وكان جوان حضر هنا واغرى أبى على قتله لما رآنى اسلمت وبلجه واراد أن يقتله فحضر شيحة وهو سلطان القلاع والحصون وقبض على ابى وخلص اباك ثم حضر ملك المسلمين واحتال شيحة وفتح البلد وقبض على ابى

وأراد ان يقطع رأسه فقال يارين المسلمين أنا بقيت نسيب الملك عرنوس فكيف تقتلونى فقال له ملك المسلمين فمن حيث ان بنتك زوجة الملك عرنوس عفونا عنك ومن الآن وصاعد مرفوع عنك الخراج والعداد وجمع البلاد الذى حولك اقبض انت خراجهم لمصروف بنتك زوجة الملك عرنوس ترى حالها فى الدلال وتبقى البلاد للذى تضعه زوجة الملك عرنوس ان كان ذكرا او انثى وكل من عارضك أوعصى عن دفع الخراج لك فارسل اعلمنى وانا انزل عليه أخرب بلاده وأهلك عساكره واجناده وكتب له السلطان فرمان ملكى وختمه وكذلك أبوك الملك عرنوس أعطانى نسبته وقال لى بارقطة ان وضعتى ولدا فاعطيه نسبتى ربما يقع فى يد أحد من الملوك ولم يعرفه أحد وسافر أبوك مع الملك واقام أبى مدة أيام حياته يأخذ خراج تلك البلاد بموجب فرمان الملك ولما مات أبى أخذت أنت البلاد ولا أحد من الملوك قدر يتحرك عليك لعلمهم ان هذه البلاد لك أنت بموجب فرمان ملك المسلمين فقال دورا وعلى ذلك بقيت أنا ليس ابن الملك الرقشوان فقالت له الرقشوان أبى أنا واما انت ملك الفلا بسيف أبيك عرنوس والملك الظاهر عم أبيت واذا علم السلطان انك ابن عرنوس ياخذك وان أسلمت يعطيك بلادك فى بلاد الاسلام واما تخت مملكة ابيك فمدينة الرخام فلما علم الملك دورا من امه بذلك الكلام والاحكام كشف الله عن قلبه حجاب الغفلة وهداه الاسلام وقال لها يبقى انك لما تقعدى وتقومى وتوطى رأسك وتبركى فى الارض يعنى انك مسلمة لانى لم أرى احدا فى النصارى يفعل ذلك غيرك فقالت له انا أصلى لان الصلاة من جملة قواعد الاسلام فقال لها علمينى حتى اسلم واتبع أهلى فعلمته الوضوء والغسل والصلاة وقدمت له فرمان السلطان حتى ثبت عنده البرهان فعند ذلك لبس عدته وصار يطلب أكابر دولته الذى عليهم المعتمد ويختلى بهم واحدا بعد واحد وكل من اختلى معه يقول له يافلان انت تعلم انى انا ابن الديابر وعرنوس وابى مسلم وانا مرادى اسلم لان الاسلام نور والكفر ظلام

فما تقول فى ذلك فيقول له يا بب أنا موافقك على ماتريد فيسلم معه وعلى ماعول عليه يطلعه والذى ينظر منه الخلاف يناويه تحت ليلة ويعجل له التلاف حتى ان جميع أكابر دولته صاروا مسلمين وأمرهم ان يعرضوا على عساكرهم وهكذا حتى ان العساكر كلها اسلمت وبعدها نادى على الرعية بالمنادى ان الملك دورا ووزراءه وعسكره مسلمون فمن أراد ان يقيم فى بلاده فليسلم والكافر يطلع من بلده ويقيم ببلد غيرها فسمعت الرعية فهداهم الله ولم يمض شهر حتى أسلمت أهل البلد رجال ونساء

وبعد ذلك جهز ركبته وأمر عساكره بالجهاد فقالوا سمعا وطاعة وشال وحط على قلعة البوغار وعلم البب نايح الزين بقدومه فارسل الاقامات والعلوفات فلم يقبل وأرسل يقول له تحضر للحرب فانا جيتك محارب فنزل اليه وتقدم بين يديه وقال له يابب دورا اى ذنب بدأ منى حتى أتيت تحاربنى وأنا أرسلت الخراج قال دوره نعم ولكن سمعت ان عندك ملك المسلمين وأنالى عنده ثار وهو قاتل أبى وقتل من دولة أبى خلق لا تعد ولا تحصى وأنا حالفت يمين لابد لى من قتله ويكون جميع عسكرى ورجالى واقفين يتفرجون عليه فان كنت تسلمه لى هو ومن معه أقطع رؤوسهم عندك فى قلعة البرغاز او تعطيهم لى أعود بهم الى بلادى اقطع رؤوسهم فى ديوانى حتى يسمعوا ملوك الروم انى أخذت ثارى ولم يبق أحد يعايرنى وان رضيت ان ادخل بلدك واقيم حتى اقطع رؤوسهم قدامك وأعود فالرأى لك واما ان خالفتنى احاربك فقال البب نايح ياسيدى ادخل أنت ومن تريد افعد فى الديوان واحضرهم بين يديك حتى تقتلهم بسيفك فقال له البب دورا افتح البلد وادخل أنا واياك واحلف لى يمين بالصليب أنك لم يكن منك إطائرة ولاغدر وانا أيضا احلف بالصليب لخلف وقام دورا ودخل معه الى القلعة واكابر الدولة صحبته وقعد فى الديوان وطلب المسلمين فلما حضروا أمر البب ان يصفوهم صفا واحدا وكان أبو بكر البطرنى جنب السلطان فقال يا مولانا اطلب لنا الفرج فان نفسك طاهر

فقال السلطان يا أبابكر صاحب الدما حاضر وانا والله قلبى يحدثنى بالخلاص وان هذا الولد من سلالة الاسلام والذى يعلم ذلك الله الملك العلام هذا والملك دورا قام على حيله وقال من فيكم ملك المسلمين فقال الملك الظاهر أنا المطلوب قال له أنت الذى قتلت أبى وهو فى يده الحسام حتى طلع ولمع وضرب به نايح الزين على وريديه أطاح رأسه من على كتفيه وصاح حاس يا كلاب الانج انا الملك دورا صاحب مجمع البحرين وأبى الملك عرنوس ابن المقدم معروف شهيد أنطاكية وبعض رجال الملك دورا قطع كتافات السلطان وأبى بكر البطرنى وترابعهم وهم فكوا جميع الاسلام وزحفت عساكر الملك دورا وصاحوا جميعا الله اكبر وكل منهم وقف فى وجه الكفار وما نعوا عن السلطان حتى قام على حيله وتأهب القتال وصاح بصوته المجهر وقال حاس الله اكبر وصاح ابو بكر البطرنى الله أكبر وتبعتهم الاسلام وغنى الحسام الصمصام وانفلق الهام وهشمت العظام واسودت الدنيا بالاعتام ونصر الله أهل الاسلام وأخذل أهل الكفر اللئام ودام السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل حتى ولى النهار فتضايقوا أهل الكفر والطغيان

وطلبوا من الملك الظاهر والملك دوره الامان فنادى المنادى لا أمان الا لمن يدخل فى الايمان فالذى اسلم نجا والذى لم يسلم أخذوه على براشق السيوف كالقطن المندوف ولم يمض قليل الا والمدينة كلها اسلام توحد الملك العلام وجلس السلطان على تخت البلد وجمع أموال الملعون نايح الزين وكل ما حوته يديه من الانعام ولم يحفظ الاموال من دخل فى دين الاسلام ولما انتهى الامر قام الملك دوره قبل يد الملك الظاهر واوراه الفرمان الذى بخطه وختمه ونسبته وقال يا ملك الاسلام انا ابن الملك عرنوس فبكى السلطان وتذكر الملك عرنوس وقال له يا ولدى ومن حيث أنك مؤمن ابن مؤمن وعساكرك مؤمنون فيجب عليك الجهاد لانك قادر عليه فقال نعم عليك الامر وعلينا الاطاعة فقال الملك الظاهر منذه الجزيرة التى فيها الملعون كفرون وهو حاكم اثنى عشر حصن والمغار المطلسم فقصدى دخول الجزيرة حتى أملكها واطل ذلك الطلسم الذى فيها فقال دوره يا ملك الاسلام ها أنا ورجالى بين يديك وشالوا بالعساكر وحطوا على تلك الجزيرة فلما علم بهم البب كفرون سأل عن الخبر فقالوا توابعه يابب ان أخاك نايح قتلوه وان البب دوره ملك مجمع البحرين ظهر حاله انه مسلم وأهل بلده جميعا أسلموا وأتى إلى اخيك البب نايح قتله وأما عساكره فالبعض أسلموا والبعض قتلوا وهاهم جميعا أتوا اليك ليخربوا بلادك ويهلكوا عساكرك واجنادك فلما سمع ذلك الكلام قام على حيله وعلق سيفه فى رقبته وقلع القلنسوة من على رأسه ومشى حتى وصل قدام السلطان وقبل الأرض ووضع مفاتيح بلده الذى هو فيها قدام الملك قال له الملك دوره يا كفرون انت إيش مرادك قال مرادى أن أقيم فى بلدى تحت الامان وورد الجزية سنوى وتبقى بلادى عمار قال لدياقلب لم أهلكت مراكب وأخذت أموالها بالرصد الذى على البحر وهو اتلاف الاموال الناس وأنا أقول وحق دين الاسلام ورأس السلطان ليس لك خلاص إلا بالاسلام فان كنت تسلم فاسلم هذا الوقت وان كنت تقيم على الكفر خذ مفاتيح بلدك وعد ووضب عساكرك وحضر نفسك الى أن تبلغ ما تريد وبعده يقع الحرب والقتال بيننا وبينك فلا تظن فى نفسك اننا نغدرك لكون ان تورد الجزية للسلطان لانك حصل منك تباحة فى حقه لا يخلصك منها الا اسلامك وان كنت تحارب دونك وما تريد قال كفرون أنا ارضى اه ادخل فى دين الاسلام ولكن احتاج إلى من يعلمنى فقال له قل كما قلت أنا اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم ونطق بكلمة الاخلاص فقال الملك أنت خلصت من الكربة فيبقى عليك ان تسأل ارباب دولتك فالذى يسلم نقبله والكافر نقتله قال يا ملك

الاسلام أنا لم أسأل عن غيرى دونكم وما فى الحصون وأما انا فلم أفتر عن الاسلام وأويد أن تغير اسمى هذا فانه مشابه للكفر فقال له الملك أنت اسمك منصور ولقبك غافرون ففرح بذلك الاسم الحسن وأمر الملك با حضار أرباب الاثنى عشر حصن وأعلمهم باسلام ملكهم فأسلموا جميعا وهدى الله قلوبهم للايمان وبعد ذلك قال السلطان أروني ذلك المغار المطلسم فاخذه الملك غافرون وأوراه مغارفى جبل منقور بالازمير متركب عليه منارة عالية على رأسها شخص من الحجر فامر السلطان الطبجية يركبوا المدافع على ذلك المغار حتى كسروها وبطل الرصد الذى كان عليها وانقلبت الجزيرة اسلام توحد الملك العلام وفرح السلطان بذلك الفتح المبين وفى ذلك الايام أقبل المقدم جمال الدين شيحة وصحبته المقدم شجاع الدين وكانوا فى كل هذه المدة دايرين من جهة إلى جهة حتى أتوا إلى هذا المكان واجتمع شيحة مع السلطان وأخبر باطاعة شجاع الدين فازداد السلطان فرحا على فرحه وتقدم إلى الملك دوره وسلم عليه وتذكر الملك عرنوس فبكى عليه وكذلك السلطان فقال شيحة يا ملك الاسلام والله ما كانه الا عرنوس أيام صباه سبحان من خلقه وسواه ثم ان شيحة طهره وطهر الملك غفرون وأتباعه وجميع من أسلم وقال الملك دورا يا ملك الاسلام أنا لم يبقى لى صيوان أقيم فى بلاد غير بلاد أبى ومرادى أسير معكم إلى بلاد الاسلام وانيب عنى هنا الملك غفرون صاحب جزيرة المغار المطلسم والمنار على هذه الارض والديار ثم انه ركب هو والسلطان وشيحة وشجاع الدين والبطرنى أمره السلطان أن يصلح شأن الغراب لاجل السفر وكان الملك دورا له غليون وهو من العجائب اسمه ضوء القمر فامر القبطان ان يجهزه للسفر وكان للبطرنى ولد وهو أصغر اولاده اسمه محمد جافى رأسه ولكن على صغر سنه له فى البحر فهم وإدراك فاشتهى على السلطان أن يجعله عند الملك دورا قبطان فاخلع عليه السلطان وقال يا ملك دوره خذ هذا عندك على غليونك فانه ابن ملك البحر أبى بكر البطرنى وسلم اليه غليونك يرتبه بمعرفته كما ان أباه يرتب الغراب العظمى فقال دورا سمعا وطاعة وتسلم الغليون محمد حافى رأسه من تلك الساعة وأخذ من الغراب المنصور كلما طلب من تجارة بمعرفته وكان الملك دورا جمع أمواله التى فى قلعة مجمع البحرين وأخذوا والدته ونزلها فى الغراب ضوء القمر ونزل هو مع السلطان وشيحة وسافروا حتى وصلوا إلى مدينة الرخام فعلمت أوك دالملك عرنوس بقدم الملك فطلعوا لى الغاية ولما وصل الى المدينة بكى الملك وتذكر الملك عرنوس وقال الملك قطلوبح المصفح والملك يتمروح يا أولادى اعلموا ان هذا أخوكم من أبيكم وأنا

مرادى أن يسير معى إلى مصر وأجعله باشة على الاسكندرية فقالوا له العفو يا ملك الاسلام هذا ملك ونحن نعرفه أنه ملك مجمع البحرين فكيف يكون باشا والله ما نكون نحن الا من تحت أمره ونهيه وهو الاكبر واحنا الصغار ولا نفارق بعضنا إلا بكاس الموت وقاموا فتحرا له سراية أبيهم وطلعوا أمه سلمت على أمهاتهم وقالوا له يا أخينا مجمع البحرين بلدك واقطاعها لك وكل ماله أقطاع وبلادك أنت جاعل فيها نائب والاقامة فى مدينة الرخام وفرحوا ببعضهم وعملوا ولايم وعزومات وصفت لهم الاوقات وودعهم السلطان وتوجه الى الاسكندرية وضربت له المدافع وزينت الاسكندرية إلى قدوم السلطان وارسل بطاقة إلى مصر فزينت وسافر السلطان من الاسكندرية الى مصر وطلعوا الوزراء تلقوه وفرحوا بقدومه فلق جميع الدولة وصلت الى مصر إلا المقدم ابراهيم بن حسن فلم يحضر فتعجب السلطان من ذلك وسأل الدولة فلم يأتى أحد بخبره فانغاظ السلطان على ابراهيم

[قال الراوى] وكان السبب فى غياب المقدم أنه لما طلع الريح وجرى للسلطان ماجرى وكان المقدم إبراهيم فى مركب فتاهت المركب مثل غيرها مع الضباب الذى لم ير فيه أحد غيره حتى أراد الله وبطل الهوى فنظر القبطان إلى جزيرة فالتجأ اليه حتى يهدى له البحر ويسافر فلما وصل الى تلك الجزيرة قال المقدم ابراهيم والله ان السفر فى البحر عذاب الله يلعن البحر وسفره وأنا لو كنت على ظهر حجرتى ما كنت أقاسى هذا العناء ثم انه طلع فى تلك الجزيرة ليأخذ الراحة من تعب البحر وغاب فى داخلها لينظر آخرها فلم يلق لها آخر ونظر إلى الشمس مالت للغروب فعاد الى ناحية البحر وهو مكروب فلم يجد المراكب ولم يلق لهم خبر ولا أثر فقلق من ذلك الحال وتحير والسبب فى ذلك أنه خرج ريح طيب يودى إلى الاسكندرية فلما علموا به البحارة قلعوا المرسى حالا وفردوا القماش ولم يعلموا أن المقدم إبراهيم ليس معهم بل ظنوا أنه فى بعض المراكب ولما وصلوا إلى الاسكندرية التهوا الناس بفرح السلامة ولم يسأل أحد عنه وكان سعد بن دبل مع السلطان ولم يعلم أحد بغيابه حتى قدم السلطان سأل عنه فلم يجده [قال الراوى] وكان المقدم إبراهيم لما رأى المراكب سافرت وبقى وحده غريب فريد فى ذلك القفر والبيد فشى فى البرارى والآكام مدة ثلاثة أيام فادركه الجوع لانه كان لما طلع اخذ معه قوت يوم ولما رأى ان المراكب سافرت فصار يقتر على نفسه ثلاثة أيام وبعدها جاع فطلب الفرج من الله فرأى بستان فى البر مبنى جديد ودايره سور من الحديد وليس له الا باب واحد فسار حتى وصل إلى الباب وأراد الدخول

فمنعه الحارس فقال له لاى شيء تمنعنى دعنى أدخل آكل فلم يقبل منه كلام وأراد أن يقفل الباب فمنعه عن قفل الباب ودخل غصبا عنه فتحامق عليه الحارس فانغاظ المقدم ابراهيم ودفع الحارس رماه فقام على حيله وأخذ السيف وضرب ابراهيم فأخذ الضربة على ذات الحياة وضربه فى وسط رأسه فانشق الى أضراسه ورماه خارج البستان ودخل المقدم إبراهيم وأخذ من ثمار البستان وأكل حتى اكتفى وشرب حتى ارتوى وحمد الله تعالى فاق الحب والنوى وكان هذا البستان بناه ملك اسمه ارغود وهو صاحب مدينة الرغدة وصنع ذلك البستان إلى بنته واسمها الملكة عيون وكانت الملكة عيون تأتى فى بعض الاوقات إلى ذلك البستان لأجل النزهة وكان إبراهيم لما دخل ذلك البستان قال والله ان هذا خير كثير آكل من هذه الاثمار وأشرب من هذه الانهار وأوحد الملك الغفار وقفل الباب وأقام فيه فأقبلت الملكة عيون فى يوم من الايام فرأت الحارس مقتول وباب البستان مقفول فدقت الباب فسمع المقدم ابراهيم فطلع وفتح الباب ووقف ينتظرها لما تدخل حتى يقفل الباب فتأملته وقالت له انت من وايش جابك إلى هذا البستان فقال المقدم ابراهيم يا ملكة أنا كنت فى البحر وطلعت أستريح ففاتتنى المركب وقعدت ثلاثة أيام فى البر لم أجد شيئا آكله حتى وصلت إلى هذا البستان وأنا جيعان فأردت الدخول فمنعنى الحارس فقتلته ودخلت إلى هذا البستان وأكلت منه ودعيت إلى صاحبه ولم اعرف طريقا أسير منها وليس لى رفيق ولا صديق فلما سمعت الملكة عيون منه ذلك قالت له وأنت غريب فقال نعم فقالت له مرحبا بك ودخلت ومشت تتفرج ومعها جوارها واتباعها حتى وصلت إلى القصر وطلعت وأمرت المقدم إبراهيم بالطلوع فطلع فقدمت له الطعام وكان الطعام من أصناف المربات فاكل منه وكانت الملكة عيون شاغلة الطعام بالبنج فلما أكل رقد كتفته وحملته على حصان من خيول أبيها وقالت للخدم سيروا به قدامى للمدينة فساروا حتى صاروا قدام الملك ارغود أبو الملكة عيون

فقال لها ايش هذا فأعلمته بما جرى فشممه ضد البنج فافاق وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال له الملك ارغود أنت مسلم وايش جابك إلى بلادنا فقال المقدم ابراهيم يا ملعون أنا ساعى ميمنة الملك الظاهر والذى أتى بى اليك طلعت من المركب وحكى له على ما جرى فاراد ان يقتله فقالت له بنته هذا قتل خدامى وان أطلقناه يروح دم خدامى هدر وان قتلناه نخاف من ملك المسلمين ان يطالبنا به ويحاربنا من اجله ولكن يا أبى احبسه حتى ان لم يسالنا عنه احد نقتله ثم ان الملك

وضع ابراهيم فى الحبس وتركه له كلام واعجب ماوقع واغرب ما اتفق انه كان قريب من مدينة الرغود مدينة اسمها مدينة باديس وكان بها ملك اسمه البب تردود صاحب مدينة باديس وله ولد اسمه مرتين الاشقر ولكنه بشع الصورة والمنظر فاتفق ان مرتين هذا سمع بصفة الملكة عيون فركب وانى الى أبيها فى مدينته وخطب منه بنته فقال له اهلا وسهلا على الراس والعين فقال مرتين انا مستعجل على الزواج وها انا اعود الى بادى وانت تصلح شان بنتك وتنتظر قدوم رسولى ياتيك بالمهر وترسلها عندى اكل اكليلها فى ديوان ابى وابلغ قصدى ومطلبى فقال له على الطاعة ياسيدى وبعد ما راح مرتين من عنده قام ودخل على بنته واعلمها بالذى جرى وكانت الملكة عيون تعرف مرتين ان صورته قبيحة فقالت لأبيها انا لم ارض بمرتين الأشقر ولا يرانى له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة

فقال لها وكيف العمل فقالت كل ما اتاك من عنده اقتله وانا ادبر لك على ملاكه واخذ ملكه ابيه واتلاف الاثنين فقام عندها وهو محتار من ذلك القول وثانى الأيام اتاه من عند رسول ومعه المهر شىء كثير وسلمه للبب ارغود فقال له اعلم ان بنتى لم ترض بالبب مرتين فالمال الذى اتيت به عديه فقال القاصد من يقول هذا الكلام قم هات بنتك وغلط فى الكلام فضربه البب ارغود على عنقه بالحسام اطاح راسه عن الهام وامر برميه فى البحر وثانى الايام اتى قاصد ثانى يكشف الخبر فاعلموه الخدم بان القاصد الذى اتى قبلك تمنتر وانت ان اقبلت على البب يقتلك فعاد على الاثر واعلم البب تردود بما جرى وتدبر . فلما سمع تردود احضر ولده مرتين الاشقر وقال له لاى شىء لم تعلمنى حتى بلغ قدر ذلك الكلب ان يقتل من عندى قاصد وانا وحق الصليب وما صلب عليه لم اقعد حتى آخذ مدينة الرغود واملكها بعد ان اقتله واقتل عساكره ثم انه جهز عساكره وشل من باديس وحط على مدينة الرغود وارسل يقول يابب ارغود جهز بنتك وارسلها حالا وبعده آخذ عليك الخراج كل عام وإلا دونك والحرب والصدام . فعند ذلك خرج البب ارغود بالعساكر وحط بالعرضى واراد ان يرتب عساكره فلم يمكنه البب تردون دون هز الشنابير وحملت العساكر على بعضها وكان لهم يوم مشهود وفتك البب تردون فى عساكر مدينة الرغود واهلك خلقا كثيرا وابلاهم بالهلاك والتدمير ولم يفرغ النهار حتى تضايق الملك الرغد ونفد فى عساكره القضاء والوعد وصار البب الرغد يتندم كيف طاوع بنته حتى جرى ذلك الامر بسببها ولما انفصل القتال عاد وهو فى اسوأ

حال فقال لارباب دولته كيف يكون العمل انا ان اقمت مع خصمى فى القتال هلكت منى الفرسان والابطال فقالوا له اعطه بنتك واقعد تحت امره وادفع له الجزية والخراج فيأسف على ذلك الحال فقال له وزيره قم ادخل على بنتك وعلمها تنزل معك وخذها وروح بها اليه لعله اذا شافها يصفح عنك ولا يحاربك وأما اذا طلع النهار فلم يبق عسكرك ديار ولا نافخ نار ويملك بلادك ويهلك اجنادك فقال البب ودخل مدينته وسار الى بنته واعلمها بما قال الوزير فقالت له انالم اقله ولم اروح معك له وان كان الوزير قال لك على هذا الراى فأنا عندى احسن من رأيه وهو انى اقوم انا وادخل على المسلم المحبوس عندنا نطلب منه ان يركب منا ويرد هذا الجبار عنا قال لها بل اذا اطلقتيه وهو منفاظ منا يروح يتركنا أو يساعد اعد انا هلينا فقالت له على أى حال نطلقه ونمن عليه بروحه ونعتقه فاذا بقى مطلوق فهو وحاله اما ان يساعدنا او يتركنا فقال لها حتى اعرض هذا الامر على الوزير وعاد الوزير وأعلمه فقال الوزير وهذا رأى جيد خلى ابراهيم ينزل يقتله ويهلك عساكره وبعده تحتايل على ابراهيم وتقتله ونزلوا الى الحبش ودخلوا على المقدم ابراهيم واعلموه بكل ماجرى فقال لهم ابراهيم انا ضامن باذن الله تعالى انزل الميدان واكسى هذا الكلب من دمه حلة ارجو ان فقالوا له واحنا ايضا نطلقك ونمن عليك بروحك ونعتقك فقال ابراهيم وبعد قتله اعطيكم سلبه ونهبه جميع ماله من الاموال فقالوا له وفى نظير ذلك نطلقك من الاعتقال فعلم انه إذا ملكهم الدنيا غير اطلاقه لم يأخذ شيئا وتأمل بذكاوة عقله فعرف ان الوزير يرضا مر له انه بعد مايملك الرغد نفسه ويقر قراره يدبر على هلاك المقدم ابراهيم دماره فعلم ابراهيم وعرف ذلك بنظره وصبر الى الليل ودخل على البب تردود وفيقه من منامه وقال له اقعد ياتردوه وكلمنى مثل ماانا اكلمك وأن تحامقت طوحت رأسك عن جثتك

فقال له وقد أنذل من رؤيته انت من فقال انا ابراهيم بن حسن ساعى ميمنة ملك الاسلام وقد اتيت غريب فى هذه البلاد والملعون ارغرد اطقنى من السجن على انى اقتله واخوب بلدك وانا جيت اليك اقضى حاجته واقطع رأسك وسلمها اليه وانت ايش تقول فقال له ياسيدى انا ليس لى ذنب استحق عليه قتلى أنا خطبت بنته فقتل رسولى الذى ارسلته اليه فلاجل ذلك ركبت عليه ومن حيث انك حضرت وبقيت عندى فالذى تريده اطلبه منى وانا ابلغك مقصودك

فقال إبراهيم إذا ملكتك البقت وقتلت أرغرد إيش تعطينى فقال تردود اخلى جميع أمواله لك وليس أحد يشاركك فقال إبراهيم استناقى وتركه إبراهيم

وعاد إلى البب فالتقاه قاعد مع الوزير يدبروا فى المكر والخبث والغدر ولما دخل المقدم إبراهيم قطعوا الكلام وقال الوزير له إيش فعلت ياغندار فقال الحرب عند طلوع النهار ولما كان ثانى يوم نزل ابراهيم إلى الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد وطلب الميدان وقال أنا بطريق من بطارقة الملك الرغد دونكم والقتال فانطبقوا عليه الكفار فجذب شاكريته ذى الحياة وصار يضرب ضربات قاطعات نافذات حتى أهلك خلقا كثيرا ودام يقاتل إلى آخر النهار وانشق طبل الانفصال وعاد ابراهيم إلى الخيام فالتقاه الوزير وهناه بالسلامة قعد يتحدث معه وقال ابراهيم اين الملك قال له عند بنته فقام ابراهيم يتسلى حتى وصل إلى مكان الملكة عيون فالتقى الملك يقول يا عيون أنا أقول ان المسلم يقتل تارود ويقتل عسكره قالت له ان كسر عدوك أنعم عليه واعطه جانب أموال ونزله فى مركب يروح إلى بلاده بامان قال البب الرغد ذا كلام تقوليه بعقلك واقسم يمينا لو يملكنى جميع بلاد الروم لا بد من قتله ولو تعلق منى بالنجوم أنا عمرى وقعت عينى على مسلم وعاش فقالت له بنته وكيف لما يقاتل عدوك فقال يقاتل أن مات مات وان تغدنا اقتله أما بالسيف أو بالسم أو أبنجه وبعد ذلك أذبحه فسمع إبراهيم ذلك الكلام علم أنه غدار فالقى عليه دخنه من حرمدانه بنجه ودخل عليه رفعه على اكتافه وطلع به من البلد الى مغار وفيقه وقال ياملعون أنت أولا حبستنى واردت قتلى بلا ذنب واخيرا لما وقعت فى المحذور واطلقتنى أحارب عدوك صرت أنا احارب فى اعداك وأنت ضامن لى الهلاك الله لايرحم أباك ولا أبا كل كافر ثم إنه قطع رأسه وأخذها وسار إلى أقدام البب تردود ورمى الرأس قدامه وقال له يابب هذه رأس البب الرغد أتيت بها وانا أملكك بنته تجوزه لابنك وتعطينى ماله لأنى رجل غريب جيعان فقال له مرحبا بك وايش الذى اوجب عدواتك مع البب الرغد مع أنك امس كنت تحاربنا من أجله

فقال إبراهيم يابب لما حاربكم ورجعت إلى البب كنت جيعان ورأيت الطعام قدامه فتقدمت لآكل فلم يرض يعطينى وضربنى فضربت رأسه فوقعت وأتيت بها فقال له وايش يجيب لى الملكة عيون قال أنا هذه الليلة اطلع معى وأنا اوقفك تحت الصور وأطلع الى قصرها ولم أرجع لك الا بها فقال لما تقعد معنا حتى تهلك عسكر مدينة الرعود فاقام ابراهيم بالليل . طلع الى سراية الملكة عيون فلما رأته علمت انه قتل أباها فقالت له ايش جابك فقال لها أنت يا عيون ايش قولك فى الاسلام

فقالت له أنا مسلمة على يد خالك معروف وأنا زوجة الملك دوره هكذا أعلمنى

سيدى الملك عرنوس ولا تتم حيلتك إلا وأنا معك خذنى اصطاد على مرتين الاشقر
لأقتله واقعد مكانه وأنت اقتل اباه واقعد مكانه وتنهب البلد لان أبطال الاسلام
قادمين علينا فى مركب صايمة وهم عشرون أميرا وعشرون فداوى

[قال الراوى] فتأمل ابراهيم بجد نور الاسلام ظاهر على وجها فاخذها وعاد بها
إلى تردود وسلمها اليه وقال له لا تكلل اكليلها حتى تعطينى مهرها فغاظ عليه فى الكلام
وكان ذلك الملك يشابه إبراهيم فى الزى والمنظر فصبر ليلا وذبحه وعيون ذبحت ابنه
ولبست ملابسه وعندها مراية الانقلاب فتصورت منها على صورة مرتين وقدمتها
للمقدم إبراهيم فتصور منها على صورة تردود ودخل الديوان فلم ينكر عليه أحد وأقام
وهو يتعاطى لاحكام ثلاثة أيام وقالت الملكة عيون للمقدم إبراهيم قدام الدولة وهى
على صفة مرتين قالت يا أبى أنا تصدى أزور القدس قال لها ياولدى أنا أجهز لك مركب
وإذا بالقبطان طالع يقول يا باب انى قبضت على مركب فيها أربعين من أكابر المسلمين
قال له المقدم ابراهيم حضرهم بين يدى فاحضرهم وأوقفهم ونظرهم المقدم ابراهيم وإذا هم
عشرون فداوى وعشرون اميرقال لهم انتم مسلمون ولابد لكم ماقتلتم جماعة من النصارى
حتى قدروا عليكم واسروكم ثم انه أمر لهم ان يوضعوهم فى حبس ويكون قريبا منه
حتى انه يشتفى منهم بعذابهم فى الدخول والخروج فوضعوهم فى محل بجانب الديوان
وامر لهم بالطعام الكفاية وفرش يقعدون عليه وقال هؤلاء اذبحهم قربان على
باب الغمامة القدسية ثم انه حضر القبطان الذى لهم وكان اسمه محمد بن الجزار وقال
له كيف عجزت عن الحرب فى البحر وضيعت غليون ملك المسلمين ياقبطان فقال
له يا باب طلع على القبطان عجافة وكان قادم فى البحر وصحبته عشرون غليون حربية
فحاربته وبقيت الغلايين تضرب كل واحد مدفع وأنا أضرب عشرين ففرغت منى
الجبخانة والبارود وهذا كان سبب اخذى واخذ غليون السلطان فقال له أنا مرادى
أن أجعلك قبطان من تحت يدى ومرادى منك أن تنصح فى خدمتى

فقال محمد بن الجزار وكيف يطيب على قلبك ذلك وأنا قاتل من رجالك جماعة
بكثرة وان ظفرت بك أقتلك ولم تجد احسن من قتلى فانى لا اخدمك لانك كافر
وانا مجاهد وقتلك عندى فرض مثل الصلاة والصوم والحج فقال له انت مسلم
ومجاوبنى بغليظ الكلام خذوه عند اصحابه فاخذوا القبطان محمد بن الجزار ووضعوه
عند الأمراء الفداوية وبعد ذلك احضر القبطان عجافة قبطان البلد وقال له انا قصدى
اجعلك وزيرى واريحك من خدمة البحر ويكون ذلك فى نظير ان تسافر معى الى

القدس ازور الغمامة واقدس انا وابنى مرتين واذبح المسلمين قربان على باب الغمامة
فاذا رجعت بعد ذلك اجعلك وزير مملكتى فخذ مركب المسلمين وصاح عددها جيدا
لاجل ان انزل فيها انا وحضر عشرين من الغلايين من الذى تحت يدك فى الدنيا
واجعلهم تحت الطلب فقال سمعا وطاعة واما المقدم ابراهيم صار يجمع الاموال البلد
والمال الذى فى مدينة الرغود وكذلك البلاد التى تدور يده عليهم خلص منهم الخراج
عن العام الماضى والعام القابل وكلما قبض شيئا بعثه فى البحر حتى استوفى مطلوبه وعلم
ان البلاد بقيت خالية من الاموال والمال صار جميعه فى الغراب فامر بنزول المسلمين
المأسورين فنزلوهم فى قلب الغراب ونزل ابراهيم والملكة عيون ودخل على المسلمين
وقال لهم انا اخيكم ابراهيم بن حسن ومرادى ان اجعل كل مقدم منكم فى قلب غليون
فاذا اتى الليل يدخل له القبطان لاجل ان يقدم له الطعام فيجتهد كل منكم على قتل من معه
فى المركب وانا اجعلكم تقيموا بلا كتاف ولا رباط حتى تبلغوا كل ماتقدرون عليه بلا
تعب فقالوا سمعا وطاعة وامر بعد ذلك ان يجعلوا كل مركب فيها فداوى واميرو يكونوا
مطلوقين فقال القبطان يا باب لم تقدر عليهم اذا كانوا مطلوقين فقال ابراهيم وايش يخصك
يا كلب حتى تعارضنى فى كلامى وضربه بذى الحيات ومى ومى رقبته ونزل الامراء
والفداوية كل فداوى واميرفى مركب واطلق محمد بن الجزار وقال له انت قبطانى
وان حصل منك خلاف قطعت راسك فقال سمعا وطاعة وخرجت المراكب من
المينة وفردوا القلوع على وجه البحر ولاح لهم على رؤوسهم علم النصر وسافروا
ايام قلائل وساعدتهم الأرياح الغريبة حتى دخلوا على مدينة السويدية وطلع المقدم
إبراهيم والفداوية والامراء بلغوا منتهاهم وهلكوا جميع اعداهم ورموا جثتهم فى
البحر وقالوا الفرج الأكبر والحظ الاوفر والمقدم ابراهيم طلع الاموال على
السويدية الثلث للسلطان والثانى ارسله على قلعة حوران والثلث الثالث قسمه على
المقادم والامراء الذين حضروا معه ففرحوا بذلك وشكروا فضله على ما فعل . واما
المراكب فتسلمها القبطان محمد بن الجزار لاجل ان يسلمها للبطرنى قبطان الاسلام
وسافروا جميعا من السويدية فى البر والفداوية طلبوا تلاعهم والأمراء طلبوا مصر
واما ابراهيم فانه وصل المال الى قلعة حوران وسافر إلى مصر فى خدمة السلطان

ولما دخل فرح به السلطان واعلمه بالملكة عيون واسلامها وان الملك عرنوس
اتاها فى منامها واوعدها بزواج ولده الملك دوره فقال السلطان اما هذا فهو برهان
صحيح وان الملك دورة الذى تقول عنه فانه كان معى وراح إلى مدينة الرخام وانا

لابد أن أحضره واعمل فرح للملكة عيون وأدخله عليها فى سرايتى وأمر بطلوعها عند أم السياد وكتب السلطان كتاب وأرسله مع ناصر الدين الطيار يعطيه للملك دوره ابن الملك عرنوس فلما وصل وجد مدينة الرخام مقلوبة بالحزن والبكاء فسأل عن الخبر فأعلموه بقتل الملك قطلوبخ المصفح وهو أكبر أولاد الملك عرنوس فدخل على الملك دوره وسلم عليه وأعطى له الكتاب فقام على حيله وقرأه وعلم ان السلطان طالبه فقال سمعا وطاعة وركب من وقته مع المقدم ناصر الدين فقالوا له اخوته لاتغيب حتى نسير فى طلب أخينا

فقال لهم وهو كذلك فانى ايضا أريد أعلم السلطان وسافر الملك دوره حتى وصل إلى مصر وهو لابس لباس الحزن فقال السلطان ايش الخبر فأعلمه بان أخاه الملك قطلوبخ المصفح مات واتقبر فقال ومن الذى قتله فقال اعلمك يا ملك الاسلام أن السبب فى ذلك أن قطلوبخ بعد وفاة أبيه قال لاخوته يا اخوتى احنا كلنا ملوك وليس أحد منا إلا وله ممالك واقطاع وبلاد وانما حصان أبى ذات النسور وهذا ليس له نظير وكذلك سيفه قاصم الحديد وترسه مايع السلاح والطير وملابسه الزرد ايش تقول فيهم فقالوا ليس أحد منا محتاج لهم كلنا لنا خيل وملابس وسلاح فنقدر أن أبانا لم يمت وخذ أنت كل ذلك وأنت عوض أبينا وهانحن الصغار وأنت الكبير بدل أبينا ففرح بذلك وتقلد بسلاح أبيه ونزل يوما فى ذات الابراج غليون الملك عرنوس وسافر إلى الجزاير التى تدور يده عليها وجمع منهم الخراج والعداد وفى عودته دخل عليه ريح عاصف فقال للقبطان طلعنى على البر وركب على جواده ذات النسور وسافر فى البر فتاه عن الطريق فاشرف على مدينة اسمها مدينة الراق وبها ملك اسمه الملك الاجذم فطلع إلى عنده فنظر هيئته فعلم انه ملك فاكرمه وسأله عن حاله فقال له أنا كنت ملك ولكننى حصل منى ذنوب كثيرة فقصدت السياحة لاجل تكفير ذنوبى . فقال له أقم عندى حتى ترتاح من تعب السفر وكان لذلك الملك بنت اسمها عذرة المسيح وهى جيلة الصورة نظرت قطلوبخ فعشقته وكان لذلك الملك أخ يقال له مارون فطلب من اخيه الاجذم أن يزوجه بنته فقال له لا يجوز ذلك فى دين المسيح وكان البب مارون له مملكة أكبر من مملكة أخيه فجمع عساكره

فلما رأى ذلك الملك الاجذم قال للملك قطلوبخ تقدر ترد عنى أخى مارون وأنا أزوجك بنتى فقال قطلوبخ ان كان يهون عليك قتله فانا أقتله فقال فى عرضك فنزل الملك قطلوبخ وتحارب مع مارون وقتله وكسر عسكره ففرح به الاجذم

وأوعده أن يزوجه بنته وعند الصباح لقى الملك الاجذم مذبوح والبنت مذبوحة وكان ذلك من وزير مارون لما قتل مارون لم يهن عليه ففعل ذلك الفعال وأما قطلوبخ فركب حصانه وطلع من المدينة وسافر ثلاثة أيام فأشرف على جبل عالى شاهق فطلع عليه فرأى مغارا فدخله فلقى بنت مكتفة فسألها بعد ما حلها فقالت له انا بنت البب مرتين نار ملك مدينة نهر الحوت وفى المدينة كهين اسمه لهب نار وهو من السحر فى أبعد غاية لأنه كان حول تلك البلد ستمائة عين جمعهم من ذلك النهر فاصطنع الكهين حوت من الذهب ورصده يحوش الماء فانحاشت المياه عن المدينة فصالحه البب مرتين حتى أطلق المياه للبلد وكان عندى عايق يسمى عبد لهب فخطبنى من أبى فلم يرض فأتانى فى الليل وأخذنى إلى هذا المغار ويقول إما يزيل بكارتى أو يقتلنى وفى البر خرج يأتى بغزالة يذبحها ويأكلها وإذا بالعايق مقبل فلما نظره قطلوبخ ضربه فقتله وأردف البنت خلفه على الحصان وسافر حتى أشرف على مدينة الأربع وملكها اسمه الصيهجان وكان فى الصيد والقنص فعاقه سبع فى غابة فأدركه الملوب وهو المفرج من الكروب الملك قطلوبخ فقتل السبع وخلصه ففرح به وأخلع عليه وأخذه معه إلى بلده وأعلى له قصر وأجلسه فيه فلما استقر الملك قطلوبخ عمل طريقة شرعية واستسلم البنت وعقد عليها وقام فى تلك المدينة مدة ايام فحملت منه بولد ذكر يكون له كلام

وأما الملك الصيهجان فانه ترلع بتلك البنت وكان اسمها جوهرة زوجة الملك قطلوبخ وكانت اوفت ايام حملها ثم انها وضعت ولدا فسمع الملك بولادتها فقال لم اقدر عليها إلا بعد قتل ولدها وإن جاء زوجها قتلته وتبقى فى يدى ثم ارسل جارية اليها يطلب الولد لينظره فأرسلته أمه ولم تعلم السكائن لها فى الغيب ولما نظر الولد وضعه فى صندوق خشب وأحضر رجل مراكبى وقال له خذ هذا الصندوق وارميه فى وسط البحر فأخذه ونزل فى مركب وسار إلى وسط البحر والملك واقف ينظر اليه بالنظارة حتى انه رماه ورجع [ياسادة] وأما الملكة جوهرة فقعدت تنتظر ابنها أن يعود لها بعد فطلعت للجارية التى أخذته وقالت لها أين ولدى

فقالت إن الملك رماه فى البحر فلما سمعت أم الغلام هذا الكلام نزلت على المينة وهى ماشية وإذا بالريس مقبل فسألته فحكى لها ولكن انبهر من جمالها

فقالت له خذنى أرنى محل ما رميت فيه ولدى فقال سمعا وطاعة وانزلها معه فى المركب وفرد القماش فاعتدل الهواء فسافر طول ليلته على جهد سفر المركب فى عزم الهوى ولما تضاحى عليه النهار أتى إلى جزيرة وطلع وقال يا ملكة اطلعى عسى

أن يكون ابنك يرميه البحر إلى هذه الجزيرة فطلعت وأما الملك قطلوبخ طلع إلى محله فلم يجد زوجته فسأل الجارية التي على باب القصر فاعلمته بالقصة وان الملك أخذ ابنها وأمر الريس أن يرميه في البحر ولما عاد الريس معه نزلت الملكة وأمرته أن يوديها محل مارس ابنها فانخاع الملك قطلوبخ وأتى إلى المينة وكان قطلوبخ في البحر صاحب فهم وإدراك فاخذ قارب وتبع المركب بالنظارة طول الليل حتى لحق إلى تلك الجزيرة وكان الريس طلب من الملكة جوهرة الفاحشة فلعنته وقالت له يا كلب انا زوجة ملك وانت ايش تكون والتفتت تجد الملك قطلوبخ فصاحت له ياسيدي ادركني فنظر قطلوبخ من مركبه الذي هو فيها ونزل في القارب المربوط في مركب الريس ويده على سيفه

فلما رأى الريس قادم عليه فقطع حبل القارب فانحذف القارب إلى بعيد وحال الموج بينه وبين زوجته ولم تقدر أن يطلها والقارب ليس له دفة ولا قلع فسار في البحر هذا ما جرى للملك قطلوبخ وأما الريس فانه أخذ المركب البر كما ذكرنا والملكة جوهرة رأت نفسها ان جادلت ذلك الريس أهلكها فقالت له يا قبطان الوصال لا يكون إلا في السفر وأنت ليس لك عقل حتى ان رجالك واقفين ينظروا الينا فقال لها انا اريحك منهم ثم انه طلع إلى الجزيرة وأمر رجاله أن يطبخوا برغل على قدر عشاهم ولما طبخوا رمى في الدست قطعة سم فاكلوا فذابوا جميعا رماهم في البحر وقال لها يا ملكة انا قتلت زوجك وأيضا قتلت رجالك من اجلك قالت له وأنا لك على ما تريد ولكن ياحبيبي روح بنا إلى محل يكون عمار يبقى على كل حال قلبنا مطمئن قال لها صدقتي وأنزلها في المركب ثانيا وسار بها [قال الراوي] وأما الصندوق الذي فيه الولد فسيره الهوى إلى جزيرة البنات وكانت تلك الجزيرة كل ملك له بنت جميلة يحطها في تلك الجزيرة في قصر مبني من الرخام والبنات يتعلمون فيه الخطوط والملافظ وبعض الصنائع التي تليق للنساء ولما تكبر البنت ياخدها ابوها وقد تكامل في هذا القصر من البنات اربعين فاتفق انهم قاعدين رأوا بهذا الصندوق قذفته الأمواج حتى رمته إلى تلك الجزيرة فنزلوا له البنات يجرون اليه وأخذوه من شاطئ البحر وطلعوه الى القصر وفتحوه فوجدوا ذلك الغلام وهو راقد ساكت لا يتحرك فاندهشوا من رؤيته وكانت عندهم غزالة والدة فاتوا بها للغلام وأرضعوه منها فرضع حتى اكتفى ففرحوا به البنات وأقاموا بخدمته [قال الراوي] وأما ما كان من الريس والملكة جوهرة فانه سار بها على وجه البحر حتى اقبل بها على

جزيرة البنات وقال لها اطلعي فان هذه الجزيرة مسكونة وعمار فطلعت الملكة جوهره وهي في وعدها متفكره وصارت طالبة ذلك القصر والريس التهى في مركبه حتى يدق لها أو تادو يربط مراسيها لانه لم يبق عنده من يعينه وأما جوهره فسارت إلى ذلك القصر فنظروا لها البنات وهي قادمة فخرجوا اليها وقادرها تعال يا أختنا عندنا فنحن مثلك بنات وليس عندنا أحد من الرجال فاقبلت اليهم وهي مشغولة البال فادخلوها القصر وقالوا لها ياليتك تكوني مرضعة فقالت لهم نعم أنا مرضعة وايش عندكم للرضاعة فقالوا لها عندنا طفل صغير أتانا من البارحة في صندوق ثم قدموه بين يديها فتاملته وإذا هو ولدها فبكت لما نظرته وقالت لهم والله يا أسيادي هذا ولدي وقطعة من كبدي وحكت لهم على قصتها وما جرى لها من إقضيتها وهكذا حكت لهم عن الريس وكيف طلب منها الفاحشة فقالوا لها انتي بقيتي في امان ولا بقي يقدر يعارضك انسان فابشري بالهنى وبلوغ المنى [ياساده] وأما قطلوبخ لما حذفه الهوى في البحر وحال الموج بينه وبين المركب فاشتغل بنفسه وصار يعوم حتى اشرف على الهلاك فلما ايقن بالموت رمق بطرفه إلى السماء وطلب من الله النجا وإذا بصنفير احتمله ورماه على شاطئ جزيرة فلما ملك البر بعد ذلك التعب حمد الله تعالى وطلع وصار يقلع ثيابه ويعصرهم من الماء حتى تظفرا ولبس بعد ذلك بدلته ومن شدة تعبه نام وإذا بطير الرخ نزل عليه وكبشه بمخاليبه وطار به في الهوى فقاق يجد نفسه بين السماء والارض قال في نفسه هذا الطير يروح بي إلى بلاد بعيدة خراب يأكلني فطلع الخنجر وشد ذلك الطير في صدره واتكى عليه فصار الطير يتواطى به والدما نازل من صدره حتى قرب الارض وارخاه من مخاليبه فحكم نزول الملك قطلوبخ على سطح قصر عالي فقعد حتى استراح مما كان فيه ووعى على نفسه وقام على قدميه وصار يتمشى حتى وصل إلى ممر فنظر فيه فرأى بنت جالسة وهي كانها الهلال والبدر عند الكمال ولما رفعت رأسها فقالت له أنت الملك قطلوبخ ابن الملك عرنوس انزل يا سيدي إلى عندي أهلا وسهلا فنزل وهو يتعجب من ذلك القصر وبنايته ومن تلك الهنت وكيف انها عرفته

تم الجزء الثاني والاربعون ويليه الجزء الثالث والاربعون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثالث والاربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وكان السبب فى بناء ذلك القصر بالحكمة فى وسط البحر المالح وهو أن ملك فى بلاد الصين وهو اكبر ملوكها يقال له الصيهجان وقد رزقه الله بتلك البنت وهى مبدعة فى الجمال ولم يرزقه غيرها من العيال فاتفق انه تذكر منذ الذى يحفظ بحماها وكان له وزير ساحر كهين يقال له الكاهين بحروم فقال له انظر من الذى يأخذ بنتى المايسة القد فقال ضرب زايرجة وقال يا ملك بنتك تعشق واحد ملك يقال له قطلوبخ بن الملك عرتوس ولا بد له ان يبلغ منا اربه ويختلى بها فقال له وقطلوبخ هذا فى اى البلاد فقال بالملك بلاده بعيدة عنا ولكن القدر يوصله اليها وليس له من يمنعه عنها فقال له يا كهين اريد منك ان تصطنع لى قصر بالحكمة فى وسط البحر المالح ويكون مجتنب عن الغادى والرايح فقال سمعا وطاعة وامر ارهاط الجان ان يأتوا بالا حجار وآلة البنا حتى عمر ذلك القصر فى تلك الجزيرة ونقل البنت اليه واجلسها فيه بعدما فرش لها فيه أحسن الفراشات ووضع فيه كل ماتحتاج اليه من مأكل ومشرب وجعل عندها طيور من ساير الاصناف يسلوها حتى انها لاتخف ووكل بها من البنات بنات الجن الصغار وأمرهم ان يكونوا عندها فى صفة بنى آدم حتى لايدخل عليها منهم وهم يقوموا بخدمتها وكل ماتريد وهم لها مثل الجوار والعبيد وجعل للقصر خدام ارهاطا اوصاهم إذا رأو اقطلوبخ والملكة زهور فى ذلك القصر مجتمعين حالا يحصرون ويعلمون الكهين [واقامت ذلك البنت حتى اتاها الملك قطلوبخ وحبته واكرمته واحضرت الاكل واطعمته هذا ما جرى للبنت والملك قطلوبخ واما ما كان من الكهين فان الارهاط دخلوا عليه واعلموه بان الملك قطلوبخ اجتمع مع الملكة زهور باذن الملك الغفور فقال الكهين دخل على الملك الصيهجان واعلمه بان قطلوبخ وابنته اجتمعوا فى القصر وآن الاوان فاخذه ونزل فى مركب وساير حتى وصلوا فى القصر فكانت الملكة زهور نظرت المركب ورات اباها

والوزير فخافت على نفسها وعلى قطلوبخ فاخفته فى مكان ولما طلع أبوها قامت له وقبلت يده فقال أبوها يازهور جاء كى محبوبك قطلوبخ وحبك وحبيته فقالت له من اين اتانى وانا فى هذا المكان ولم أرى بعينى انسان فالتفت الى الوزير وقال له هات لى قطلوبخ حتى أراه قال الكهين اطلع يا قطلوبخ فجذبوه الارصاد حتى اوقفوه قدام الملك بغير اختياره فلما رآه قال له كيف دخلت على بنتى ولم تخف من سطوتى فقال ما دخلت بها وانما يا ملك أتاجانى طير وارمانى الى هذا المكان وكنت عدما زوجيان فاطعمتنى واقمت عندها لكون مالى سبيل الى طريق اسير منها الى بلادى قال له أنت مسلم فقال نعم فقال له يا كلب المسلمين كيف تروح بلادك بعدما أتلفت بنتى على ولما طرتك احبتك ولم تحب غيرك قال الوزير يا ملك هذا احبسه عندك ولا تخف على بنتك فوضعه فى اوضة وقال خليه حتى انظر حال بنتى وبات تلك الليلة فى القصر وثانى الايام اخذ قطلوبخ والبنت والوزير وراح الى مدينته وسجن الملك قطلوبخ وقعد فى مملكته وكان الوزير لما رأى الملكة زهور تعلق بحبها فقام الى الملك وقبل يده وقال له يا ملك الزمان اناجيتك خاطب راغب فى بنتك الملكة زهور وأنا خدامك طول الاعوام والشهور فانعم لى بزواجها فقال له كيف هذا تخطب منى وأنا مرادى اصطفيها لنفسى ثم انه قام اليه وقبضه من خناقه ووضعه فى الحبس مع قطلوبخ فلما دخل الحبس قال له قطلوخ ايش الخبر يا كهين الزمان حتى قبضك وأنت صاحب ساحر وكهانة قال انا ممتثل اليه لكون انه ملكنا وانا وزيره وانا لو اردت اتلافه لفعلت ولكن انا مطول بالى حتى ينطفى الشر من بيننا ونصطلح مع بعضنا واما الملك فانه لما حبس الوزير أحضر بنته وقال لها أنا مرادى اجعلك زوجتى قالت له أنت أبى وزوج أمى والاب لاينكح ابنته لان هذا حرام فلما سمع منها ذلك الكلام ضربها بالحسام قسمها نصفين وقال هذا كله من فعل وزيرى فانه يروم يأخذ بنتى فانا قتلتها ولم أخليها له يتمتع بها

[قال الراوى] وكان لذلك الملك أخ ساحر كهين مقيم فى حصن الرخام فاحضره وشكى له ما جرى عليه وعلى بنته من قطلوبخ وان الوزير صار عدوى واريدك تعينى عليه وكان أخوه فى الكهانة عن جانب عظيم فاحضر الوزير قطلوبخ ورسم عليهم وحبسهم وضيق عليهم ولم ينفع الوزير سحره ولا كهانته وأيقن باتلاف مهجته فصار يجتهد على انه يقتل الملك قطلوبخ والصيهجان حتى انه جاوبته الخدام فأمرهم بحرق اخى الملك فحرقوه وأمرهم ان يطلقوه من الحبس فاطلقوه وأمرهم ان يأتوه بالملك الصيهجان فأحضروه وكتفه هو وقطلوبخ وأراد يرميه فى النار فأمر ان يحفروا

حفره ويوقدوا فيها نار واذا بغلام أقبل ووقف جنب قطلوبخ وهو مكتف قال له يامالك قطلوبخ أنت ابن الملك عرنوس فقال نعم قال له وانا يا سيدى بعت روحى فى سبيل الله اما خلصتك أو أنا وأنت نهلك سوى قال قطلوبخ ان عشنا سعدا وان متنا شهدا فراح الغلام منى خلف الكهين وكان فى يده قزمه مجعولة لقطع الحجر من الجبال فأخذها ذلك الغلام وصرخ ياعزام الامام على ابن أبى طالب و ضرب الكهين بتلك القزمة حكمت فى وسط رأسه شقتها الى أضراسه فتصارخت الجان وقالوا يسلم ذراعك وطول الله باعمرك كما أرحتنا من خدمة هذا اللعين وقام الملك الصيهجان قائما وهو فرحان وكذلك الملك قطلوبخ قال له يامالك انا ايش فعلت معك حتى تقتلنى او تحبسنى فقال له قطلوبخ أنت من اليوم أخى وصديقى وصاحبى ورفيقى وحلف أنه لايؤذيه ابدا على المدى وبكى على بنته كيف أنه قتلها بلاذنب حصل منها فقال عرفت ان ذنب بنتى بقى فى رقبتى فقال قطلوبخ يامالك اذا أردت ان تمحى عنك هذه الاحكام ويغفر الله ذنوبك وما قدمت يداك من الآثام فادخل فى دين الاسلام فقال علمنى وأنا اطاوعك فقال له قل اشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله فاسلم فلما رأت أرباب دولته اسلامه فقالوا له علمنا ماتقول ونحن نقول معك وعلى اسلامك نتبعك واسلموا جميعا وانقلبت مدينة الشين كلها اسلام وهداهم الملك العلام فعندذلك التفت الملك قطلوبخ الى الفارس الذى قتل الكهين واطلقهم وقال له ياأخى من أنت ومن أين أتيت حتى خلصتنا من ذلك الضيق الذى كنا فيه فقال له احكى لك [قال الراوى] واز هذا الفداوى اسمه المقدم خليل ابن المقدم زنقير الشهابى وكان لمغشته شئ عجيب وهران المقدم اسماعيل أبى السباع لما أتى الى مدينة البرقان بالسبع الاحول فكان المقدم زنقير من كواخيه فسار معه وانقطع فى مملكة البرقان وجاء الى غدير فنظر الى بنات حرل القدير فانحشر معهم وتحدث معهم فعشق منهم واحدة وحبها فتبعها حتى عرف محلها ونزل عليها ليلا وفيقها وأراد أن يأخذها فقالت له من أنت من تكون فقال انا الذى كنت معك على الغدير ثم أنها أعلمها بمحبته لها فقالت له وأنا أيضا حبيتك من وقت مارأيت اعلمنى أنت من فاعلمها بحبسه ونسبه فاسلمت على يديه وعمل لها مقدم الصداق عشرة دنانير وهم الذى كانوا معه وعاقدها عقد النكاح ودخل بها وصار يتردد عليها وكان ابوها رجل معاون بين ملك مدينة الطلح فليلة اطلع ابوها وامها على حالها وسألوها عن سبب حملها فقالت ماعشقنى الا سراق من سراقين المسلمين فتركوها فرضعت غلام وسمته ضيف وكان أبوه لما علم بحمل امه اعطاها نسبته وقال لها ان جاءك ولد سميه خليل وان جاء بنت سميها القانصة

[قال الراوى] فلما وضعته سمته ضيف واقام مع امه حتى كبر وطالت ايامه حتى بلغ رشده وصار يسطى على ملوك الروم ويأخذ منهم خفر الطرقات وصار آفة من الافات وبلية من البليات وقد منا أن أمه اسلمت على يد ابيه فاحضرته يوما من الايام وقالت له يا ولدى أنت مسلم وابوك فداوى من بنى اسماعيل وهذه نسبته فلما قرأ النسبة اسلم على يد امه وقام عندها وهى تعلمه شروط الاسلام فاعلمها أبوه فصار يودها حتى ادركها الحمام فلما علم بذلك اقام عندها حتى توفت وغسلها و كفنها حالا وصلى عليها ودفنها وأخذ ما كان حولها من مال ومالها وبعد ذلك طلع ودخل بلادى النصارى يجمع الاموال ويطلب أن يكون له مال بكثرة حتى يفتح قلعة ابيه فسافر له مدة ايام وشهور وأعوام حتى رمته المقادير تلك البلاد ونظرة قطلوبخ انحت اعضاؤه لكونه مسلم وجرى ما جرى له وحكى له على حسبه ونسبه هذا والملك الصيهجان سمع ذلك الكلام ففرح بدين الاسلام وهداية الملك العلام وكان قريب من مدينة الشين مدينة اسمها مدينة العقبان وبها ملك اسمه ملك الازرق فعلم باسلام الصيهجان فركب عليه بعساكر لاتعد ولا تحصى فلما علم الملك بقدوم ذلك الجبار عليه قال لقطلوبخ يا ولدى كيف يكون الرأى مع هذا الكافر فقال قطلوبخ أنا له كفاية سر بعسكرك اليه وأنا اوريك ما افعله فيه ثم انه سار حتى التقوا بعضهم فى الطريق ووقعت العين على العين فخرج الملك الازرق وقال ياصيهجان أنا ملك وأنت ملك دونك والتقال عندها حمل عليه قطلوبخ وتقاتل معه فرآه فارس لا يطاق فاشار على عسكره باهلة فحملت وحمل الصيهجان ووقع ضرب السيف اليمان ودام القتال إلى آخر النهار وبدد قطلوبخ فى الكفار وابلاهم بالدماء فولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار أراد قطلوبخ يتبعهم فمنعه الملك الصيهجان وقال اتركه لعله يهتدى ويرجع لعقله فرجع قطلوبخ [ياسادة] وأما الازرق لما انهزم اجتمعوا عليه ارباب دولته وقالوا قطلوبخ هذا هو الذى اهلكنا فقال لهم لم يبق الا اوسل إلى هذا الحكيم شيبون أخى فهو الذى يخلصنا من شره فقالوا له ارسل قبل أن يلحقنا وكان هذا الحكيم شيبون أخى الحكيم بحرون الذى قتله ضيف وخلص قطلوبخ والصيهجان فكتب الازرق يقول له اعلم ياحكيم أن الملك قطلوبخ قتل اخاك وزحف علينا هو والملك الصيهجان ومرادهم أن يجعلوا البلاد كلها اسلام فادركه وخذ بثار اخيك فلما قرأ الكتاب قام ودخل إلى بيت رصده واحضر قطلوبخ والصيهجان فلما ارقفهم بين يديه التفت إلى قطلوبخ وقال له أنت قتلت اخى قال نعم ولم يذكر ضيف فقال خذوهم حصن الرخام وجلس على كرسيه وأمر السياف برمى رقبة قطلوبخ فراح الى رحمة الله وحبس الملك الصيهجان الذى كان

أصل هذه العبارة [قال الراوى] ونظر المقدم ضيف بن رقتير إلى قطلوبغ وموتته قال لا حول ولاقوة الا بالله وصبر إلى الليل ونزل على الحكيم وذبحه وذبح الازرق واطلق الملك الصيهجان وهجم على عساكر الازرق اهلكهم واخذوا الملك قطلوبغ غسلوه وكفنوه ودفنوه وبعده قال الملك يا مقدم ضيف إن هذا السيف قاسم الحديد وهذا الترس وهذه الشايات وجواده ذات النسور فى مدينة الاربع روح يا ولدى خذهم ووديهم لاهله قال سمعا وطاعة وسار المقدم ضيف حتى وصل إلى مدينة الاربع وسرق الحصان وصار ينتقل من مكان إلى مكان حتى وصل للجزاير ورمته المقادير على جزيرة البنات التى فيها زوجة قطلوبغ وكان اسلم معها من البنات اثنين لانها لما حكت لهم على الريس وما فعل معها فعزموه ووضعوا له طعام مسموم فمات فرموه فى البحر وتركوا مركبه يخبط فيها الموج حتى كسرها ولما اقبل المقدم ضيف وراته الملكة جوهرة فظنت انه الملك قطلوبغ لما رأت ذات النور فلما اقبل قالت له يا فتى اين صاحب هذا الحصان فاعلمها انه مات فقالت له وانت تعرفه فقال نعم وحكى لها على ما جرى فقالت له اعلم أن الملك قطلوبغ تزوجنى وحكت له على كل ما جرى فقالت له وهذا الولد ابنه وانا سميته معروف على اسم جده وانا مرادى أن تأخذنى معك تودينى إلى مدينة الرخام حتى أربى ولدى عند اهله والاعمام فقال لها البنتان اللتان اسلما معها نسير معكم اينما سرتم فقال المقدم ضيف انا نتزوج بكم على دين الاسلام فامهرهم وتزوج بهم وحملوا منه بولدين احدهم سمى خليل والثانى زنقير وتربوا مع معروف ابن قطلوبغ لهم كلام واما المقدم ضيف فانه اخذ الملكة جوهره وزوجتيه وهما فايقه وصفيه وسافر بهم إلى مدينة الرخام واعلم الملك دوره بما جرى وسلمه زوجة اخيه وولده فانعم عليه وجعله كيخية عنده واخلى له قصر فى مدينة الرخام وقيم له كلام هذا ماجرى هنا [قال الراوى] واما ما كان من الملك الظاهر فانه اشتاق أن يتفرج على السواحل فاحضر الملك محمد السعيد واجلسه على تخت مصر وركب وحده وسار مختفى بصفة درويش من بلد إلى بلد بحد الدنيا امان حتى وصل لانطاكية فوجد عليها حصار والسيف فى ذلك أن ملكها الفرنساكوس له عدو يقال له البب هدمير صاحب مدينة طملمطا وذلك الملعون جبار فتحرك فى هذه الايام ارسل إلى ملك انطاكية يقول له إن انطاكية من مقاطعات بلدى وأنت مقيم بها من تحت ولايتى ولك سنين واعوام مضت ومرادى منك أن تحسب السنين التى مضت وتورد الجزية والعداد والا اركب على بلادك واهلك عساكرك واجنادك فلما وصل الرسول بهذه الرسالة إلى ملك انطاكية أرسل يقول له هذه بلاد

السواحل كلها أخذها الملك الظاهر بالسيف وجميع ملوك الروم تدفع له الخراج والعداد وانا بالجملة فان كان قصدك ان تاخذ الخراج امنع ملك الاسلام عن البلاد واحنا نورد الخراج والعداد فلما عاد الرسول وشال وحط على أنطاكية فوجد روحه بما هو قياسه وسطا على عساكره وأهلك خلقا كثيرا واندقت عساكر أنطاكية بين يديه ودخلوا البلد قفلوا الابواب ولزموا الحصار وفى تلك الايام وصل السلطان ورأى ذلك الحال فاحتال السلطان حتى دخل البلد وهو يقول أنا نجاب من عند ملك المسلمين ففتحوا البلد وادخلوه فسار حتى صار قدام ملك أنطاكية وسأله عن هذا العدو وبعدما كشف لثامه وعرفه بنفسه فلما عرفه قام اليه وقبل يده وحكى له عن ذلك الجبار وما فعل حتى الزمنى الحصار فقال السلطان اكتم سرك وافتح البلد وأنا أخرج اليه ولما كان عند الصباح ركب السلطان وخرج الى الميدان وقال يا بب هدمير أنا باشة بطارقة انطاكية وأنت تريد منا الخراج فانزل أنت لى فى الميدان ان أسرتنى أو قتلتنى تبقى البلاد بلادك وبيايعك البب على ما تريد وان أسرتك أحكم فيك حكم الموالى على العبيد فلما سمع البب هدمير ذلك الكلام خرج من تحت الشنيار وهو يظن ان هذا بطريق البطارقة فاوصل قدام السلطان حتى صرخ فى وجهه لخبط كيانه وضربه باللت على صدره حذفه الى الارض وجذب عليه السيف وقال له قم يا كلب وساقه قدامه حتى سلمه الى ملك أنطاكية ورد على عسكره ومال عليهم كل الميل وكالهم كيل وأى كيل وبلاهم بالذل والويل وحمل ملك أنطاكية وقاتل معه بعسكره حتى شتتوا الاعداء فى القفار وأورثهم الدمار ودخل الملك الظاهر على أنطاكية فتلقاه ملك أنطاكية وبات تلك الليلة فقال له يا ملعون اذا كان يجور عليك جبار مثل هذا لاى شىء ما أرسلت لى ولا أعلمتنى فصعب على ملك أنطاكية كون ان الملك الظاهر قال له يا ملعون فصبر على السلطان لما نام وقام أطلق البب هدمير وتصالح وأغر السلطان البنج فى الطعام حتى أكل فقبض عليه حلف الفرنساكوس بالايمان التى يعتقدها انه لا يرجع عن ملك المسلمين الا ان كان يوديه فى مهلك لم يعد منه وكان فى أنطاكية واحد تاجر اسمه البطريق درمعوك ولكنه تربى فى السياحة وطاف بلاد كثيرة فاحضر ملك أنطاكية وسأله عن البلاد البعيدة والممالك والمدن الذى يعرفها فقال له على مدينة الثلج وهى فى جزيرة الطوفين ربها قلعة اسمها قلعة الحديد ومن أراد ذلك الجزيرة فانه يسافر الى آخر بلاد الغرب وينزل فى البحر ويسير من تحت جبل الماس عشرة أيام يقبل على خور اللجاج وهو أول بحر العدم وفج الظلمات وفى صدر الجزيرة جبل له طرفين كل طرف منهم مسيرة عشرة ايام والجبل

فى وسط البحر وله اربع مغائر وفى شط الجبل مدينة دورها يومين ولها سور من الصاج الاسود ولها اربعة ابواب وكل باب تحته قنطرة تقر فى الحجر يخرج منها نهر من تحت القلعة ويفوت فى سرداب تحت سور البلد من داخل السور ويظهر من براهما ولها سبعة اسوار كل سور طوله عشرة اذرع وبين السور والسور الثانى خندق عرضه عشرون ذراع وله جسر من الحديد وفى كل باب درك من الغفر وأرضها من الحجر وواجهة الباب من الصخر وحول المدينة الأسوار التى ذكرناها ودايرهم مائة برج فى كل برج الف مقاتل وداخلها مائة شارع فى كل شارع دير وكنيسة بمصالب ومخادم والقلعة فى وسط البلد وهى فى مكان واسع وأساس القلعة من الجبل وأسوارها حديد بأربع أبواب من الذهب واعتابهم من الالماس وفى القلعة اربع قصور من الرخام فى كل قصر اربعة ألوان واحد أخضر . واحد أحمر وواحد اصفر وواحد ازرق وفى كل لون خمسين كرسى من الذهب وفى صدر اللون كرسى من العقيق وله قبة عقيق أحمر لها لمعان يأخذ بالبصر بعواميد من العقيق وكل ذلك صفة حكيم من اليونان اسمه الحكيم صلبون والسبب فى ذلك أنه امر الجان ان ينظروا له ارض خالية من الناس وتكون قريبة من مغرب الشمس يجاوه إلى ذلك الجبل فنظر فيه اربع عيون فامر الجان أن يبنوا له بين العيون قلعة ويبنوا المدينة داير القلعة فبنوا له كما أشار عليهم وفعلوا كما وصفنا ومكث ايام ومات وملكوها من بعده وراثة إلى هذا الزمان وكان ذلك التاجر مر على تلك الارض وعرفها وحكى لملك انطاكية عليها فلما سمع ملك انطاكية الكلام احضر الملك الظاهر وسلمه الى ذلك التاجر دمنوك فاخذه وسافر به حتى اوصله الى تلك المدينة وسلمه الى ملكها وكان اسمه البب صايعور قال له انت ملك المسلمين كلها وتاخذ الخراج من جميع ملوك النصارى فقال له نعم يا كلب وكان السلطان تعب فى هذه السفرة لأنها بلاد بعيدة واختار الموت ولا ذاك التعب فقال له صافور وملكك اين وانت اين فقال له قريب ان شاء الله اعود اليه بعد أن أهلكك واخرب مدينتك لأن الله أوعدنا بالنصر فاراد أن يقتله فقال له يا كلب انت ركبت على بلادى أخذتنى بالسيف هذه حيلة فعلها الكلب نائب انطاكية وان شاء الله سوف اجازيه على فعله فامر له بالحبس ولكن فى مكان يصلح له ورتب له أكل وشرب يكفيه لأنه ملك على كل حال ويلزم له أن يكرم ولما طال المطال ولم يعد فلق السعيد على ابيه لكونه لم يرجع فاحضر الفداوية وامرهم أن يتفرقوا فى البلاد وبالجملة ابراهيم وسعد واقام ينتظر مايكون ليوم من الايام أقبل البراج ومعه طير بكتاب من

اسكندرية قدمه السعيد فتحه يجد فيه أنه وود على اسكندرية غراب طوله ستون ذراع وعرضه خمسة وعشرون ذراع وارتفاعه خمسة وعشرون ذراع وله فى كل جنب مائة مقذاف وله خمس طبق واحدة منهم اصطبل والثانية ذردخانة وحاصل وسوق وهيدان بسبع صوارى على كل صارى سبع قلوع وكل صارى عليه تابوت باربع مدافع وله أربع دفات وله مائة درجة ممنوعة عن الماء والدرجات من النحاس الاصفر وحوله مائة جلد من جلود الجاموس مجعولة ستاير على شراصى من الخشب الصاج وعلى أجنابه ألف سيف والف طبر وكلاليب من البولاد وله حمسمائة بحرى مخصوصة لخدمته فى سفره واقامته وذلك الغراب واقف على مينة الاسكندرية [ياسادة] وكان السبب فى ذلك أن الكاهن جوان لما ضاقت حيلته وملوك الروم لم عادوا يسمعون مشورته فدخل على ملك اشبالية البب منظرين بن الارنط وقال له يا بنى اعلم أن دين النصارى اندثر وملك المسلمين اخرب الكنايس والديور والمسيح أمرنى ان أبلغك رسالته واطلب منك أن تجاهد على شريعته فان كنت طايع المسيح وطالب رضاه فجهز ركبة على المسلمين وقاتلهم واجتهد فى قتالهم فان النصر على يديك

فقال له يا أبانا جوان أنا على ما سمعت أن جميع ملوك الروم أولها بيبرس ملك المسلمين وأنا أخاف اركب يقتلنى وإذا وقعت فى يده لم يبايعنى ويقتلنى إنما أنا صنعت فى البحر غراب صفته كذا وكذا وهو قدر مدينة على وجه البحر وبه البب بواص أخى وهو فى البحر مقوم بألف من البطارقة فاما ارسله إلى مينة الاسكندرية فان ملكها ركبت بعده باقى عسكرى وأخذت حلب وبلاد الشام وأزحف بعدها على بلاد الاسلام فقال جوان مليح فارسل ذلك الغليون وفيه أربعة آلاف مقاتل كفار وهذا كان السبب ووصلت الاخبار إلى الملك محمد السعيد فركب وأتى إلى الاسكندرية ولكن كان الملعون بواص ملك المينا ودخل الاسكندرية وملا البلد بالكفار ولما وصل الملك محمد السعيد وحط على الاسكندرية كتب كتاب وأعطاه لناصر الدين الطيار بن سعدو قال له ودبه لذلك الملعون وهات منه رد الجواب فأخذه وصار حتى وصل الى الاسكندرية وقال قاصد ورسول فقام بواص بعد ما هدده ناصر الدين الطيار مثل العادة فقرأ الكتاب وإذا فيه من الملك محمد السعيد إلى الملعون بواص اعلم يا ملعون انك تعديت على بلادنا وطمعت نفسك بالمحال وفعلت مثل الفعال فاردت السلامة تنزل فى غليونك وتعود إلى بلادك وتترك عنك الطمع وان خالفت ترى ما يحل بك وبعساكرك من سوء المصرع والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى . فلما قرأ بواص الكتاب استعظم نفسه وقال كانى

خايف من المسلمين وأنا ماجيت الاعلى هلاكهم وأخذ بلادهم وكتب رد الجواب يقول ماعندى الا الحرب وأعطى ناصر الدين الف ذهب حتى طريقه وعاد المقدم ناصر الدين برد الجواب وسلمه للملك محمد السعيد فامر بدق الطبل حربى وجاوبته طبول النصارى وعند الصباح ركبت الاسلام ووقع بينهم الحرب والصدام وعمل الرمح والحسام وكان ذلك الملعون بواص جبار فقاص فى عسكر الاسلام وقاتل قتال مورث الحمام وأوقف الميدان ونظر الملك محمد السعيد الى فعاله فتحضر اليه ولطمه وحاربه فتأخر الى بعيد ورشقه بنبلة مسمومة فى فخذه فانقلب من الحصان فادركه أيدمر البهلوان وسنده من على الارض ونزل عن حصانه وركب عليه السعيد وأخرجه من الميدان وهو من ذلك سكران ولما جرى ذلك طاش العسكر وتغلغل الجميع وطمعت الكفار فى المسلمين وانزلوا بهم العذاب المهين ولولا العناية من رب العالمين لم يبق أحد من المؤمنين المجاهدين لان ملك الاسلام فى غاية الالم واذا بفارس طويل تقاطيع الفيل راكب على جواد من الخيل الجياد وهو كانه طود من الاطواد ومن بقايا قوم عاد ومن وراه الف تبعا كل منهم اقتحم الميدان وضرب بالسيف اليمان ونادى بدين النبى العدنان ودام ذلك الفارس خائض فى عسكر الكافرين والاتباع له تبع حتى وصل الملعون بواص وهجم عليه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرايقه وضربه بالشاكرية فى وسط رأسه شقها الى حد اضراسه هنالك كبرت المسلمون وآتاهم النصر من رب العالمين ومالوا على عصبة الكافرين حتى أهلكوهم اجمعين نزل ذلك الفداوى الى الملك محمد السعيد فرآه يتململ من النبلة المسمومة فسقاه من حجر البنزهير بعدما حكه فى اللبن وقال له لاتخف يا ملك محمدا فاصديق دولتكم المقدم عماد الدين هلقم وسبب مجيئى الى هذا المكان سمعت ان الملك قطلوخ مات فرحت حضرت عزاه عند اخوته وجيت لاسلم على السلطان فسمعت بهذه الركبة فاتيت الى خدمتك لاجل ان السلطان غير حاضر فالتزمت يا ملك ان أبذل المجهود فى طاعة المعبود حتى ان الكفار انقرصوا عن آخرهم وأما الغلبون الذى جاء ليسلمه القبطان أبو بكر البطرنى والاسلام والخيام تأخذها عساكر المسلمين فقال الملك محمد يا فداوى خذ اسلاب الكفار وفرقهم على رجالك لان رجالك تعبوا فى القتال

فقال لا والاسم لاعظم ما أحد يأخذ شيئا ولا بدل الا فى بيت مال المسلمين واما رجالى وأنا الناجامكية نقبضها على طرف سلطاننا الحاج شيحة والملك الظاهر جاعلين لنا شى يكفينا فعند ذلك أنعم عليه الملك محمد السعيد من الاسكندرية بعدما سلم الغراب الذى ذكره لابى بكر البطرنى ليصلح شأنه ويغير راياته وقلوعه ويقيه جنب غراب السلطان

العظمى ويسميه الغراب المجلوب له كلام واما المقدم عماد الدين تودع من السعيد وعاد طالب بلاده والملك السعيد سافر الى مصر منصور مؤيد وأقام يتعاطى الاحكام

[قال الراوى] وأما ما كان من الفداوية الذين طلعوا يفتشون على الملك الظاهر ان كل جماعة راحوا على فريق واعتمدوا ان يكون اجتماعهم فى القسطنطينية فلما وصلوا اليها اجتمعوا جميعا الا المقدم ابراهيم وسعد فلم يحضروا فأيسوا منهم وأما سعد وابراهيم وصلوا حلب فقال سعد لابراهيم سر من طريق وأنا من طريق فسافر ابراهيم حتى صار قريبا من برصة فدخل فى المغار ونام [ياسادة] وكان بجانب برصة بلد صغيرة اسمها نوشة وبها كافر اسمه المغيرب بن يركب اتفق ان ذلك الملعون مار زراعة البلد ومعه أتباعه فلما حمى الحرد دخل الى المغار فوجد المقدم ابراهيم نائم فبنجه وكتفه وأخذه ودخل به الى بلاده واقعدة وفيقه وكان قتل ابراهيم اباه يوم وقعة سبس فلما فيقه عاتبه وأمر بقطع راسه وكان المقدم سعد غايب فرأى زحمة فدخل ينظر الخبر فرأى ابراهيم وذلك الملعون فسحب سعد شاكريته وضرب الكافر رمى راسه وفك ابراهيم فقام ويده على ذى الحيات وكانت بلده صغيرة فقتلوا من دنى اجله وهربوا الباقون فقال سعد ايش أوقعك فحكى له على ماجرى وأنه كان نائما فاخذه الملعون من قومه وسار وامع بعضهم يدوروا على السلطان لهم كلام وأما النصارى فانهم لما قتل منهم من قتل مع كبيرهم فأرسلوا كتاب الى قلعة الدحم وكان بها كافر يقال له عقور بن متى فلما وصل اليه الكتاب جمع عساكره وسار الى مدينة حلب ولبس عساكره جميعا صفة ترجمان واجتمع على العقور ملك مدينة الغلطة واتفق معه فاتاه باربعة آلاف كافر وكانت عساكر عقور بن متى الذين لبسوا لبس الترجمان ودخلوا جماعة بعد جماعة حتى بقوا جميعا فى حلب ولما قدم العقور الى حلب سار فى مائة خيال حتى وصل الى باب حلب وارسل مائة اخرى من باب ثانى والثالث والرابع وهكذا الابواب السبعة وكل من دخلوا وضعوا السيف فيما قدامهم وكان الباب عيقور بعسكره جوى حلب فصاحوا صيحة واحدة ووضعوا السيف ونظر عماد الدين ابراهيش الى ذلك ورأى البلد أخذت وعلم انه ان وقع يقتل فهرب الى الشام وأرسل كتاب الى مصر فركب السعيد وجاء حط على حلب ونظر الملك المنصور والعيقور الى ذلك فاتفقوا أنهم ينزلوا الليلا ويسرقون امراء الاسلام وكان الامر كذلك وانسرق من عرضى الاسلام ثمانية عشر أميرا فى أربع ليالى وبقى محتار ان حارب فليس عنده من يقوم بالحرب وان سكت فلم يمكنه السكوت ولم يبق عنده من

الامراء إلا القليل فصار يتضرع إلى الملك الجليل واذا به يسمع التهليل والتكبير فى قلب حلب والنصارى خارجين من أبواب البلد فركب السعيد واستقبل الكفار ومعه أبطال الاسلام الأبرار وضربوهم بكل سيف بتار وقاتل حتى أهلك جميع الكفار ودام الحرب إلى آخر النهار وعادت الاسلام الى حلب ودخلوها وأهلكوا من كان فيها من الكفار وسأل الملك محمد السعيد على من فعل ذلك الفعال فقالوا له هذا المقدم عماد الدين علقم والسبب فى ذلك انه لما عاد من مصر سار إلى مدينة الرخام أقام عند أولاد الملك عرنوس ايام وعاد قاصد حصن صهيول فبلغه ان حلب أخذوها النصارى فسأل من الذى فعل ذلك فاخبروه بانه صاحب قلعة النجم فلبس الألف تبع الذى معه لبس النصارى وسار الى باب انطاكية واعلم الغفراء انه نجده من قلعة النجم ولما دخل البلد طلع الى الديوان وأول مافعل قتل العيقور والمغير ودار السيف هو وجماعته وركب السعيد وملكوا حلب بعد ما أهلكوا الكفار ولم ينفد إلا القليل واجتمع عماد الدين على الملك محمد السعيد فشكر فضله وانعم عليه ولموا الاسلاب وعاد السعيد إلى مصر وقلبه مشغول عن أبيه وبعد ايام طلع المقدم جمال الدين الى الديوان فقام اليه السعيد مثل ما يفعل أبوه ومشى واستقبله واجلسه عن يمينه فسأل شيحة عن السلطان فقال السعيد ياعمى من زمان نزل يشق السواحل فلم يعدوا أرسلت الفداوية يدوروا عليه فغابوا مدة وأتوا الا ابراهيم وسعد فلم يعودوا فقال شيحة لاحول ولا قوة الا بالله فما تم كلامه الا والمقدم ابراهيم وسعد مقبلين فلما رأوا شيحة قال ابراهيم يا حاج شيحة انت سلطان علينا وانا وسعد فينا الدنيا فلم نعلم للسلطان خبر ثم دخلنا الاندلس فسمعت من المهدى ملك الاندلس ان تجار جاءت من جزيرة الطرفين وأخبروه يقينا ان الملك الظاهر محبوس فى جزيرة الطرفين . فلما سمعت ذلك قلت لابد أن أرجع واعلم سلطان القلاع فان هذا مكان بعيد وأنا وسعد لم نقدر على خلاصه إذا لم تكن معنا وها أنت علمت نقم سافر هات الملك قال شيحة مرحبا بك يا أبا خليل ثم ان شيحة قال يا بنى اسماعيل كلكم تروحوا الى تلك الجزيرة وأنا واولادى معكم ولا يتاخر واحد منكم عن هذا المشوار والاجتماع فى مدينة الطرفين التى فى وسط الجزيرة فالذى لم يعرف الطريق ياخذ معه واحدا يعرف قال المقدم جبل أنا اعرفها وكذلك المقدم دراج الاصم وجماعة من المقادم عارفين ففرقهم شيحة وقال لهم اسبقوا قدامى قالوا سمعا وطاعة وأخذوا ابراهيم وسعد وحسن البشتاقى وقال لأولاده كلكم اسبقوا قدامى قالوا سمعا وطاعة وسار شيحة

إلى الاسكندرية ووسق عليون تجارة قماش كتان وبلح تمر وأرز دمياطى وعدس صعيدى لأن هذه عادمة من تلك البلاد وسافر حتى طلع على الاندلس وسأل المهدى ملك الاندلس عن الملك قال له فى جزيرة الطرفين وهذا خبر يقين فصبر المقدم جمال الدين حتى اخذ الراحة وقلبه على الملك يقتلى على التيران فالتفت إلى إبراهيم وسعد وحسن البشتاقى وقال لهم هذه الجزيرة بعيدة وأنا أعلم لها طريق من البحر لكن ارض البحر مغناطيس واذا مشت المراكب فيه تطير مساميرها قال ابراهيم يا حاج شيحة اعلم ان البر ولو بعد الانسان فيه شهرا أحسن من ساعة فى البحر قال شيحة هذا كلام تقوله بعقلك يا إبراهيم وأما انا فألقى نفسى فى الجحيم فاما أن اخلص الملك مما هو فيه من الكرب العظيم وأموت وأبقى قتيلا عديم وأنت مثلى لأن الملك بينه وبينك مواثيق وايمان وله عليك حق الصحبة والوداد وإن كنت تتخلى عنه يحرم عليك قال المقدم سعد إن الطريق أفاوالله لم اتخلى عنه ملك الاسلام ولو اموت غريقا أو حريق وأعدم السعادة والتوفيق قال شيحة ماهناك إلا الخير ثم ان المقدم جمال الدين اتى إلى قبطان فى مدينة الاندلس وسأله عن معرفة الجزيرة المذكورة قال له أعرفها لكن مركبى مسمرة بالحديد والحديد ينفره بحر المغناطيس قال له شيحة هذا شىء لم تحمل همه أنا أغير لك مسامير المركب بخشب وفى الحال أحضر النجارين وقلعوا مسامير المركب وسمروها بمسامير من الخشب الصاج وأغمروهم بالدهان من شحم السمك حتى تمكنت وأنزل فيها المتاجر الذى قدمنا ذكرها وكانت بنو اسماعيل حضرت فى الاندلس فانزلهم شيحة جميعا فى المركب وفردوا القلاع فما كان إلا أيام قلائل وصلوا إلى الجزيرة وهى جزيرة الطرفين ونظروها بالعين فاخفى الرجال شيحة فى عنبر المركب وطلع المتاجر وكان شيئا معدوما وكان ملك الجزيرة يقال له الفريط فلما علم بوصول هذه البضائع المعدومة إلى بلده وهى التمر والقماش والأرز ففرح بذلك وطلع المقدم جمال الدين وأخذ جانب تمر وارز وقدمه للملك الفريط هدية فقبله منه وأراد أن ينعم عليه قال له يابب انعامك على وهو أن تامر لى ابيع بضاعتى من غير احد يعارضنى واشتغل فى صناعتى قال له وايش صنعتك فقال له انا حكيم أداوى المرضى والمجاريح فقال له انت المطلوب وينفرج بك الكروب فعند ذلك اخذ له خان ووضع بضاعته فيه وبالليل طلع الفداوية وأدخلهم الخان وأقاموا فى امان وباع شيحة متجره وهو يرتقب اخبار السلطان فلم يعلم له مكان إلى يوم من الايام قال له البب الفريط ايش اسمك ياحكيم الزمان قال له أنا اسمى مقسطون وايش المعنى فى سؤالك عن اسمى يابب فريط فقال الفريط أنا مرادى اسالك هل أنت مريت على بلاد المسلمين

قال نعم مريت عليهم ورأيت ملكهم اسمه بيبرس ملك جبار وله سراقين رجال كبار ولهم صناعة فى العياقة والمنتار وملكهم مرتب الجزية على كل ملوك الروم ومن يشد الزنار وله سلطان من تحت امره فاجر سارق يسرق الرجال من اما كنها وله افعال لم ير ف أحد يوازيها اسمه شيحة يسرق البنات والدامريات فقال الفرقيط ومن ملوك الروم تخضع من هيبته وتذل من سطوته وملوك السواحل والمدن والقرى فقال شيحة نعم قال الفرقيط والذى يقدر على قهره يرتفع قدره عند ملوك الروم قال شيحة نعم ولكن من يقدر على ذلك ويرمى روحه لهلاك قال الفرقيط أنا ملكته فى بلادى احضرته وحبسته فى مملكتى وصار تحت قبضتى قال شيحة إذا كان ملك المسلمين فى قبضتك فان ملوك النصارى جميعا يبقوا تحت طاعتك ويخضعوا لهيبتك فان اردت أكتب لملوك النصارى بذلك وهم يأتوك بالهدايا من جميع الممالك إلا انى يا بب لا أصدق ان ملك المسلمين تقدر أن تحضره إلى بلادك فانه بعيد والوصول إلى بلده صعب شديد وهو جبار عنيـــد قال الفرقيط. وأنت إذا رأيته تعرفه

قال شيحة أنا عمرى ما رأيته إلا مرة واحدة ولكن حصل عندى منه خوف ورعب قال الفرقيط قم معى وأنا أفرجك عليه فقام شيحة وإياه حتى دخلوا السراية فكان السلطان واقف يصلى فتقدم شيحة اليه وقال له يا ملك المسلمين إيش تعمل بالقيام والقعود قال السلطان أنا أصلى إلى الملك المعبود الذى اهلك قوم عاد وثمود قال له هل انت على دين المسيح قال السلطان على الدين الصحيح فتركه وقال للفرقيط أيا بب هذا الرجل على وجهه هلاك الكافرين

قال الفرقيط ها هو عندى ولم يبق له خلاص من يدى وطلع الفرقيط إلى ديوانه وجلس بين جنوده واعوانه وأما شيحة فولع قلبه بخلاص السلطان فقال الفرقيط يا بابا الحكيم أنا سمعت ان هذا الملك خلفه عسكر لاتعد قال شيحة صحيح هذا ملك المسلمين وأنت قبضته وأنا اتولى على خدمته وأكون خفيرا عليه وإن اتاه احد من المسلمين يخلصه فاقبض الك عليه لأن مثل هذا لم يتركه المسلمون إذا علموا به انه عندك قال الفرقيط. وأنا محاذر عليه فسكت شيحة ولما كان عند المساء طلع إلى بنى اسماعيل وأخبرهم وأعلمهم مكان السلطان وقال لهم ادخلوا السراية فى هذه الليلة على السلطان حتى تخلصوه وورا هم الطريق فساروا جميعا حتى تمكنوا من السراية فلم تشعروا إلا والأبواب التى بين ايديهم انقفلت والأبواب التى دخلوا منها انقفلت وجاء اليهم بطريق على هيئة جوان وقال يامسلمون قولوا كلمتكم فان هذا قبركم والليلة آخر عمركم فقال ابراهيم ومن أنت قال جوان وكان هو المقدم جمال

الدين وطلع احضر الفرقيط وقال له يا بب هؤلاء مسلمون وقبضت لك الكل وانت اجعلهم قربان للقسيس والرهبان فلما نظرهم الملك الفرقيط فرح واستبشر وايقن بالنصر والظفر وقال للحكيم يا أبانا نقتل الجميع فقال الحكيم حتى يأتى شيحة وأولاده فانى أخبر الناس بشيحه فتتولى غفر المسلمين حتى يأتى شيحة يسعى فى خلاصهم فاقبضه معهم ونقتل الجميع فى يوم واحد حتى تعلم ملوك الروم بما فعلت ولكن اخفى هذا الخبر لانى أريد أن أدور بالليل وادخل الحانات والديور والكنايس على قبول الزيارة لعلى أن أنفع بشيحة فقال افعل ماتريد واحضر الافرورى وقال له إذا رأيت الحكيم ماشى بالليل أو بالنهار لاتعارضه فقال سمعا وطاعة وصار شيحة كل ليلة ينزل ليوضب أشغاله ويدور على الغفرا وهو يقرأ فى الانجيل حتى اعتقد أهل البلد أنه لم يكن فى الدنيا مثل البطرق قسطون إلى ليلة من الليالى وهو ساير وإذا بالافرورى صاح امسك فقبضوه فقال له أنا قسطون فقال له عارف ياسيدى انك قسطون ومالك الحصون الذى كشافية فيها ريب المنون فقال له شيحة كانك أنت مجنون فقال ليس بمجنون إلا الذى يحبس رجاله فى بلاد الاعادى فسلم عليه وكان هذا السابق واخوته جاءوا فى البر على طريق يعرفونها بواسطة الملكة تاج ناس وقال له السابق يا أبى أنت ماخلصت من ملعوبك ايش هذا الطول فقال شيحة فى هذه الليلة يهون الله كل أمر عسير فقال السابق أنا أتيت لك معى بقية عدتك فقال له شيحة كتر الله خيرك فانك دائما تساعدنى فقال السابق انت عد إلى غفرك وخلص اصحابك وأنا من أول الليل اتلف الغفرا ولم يبق على ايدينا يد فقال شيحة يا ولدى أنا شايف ان البلد ناسها كثيرة وإذا اطلقنا الملك والرجال لم نبلغ بهم آمال وانما هذه الليلة فاتت والليلة الآتية انا آخذ الملك وعساكر البلد واتركها خالية وانت تخلص السطان والرجال وتلحقنى على البحر وتكون خلصت الاشغال وبات وأصبح دخل الفرقيط فقام له واجلسه إلى جانبه فقال له يا بب اعلم ان المسيح أمرنى بالسياحة والمشى على البحر المالح والطيران بين الارض والسموات وأول الطيران عندى هذه الليلة فتعجب الفرقيط وقال يا حكيم ان فعلت ذلك لايبقى قبلك ولا بعدك فقال شيحة سوف ترى وغاب وعاد لابس البدلة الذى اعطاها له الخضر عليه السلام ودخل بها على الفرقيط ونفخ فى القرن فخرج منه شرار ونار ولعب فى أول الازرة فارتفع عن الارض مقدار ذراع وكذلك ثانى زرار فكه ثم الثالث والرابع حتى وصل إلى سماء السراية وقال يا فرقيط هيا انت ودولتك سيروا خلفى حتى تتفرجوا على كراماتى وما اعطانى المسيح من المعجزات التى لا يعلمها أحد من المخلوقات وطلع من

باب الديوان وسار فى الهوى حتى وصل إلى البحر وسار على وجهه والناس من خلفه يهرعون وعليه يتفرجون حتى وصل إلى الغليون الذى جاء فيه بالرجال من الاندلس وقال للقبطان بالعربى ادخل بالغليون المينة حتى يأتوك الرجال والسلطان وادخل بهم جميعا إلى بحر المغناطيس وأنا أكون معكم بعدما اقبض على الملك الفرقيط. فقال القبطان سمعا وطاعة ثم انه نقل الغليون وجعله فى صدر المينة وأما الملك الفرقيط ومن معه وقفوا ينظرون ما يفعل الحكيم من الطيران والمشى على وجه البحار هذا وشيحة صار ينتقل من مركب إلى مركب ويركب على القلوع شمال ويمين والناس اليه شاخصون وإذا بباب المدينة ظهر منه ناس مطرودين وإلى الخلاء هاربين وحلفهم صرخات كانها الرعود القاصفات وشواكر قاطعات فالتفت الملك الفرقيط فرأى رءوس طائرة ودماء من الادراج فائرة وخيول باصحابها غائره وكان راكب على جواده وحوله عساكره جميعا واجناده فعاد إلى جهة البلد فرأى الصياح منعقد والملك الظاهر راكب على جواد من أحسن الخيل الجياد وعلى يمينه المقدم ابراهيم بن حسن وعلى يساره المقدم سعد بن دبل وخلفهم ابطال الاسلام كانهم أسد الاجام وهم يهبروا فى الكفار هبراً وينثروا رؤسهم بالسيوف نثراً وكردسوهم على بعضهم خمسة وعشرة عشرة فصاح واى وهجم على ملك الاسلام وأراد أن يصدمه استصدام وقال له يا كناس من الذى اطلقك حتى ركبت هذا الحصان وخرجت إلى ذلك الوديان فلم يرد عليه السلطان كلام بل انه تقرب اليه حتى صار بين يديه وسحب الالت الدمشقى وضربه على وريديه اطاح راسه من على كتفيه ونظرت الكفار إلى حرب الاسلام الابرار فحملوا من كل جانب وهم بالسيوف القواضب فالتقوهم المؤمنون وطلبوا النصر من رب العالمين وحمى القتال وزادت نار الحرب بالاشتعال وطال المطال وتقطعت الاوصال ولعب الحسام الفصال وقطع المناكب والاوصال ودام الامر على هذا الحال حتى ركبت الشمس فى قبة الفلك وسلم من سلم وهلك من هلك فنادوا النصارى يا ملك الاسلام اعطنا الامان ونكون تحت طاعتك ونمتثل أمرك فقال السلطان ارموا سلاحكم وانا أعفو عن ارواحكم وكل من حمل سلاح فليس له من الموت مناص ولا براح فعند ذلك رموا سلاحهم وامنهم السلطان على أرواحهم ودخل السلطان البلد فالتقاها ملآنة بالقتلى والدما على وجه الارض سائلة فجلس على تخت الملك الفرقيط وطلب من أهل البلد التاجر الذى اتى به من انطاكية إلى تلك البلاد فاحضروه بين يديه فلما حضر قال له السلطان أنت رجل تاجر وايش أخراك على هذه الفعال حتى أتيت بى إلى هذه البلاد والاطلال

فقال له يا ملك الاسلام الذى أرسلك معى ملك انطاكية وأنا مالى ذنب فاتم كلامه حتى ضربه المقدم ابراهيم بذى الحيات قسمه نصفين وأمر السلطان بنهب جميع أموال الملك الفرقيط ونزولها إلى المراكب لان هذا حال ومال الكافر يباح نهبه لاهل الايمان فنهبوا كل ما كان فى سراية الفرقيط وقال السلطان لشيحة يا أخى أنت أتيت من أى طريق لان هذه البلاد بعيدة عن بلاد الاسلام فاعلمه شيحة بالمركب الذى صنعها وعمل مساميرها خشب حتى نفذها من ذلك البحر فأمر السلطان شيحة أن يفعل مثلها فى مركبين أو ثلاثة حتى يسافر الرجال فيهم والاموال ففعل شيحة مطلوب السلطان وأمر العساكر أن تنزل أموال الفرقيط وكلما نهبوه من البلد حتى ملؤا أربع غلايين أموال ومركبين كبار بالخيل والرجال وأراد الملك أن يهدم البلد بالمدافع فقال شيحة يا مولانا السلطان هذه بغاية حكمنا وانما تثبت عليها وزير الفرقيط. وينكتب اسمه وترتب عليه الجزية كل عام مثل ملوك الروم فقال السلطان أنا حالف على عدم المبايعة فقال شيحة يمينك صادق وانت ما بايعت الفرقيط بل قتلته ونهبت مملكته ولم تبق إلا البلاد خالية والاعداء جميعا هلكوا تحت السلاح فقال السلطان يا أخى افعل ما تريد وهات الوزير فأحضره شيحة وكان اسمه الوزير نادر ين فلما حضر قدام السلطان قبل الارض فقال السلطان يا نادر ين انت نظرت بعينك ما حصل على الفرقيط فاعتبر والزم أدبك وإن حصل منك تعدى على الاسلام فما جزاك إلا ضرب الحسام فقال نادر ين سمعا وطاعة يا ملك الاسلام وأنا أورد لك خراج هذا العام من عندى لقدام فقال السلطان تبقى ترسله فيما بعد قال ابراهيم ايش ان كان حاضر يورده حالا فضحك السلطان وأمر الوزير يدفع الخراج مقدم ونزل السلطان بالعساكر وعنده الاموال وطلب السفر والارتحال فاقبل السائق واخوته أولاد المقدم جمال الدين وسلموا على السلطان فضحك الملك لما رآهم لانهم هم الذين اطلقوه هو والفداويه من الاغلال فقال السلطان ابوكم يحبس وانتم تعملوا خلاصكم بالبلاد فقال السابق يا مولانا نحن جعلنا ارواحنا فدى الملك الاسلام ونزلوا فى المركب وطاب لهم الهوى باذن من على العرش استوى ايام بعد ايام حتى وصلوا مدينة الاندلس فطلع السلطان يأخذ الراحة ويلقى المهدى باشا الاندلس بقدوم الملك الظاهر فخرج اليه وتلقاه وصنع له الضيافات مدة ثلاثة أيام وقدم هدايا للسلطان وشيحة والرجال وقال يا ملك الاسلام انا قصدى أسير خلفك برجالى وافديك بروحى واموالى ولكن ليس لى قدرة على أهل ذلك البلاد لبعدها وكثرة عساكرها واجنادها والحمد لله على نصرة أمير المؤمنين وعودته إلى بلاد الاسلام

سالم وهلاك الكفار وجلب أموالهم للاسلام غنائم فشكره السلطان وأنعم عليه وبعد ذلك سافر السلطان من الاندلس فى البحر برجاله وأبطاله حتى وصل أنطاكية وضربت المدافع وكان المقدم جمال الدين طلع البر ودخل على ملك أنطاكية ليلا وقبضه ونزل به من سور البلد وانتظر حضور الغلايين بالملك ولما دخلت الغلايين قدم شيحة ومعه ملك أنطاكية فقدمه قدام السلطان وفيقه شيحة فرأى نفسه فى هذا المكان والملك جالس فقال الفرنماكوس يا ملك الاسلام ايش ذنبى وأنا طائعك وأورد الخراج ولم يحصل منى تقصير فقال الملك اما تعلم ذنبك يا ملعون وأنا ايش اوصلنى الى جزيرة الطرفين فقال يا ملك الاسلام انا كنت معك أرأيتنى لما قبضتك وأنت ملك كريم لا تأخذ البرىء بالسقيم فقال السلطان أنت ما أرسلتنى فقال جاءنا ولا أعلم وأنت لما حضرت وخلصتنى من الحصار فلم أجدك ثانى نهار واين الذى يحكى لك انى سلطته معه حتى يقول قدامى فقال السلطان اقتله يا ابراهيم فقال الفرنماكوس أنا فى عرصك يا ملك الاسلام يعنى اذا قتلتنى تنقص النصارى يا مولانا السلطان انا ادفع لك أجرة ركبتك خزنة اموال وأيضا أورد الخراج العام الماضى والقابل فقال السلطان أنا أسامحك هذه النوبة مع انى اعلم يا ملعون انك أنت الذى فعلت هذه الفعال وأرسلتنى الى جزيرة الطرفين فادركنى أخى جمال الدين بابطال المؤمنين وخلصت أنا وجميع المجاهدين وايدنى الله بالنصر والفتح المبين وبعد هذا ورد أنت كلفة سفرتى خزنتين وأورد لى جزية العامين والا وحق من مرج البحرين وأنار القمرين اقطع راسك واخمد انفاسك فقبل الارض وقال سمعا وطاعة وأورد المال ونزل السلطان الى البحر وسار الاسكندرية ومعه أموال لم يحصها كاتب وسافر الى مصر وانعقد له الموكب وطلع الى قلعة الجبل فى ابرك الايام وأقام يتعاطى الاحكام كما أمر النبى عليه السلام

[قال الراوى] وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق ان الخواجة شمس الدين السحرتى شافى يوما من الايام فى مدينة الشام فرأى ولدا صغير جميل الصورة فأخذه من باب الشفقة لكونه لم يعلم له أهل وسأل عن أبيه فقالوا له أهل الشام هذا من الضيع التى حول الشام فأخذه الخواجة وسماه عمران وادخله بيته وجعله بين أولاده والبسه ثياب جميلة مثل أولاده ودام معهم حتى كبر وانتشا والناس يظنون انه من أولاد الخواجة شمس الدين فصار هو صاحب الحل والربط فى تجار الشام واحتوى على اموال سيده والاخذ والعطا بيده وكان اذا حضر ملك الاسلام فى الشام يتولى خدمته الخواجة عمران ويقوم بكل ما يحتاجه ملك الاسلام من أقمشة ومتاع وأموال كما يعمل سيده فمن ذلك كان السلطان يحبه ويوصى عليه

الخواجات بالاطاعة له ونفاذ كلمته الى يوم من الايام كان السلطان مقيم فى الشام فدخل الخواجة حسان عليه وقبل الارض بين يديه فقال له السلطان يا خواجة عمران اطن أنك طالب شيئا فقال عمران يا ملك الدولة انا مترفد فى انعامك الزايد وانما المملوك يلتمس من المولى الاذن فى بناية محل بالشام لاجل السكنة ومحل المقام فقال السلطان ابنى فى أى أرض أردت بلا مارض يعارضك وأمر باشة مهندزان يجتهد له فى مطلوبه فبنى سراية وفى وسطها قصر وسماه قصر عمران وغرس دائرة بستان ووسع فيه حتى جعله مثل بستان الملوك وجعل فيه فسقية ووضع عليها أصناف وحوش وطيور من المرمر والرخام شىء يحير الافهام وبعد تمام البناية والبياض والنقش أحضر أرباب الفراشات وفرش القصر والسراية باطيب الفراشات وبعد تمامه عمل عزومة لاعيان الشام وأقام معهم على أكل الطعام والشراب والفواكه والحلاوات والمربات ما يذهل ألسن الواصفين ثم عمل عزومة مخصوصة لباشة الشام أقش النجيلى وافتخر على كل من كان فى الشام وصار مرفوع القدر عالى المقام [ياسادة] ولما عرف أنه علا قدره وارتفع عند الحكام ذكر، وشاع بين العالم نهيه وأمره فوسوس له الشيطان على أن يقتل سيده ويبقى هو وحده وليس له من يعارضه فسافر خصوصا الى مصر ودخل على سيده وقال له أنا قصدى اذا وصلت الى الشام لا يكون نزولك الا عندى حتى أعلمك بما سمعت عن السلطان فانشغل الخواجة وقال له ايش الخبر فقال له لم أقدر أذكره لك الا فى الشام وتركه وسافر وكان الخواجة شمس الدين السحرتى مشتغل بقضاء حاجة السلطان فلم يمكنه أن يكثر معه كلام ولكن صار قلبه مشغول حتى خلص من قضاء حاجة السلطان وركب وراح الى الشام ودخل على عمران فى القصر الذى بناه وقال له ايش الخبر الذى اخبرتنى عنه من قبل السلطان فقال ياسيدى ليس فيه الا الخير وانما مولانا السلطان سابقا قال لى مرادى ان اجعلك أنت باشة تجار الشام وأما سيدى فانه باشة تجار مصر فقلت له يا ملك الاسلام ما أنا الا مملوك لسيدى وليس لى حل ولا ربط الا بمشورته لانى غرس نعمته هذا الذى جرى فقال الخواجة شمس الدين وهكذا الكلمة التى تحوجنى ان أجى من مصر الى الشام حتى اسمعها ولا تستحق ان تبديها وتخفيها وسكت الخواجة ولم يعلم المقدر والكائن له فى علم الله وعند المساء وضع له الزاد ممزج بالبنج فأكل الخواجة واضطجع فقام عمران واخذه ووضعه فى طابق كان صنعه فى قلب ذلك القصر وكان مع الخواجة مملوكان فاخفاهما معه ووضع الجميع فى الحديد

ولما كان ثانى يوم افاق الخواجة من البنج ورأى نفسه على تلك الحالة فقال فى نفسه يا هل ترى من الذى رماني فى الاغلال وأنا كنت عند ولدى عمران واذا بحسان

عازل عليه فقال له لاى شيء فعلت هذه الفعال فقال عمران أنا قطعت عمرى فى خدمتك
وأنت مع أولادك وحريمك وخدمك تاكلون وتشربون والاموال تجمعون وانا
بينكم ليس لى حال ولا نوال الا الجرى فى الأبطال وان عدمت انت فى قيد الحياة
لم يعارضنى أحد فى مالك وأما بعد موتك فاولادك يأخذون المال وتبقى أنا يروح فى
البطال فقال الخواجة صدقت فى هذا المقال وبذلك تعرف أولاد الحرام وأولاد
الحلال وأنا أستحق منك هذه الفعال لانى أحسنت مرباك ولم اعلم أمك ولا أباك فطلع
عمران وهو متيقن أنه يبلغ بذلك قصده وثانى الايام راح الى أولاد الخواجه وكانوا
عنده فى مدينة الشام فسألهم عن أبيهم فقالوا له ما رأيناه بل سمعنا أنه أتى وسار الى
عندك ولم نعلم ماجرى بعد ذلك فقال أنا خائف عليه من اعدائه لربما يكون افترس به
أحد وقتله وبكى فبكوا أولاد الخواجه وقالوا له نحن طول عمرنا نعلم أن أبانا يسير من
مصر الى الشام والى حلب والى الروم والى العجم ولم تطرقه نايبة قط ولم يتعصب
أحد له بصايبة فقال لهم لابد أن أعلم باشة الشام ثم انه دخل اقش النجيلى باشا وقال
له ان الخواجة لم نعلم له مستقر فقال ما الذى أصابه فقال عمران لا نعلم وبكى فكتب
باشة الشام وأرسله الى مصر يعلم السلطان وأما عمران فانه دخل باكى على أولاد
الخواجة وقال لهم أنا مرادى منكم أنكم تاتوا عندى خفية فى قصرى حتى أتشاور معكم
كيف يكون التدبير فى كشف خبر ابيكم فصبروا الى الليل ودخلوا عنده فقال لهم
أنا مرادى كل واحد منا يدخل بيت واحد من كبار تجار الشام لعلنا نسمع لابيكم خبرا
أو كلام ثم انه قدم لهم الشربات مبنج فلما شربوا تبنجوا قبضهم ووضعهم فى الحديد
وانزلهم عند أبيهم الخواجه شمس الدين محبوس وإذا بأولاده قادمين عليه مكتفين
فلما رأوه بكوا فقال لهم قبضكم هذا الخائن وقصده أن يهلكنا جميعا ولكن الأمر
بيد الله تعالى [اسادة] وأما النجاب الذى أرسله باشة الشام دخل على الملك وأعطاه
الكتاب ففرده يجد فيه من حضرة باشة الشام إلى ملك الاسلام اعلم يامولانا ان
الخواجة شمس الدين السحرتى عدم من الشام وربيه عمران ضاقت عليه المسالك
وهو باكى العين على فقد سيده ولم نعلم له مستقر فارسلت لك هذا الكتاب حتى
يكون فى شريف علمكم والسلام فلما قرأ السلطان الكتاب أمر الفداوية أن يطلعوا
يدوروا على الخواجه شمس الدين وكانوا خمسة وثلاثين مقدام فساروا حتى دخلوا
على باشة الشام وسألوه كيف عدم الخواجه فقال والله يا مقدام لم اعلم له غريم
وإذا بحسان داخل باكى العين وهو يقول أدركنى ياأمين سيدى راح وأولاده أيضا
لم يبق لهم فى الشام خبر فقالوا الفداوية لا تخف نحن نفتش عليه ولا بد للخواجة
ان يظهر خبره فقال لهم أنتم جيتم بأمر السلطان تدرون عليه فقالوا نعم

فقال لهم أنا فى عرضكم دوروا عليه بجهدكم وأنا ملزوم بمصر وفكم ثم اعطى كل
عشرة ذهب وقال لهم أنا ليس معى هنا مال لاعطيكم مايكفيكم ولكن فى القصر عندى
بكثرة وإذا حضر تم قبل المسير يهون كل امر عسير وتركهم وراح إلى قصره وأما
الفداوية فقالوا البعضهم يعض احناشحاتين حتى يعطينا كل واحد عشرة ذهب مع اننا لنا على
بساط السلطان ما يكفينا ولكن هو معذور لكون انه ليس معه قبارصة فى جيبه
والصواب أننا نلحقه فى القصر وهو يعطينا فدخلوا على عمران فقال لهم اهلا وسهلا
وقام اليهم وحياهم وادخلهم القصر وفتح درج مليان من الذهب وصار يعد كل الف فى
كيس وقال لهم يا مقادم أنا عدلكم مصر وفكم على ما تخلصوا من العشا فأكلوا وكان
الطعام مبنج فتبنجوا وفى الحال انزلهم فى الطابق بعد ما وضعهم فى الحديد وفيقهم
قالوا له إيش فعلت ذلك قال لهم واقتم ايش الزمكم ونظروا إلى الخواجه فقالوا
له ان مولانا السلطان ازمنا أن ندور عليك وكان وقوعنا هنا من اجلك ولكن لا
نياس من فرج الله تعالى فانه قادر على الفرج ولابد أن يجعل لنا من هذا الضيق
مخرج قال الخواجه يامقادم أن كنتم تفتشوا على فيها انتم لتينمرنى والله تعالى يفعل
ما يشاء وأما عمران تركهم وسمع بعد ما وبخوه وشمتروه واعتمد انه يقتلهم فما يشعر
الا وإبرهيم وسعد دخلوا عليه وكان ارسلهم السلطان ليفتشوا على الخواجه فلما دخلوا
الشام قال إبراهيم يا سعد قبل دخولنا على اقش النجيلى باشة الشام نروح إلى عمران
ونساله عن عمه فقال سعد سر بنا فاخذه وسار به حتى دخلوا على حسان فقام لهم
وقبل ايديهم وطلع قرطاس ذهب وقال للمقدام إبراهيم خذ هذا حق طريقك من
مصر إلى هنا وقرطاس ثانى إلى سعد فزاغت عين إبراهيم للذهب واشتغل آماله حتى
يأخذ القرطاس الذى أخذه سعد فشاغله عمران وقدم له الطعام فقعد إبراهيم وسعد
واكلوا تبنجوا فى الحديد ونزلهم فى الطابق وفيقهم قال ليش فعلت هذا يا ابن ثلاثة
مطبله ايش فعلنا معك حتى تقبض علينا قال لهم عقلى اقتضى ذلك فقال إبراهيم
والله ياعمران أنت نفخ فى معاطفك الشيطان واتلفت نفسك على اى وجه
كان لان هذا الخواجة هو الذى وباك وصار اعز من ابيك وأنت جازيته بئس
الجزا سوف ترى ما به تندم إذا زال بك القدم هذا ماجرى وأما على بن الشباح كان مع
الجملة على اثرهم فدخل الشام على اقش النجيلى وساله عن المقادم إبراهيم وسعد قال
ما رأيتهم فقال قدامى دخلوا الشام فقال لا اعلم ولكن تعجب وكتب كتاب للسلطان
يعلمه بعدم إبراهيم وسعد وخمسة وثلاثين فداوى الذى اترا من مصر لاجل التفتيش
على الخواجه واولاد الخواجه ايضا عدموا فلما قرأ السلطان الكتاب ضاق صدره

فاجلس ابنه السعيد على تخت مصر وركب خفية وسار الى الشام ودخل على الباشا وهو مختفى وقال يا دولتلى هذه المصيبة لم يصب بمثلها أحد ولم يخرج عقله الا حسان فان عقله خالطه الجنان ولم يبق له نفع الا المرستان قال السلطان ياهل ترى تعلم للخواجة اخصام يقصدوه على هذه الاحكام فقال الباشا لا اعلم يامولانا فقال السلطان أنا أسأله ثم قام الملك وسار الى قصر عمران ودخل خفية ولكن عمران لما رآه عرفه فانكر معرفته وجعل يبكى ويشكى ونظر للسلطان وهو فى صفة أعجمى فقال له يادرويش ادعى لسيدى ان الله يرده علينا عن قريب قال له ياولدى الله تعالى لم يطول على سيدك غياب بحرمة النبى الاواب قال عمران آمين يارب العالمين ومن شاعته أخذ يد السلطان وطلع به الى أعلى المكان وقدم له كاس شربات حتى رقد ووضعه فى الحديد ونزل عند الجماعة وفيقه فوجد نفسه مع الجماعة فاطمأن لان السلطان لا يجزعه الحديد وليس مثل الفداوية فانهم واخدن على مثل ذلك فقال السلطان ياشمس الدين ايش ذنبك مع ذلك الملعون المفتون قال يامولانا ذنبى مثل ذنوبكم وفعلى كافعالكم ولكن انا المخطى لمكونى ربيت من لا أعرف اصله وأقاموا فى ذلك الطابق وهم يلومون أنفسهم كيف ولدا مثل هذا تبيضهم جميعا وجعلهم فى ذلك الطابق لهم كلام وصار عمران طالع نازل وكلما أعرف أحدا من أقارب الخواجة يحتال عليه حتى يقبصه ويضعه فى الطابق حتى ملأه من خلق الله وانظلقت النار فى مدينة الشام ووصل الخبر الى مدينه الرخام فقال الملك يتمورج بن الملك عرنوس لاخيه الملك دورة يا أخى احنا ذا جرى علينا أمر اوسطا علينا عدو فاجر ولم نقدر عليه فيدركنا السلطان ولم يتخلى عنا وهذه محبة جرت فى الشام انفقد فيها السلطان وأبطال الاسلام ونحن فى مدينة الرخام كاننا قيها سكارى أو نيام فقال دورة يا أخى واجب علينا نروح الى بلاد الشام انكشف تلك الغمة عن الاسلام ولكن يا أخى ايش يعرفنا الغريم حتى نقبض عليه ونسأله عن السلطان ومن معه

فقال يتمورج أنا أروح واذا وصلت باذن الله افتش على من فعل تلك الفعال وينصرنى الله الملك المتعال وأنا وحياة رأس الملك عرنوس لم أعد الا اذا قضيت الاشغال ثم انه ركب فى عشر مماليك من مماليكه وسار بقوة واهتمام حتى دخل مدينة الشام ودخل على افتش النجيلى وقال له أين مولانا السلطان فقال ياسيدى لا أدرى ولم أعلم له مكان فقال الملك يتمورج أنا أعرف مكانه ولابد من كشف خبره عن قريب بعدما افتش بيوت الشام بيت بيت ثم انه أمر باحضار شيخ الحدادين وقال له اصنع لى أربعين مجسس من البولاد أفتش بهم البيوت حتى لا يفوتنى فى فعلى فوت فقال الحداد سمعا وطاعة وأمر

بالمنادى فى الشام أن كل من كان له حريم يخاف فالتعرض على الملك يتمورج لان يبقى ليلا ونهارا وكل من ظهر عنده المصيبة لم يصب بمثلها أحد ولم يخرج عقله الا حسان فان عقله خالطه الجنان ولم يبق له نفع الا المرستان قال السلطان ياهل ترى تعلم للخواجة اخصام يقصدوه على هذه الاحكام فقال الباشا لا اعلم يامولانا فقال السلطان أنا أسأله ثم قام الملك وسار الى قصر عمران ودخل خفية ولكن عمران لما رآه عرفه فانكر معرفته وجعل يبكى ويشكى ونظر للسلطان وهو فى صفة أعجمى فقال له يادرويش ادعى لسيدى ان الله يرده علينا عن قريب قال له ياولدى الله تعالى لم يطول على سيدك غياب بحرمة النبى الاواب قال عمران آمين يارب العالمين ومن شاعته أخذ يد السلطان وطلع به الى أعلى المكان وقدم له كاس شربات حتى رقد ووضعه فى الحديد ونزل عند الجماعة وفيقه فوجد نفسه مع الجماعة فاطمأن لان السلطان لا يجزعه الحديد وليس مثل الفداوية فانهم واخدن على مثل ذلك فقال السلطان ياشمس الدين ايش ذنبك مع ذلك الملعون المفتون قال يامولانا ذنبى مثل ذنوبكم وفعلى كافعالكم ولكن انا المخطى لمكونى ربيت من لا أعرف اصله وأقاموا فى ذلك الطابق وهم يلومون أنفسهم كيف ولدا مثل هذا تبيضهم جميعا وجعلهم فى ذلك الطابق لهم كلام وصار عمران طالع نازل وكلما أعرف أحدا من أقارب الخواجة يحتال عليه حتى يقبصه ويضعه فى الطابق حتى ملأه من خلق الله وانظلقت النار فى مدينة الشام ووصل الخبر الى مدينه الرخام فقال الملك يتمورج بن الملك عرنوس لاخيه الملك دورة يا أخى احنا ذا جرى علينا أمر اوسطا علينا عدو فاجر ولم نقدر عليه فيدركنا السلطان ولم يتخلى عنا وهذه محبة جرت فى الشام انفقد فيها السلطان وأبطال الاسلام ونحن فى مدينة الرخام كاننا قيها سكارى أو نيام فقال دورة يا أخى واجب علينا نروح الى بلاد الشام انكشف تلك الغمة عن الاسلام ولكن يا أخى ايش يعرفنا الغريم حتى نقبض عليه ونسأله عن السلطان ومن معه

فقال يتمورج أنا أروح واذا وصلت باذن الله افتش على من فعل تلك الفعال وينصرنى الله الملك المتعال وأنا وحياة رأس الملك عرنوس لم أعد الا اذا قضيت الاشغال ثم انه ركب فى عشر مماليك من مماليكه وسار بقوة واهتمام حتى دخل مدينة الشام ودخل على افتش النجيلى وقال له أين مولانا السلطان فقال ياسيدى لا أدرى ولم أعلم له مكان فقال الملك يتمورج أنا أعرف مكانه ولابد من كشف خبره عن قريب بعدما افتش بيوت الشام بيت بيت ثم انه أمر باحضار شيخ الحدادين وقال له اصنع لى أربعين مجسس من البولاد أفتش بهم البيوت حتى لا يفوتنى فى فعلى فوت فقال الحداد سمعا وطاعة وأمر بالمنادى فى الشام أن كل من كان له حريم يخاف فالتعرض على الملك يتمورج لان يبقى ليلا ونهارا وكل من ظهر عنده الملك ومن معه فجزاه الا قطع رقبته واسلاب نعمته وثانى يوم أول ما افتش الملك يتمورج سراية الشام وبيت الباشا وبعد بيوت الباب الدولة وصار يدخل نفسه من مكان الى مكان ويحسس بيده الارض والسلالم البحسات البولاد هذا كله يجرى وعمران ينظر ذلك عيان فاحتار فى امره وتخيل وعلم أنه اذا دخل فى بيته يتمورج فانه لاشك أنه يظهر المخبى وان قتلت الذى عندى لم أجد مكانا ادفنهم فيه وان صبرت حتى يأتى يتمورج لى مكانى ويفتش عندى كما يفتش عند غيرى فانه يكشف سترى وحالى وانما احتال عليه واقبضه ان قبضته اهلكه ولا القى عليه م انه صار يقبع الملك يتمورج أين ما صار وهو يبكى ودموعه على خدوده غزار وعند آخر النهار تقدم الى الملك يتمورج وقال له ياسيدى رحمة الله على والدك فانه كان دائما يكشف الغمات عن بلاد الاسلام وله على مثل ذلك قوة واهتمام الله تعالى ان الغريم فى يدك ويبلغك كل قصدك فقال له الملك يتمورج أنت من تكون من الدول فقال ياسيدى أنا ربيب الخواجه شمس الدين السحرتى شريك السلطان فقال له يتمورج لاى شىء تبكى قتل لك أحد الاخوان أو لك مرتبة عند الملك فقال ياسيدى أنا بكايا على سيدى لأن عليه معتمدى فقال له ومن سيدك قال الخواجه شمس الدين فنظر اليه الملك يتموورج وقال له انت بيتك أين حتى انى افتشه كما فتشت غيره من البيوت فقال ياسيدى هذا بيتى أنا وهذا الخان ملكنا نضع فيه بضايعنا فقال يتمورج واجب عليك أن تكرمنا فى جوارك وأنا ان شاء الله تعالى ابلغك أملك وأقضى أوطارك فقال عمران ياسيدى انعم واكرم ولا يعار ولا ندم سعى المولى إلى الخدم وحياة رأس الملك عرنوس ما بقى يمكنك إلا أن تدخل سرايتى وتأكل ضيافتى فقال له الملك يتمورج وكيف انت حزين على مولاك وتصنع الولايم لاحبابك ورفقاك فليس هذا عادات الناس فقال له ياسيدى يمكن بقدومك يحصل السرور وينجوا الناس جميعا من المحذور ولله عاقبة الامور فقال له يتمورج سر قدامى حتى أجى خلفك فسار عمران قدام الملك يتمورج حتى ادخله القصر واجلسه على الفراشات وأمر باصلاح الطعام وقدمه بين يديه وكان عادات الملك يتمورج لا يأكل طعام إلا إذا أخذ ششنية فأخذ من صحن قطعة لحمة براس الشوكة وحذفها إلى قط كان واقف بجانبه فما هو أن أكلها وصرخ صرخة مقلوبة وتنافرت اصلاعه من جثته ومات من وقته وساعته فنظر يتمورج إلى هذا الحال فقام على قدميه ويده على طبرانيه ضرب حسان عقمته كظم الارض

بجبهته وأوثقه كتاف وقال له لاى شيء سميت لى الطعام بذلك فقال لا أعلم ياسيدى فلا تكن على متعدى فقال له وأى تعدى حصل منى أنت الذى عزمتنى ووضعت لى السم تقصد أن تقتلنى ولا فعلت معك قبيح ولا مليح أنت البادى بفعلك الذى هو غير مليح وإنما أنا عايز منك السلطان وأبطال الاسلام ان كانوا على قيد الحياة وإن كنت قتلتهم فاعلمنى أين دفنتهم فقال عمران لم أعلم بهم فاحضر اقش النجيلى باشت الشام وأطلعه على هذا المرام فالتفت الباشا إلى عمران وقال له اصدقنا فى المقال أحسن لك من العذاب والنكال فانك وقعت وخلاصك بعيد أولى لك من العذاب الشديد فقال عمران أنا مشتغل بعدم سيدى الخواجه شمس الدين السحرتى فقام الملك يتمورج وبطحه على وجهه وضربه بيده ألف سوط ولم يقر وأشرف على العدم فقاموا نجار الشام على يتمورج وقالوا له يامالك يتمورج حرام عليك فقال ايش الذى فيه حرام بعد ماعزمنى هذا الكلب ووضع لى السم فى الطعام وأنا وحق الملك العلام لم اطلقه أبدا إلا إن حضر مولانا السلطان والفداوية وسيده بالجملة يسلمه اليه فان كان يقر قتلناه ومن عذابه ريحناه وإن لم يقر أعذبه بانواع العذاب ولا اتركه إلا بعد مايعدم وأرمى جثته للكلاب فلما تم الملك يتمورج كلامه حتى قال له الحداد يامالك وانت لاى شيء امرتنى أن اصنع لك المجسات الحديد أماهو على أن تبلغ بهم كلما تريد وهذا يا ملك قصر عمران بين يديك إما أن تدخل تطلع منه السلطان أو تأمرنى حتى ادخل اليه ولا أطلع إلا بالسلطان وترابعه حواليه فقال يتمورج دونك ياعم وماتريد أنا قصدى خلاص الملك على أى حال كان فدخل الحداد وأخذ المجس وشك الارض فبان له الطابق المتقدم ذكره ففتحه وكان فى ذلك الساعة الملك مقيم فقال له ابراهيم يامالكنا أنا رأيت ان الحاج شيحة قدانى إلى الملتقى ويخلصنا فى هذا اليوم فقال له سعد عمرك لم تعم إلا فى النوبة لما اذهلك بالذهب بقت عيونك لابحة له فقال ابراهيم صدقت ولكن هذه النهار يأتى الفرج باذن عالم الاسرار لكن يعنى الحاج شيحة كان يقول انه وقت مايه كريحضر وكأنه فرغت كرامانه وإن بقينا نقع فى مشكلة لم ينجدنا منها ابداً فقال السلطان انه يا ابراهيم كان تذكر شيحة بالقبايح فى حضرتى فقال ابراهيم هو الذى قال ذلك المقال واعتمدوا قوله جميع الرجال وانا أنده عليه فى هذه النوبة لعل يكون خلاصنا على يديه وإن لم يحضروا حتى مقام الرسول اعصى عليه ثم انه صاح انت فين ياسلطان القلاع والحصون ياحاج شيحة يامن أنا عبدك ادركنى هذا وقتك وإذا به نازل من باب الطابق وقال السلام عليكم فلما نظر ابراهيم اليه قال اسم الله عليك حقيقة انت سلطان وتستاهل

الف سلطنة والحق عندى أنا ولو تذكرت وكنت من أول يوم نزلت فى هذا المكان طلبتك للخلاص لكن هذا مقدور وكان شيحة فك المالك وقال له اطلع فطلع وكان يتمورج واقف على الطابق وقال له ابن الحداد فقال المالك ما هو حداد بل هو ملك القلاع والحصون المقدم شيحة وفى الحال طلعوا الفداوية والخواجة شمس الدين السحرتى وأولاده وقرايبه واتباعه فقام الملك يتمورج وقبل يد السلطان وقال ياأمير المؤمنين هذا الذى فعل بكم هذه الفعال هو عمران ابن الخواجة شمس الدين السحرتى وقال له هذا ولدك فقال حاشا لله وإنما أنا لقيته فى بعض الطرقات وهو صغير وربيته وهاهو جازانى على ربايته فلعنة الله عليه وعلى تربيته فأمر الملك بشنقه على باب الشام وان يتفرج عليه الخاص والعام فصلبوه على باب البلد وكان لصلبه يوم مشهود وراح إلى لعنة الله عليه [قال الراوى] وأقام السلطان بأرض الشام فى ضيافة الخواجة شمس الدين السحرتى ثلاثة أيام فرق الصدقات الخواجة على الفقراء وعلى الأرامل والأيتام وبعد ذلك قدم الملك يتمورج وقبل يديه وستأذنه فى العود إلى مدينة الرخام فاذن له بعد ما أنعم عليه وأخذ خاطره وسافر الملك الى مصر وانعقد الموكب له والدخول على حسب العادة وشملته المكارم والعادة وطلع إلى قلعة الجبل بتعاطى الاحكام وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق إلى ظهور المقدم سيف بن أسد وسبب منشاه ان المقدم حسن البشنانى كان له كيخية يسمى المقدم أسد وهو من جملة كواخيه لكنه بطل شجاع وقرم مناع فاتفق انه عبر على ضيعة فى بر الشام اسمها البرقة وبها عايق فداوى من جبارة النصارى اسمه المقدم بروق فلما عبر المقدم أسد على ذلك الضيعة فرأى بنات يلعبون وبينهم بنت اسمها مارية وهى بنت المقدم بروق فلما نظرها نولع بها فانكب عليها وخطفها وأردفها على كفل حجرته وسار بها إلى قلعة بسنة وأدخلها عند والدته فقالت له من أين هذه البنية قال لها خطفتها من النصارى فقالت يا ولدى لاتقربها الا ان اسلمت وخذها بالكتاب والسنة وأما ان دخلت بها فى الحرام تبقى سفاح بغير عقد نكاح وان حملت منك فيكون الولد ابن زنى قال المقدم أسد ها انا أتيت بها إلى هنا فاسلمت وتزوجت بها وان لم تسلم قتلها فصارت امه ترغب مارية حتى هداها الله تعالى واسلمت فاعطاها حرمدانه مقدم صداقها ودخل بها واقام معها اربعة اشهر فمرض مرض الموت فسار الى المقدم حسن البشنانى فلما صار بين يديه قال له يا خوند انا زوجنى هذه مارية اعطيها حرمدانى مقدم صداقها ارلا وها انا صرت مريض كما ترى ولم يكن عندى الا سلاحى وحجرتى وعلى حزامى مقدار الف قرصى ذهب وخلفى هذه مارية زوجتى وزهرة والدتى وصى على زوجتى وهذه نسيبتى ان جابت

غلام ياخذ سلاحى وحجرتى ويتربى تحت يدك مع أمه ووالدتى وبعد أيام أدركه الحمام ومات جل الباقى على الدوام فواروه التراب وأما أبو البنت فهو جالس والبنات دخلوا عليه وأعلموه بان بنته خطفها سارق مسلم فطلع يقتفى الجرة فتاهت الجرة منه فعاد الى البنات وسألهم عن صفة الذى خطف ماريه بنته فوصفوا له صورته وكان له أربعون تبع كل واحد منهم مقدم بقلعة قال لهم دروا قلاع المسلمين واكشفوا لى عن خبر بنى مارية فساروا يطوفون القلاع والحصون ومنهم جماعة دخلوا قلعة بشنة وكان دخولهم يوم دفن المقدم أسد فرأوا النساء لابسين الاسود فسألوا عن عجايز القلعة قالت لهم عجوز هذا مقدام كان فى بلاد النصارى وأتى ببنت تزوج بها فكانت مشئومة عليه وحكت لهم على قصتها فعرفوا ان هذه بنت مقدمهم فصبروا الى الليل وهم مختفون ونزلوا على البنت سرقوها وساروا بها ليلا فى تعب ومشقة حتى وصلوا إلى قلعة برقة وقدموها بين يدى مقدمهم فلما رآها قال لها كيف رضيتى بالمسلم يعملك جناقة قالت هذا غصب عنى قالت أمها وهى ايش ذنبها قال انا مرادى قتلها فقالت كيف تقتل منك ابقيها ولا تقتلها فان جابت ولدا اجعله ابنك فابقاها واقامت عند أبيها وأمها وأما المقدم حسن لما أصبح فلم يجد البنت فدور عليها فلم يعلم لها خبر وانتهى ذلك الزمان وتزوج سعد باخته عيشة باكرام وأما البنت فأقامت خمسة أشهر وظهر عليها ووضعت غلام فسموه سيف فطلع شجاع وتربى إلى أن بلغ من العمر خمسة وعشرين سنة فضعفت أمه وأشرفت على الموت فأحضرت ابنها وقالت له اسيف أنا صرت من الاموات ولكن قبل موتى أعلمك بما فى قلبى فقال وماهو فقالت له أنا مسلمة وأبوك مسلم وكان اسمه المقدم أسد وهو كيخية المقدم حسن البشنانى صاحب قلعة بشنة وأنت اسمك سيف بن اسد واما بروق فهو أبى وهو كافر وانا مؤمنة وأبوك مؤمن فان هداك الله ياولدى للايمان فهو المراد وان كنت ترغب فى الكفر فانا بريئة منك فقال لها ولاى شىء لم تعلمينى قبل هذه الايام فقالت له ياولدى كان أبى يقتلك وها أنت صرت راجل وتعرف الطيب من الردى وقد اعلمتك وخلصت من ذنبك فقال المقدم سيف والله ياأماه أنا ليس لى عين انظر الى النصارى وأحب دين الاسلام ولكن نقول ايه حتى أصير مسلم فعلمته الشهادة فنطق بها قلبا ولسانا وهامت وجروحه للايمان ولم يتم يومه إلا ونور الاسلام ظهر على وجهه وطلع أعلم بروق وقال له أنا مسلم وأمى مسلمة وأبى مسلم فكيف تقول انى ولدك وانت كافر فقال له ومن أعلمك فقال له امى فقال له ان كنت تسلم بخاطرك وان كنت تفضل نصرانى بخاطرك وخاف بروق منه وصبر الى ثانى الايام وطلع المقدم سيف لاجل

الصيد فدخل بروق على بنته وقال لها يامعونة ماكفاكى انك مسلمة حتى اعلمتى ابنك خليته يسلم فقالت له انا خلصت وقبتى من الذنوب لانى من الاموات فضربها بخنجر قتلها فطلعت روحها على الايمان وعند موتها أقبل ولدها المقدم سيف فوجد أمه مقتولة ورأى بروق واقف على رأسها ينفخ كالثعبان الارقط فقال له لاى شىء قتلت أمى فقال له لكون انها أسلمت فقال له ياملعون وتظير ماهى مسلمة تقتلها وحط يده على قبضة السيف وضربه على وريده أطاح رأسه من على كتفيه فصاحت زوجته واى وخرجت صارخة إلى وسط القلعة فسألوها الاتباع فقالت لهم ان المقدم سيف قتل بروق كبرهم فدخلوا عليه وهم جاذبين سيوفهم وقالوا له ياكاس تقتل مقدمنا وحملوا على المقدم سيف بقلب أقوى من الحجر وجنان اجرى من البحر إذا ذخر ومال عليهم كل الميل وأجرى دماهم مثل السيل وكالهم كيل واى كيل وأبلاهم بالحرب والويل فطلبوا منه الامان فقال لا أمان إلا لمن يسلم فعند ذلك اسلموا جميعا وانقلبت القلعة كلها اسلام وهداهم الملك العلام وجمع أموال القلعة واحتوى عليها واطاعته اتباع جده وصاروا عساكره وجنده وأقام مدة ايام وبعد ذلك تفكر أن له أهل مؤمنون فاقام له وكيل على قلعة برقة وسار الى قلعة بشنة وكان المقدم حسن البشنانى جالس فى قلعته واذا بالمقدم سيف دخل وسلم عليه وقال له الله اعلم انك يامقدم لم تعرفنى فقال له المقدم حسن ياصبى انت بالحقيقة أشبه الناس بالمقدم أسد وهو ابن عمى من الاب وابن خالتى من الأم ولكن من زمان راح للحج واتى معه ببنت وتوفى وبعد وفاته لم أرى البنت ولم اعلم لها مكان الى الآن ولاشك أنك ولدها وأنت ابن المقدم أسد وان عندى مال أبيك وسلاحه وحجرته وملبوسه وهذا الف فرح الذى أنت موجود ولكن لا يثبت لك ذلك إلا إذا رأيت أمك وصدقت عليك انك ابنها من المقدم أسد ونسبتك فقال له المقدم سيف وإذا كنت على ماقلت انك أخذتنى بالشبه أما ثبت عندك انى ابن المقدم اسد فقال حسن الشبه لا يعتبر به إلا باثبات النسب قال له اما من جهة النسب فمثبوت عند الله وانت تعرف وإنما الشيطان يزين إنك تنكرنى حتى لا يبقى لى حق فى القلعة ولا فى مال أبى مع انى لم كنت اعلم ذلك وأمى قبل موتها اعلمتنى واذا لم أصدق وانت الذى قويت يقينى واثبت ان لى حق فى هذه القلعة ولى عندك مال ابى والاسم الاعظم ان ماأعطيته لى بلا حجة والا اثبتها بينى وبينك حرب واشبعك طعنا وضرب فقال المقدم حسن البشتانى ايش تقول ياقرن والله ان شنقت نفسك لم نعطك حبل مرسن تتعلق فيه إلا بعد حرب بهذه الجبال وطعن يذهل عقول الرجال فقال المقدم سيف ان كنت تريد ذلك فانى لم نرضى

تفوت حق أبي فى القلعة ولا تركته التى احتويت انت عليها وتربيت أنا يتيم فى بلاد الكفار قم على حيلك اركب حجرتك وابرز إلى الميدان حتى أخلص منك ما سبقه من قديم الزمان فعندها ركب المقدم حسن البشنانى وقال لسكواحيه يا رجال على ما تعلمون ان هذا الصبي ابن المقدم اسد يطلب حقه فى مقدمية القلعة وها أنا ابارزه فان قهرته لم أعطه شيء وإن قهرنى فالفخر لمن تشهد له خصماه قالوا الرجال ياخوند ان كنت تعلم ان أبا هذا الصبي ابن عمك فلأى شيء لم تعطه حقه قال هذا سيف المقدم فقال سيف انت رجل طماع وانا أعرفك مقام نفسك فى الحرب والقراع

[قال الراوى] فانطبق الاثنان على بعض ودوت أصواتهم مثل دوى الرعد وخرجوا من الهزل إلى الجد واوسعوا المجال طولا وعرض وكان المقدم حسن البشنانى احتقر المقدم سيف فى عينه حتى انطبق عليه وعرفه فرآه فارس لا يصطلى وجبلا كلما قرب منه شمخ وعلا فندم حسن البشنانى الذى ما كان من الأول أخذ بخاطره ولكن ما بقى ينفع الندم إذا زل القدم ودام القتال بينهم حتى ان المقدم حسن كل ومل وبعد عزه ذل فقام المقدم سيف من ركابه وصرخ فيه أذهله وتعلق بجلباب درعه خبله وعصر على خناقه كاد ان يطير احداقه وجذبه برجله وحط يده على الشاكرية وأراد ان يضربه يقسمه نصفين فعارضوه الكراخى وقالوا له ياخوند عيب عليك إذا كان هذا عمك وهو مؤمن فكيف تقتله فقال لهم يامقادم أنا سؤالكم لم أضيعه ولكن إذا كان عمى هذا راجل وأبى ضيع أبى عنده وسرقوها الكفار وأخذوها وهى حامل وهى أسى فلم يسأل عنها ولا دور واحترى على حق ابى ان كان كثيرا أو قليل وتركنى تربينى الحرمة يتيم فى بلاد الكفار حتى قتلوها اهلها بسبب اسلامها فلو كان عمى هذا عنده مروءة رجال كان دور علينا وخلصنا من الكفار ولما كبرت انا وأتيت اطالب حقى منه ادعى انه لم يعرفنى مع انه هو الذى قال لى انت تشابه المقدم أسد ولما سألته عن حق ابى قال لم اعرفك وركب حجرته يحاربنى بدلا عن عزومتى ولو كنت عاجز عنه لكان قتلنى وأتلف مهجتى والله تعالى نصرنى عليه وأنتم يامقادم عارضتونى على عدم قتله فأنا لم أكسر خاطركم وإنما يأخذ حريمه وعياله من هذه القلعة ويخليها ويجعلها ثمن رأسه وإن خالف قتلته فقالت له الرجال إش قلت يا مقدم حسن فقال ارحل على بيسان وأخلى له قلعة بشنة فاطلقه لحين اطلقه ركب حجرته ودخل المقدم سيف القلعة وطلع إلى ديوانها وأرسل تبعا أتاه بالف خيال من قلعة برق من الذين اسلموا معه والمرسال الذى راح لهم اعلمهم بما فعل فاتوا إلى قلعة بشنة وهم فى صحة دونه فتلقاهم المقدم سيف وأدخلهم القلعة وأقام ذلك النهار فقالوا له رجال

القلعة ياخوند قبل كل شيء ارسل للحاج شيحة اخبره وطمه وكتب اسمه على شواكرك حتى يبقى اسمك مثل الرجال فقال المقدم سيف وهذا شيحة ايش يكون فقالوا له سلطان القلاع والحصون واعلموه بصورته ومناصفه وحيلته فقال شيحة معزول وأنا الذى أبقى سلطان على القلاع والحصون وإن رأيت شيحة قبضت عليه إما أن اقتله وإما أن يطيعنى حتى تشهد لى الرجال بأنى بلغت درجة الكمال ولما امسى المساء دخل المقدم سيف للمنام ولم يفق إلا أن وجد نفسه فى مغار مكتف اليدين ومقيد الرجلين وعلى رأسه رجل قصير وإلى جانبه المقدم حسن البشنانى فقال المقدم سيف ايش هذه الغطارة عجزت عن الحرب مقام المقادم والامراء واتيت تسرقنى بالصوصية والحياره وعرفت انك عاجز عديم المروءة افعل مابدا لك فان قتلى خير من حياتى وانظر أمثالك فقال حسن البشنانى انا ما سرقتك ولا جيتك وانما اتى بك هذا سلطان القلاع والحصون الذى طاعته علينا فرض فانه سيف الله فى الارض طولها والعرض [قال الراوى] والسبب فى ذلك أن المقدم حسن لما ركب وطلع من قلعة بشنة تحسر وندم على ما فعل مع المقدم سيف وقال لم يخلصنى مما أصابنى إلا الحاج شيحة وصاح بعلو صوته انت فين ياحاج شيحة ياسلطان القلاع ادركنى وكان شيحة قادم من الشام بعد ماتودع من الملك وجرى له ماجرى فسمع الصوت فالتقاه حسن البشنانى فقال مالك ياحسن فبكى وحكى له على ماجرى فقال شيحة وحيث تعلم أنه يستحق نصف القلعة فلأى شيء تنكر حقه فقال ياحاج شيحة اخطأت فقال أنا اصالحكم من بعضكم لما أطلب للاطاعة أولا وادخله مغار وقال استنانى وعبر شيحة على قلعة بشنة وهو فى صفة تبع ووقع بين الاتباع محمد المقدم سيف بن اسد قعد على تخت القلعة واخلع وأوهب وطاعته الرجال وبقى له كلمة تسمع وحرمة ترفع واعلمه الرجال أن لابد له من اطاعة شيحة فتكلم بغليظ الكلام كما ذكرنا فصبر شيحة إلى الليل ودخل عليه بنجه وأخذه وطلع به إلى المغار وفيقه وجرى ما جرى وتكلم مع حسن البشنانى فقال له أنا ماجيتك ولم أتى بك إلى سلطان الحصون والقلاع فقال شيحة ياقليل الادب الرجال يقولون لك طلع شيحة تقول لهم أنا أعزله واقعد مكانه واملك السلطنة ولكن لما اعرفك قدرك واشغل هذا الصرت على صدرك فقال سيف ياحاج شيحة لاتؤاخذنى بذنبى أنا لأجل خاطرك اصالح المقدم حسن البشنانى واكون أنا وهو بالقلعة ويسامحنى واسامحه وهو الكبير وانا اكون الصغير فقال شيحة والاطاعة فقال طاعة الخوند لك حتى تعوم الجمال فى البحار أى والاسم الاعظم فقال شيحة مرحبا بك والله يا مقدم سيف أنا كنت قاوى لك على شيء

يليق يا قليل الادب والحد قة قرب الله تعالى البعيد ولم يحصل ضرر ولا تشديد وأطلقه شيحة من الشباحات وأصلح بينه وبين المقدم حسن البشنانى وكتب له كتاب للمقدم سليمان الجاموس نقيب الرجال وسار شيحة فى شغله وأما المقدم حسن والمقدم سيف عادوا الى قلعة بشنة فلما رآهم الرجال سألوهم فقال المقدم حسن وقابلنا الحاج شيحة وهو سلطان القلاع والحصون وأصلح بيننا فقالوا الرجال لبعض ان المقدم حسن كلامه عند شيحة وعند السلطان مقبول وثانيا المقدم سعد بن دبل زوج اخته وأما سيف هذا لاهو فى الجاد ولا فى السقط ومالوا جميعا الى المقدم حسن وصاروا له مثل الخدم ونظر المقدم سيف ان القلعة كلها مالت مع المقدم حسان البشنانى فانفاظ ولم يهن عليه ذلك الامر فما كان منه الا انه جمع رجاله ووطنهم فى ابراج القلعة وقبض على المقدم حسن وعلى كل الرجال وقال هذا حسن البشنانى وما اريد الا سلخه وكل من كان يميل اليه أسلخه معه فقالوا له الرجال والكواخى ياخوند واحنا ايش ذنبنا فقال ذنبكم انكم تميلوا له وتتركونى انا فلا بد لى من قتله وارتاح منه فقالوا له احسب حساب المقدم سعد بن دبل فانه زوج اخته وان علم أنك اذيته فما تقدر ان تخلص من يده فقال والاسم الاعظم لم أسلخه الا اذا كنت اجعل سعد مثله وأحبسه وآخذ عدته وركب حجرته وسافر قاصد مصر

[قال الراوى] وكان المقدم سعد طلع الديوان فطلع المقدم سيف الى الديوان ونظر للملك الظاهر وهو جالس بين ارباب دولته فعرف سعد حق المعرفة ونزل ووقف فى الرميلة وانتظر ابراهيم وسعد لما نزلوا فتقدم اليهم وباس ايديهم فقال ابراهيم وسعد لما نزلوا فتقدم اليهم وباس أيديهم فقال ابراهيم من أنت يا فتى فقال له يا سيع الاسلام انا ابن المقدم اسد البشنانى والاصل فى ذلك ان امى وضعتنى فى بلاد النصارى فى قلعة يرقا ولما كبرت وأتيت الى المقدم حسن البشنانى فلم يقبلنى وطردنى وأهاننى ولما رأيت نفسى ضائع ولم يعرفنى أحد فاتيت اليكم يا سباع الاسلام وأريد عندكم المقام وان كان يمكنكم ان تملكونى قلعة أبى واقيم انا مع المقدم حسن البشناتى كما كان أبى فهذا غاية مطلبى ولكم فى نظير ذلك عشرة آلاف دينار ذهب

فقال ابراهيم انا أصالحك معه واقعد لاراياه ان رضى بك والا املكنك القلعة وطردناه ثم احضروا أولادهم ناصر الدين وعيسى الجاهرى وأعطوهم الاطبار وقالوا لهم بكره انتم خدمة السلطان وان سأل عنا فقولوا له جاءهم من القلاع والحصون وسار ابراهيم وسعد من اول الليل يقطعون الارض طولا وعرضا حين بقوا قريب من القلعة فطلع المقدم سيف واحضر خروف وذبحه وطبخ العشا وقدمه لابراهيم

حكم العادة وكان مبنج فانطرحوا فحملهم على حجرة ابراهيم ودخل بهم القلعة فما فاقوا الا وهم فى الحبس عند حسن البشنانى فالتفت سعد الى ابراهيم وقال له يا أخى ما تأخذ الا عشرة آلاف دائما عقلك متولع بالطمع فقال سيف أنا قصدى سلاحكم لان هذا حسن البشنانى يقول أن قتلته تكونوا أنتم وراءه تأخذوا ثاره منى فحلفت ان أنتلكم قبله وها أنا جيتكم فقال ابراهيم يا قرن ان كان ولا بد أين تروح راحنا ورانا ملك الاسلام الملك الظاهر أو بنو اسماعيل فقال اصبر وانا أجيب الجميع الى هنا ودرك عليهم وسار طالب المعرة ودخل على المقدم سليمان باس يده وحكى له على نسبه وأعطاه كتاب شيحة وقال له ومعى كتاب ثانى للملك الظاهر فقال سليمان مرحبا بك يا ولدى والتفت الى اولاد السقر والفهد وأمرهم ان يروحوا معه الى مصر فركبوا معه وطلعوا من بنجهم وعابهم الى قلعته وحبسهم وقال لرجاله أنا رايح اجيب الفداوية فاذا جيت وقلت لكم فين شيحة فقولوا لى فات من هنا خمسة أيام فتبعهم وقال ان جوان فيهم فقالوا سمعا وطاعة وسار سيف الى المعرة ثانيا وباس يد المقدم سليمان وقال له يا عم قرب الله البعيد انا كنت رايح مصر فلقيت شيحة وقال لى لا تروح انا كنت عند السلطان واعلمته باطاعتك فقلت له انا معى بنت كنت أتيت بها من برقة وأريد أن أعمل فرح وأتزوج بها فقال لى روح للمقدم سليمان يجمع الرجال واعمل الفرح بحضرتهم وأنا ايضا أحضر فقال المقدم سليمان أمن ساهل وأمر بالقرون زعقت على الجبال فاجتمعت بنو اسماعيل فاعلمهم بان المقدم سيف ابن أسد مراده ان يعمل فرح ويدخل على زوجته فتحصروا عرسه وولجته فقالوا سمعا وطاعة وساروا معه الى قلعة بشنا فلما دخل سال عن شيحة اخبروه كما وصفنا فاحضر الطعام للفداوية وقبضهم وهددهم وأعلمهم بما جرى فقالوا له احنا ورانا الملك الظاهر والحاج شيحة فقال أنا أجيب الاثنين حتى يعرفوا همتى ويثبت عندكم نجابتى وركب حجرته وسافر طالب مصر له كلام [قال الراوى] وبما اتفق ان الملك الظاهر لما أصبح لقى ابراهيم وسعد غابوا وأوقفوا أولادهم مكانهم فسالهم السلطان عن ابائهم فقالوا له راحوا فى مصلحة فى القلاع فقال السلطان لابد لى ان الحقهم حتى أشوف حالهم وأجلس السعيد على الكرسى وركب وسار الى حوران فلم يجدهم فسار الى بيسان فلم يجدهم فسال عنهم فلم يعطيه احد خبرهم فسار قاصد الشام فهو سائر فالتقاه المقدم سيف عرفه فنزل عن حجرته فقبل الارض بين يديه وناوله كتاب المقدم جمال الدين شيحة ففرح السلطان لما قرأ الكتاب وقال له هذا يوصينى عليك ومرحبا بك لاجل سلطان الحصون وانت من أين أقبلت فقال يا مولانا من قلعة بشنا لان المقدم سعد والمقدم ابراهيم

كانوا رايحين حوران فعزمهم المقدم حسن البشنانى وهاهم عنده وللآن ما راحوا فقال السلطان اذا دخلت القلعة قل لهم يلحقونى على الشام

فقال له المقدم سيف يا مولانا المملوك يريدان يتشرف بركاب مولانا السلطان يشرف بلده وربناما خلق شيء أحسن من جبر الخواطر فقال السلطان مرحبا بك سر قدامى الى قلعتك وانا تابع حرتك فقال سيف والله ما أمشى الا ويدى فى ركابك ولم اركب حجرتى قط فقال السلطان اركب حجرتك وسر معى وسار خلف السلطان الى آخر النهار نزل الملك للراحة قريب من جبال الحولة فطلع الفداوى من حقير بيته طعام وأكل منه قدام السلطان وبعد أخذ الشمعى قدم للملك فأكل وبعده قدم قهوة وأعطى السلطان ورمى فى النار بنج فرقد السلطان فأخذه على ظهر جواده ادخله القلعة وانزله عند الرجال وفيقوه نظر السلطان الى الرجال وابراهيم وسعد قال لهم ايش الخبر احنا مكربين بعشرين الف ذهب ولا قبضنا ولا صرفنا وحكى للسلطان على ماجرى فضحك السلطان عن ماسمع وقال يا سعد اقتصارا ان القضا لايرد والله تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد واما المقدم سيف فانه طلع طالب جرة المقدم جمال الدين شيحة فهو سايرفالتقاه بطرق فصاح الفداوى ولد يابطرق فعاد البطرق اليه وقال له ايش تريد منى فقال له المقدم سيف أنت من أين جاى فقال له أنا أدرر على الملوك الروم والارمل والافرنك والعجم اكتب لهم مناديل نسج باسمائهم ولى عليهم مرتب فى كل عام فقال سيف كيف تكتب المناديل

فقال مثل هذا وأعطاه منديل فالتقاه مكتوب باسم رومان ملك رومة المدائن ومنديل ثانى باسم مغلوين واسم الانكبيرت وهكذا اينوف عن عشرين منديل فقال الفداوى انا مرادى واحد يكون باسمى انا الآخر مثل هؤلاء الملوك فقال البطرق وأنت اين اسمك

فقال انا اسمى المقدم سيف اين أسد فقال له اعمل لك واحد باسمك لكن اذا عملت اين القاك انا فى قلعة بشنة فقال يا سيدى مليح اصنع لك منديل وأجيبه عندك فقال له خل تلك المنديل عندى حتى تجيب لى الذى تصنعه لى فقال يا سيدى لاى شيء ترهن متاعى وانا ما أخذت منك شيئا وأنا رجل فقير فصار المقدم سيف يتفرج على المناديل واحدا بعد واحد حتى افتح واحدا فخرجت منه رائحة فشمها وكانت بنج فنام فى مكانه وكان ذلك البطرق شيحة فربطه بين أربع شجرات فى غابة وفيقه وقال له لما أربيك لانك تستحق الادب ايش عملت فى المقدم حسن والرجال فقال له اطلقنى وأنا أطلقهم فقال له لما أربيك أولا وتركه مشبوحا ودخل الغابة قطع جانب من فروخ الاشجار

وسواهم عصى وأتى بهم إلى حل المقدم سيف فلم يجده والسبب فى ذلك انه كان له أتباع طلعوا فى طلبه لانه أوصاهم أن يقتفوا أثره فأتوا الى هذه الغابة فوجدوه مربوط فحلوه فلما عاد شيحة ولم يجده فاقبل على الناطور وأعطى له فطيرة وقال له هذه قربانة من المسيح فأكلها الناطور فتبنج داره شيحة وليس ثيابه ووقف مكانه فاقبل المقدم سيف وقال يا ناطور فات عليك أحد منى هنا فقال ياسيدى مافات إلا رجل قصير وسالنى عن احد فات من هنا فقلت له مارأيت احدا فدخل داخل الغابة ولم يعد فقعد المقدم سيف ينتظر عودته فقام الناطور وجاب سل ملآن عنب ووضعه قدام المقدم سيف فاكل منه فنام محله فاراد أن يكتفه وإذا بأتباعه مقبلين فقبضوا على المقدم جمال الدين شيحة واطلقوا المقدم سيف وفيقوه فلما افاق قال لشيحة ايش قدر ما تفعل من الفعال ياقصير الرجال والله لم يبق لك خلاص ثم انه طلعوا من الغابة فالتقوا مراح غنم كبير والرعيان واضعين خروف على النار لاجل الشوى فنظر المقدم سيف وقال للرعيان اذبحو خروف ثانى حتى ناكل معكم فقالوا مرحبا بك يا سيدى هذه الغنم بين يديك اذبح ماتريد فقالوا هاتوا ذلك الخروف الذى استوى واذبحوا انتم خلافه فقالوا له تفضل فاخذ الخروف وملخ الرقبة اعطاها الواحد واعطى الاربعة كل واحد ربع فقالوا له وانت ما تاكل معنا فاخذ من كل واحد قطعة واكلوا الستة وانقلبوا سوى وكانوا الرعيان أولاد شيحة اطلقوا اياهم ففيق المقدم سيف وكشف إبرازه واولاده كل واحد مسك واحد من الاتباع وقال شيحة يا سيف اين السلطان والرجال فقال لا اعلم فنزل عليه بالسوط وهو يحكى على الطاق وكيف حبس الرجال فيه وشيحة لم يلتفت اليه حتى ثمانين سوط وكذلك اولاده ضربوا الاتباع كل واحد ثمانين وراح شيحة للطابق فتحه ونزل يفك الجماعة فانفلق الطابق وكان الذى قفله السجان لان شيحة لما اقبل لم يرى سجان ففتح الطابق ونزل فانى السجان فرأى الطابق مفتوح ظن انه نسيه مفتوح ففقله واحضر باقى السجانين وقعد على باب الطابق واذا بالرعيان اقبلوا ودخلوا على السجانين بنجوهم وفتحوا الطابق واطلقوا شيحة والسلطان والفداوية وطلعوا حسن البشنانى وجلس الملك على القلعة وطلب المقدم سيف فاتى به شيحة الى عنده فقال ياشيحة هذا راجلك افعل به ما تريد فقال شيحة ماله الا السلخ وغير شيحة وليس بدلته المعدة للسلخ وهى بدلة جلد ثعبان ولباس وركب على أكتافه وطرق الكشافية فقال الفداوى انا شريف واسمى على ما أنا ادرعى يا شيحة فقال له ولكن فعلك ذميم ولا تستحق إلا عذاب الجحيم فقال ابراهيم ياحاج شيحة أطلقه لله ولرسوله فقال شيحة أنا لى عليه كلمة ان

كان مولانا السلطان يصفح عنه فانا من تحت أمره فقال السلطان ياشيخة أما أنا لاجل خاطر إبراهيم اسامحه بشرط أن يكون من تحت أمر المقدم حسن البشنانى فقال المقدم سيف يامولانا أنا اقيم فى قلعة بو قا وسامحت المقدم حسن فى هذه القلعة ولو كانت تطرح ذهب فقال السلطان وأنت يامقدم حسن سلمه كلما خلفه أبوه فقال سمعا وطاعة وكتب شيخة اسمه على شوا كر وركب السلطان من قلعه بشنة طالب ارض مصر والفداوية وكل سافر إلى قلته وأما الملك فانعقد له الموكب فى مصر حتى إلى قلعة الجبل وأقام يتعاطى الاحكام إلى يوم من الايام عمل السلطان ميدان وأمر الامراء وأتباعهم أن يركبوا الى الربدانية ويحضروا ذلك الميدان ودام كل يوم اللعب ولعبت الامراء ونزل أحمد سلامش بن السلطان يلعب مع مماليك أبيه فصار يغلبهم ويعلم عليهم فقال علاء الدين يادولتلى احمد اللعب معنا فقال له الملك احمد دونك وما تريد فالعب معه فعلم الملك احمد على علاء الدين فانعطف عليه سنقر وكذلك علم عليه الملك أحمد وصاروا الامراء ينزلون له واحد بعد واحد وهو يعلم عليهم وأخيرا أتى ايدمر البهلوان فقال له الملك أحمد هيا ياأمير ايدمر البهلوان لايامك أنا لا العب إلا مع الذى من مثلى واما يامك ما لى قدرة أن ألاعبك وانا أشهد على نفسى أنى لا أقدر عليك لا فى قراع ولا فى صراع لان الله سبحانه وتعالى خلقك أسد أروع من ظهر سبع أدرع فلما سمع الملك أحمد هذا الكلام ضحك وانشرح فعند ذلك التفت قلاوون الالفى لايدمر وقال له أنت خفت من الملك أحمد لانه ابن السلطان فقال ايدمر ومن فروسيته لان أولاده الملك الظاهر منهم عالم وهو السعيد ومنهم فارس وهو أحمد سلامش ومنهم ولى وهو الخضر العادل وشجاعة الملك الظاهر فى ولده أحمد سلامش وزيادة كان فقال قلاوون أنا ألاعبه فقال ايدمر نخاطرك فحرك قلاوون الحصان وقدم على الملك سلامش وانطرد قدامه نظر الملك أحمد خلفه وكان الحصان الذى تحت الملك أحمد من الكحايل المعدومة المثال فلحق الامير قلاوون فلم يضربه ولما نظر قلاوون ان الملك احمد لم يضربه نظن انه وقره لكونه وزير أبيه . ولما عاد أحمد مطرود والوزير قلاوون طارده ضربه بالجريدة فانعدل احمد بوجهه واخذها وخذفه بها فوقعت فى صدر قلاوون تمتعته ولو كان بحربة لكانت نفذت لان الملك احمد صبى والوزير قلاوون صار كبيرا وثانيا الملك سلامش له قوة الظاهر كلها اجتمعت فيه فاظهر الجلد وطارد الملك احمد مشوار آخر فخامره الملك أحمد لما انطرد قدامه وطرد وراءه وكان معه جريدة فخطف بها عمامة قلاوون من على رأسه فصاح السلطان على ابنه وقال له تفعل كذا يا قليل الادب . فقال له الوزير ما فيش ضرر يا مولانا

السلطان الله يخليه لك مدى الزمان يا ملك الاسلام فعند ذلك طلب السلطان الوزير قلاوون وأنعم عليه انعام زائد وقدم له عشرة من الخيل العراب بمراكب الذهب وجبر قلبه واستسمحه فيما فعل ابنه معه وبطل الميدان وثانى الايام جلس السلطان فى الديوان مثل العادة وتكاملت أرباب الدولة وقعد يتعاطى الاحكام كما أمر الملك العلام وإذا بباب الديوان انسد وطلع قاصد نابلس وحامل دلى كتفه سيف خشب فقال السلطان من أين فقال يا مولانا تعيش رأسك فى نائب جبل نابلس لانه قتل فقال السلطان ومن الذى قتله فقال القاصد يامولانا السبب انه كان فى قديم الزمان واحد فداوى اسمه المقدم كنف وله أخ اسمه المقدم ناهض والاثنان أدرعيان وكان لهم وقعة سابقة مع السلطان الصالح وأيام ابيك الترجمان وكان بيبرس تصاحب معهم وزوج الكنف وصار طالب قلعته وكان له زوجة فلما رأته غاب عن القلعة طلعت تدور عليه فاتفق لها واحد عائق نصرانى يقال له المقدم يعقوب فسار بها إلى قلعته وهى قلعة الصلت وأقامت عنده وهى أدرعية فوضعت ولدا لانها كانت حامل من المقدم كنف فسمت ولدها ناصر الدين الصلتى ولما طالت الايام وتربى ذلك الغلام فيوم من الايام حكم المقدم يعقوب على ناصر الدين ولدها انه يسير له حجرته فلما نظرت امه ذلك قالت له ياولدى لو تعلم مقام نفسك لكنت لم تصير لذلك الكلب حجرته وهو يركبها فانك انت صاحبها وهذا يعقوب ليس هو ابيك بل ابوك اسمه المقدم كنف أخو المقدم ناهض وهم مقادم بنى الادرع وإنما هذا الكلب يعقوب اخذنى وأنا كنت راكبة على حجرتى أم هذه الحجرة فافترس بى وأسرنى وأنا كنت حاملا بك فاقدرت عليه وأبوك وعمك لم يسألوا عنى إلى الآن حتى ان الومان جعلك مقدام ابن مقدام وإقامتك عند هذا الكلب حرام وإذا أنت عجزت عنه فلا اقدر عليه اقتله وأملكك كل ما فى هذا القلعة فلما سمع منها هذا الكلام قام على حيله ودخل على المقدم يعقوب وقال له يا كلب انت تسبى امى وهى حاملة بى وأنا كبرت وظنيتك انك ابى وخدمتك هذه المدة وأنت نصرانى ملعون وحط يده على الشاكرية وضربه فى وسط رأسه نزلت الضربة أخذت اضراسه ونظرت رجال القلعة اليه فقالوا له لاى شىء فعلت ذلك فحكى لهم على ما سمع من أمه وقال فى آخر كلامه الذى يريدنى يقعد معى والذى يرحل يأخذ عياله ويرحل أنا لم أغصب احدا على اقامته معى فقالوا له أهل القلعة ليس احد منا يفوتك بل كلنا بين يديك ولا نبخل ولو بأرواحنا عليك فقال لهم تكونوا معى على ما أريد وأنا أملك قلاع أبى وأهلى فقالوا له افعل ما تريد فنحن أطوع لك من العبيد فجعل له نائب وكيل على القلعة وأخذ من توابعه اربعين عائق

كل واحد كان معه عود رخام وركب حجرته وأخذامه بصحبته وكان اسمها اللبوة الصمة فركبت على حجرتها ودخلت فى عدتها ولبست برقع الورد على وجهها وقالت له أنا أعرف كواخى ابيك فصارت تطوف على قلاع الادعية وكلما علمت واحد من كواخى زوجها اعلمت بابنها إلى أن جمعت له خلقا كثيرا وكل من سمع بظهوره يأتى اليه وصار إلى جبل نابلس قتل نائبه وجلس على تخت نابلس واجتمع عليه كل فاسق وزنديق وأما الاكراد لما علموا بقتل نائب نابلس ارسلوا نجاب من عندهم بكتاب السلطان ولما دخل النجاب وقرأ الكتاب وسمعته ارباب الدولة فقال السلطان لابد أن أعرفه قدره هذا الكلب الذى يتجارى على قتل نائبى وأما قلاوون الالفى فانه كتب كتاب إلى المقدم ناصر الدين بن الكنف يقول له أبوك كان حبيبنا فحال وصول كتابنا تأتى إلى عندنا صحبة المملوك امتاعنا وأنا أعمل لك تدبير تأخذ سلطنة القلاع وانا آخذ سلطنة مصر وأكون معك على ماتريد وسافر المملوك حتى دخل نابلس وطلع إلى الجبل ودخل على ناصر الدين فتعجب لما قرأ الكتاب وسأل امه فقالت له ياولدى البيلربجيه يكرهون السلطان سر اليه وأنا أروح معك وإن كانت مكيدة أنا أخلصك منها ولا تخف من أحد فركب وسار ودخل على بيت الوزير قلاوون فقام اليه وسلم عليه باشتياق وقال له يامقدم ناصر الدين تأكل أنا وانت عيش وملح وكل من عمل خيانة العيش والملح يخونه وحضر الطعام وأكل معه وقال له قبل كل شىء سلطان الحصون شيحة حبس جوان فى قلعة تقدر تخلصه وبعدها اطلب منك أحمد سلامش ابن السلطان فاذا حضرتهم اقول لك على ماتفعل فطلع ناصر الدين أعلم امه فقالت له هذا أمر هين تروح تخلص جوان وإلا أسرق ابن السلطان فقال أنا اخلص جوان وأمه طلعت ليلا على السراية رمت عدتها وطلت سرقت أحمد وأتوا الاثنان على بيت قليون فالتفت قليون إلى جوان وقال له ياجوان أنا عملت معك جيلة وخلصتك خذ ابن السلطان وديه بعيد لم ينظر اباه ولا أبوه ينظره فاخذ جوان أحمد سلامش ليلا وسافر له كلام وأما قلاوون قال لناصر الدين انا على هلاك الامراء فى مصر وانت عليك ان تذبح بنى اسماعيل حتى ان الارض تتنظف وبعدها أخذ الملك يبقى قريب فقال ناصر الدين انا أذبح بنى اسماعيل وأما الادرعية فاهم إلا قرايبى وقام من عنده وركب بعد ماتحالفوا على السلاح انهم يكونوا سوى وطلع ناصر الدين سار إلى قلعة الكرنك ذبح اثنين مقادم أحدهم اسمه المقدم غازى والثانى المقدم نعيم وطلع من هذه القلعة قاصد قلعة صيجر وكان بها المقدم عاصم بن بحر فبلغه الخبر من أتباعه ان قلعة الكرنك انذبحوا مقادمها

والذى فعل ذلك لابد ان يأتى إلى قلعتنا فاخذ الحذر المقدم عاصم واكمن ليله ونهاره تحت صور قلعته حتى نزل ناصر الدين فهجم عليه وقبضه وقال له انت من اين وأين من فقال له أنا ناصر الدين المقدم الكنف فقال له الله يلعنك ويلعن اباك ماأنت إلا عدونا ولاسيما قتلت اثنين أولاد اعمامنا وأخذه معه وسار به إلى المقدم على شفتور وقال له ياخوند هذا أدرعى من أعدائنا وقتل اثنين من مقادمنا وانا قدمته اليك فقال له على شفتور ايش كان ذنب الذين ذبحتهم حتى فعلت ذلك الفعال فقال مرادى السلطنة وقلعة ابى فقال له وانت الذى نائب جبل نابلس فقال أنا مارحت نابلس فامر المقدم على يضربه بالسياط حتى اقر وقال انا قتلت نائب جبل نابلس فقال المقدم على شفتور هذا تحبسه ونسلمه للحاج شيحة او نرسله للسلطان وحبسه يقطع له كلام إذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يصلى عليه

[قال الراوى] واما ماكان من جوان لما اخذ احمد سلامش صاربه إلى الاسكندرية وسلمه لرئيس مركب وقال وصل هذا الى اورمة المداين وسافر جوان إلى قلعة الفريقين ودخل على صاحبها وكان اسمه الفرقطين وكان عايق حربى من عياق الروم فلما دخل جوان عليه قام اليه واكرمه وقال يا ابانا جوان ملك المسلمين كتب دور مكاتيب عمومى لكافة ملوك الروم جمعا يقول لم يبق مبايعة وكل من رأى جوان ولم يقبضه ويقدمه إلى ملك المسلمين جزاه خراب بلاده وموته وموت عساكره واجناده فقال جوان مجنون ملك المسلمين فى هذه السنة يموت وتبقى بلاده للكرستيان سباحة وأنا سرقت ابنه والذى يسرقه يتولى مملكته فان الحوارى مخبرون اعلمنى ان بيبرس فى هذا العام تزول مملكته وامرنى أن اسرق ابنه خوفا من ان يتولى مكانه فقلت للحوارى ومن يأخذ بلاده فقالوا بلاده يتولى عليها الذى يسرقه وان كنت يابب فرقطين تقوم تجتهد فى سرقته حتى تتولى على بلاده فقال فرقطين انا اجيبه وطلع الملعون وتوجه إلى مصر ودار القلعة كاملة والديوان وصبر إلى الليل ونزل سرق السلطان وطلع قاصد قلعته وكان الملعون جوان سلم ابن السلطان المريس كما ذكرنا وامره ان يودية روما المداين وعاد إلى القلعة وكان الفرقطين اقبل بالسلطان وقال له ياجوان هذا ملك المسلمين الذى انت طالبه منى وقلت لى الذى يسرق ملك المسلمين هو الذى يأخذ بلاده فقال جوان اركب بنا أنا وانت نروح نطوف على بلاد الروم فامرهم ان يجهزوا عساكرهم ويقيموا معنا نملك البلاد فقال له افعل مابدا لك فأخذه وملك الاسلام معه وصاروا من قلعة فريقين قاصدين روما المداين ودخلوا على هيرقلة المغرب فطرق جوان الباب فقال له البطارقة من فقال جوان أنا ففتحوا له وكان

ملك الدير أربعون راهب فلما رأوا جوان سلموا عليه فأمرهم يضعوا ملك الاسلام فى مخدع فوضعوه

[قال الراوى] وأما ما كان من المقدم سليمان الجاموس فان الفداوية اجتمعوا وراحوا له فى قلعة المعرة وقالوا له ياخوند ظهر ولد المقدم الكنيف اسمه ناصر الدين وذبح اثنين فداوية وهاهو الآن عند المقدم على شفتور فى قلعته فقال لهم وايش مرادكم أن نفعلوا فقالوا له نقتله فقال انا اركب معكم آوخذه من عند المقدم على شفتور وأسلمه لكم تروحوا به الى مصر تعلموا السلطان والحاج شيحة ولا تفعلوا شيئا الا بأمرهم وركب معهم الى المقدم شفتور وساله عن الغلام فقال له والله يامقدم سليمان انه هرب وركبت أنا أنا فى طلبه فما لحقته والذى خلصه امه وكان كلامه صحيح والسبب فى ذلك ان ام ناصر الدين خلصته وبعد خلاصه طلعت إلى محل المقدم على شفتور وكان قصدها قتله فالتقت بها اللبوة الجارحة ام المقدم على شفتور وقبضت على حلقها ولم تطلعها من يدها حتى حكت لها على كل ما فعلت هى وابنها فقرضت على رقبتها حتى خرجت روحها واعلمت ابنها فدفنها تحت ليلها وركب يقص جرة ابنها فلم يلحقه فعاد وبقى مشغول على اخبره واما ناصر الدين فانه تم فى سيره حتى أقبل الى ذلك الدير الذى فيه جوان والفرقطين ومعهم السلطان فطرق الباب فطل جوان فعرفه ففتح له الباب وسلم عليه وسالة فحكى له وكذا الرهبان سالواعته جوان فاعلمهم بكيفيته وقام بترك الدير واتى لهم بالطعام فاكلوا قدر الكفاية وبعد ساعة ناموا كلهم موتى وكان الطعام مبنج والذى فعل ذلك شيحة والسبب فى ذلك انه كان فى الاول قبض جوان من بحيرة يغرة فى الارل وسلمه للسلطان حبسه وبات فى بيته وصبح أتى فما وجده ولقى ابن السلطان عدم فطلع فى جرته ودخل القلاع فسمع بما فعله نصر الدين فمشى فى جرته فلقاه دخل الدير فدخل بالمفرد من صور الدير وبنج الطعام وقبضهم جوان والبرتقش والفرقطين وأول ما بدى ذبح من كل فى الدير وجميعا واطلق السلطان وسلخ نصر الدين وسلخ الفرقطين وجمع مال الدير ووضع جوان والبرتقش فى صندوق وركب الملك وعاد الى المعرة وسال عن المقدم سليمان فاعلموه انه عند على شفتور وراح شيحة احضرهم وأعطاهم جلد ناصر الدين وجلد الفرقطين

وقال بقيت غايز من جوان ابن السلطان اين هو جوان فقال جوان لا اعلم به ابدا فضربه فلم يقر فقال سليمان الجاموس اسال البرتقش فقال شيحة يا برتقش اين ابن السلطان فقال انطلقنى والاسم الاعظم لم أذيك فقال فى روما المدائن لان جوان أعطاه لواحد قبطان وقال له تسلمه الى روما المدائن فعند ذلك أطلق شيحة البرتقش واخذ

جوان معه والسلطان فقال شيحة يامولانا نرسل جوان إلى مصر مع جماعة من الرجال، فقال السلطان ارسله فسلمه لسليمان الجاموس وقال له وصله مع أحد من عندك إلى السعيد وأما السلطان وشيحة طلبوا روما المداين يقع لهم كلام

[قال الراوى] وأما ما كان من أمر القبطان الذى أخذ ابن السلطان فانه سافر به أيام قليلة فاختلف عليه الريح واتبعه وحذفه الى جزائر الهيش فى وسط الروم وهم أربعين جزيرة فدخلوا على أول الجزائر فنظروا فيها فاذا هى مدينة وهى من أحسن المدائن اسمها مدينة القصر وفيها ملك يقال له البب كافرين وهو متزوج بامرأة جميلة جدا ويحبها محبة عظيمة ومعه منها بنتين فكانت زوجته ففتش على غيرها فلم يجدها فقال أنا أحق بأولادى من غيرى فأرسل احضر الراهب وقال له قل لى اكليل بنتى فقال له لا يجوز ذلك فى كتاب الانجيل فقال له وأنا ما وجدت امرأة أتزوجها وهؤلاء بناتى اثنين فكيف ياخذهم غيرى وأنا محتاجهم فقال ان كان من أصل الجناقة فان المسيح يرزقك بالذى يريحك منها

[يا ساده] وإذا ببطريق داخل وقال يابب غليون أقبل على المدينة ولا شك انه تايه البحر فقال هات القبطان فعاد وأحضر القبطان فقال له البب ايش معك فقال له يابب معى ابن ملك المسلمين فقال ومن أعطاه لك فقال له جوان سرقه وأعطاه لى وقال أوصله إلى روما المدائن فاختلف الريح وحذفنى الى هذه الجزيرة فارسيت على هذه المدينة فقال ائتينى به فاحضره إلى بين يديه فقال له أنت ابن ملك المسلمين فقال نعم فقال للخدامين خذوا ابن ملك المسلمين عندكم رهن وانت يا قبطان لا بقيت اعطيه لك حتى تجيب لى جوان . فلما سمع القبطان ذلك الكلام قال له يابب أنا أيضا أبقى مع ابن ملك المسلمين عندك فان جوان لابد أن اطلع السماء فى طلب المسيح فاذا طل من السماء ونظر مركبى على مينة بلادك يأتى الى عندى وأما أنا اذا فتشت عليه لا أجده لانه يكون أيام فى السماء فقال له البب ياقبطان خليك ملازم المينة حتى يأتى اليك جوان وأصبر فقال له سمعا وطاعة وصبر الى الليل وسرق ابن السلطان ووضعه فى الغليون وسار ليلا ولما توسط البحر حكم الغليون على شعب فانكسر عرف القبطان ومامعه وأما احمد سلامش أدرك المولى بصارى من حوارى الغليون تعلق فيه وأخذ سكينة القبطان وقطع أحبال ذلك الصارى وركبه ودار وجهه إلى جهة الخيل وسار يقذف بالخشبة والبحر ساكت حتى وصل الى جزيرة وهو فى غاية الضر والعيش المر جميعا تعبان فطلع الى البر ومشى بعد ما نشف ثيابه من الماء فوصل إلى داخل الجزيرة يلتقى بستان وهو مليان أشجار واثمار فدخل فيه فلم يجد أحدا ويلتقى من داخل ذلك البستان بركة مليانة بالماء واربع

سواقى تناول اربعة حول ذلك البركة وراكب البركة قصر متركب على اربع عماويد من الرخام وحول الفسقية اربعين انبوب من الذهب تدخل المياه منهم وراى صحن فيه مربة تفاح فقال اعمل هذا له صاحب ولكن أنا آكله والله يفعل ما يشاء ثم انه اكل ذلك المربة وأكل أيضا من اثمار البستان ودار حول القصر فالتقى أودة ففتحها وإذا فيها عدة حرب فلبسها وتسلح وطلع وكان هذا البستان لملك الجزيرة واسمه طارين وله أخ اسمه مرتين ومرتين له بنت اسمها نور المسيح مقيمة فى ذلك البستان وجميع البطارقة لا احد قدر يدخل فى البستان ولكن البطارقة نظروا احمد سلامش لما دخل البستان تجمعوا بعضهم وقالوا هذا مسلم ودخلوا عليه جاذبين سيوفهم ودخلوا عليه فقام اليهم وصاح الله اكبر بعتها فى سبيل الله ياكلاب الكفار وهجم عليهم وقاتلهم وارمى منهم الرؤوس وأهلك منهم النفوس حتى طلع من البستان وملك الخلا فرجعوا عنه فمشى فى تلك الجزيرة ولم يعلم من أين يروح واتسع البر وزاد الحر فرأى مغارة فدخل فيه يستظل من حر الشمس فادركه النوم فنام فدخلوا عليه النصارى وهو نايم كتفوه وعادوا به إلى البستان وكانت الملكة نور المسيح داخل القصر البطارقه ومعهم احمد قالت لهم ايش هذا هاتوه حتى أنظره فاوقفوه قدامها فلما نظرت اليه قالت له أنت منين فقال أنا غريب فقالت له وأنت قتلت عمى لاى شيء

فقال يا ملكة أنا لا اعرف أحدا منهم هم الذين قاتلونى فقاتلتهم وما نعت عن نفسى وهم غدرونى ولما تمت قبضونى وكتفونى فقالت روحوا دخلوه عندى أنا اقتله كما قتل عمى فانصرفوا النصارى ودخلوا على البب مرتين وقالوا له واحد مسلم دخل البستان فدخل أخوك عليه واحنا معه فقتله وقتل منا جماعة فتحا يلنا عليه وقبضناه واردنا نقتله فاخذنه بفتك منا وطردتنا فقال أنا اجيبه منها وقام إلى بنته فلما راته بنته وهو قادم عليها فقامت وملات كاس شراب ممزوج بالسم وقالت لاحمد سلامش اشرب هذا الكاس شربه وقد وضعته فى الحبس وكتفته ولما حضر أبوها قامت له فقال لها أين المسلم الذى أخذتيه فقالت له هذا قتل عمى وأنا قصدى اذبحه فى الدهر يوم عيد الصليب فقال لها خليه لكر صحى يهرب منك

تم الجزء الثالث والاربعون ويليه الجزء الرابع والاربعون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الرابع والأربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقالت له من أين يهرب وهو محبوس ومكتف فتركه عندها ومضى إلى مكانه وأما الملكة نور فانها لما راح أبوها اطلعت الملك أحمد سلامش وقد ولعت بحبه فقالت يا مسلم أنا حبيتك وأنت ما تحبنى فقال يا ملكة انا حبيتك اكثر ماتحبينى فقالت أريد منك الوصال فقال احمد هذا حرام فى دين الاسلام وأنت بكر وازالة البكارة لا تكون الا بالكتاب فقالت له وايش الكتاب فقال لها الكتاب يكون بعد الاسلام فان اسلمت أكتب كتابك وتبقى زوجتى وآخذك وأروح إلى بلاد الاسلام وأعمل لك فرح عال فقالت له على فعلمها الاسلام واسلمت ولما هداها الله تعالى قالت له أنا مرادى أروح معك إلى بلدك فقال لها ما عندنا شىء تركبه قال أنا أجيبه وقامت راحت إلى اصطبل أبيها وأمرت الخدام ان يشدوا لها حصانين ملاح وقالت قصدى اجعلهم تحت قصرى كل يوم اركب على واحد اتسلى عليه حول البستان ولما بقرا عندها أخذت معها شىء من الذهب والمعدن وركبته هو حصان وهى ركبت الثانى من أول الليل فما طلع النهار الا وهم بعيد عن تلك البلاد وقد اشرفوا على حصن وذلك الحصن فيه رجل جبار يسمى العملاق وهو يقطع الطريق ويخون السبيل وكان واقف على باب قلعته فرأى الملك أحمد والبنت فمار ضهم فى الطريق واقبل على الملك احمد وقال له أنت مسلم أم نصرانى فقال له انا مسلم ابن مسلم فقال له وهذه البنت التى معك مسلمة قال نعم وهى زوجتى فقال له اعطيها لى وسر لحال سبيلك فانى حبيتها ولا بقى لى صبر عنها فقال احمد اعطى حقها وخذها فقال له وايش تريد حقها منى فقال اريد رأسك وبعدها هيبات أن تبصرها أنت ولا غيرك لانها بقت فى عرضى فصاح فيه العملاق وقاتله فكان الملك احمد صبور فقام فوركابه وتعلق فى يداديه وضربه بالسيف على وريديه اطاح رأسه على أكتافه ونظرت أتباعه وكانوا مائتين كافر فقاتلهم حتى أهلك منهم ثلاثين فتأخروا عنه وضربوا حصانه بالنبل حتى أوقفوه وقبضوا احمد والبنت سوى وكان بجانب الحصن قلعة وفيها كهينة ساحرة اسمها الحكيمة

بحرة ولما ولد اسمه شاعزين فعلمت احمد وهو فى رصدها فقالت لولدها قم ادخل حصن القلاع وهات الولد والبنت التى فيه فقام ودخل الحصن وقال لمن فيها تواالاثنين الذى عندكم فسلموهم له ولم يخالفوه لانهم يخافوا من أمه ولما أخذهم نظر إلى الملكة نور المسيح وقال لها يا بنت حبيبتك فقالت له وأنا حبيبتك فأخذها ودخل بها القلعة محل العملاق واحضر الكاس والطاس وقال لها أملى واسقنى بعدما حبس الملك احمد سلامش فلما نظرت ذلك أدغرت له البنج واسقته فانضجع على الفرش فقامت وذبحته واطلعت الملك احمد زوجها وركبت هى وإياه ليلا وساروا من القلعة فما اصبحوا الا بعيد فالتقوا دير طرقوا الباب فانفتح فدخلوا فسألوهم الرهبان فقالوا نحن غرب وسايحين فى حب المسيح قال لهم بترك الدير مرحبا بكم اقيموا عندنا حتى ترتاحوا من تعب السفر فقعدوا فى الدير هذا ما جرى وأما عساكرهم العملاق لما أصبحوا وجدوا الباب شاعزين مذبوح فحالوه ودخلوا به على امه فلما نظرته لطمت على جبهاومزقت ثيابها واحضرت عون امرتة ان يأتيها بالاثنين الذين قتلوا ابنها فخطفهم من الدير ووضعهم بين يديها فلما رأتهم التفتت إلى نور المسيح وقالت لها يافرجره متلت ولدى واحتضنت بهذا المسلم أما ما كان ولدى اجمل منه فقالت لها يا ملعونه فرق بعيد إبنك كافر وهذا فان ابن ملك الاسلام وقد اسلمت على يديه وهدانى الملك العلام وطلب منى ابنك الفاحشة وهذا حرام له فهادرى عند غير شرب كاس الحمام فان كنت تقتليني وتأخذى نار ابنك افعلى والسلام فعلقتها من شعرها وعلقت احمد سلامش جنبها على صور قصرها وقالت موتى وانت معلقة ومحبوبك بجانبك وان كان عند المسلمين خبر يرسلوا لك من يسيبك وأما ما كان من المقدم جمال الدين والسلطان ساروا إلى رومة المداين ودخلوا على رومانوس وقال له شيحة اين الملك احمد ابن السلطان فقال له يا سيدى والله لا أعلم له خبر من قال لك انه عندى

فقال جوان ارسله اليك مع القبطان لورقة فقال رومان القبطان لورقة انكسرت مراكبه فى جزاير الهيش وهذ آخر العهد منه ومات القبطان فنزل شيحة وقال يا ملك الاسلام أنت روح إلى مصر وأما انا اروح فى جزاير الهيش افتش على ابنك ولا اعود ان شاء الله تعالى الا به فسافر السلطان على مصر وأما شيحة فانه سافر الجزاير الهيش وهو فى صفة جوان واول مادخل على ابو البنات فقام اليه واكرمه وسأله ن يكل له اكليل بناته عليه فقال له يكون ذلك ليلة الاحد وصبر الليل وذبحه لكن كان سأله وقال له عندك قبطان ومعه ابن ملك المسلمين قال نعم يا ابى لكن سرقه وهرب ليلا وانكسر الغليون

منه ولكن سمعت ان المسلم الذى معه طلع على خشبة ووصل الى ثانى جزيرة فصبر عليه الليل وقتله بعدما أعرض عليه الاسلام فابى وسار شيحة ليلا الى ثانى جزيرة وسأل وهو فى صفة جوان فاعلموه بما وقع لاحمد سلامش والبنت التى معه وان الكهينة علقتهم البارحة على سطح قصرها فلما سمع ذلك سار الى قلعة الكهينة وكان عنده البدلة التى اعطاها له المغاورى فلبسها وفك زرارنها وسار بزر واحد بعد واحد حتى ارتفع الى فوق سطح القصر بمقدار اثنى عشر ذراع وصاح بصوته وكان له صوت عالى جوهرى وقال يا مسيح ويامريم يا ام النور يامارى حنا العمدان السائرين اليه الحور خذو بيدى فى ظلة الذبحور حتى ارتقى بهيبتكم الى أهل القصور ثم أنشد قصيدة وهو يقول

الليل يسرى بالظلام الاكحل ... وبعده يغشاه صبح ينجلى
يا نايمين استيقظوا من نومكم ... حتى تروا صنع القديم الأول
ملك أحاط بكل شىء علمه ... تخضع لهيبته جميع الاول

[قال الراوى] وكان قصد المقدم جمال الدين بهذا القول اخضاع اتباع ذلك الكافرة وكان الامر كذلك والقى الله الرعب فى قلبها فرفعت رأسها وقالت دستور فقال يا كهينة ان المسيح امرنى ان اعلمك ان عندك أسيرين مسلمين وهو يامرك ان تجعليهم قربان وفداء لولدك فاذا قدمتيهم له قربانا فانه يعيدك ولدك كما كان ولكن ان قدمت الاسارى ضعفا فيأتى ولدك ضعيف وان قدمتيهم وهم طيبين فيأتيك ولدك طيب فقامت الى أحمد سلامش حالا وفكته وكذلك الملكة نور المسيح اطلقتها ونزلتهم فكانوا مغشيين عليهم من شدة الصلب لان الملك أحمد كان معلق من يديه واما البنت شعرها فقالت الكهينة بحرة يا أبى كيف العمل وهم ضعاف وانا قصدى ابنى يعود لى قوى فقال لها اصبرى حتى أنظر اليهم ونزل ونظر لاحمد وصب فى فمه شىء من دهانات يعرفها وكذلك البنت وصنع لها شىء فى فيها وشىء على رأسها حتى فاقوا جميعا وأمرها ان تأتى بخاروفين سمان فذبحهم بيده وسلخهم ولفهم فى جلودهم وطبخهم وأطعمهم من لحمهم حتى ماذهبت الا بهم

فقالت الكاهنة يا أبى ما ترضى المسيح ان يردنى صبية ثانيا مثل ما كنت وأنا أجعل له على فى كل شهر مائة أسير قربان فداء فقال له مرحبا بك اشربى من ماء الصبا فقالت له وأين ماء الصبا قال لها عند المسيح ولكن لا يكون ذلك الا فى الدير فقالت قم بنا على الدير قال خذى الاسارى ماشين على أقدامهم بلا كتاف ولا لجم حتى يقبلهم المسيح ما خذتهم وسارت مع المقدم جمال الدين حتى وصلوا الدير فقال يا كهينة تريدى ابنك يعود هذه الليلة

أو تعودى صبية فى هذه الليلة أولا وليلة غد يأتيك ابنك فقالت أريد أرجع صبية أولا فى هذه الليلة فاشتغل شيحة فى الزرارات حتى ارتفع وعاد اليها وبيده كاس مليان بالبن وصاح يا كهينة افتحى فمك ففتحت فمها ففرغ لها ذلك الكاس وقال لها عودى كما كنت بحق العذرة مريم وولدها المسيح المحيى الموتى وهو المسيح المعظم فشربت الكاس وكان مليان بالسم الحارق واستقر فى جوفها فذابت كبدها وماتت من وقتها وساعتها فتصايحت أعوان الجان عليه وقالوا له أراحك الله يامقدم جمال الدين كما أرحتنا من خدمة هذه الملعونة الساحرة المفتونة فقال المقدم جمال الدين أقسمت عليكم بما نقش على خاتم سليمان بن داود عليه السلام أنكم لاتنصرفون إلى أماكنكم حتى تساعدونى على هدم هذه القلعة على رأس سكانها الكافرين وتصبروا حتى أنادى عليهم لعل الله ان يجعل منهم مؤمنين ثم ان شيحة نادى يا سكان هذه القلعة ان الكهينة قتلت وأموالها ملكت وأنتم دعوتكم لدين الاسلام فليخرج من القلعة ومن أراد الهلاك فليقم بها فقالوا له مايسلموا فصاح تهدم القلعة عليكم فمايشعروا إلا والقلعة تزلزلت وحيطانها جميعا نامت على من فيها ولا بقى سليم الا أحمد سلامش والملكة نور المسيح وجميع أموال القلعة بين أيديهم فسار شيحة والملك أحمد والبنت ينقل المال إلى ساحل البحر للمساء واذا بسيدى أحمد المغاورى مقبل وقال ياجمال الدين هات الذى عندك فساروا بوضعوا الذى عندهم والسنورة تتسع حتى ساعت كل ما معهم وقال بسم الله مجراها وعلى الاسكندرية مرساها وقذف واذا هو على الاسكندرية فقال يابطرنى ياسلطان البحار تسلم سلطان القفار ومعه ابن الظاهر سلطان الجدار فاتقبه البطرنى وقال له أهلا وسهلا يا أستاذى وتقدم اليه قدم يده وطلع شيحة وأحمد سلامش والملكة نور المسيح فى الغراب العظمى وسار المغاورى ولا يعلم الا الله تعالى وباتوا الصباح وقام شيحة فقل أحمد من الغراب لسراية الاسكندرية وكتب كتاب وأعطاه للبراج أرسله على جناح الطير فما مضى ساعة حتى طلع برج القلعة قدام السلطان وقال سبحان هذا الطير قال الملك الظاهر سبحان علام الغيب فقدم له الكتاب واذا فيه من المقدم جمال الدين يسلم عليك الملك أحمد سلامش وزوجته فالمرجو زينة مصر سبعة أيام وللفرح له ودخل عليها كما هو الامل فى جناب مولانا والسلام على نبى تظلله الغمام فضربت المدافع وزينت مصر ودخل الملك سلامش على مصر وانتهى الفرح ودخل على زوجته وسميت نور الهدى بأمر الملك تاج بخت وقام الملك يتعاطى الاحكام مدة أيام

[قال الراوى] واعجب ماروى فى ظهور المقدم خالد الحديد وهو كان غايب فى بلاد النصارى فلما ظهر ودخل قلعته وداروا به رجاله وأتباعه فسأل من سلطنة القلاع

فأعلموه رحاله بشيحة وأطاعة الفداوية وما يفعل بهم فقال وبنو اسماعيل عجزوا عن ذلك الزلمة فقالوا له نعم وأحكوا له على حيل شيحة وأفعاله فقال لابد لى من قتله كيف رجل مثل هذا تطيعه الرجال وطلع يدور على شيحة فأرمته المقادير على مدينة برصة وكان وصوله لها ليلا فأقبل على مغاربيات فيه فالتقى حرمة مبنجة وهى جميلة ففيقها فقالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال المقدم خالد ياحرمة ايش أتى وايش جابك إلى هنا فقالت له اعلم يافتى أنى أنا جارية الملك مسعود بك وزوجة المغربى قرطان المعرى ولما كنت فى بلاد النصارى نظرنى واحد نصرانى طلب منى الفاحش وكان معى ولدى وهو ابن الملك قرطان واسمه الملك مركز طين فأعلمته بما قال لى ذلك الكلب فقتله ولدى وبعده جرى ماجرى وأسلم ولدى واجتمع على أبيه وكان للنصرانى أخ اسمه مخبتوت وكان غايبا فجاء الى بلده فاعلموه بان ولدى قتل أخاه فجاء سرقنى وعانبنى وأرمانى فى هذا المكان وراح يجيب ابنى وأنا يا مقدم فى عرضك ان كنت من أهل المروءة قال المقدم خالد لا تخافى ووقف ينتظر وقوع النصرانى مخبتون يقع له كلام

[قال الراوى] وأما مخبتون جاء بالملك مركز طين ومقبل رأى الفداوى على باب المغارة وتأمل وجده جبار وماهو من رجاله فسار الى جهة البحر بمركز طين حامله على أكتافه فالتقاه القبطان الذى جاء به فى الغليون ولقف بالمراسى وسافروا على وجه البحار وطاب ملك الزفالمة فلأجل امراقه تعالى أخلف عليه الهواء وأرماه الى جزائر الحبش وكانوا قدامنا أربعين جزيرة والجزيرة التى طلع فيها تحبطون ومعه مركز طين بها ملك اسمه نمر قطف ولكنه ذو مروءة وشجاعة ويحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف واذا دخلت مركب عنده يطلع على المتاجر التى فيها فاحضر الرئيس فاخبره بما معه من التجارة فقال له وغير ذلك مامعك فقال مامعى غايق اسمه قحبتون ومعه أسير فامر العسكر احضروهم فالتفت إلى قحبتون وقال له ايش ذنب هذا حتى أسرته فقال قتل أخى فقال له بسبب ايش قتله فقال الملك يامركز طين يا ملك انا أعلمك وهو أنا لى والدة فطلب اخوه ان يفعل بها الفساد فامتنعت وردته فلم يرجع وأراد قتل والدتى ونزل ليلا ليذبحها فقاتلته أن يحكم القضا موته على يدى فقال اليه الحق بيدك وتنرفى وجه مخبتون وطرده فطلع مخبتون طرود وأما مركز طين أكرمه واخلى له مكان واجلسه فيه وجعله نديمه مدة أيام قام تمشى وكان وقت عشاء فسار إلى محل مركز طين فرآه يصلى فوقف ينفرج عليه حتى فرغ فقال له ايش هذا الذى أراك تفعله ليلا وأنت تقوم وتقعد كثير فقال له هذه صلاتى فقال له مارأيت من يفعل ذلك

الا أنت كانك مسلم فقال له والذى يسلم يبقى على دين المسيح فقال يا بب أن المسيح نبى من جملة الانبياء وله أم وهى مريم وأما المعبود فهو الله الذى خلق الخلق كلها ويرزقهم ثم يميتهم ويحييهم للحساب والله تعالى الحليم الكريم رب العرش العظيم فعند ذلك أمر البب باحضار البترك وقال له يا أبى ان هذا الامير مسلم ويقول ان المسيح مولود ل السيد الذى خلق المسيح لم يلد ولم يولد فقال البترك أما ما قاله فهو حق ولا معبود لا الله وأنا أول ما اقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال البب مثله وسلم الوزير واسلموا أهل جميعا وفى عدة ثلاثة ايام انقلبت البلد من الكفر إلى الاسلام وبقى المقدم مركز طين عندهم امامهم يعلمهم الصلاة والعبادة مدة ايام

[قال الراوى] وأما مخبتون لما طردة الملك ثم قاطف فسار يدور مدة ايام إلى ليلة احتال على مركزطين وسرقه ليلا وسار به إلى جزيرة ثانية من جزائر الهيش وبها ملك اسمه البب زنجيل وله بنت اسمها زين جلا فلما دخل مخبتون إلى الجزيره فرأت الملكة زين جلا وكانت نظرته وهى طالة من قصرها فعرفت انه عربى من الجزيرة فقالت تعال ياغلام فالتفت اليها وجدها بديعة فى الجمال فقال نعم يا ملكة فقالت ايش الذى معك فقال لها هذا اسير هرب من عند مولاه مو أنا مسكته وأريد أن أرده على صاحبه وأخذ حلاوة فقالت له اطلع عندى فقال نعم قالت له أنا أعجبنى اشتريه منك واعطيك ذهب اكثر من صاحبه فطلع اليها حتى بقى بين يديها فكشفت الجدان ونظرت إلى وجه الملك مركزطين وقالت ايش تريد فى ثمنه حتى ادفعه اليك فقال الف دينار ذهب وجناقة فقالت له مرحبا بك وعدت له الف دينار ذهب وقالت له ايش بقالك قف فقال الجناقة فقالت له الصفا يكون بعد الاكل والشرب فقال افعلى ما بدا لك فانا لم أخالفك فاحضرت له الطعام والمدام ومزجت له كاس بجردقة سم خارق ثم ناولته الكاس فشربه فكان آخر شربة له من الدنيا ومات من وقته وساعته فقطعته قطعا وأرمته فى كنيف نافذ على البحر وذهبت وبعده فبقت مركز طين ثم أوقفته قدامها وقالت له انت من ومافعلت مع هذا الكلب حتى كسفك ودابر بك على هذا الحال فقال لها ما فعلت معه شيئا وحكى لها على اصل العداوة فقالت انا قد قتلته وريحتك من عائلته وقصدى منك أن تكون معى على ما اريد فقال لها انا لك وبين يدبك فقالت له اريد الوصال فقال لها مرحبا ولكن فى الحلال أن وافقتينى على دين الاسلام فقالت له علمنى واكون كما تريد فعلمها الشهادة واهداها الله وكانت من أهل السعادات وعاقدها بالفال شرعية وواقعها بعد العقد واقام عندها

[ياساده] واتفق أن تلك البيت زين جلا عندها عجوز وهى التى ربتها وهى شاطرة فى القيادة فلما نظرت مركز طين مع البنت عرفت ما هناك وبقت تشتهى شهوة الجماع حتى ان البنت كانت نائمة فجاءت العجوز إلى مركزطين وقالت له يا سيدى جبر الخواطر مطلوب وأنا خدامة محبوبتك فلا بد أن تكون معى مثلها وهجمت عليه وضمته إلى صدرها فدفعها ارماها على ظهرها ولعنها وربخها على كبرها فانغاظت وخرجت من عنده وذهبت إلى الملك زنجيل وقالت له يا بب اعلم ان عند بنتك واحد عملها جناقة وفتح لها بين ساقيها طاقة فقوم الحقه قبل أن يملأ بطنها فلابين ويطلعوا مسلمين فقام الكافر وسار حتى وصل إلى القصر الذى فيه بنته بصنعة من غير جلبة ولا فزعه ودخل يجد مركزطين وابنته نائمين وهم كما قال القائل فى حق هذين الاثنين

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا ... من عاشقين على فراش واحد
متلفلفين عليهم حلل الرضا ... متعانقين بمعصم وبساعد
وإذا صفى لك من زمانك واحدا ... نعم الصديق وعش بذاك الواحد
وإذا تألفت القلوب مع الهوى ... الناس تضرب فى حديد بارد

[قال الراوى] فقبض على الاثنين بعد ما بنجهم وفيقهم من بعد ما كتفهم وقال لبنته لما اتى نفسك فى الحناق لما ذا لم تعلمينى وأنا صابر عليك لما تكبرى فقالت له أنا تبت مسلمة وإن كان صعب عليك فاقتلنى فقال لها أنا لا أقتلك وإنما أقتل هذا العلام وأحظى بك أنت فقالت له هذا لا يكون فحبسها فى مكان وحدها وحبس مركزطين فى مكان وحده يقع لهم كلام إذا اتصلنا اليه نحكى عليه

[قال الراوى] ثم ان المقدم خالد الهدير لما اطاق الملكة ناهيل ووقف ينتظر الملعون مخبتون حتى يأتى بابنها فلم يعد فعرف انه ما بقى يعود فأخذ الملكة ناهيل ودخل برصة وقال لها اطلعى قصرك وانظرى ولدك ان كان سرقه ذلك العبد اعلمينى وأنا اتبع جرته إلى أى مكان فقالت له يا مقدم كمل جميلك وسر معى وأنا أعلم سيدى الملك مسعود بيك وزوجى الملك قراطلان المغربى ويكون لك عليهم الجميل فصبر حتى طلعت إلى سرايتها فوجدت الدنيا منقلبة والملك مسعود بك وقراطلان واقفين فلما رأوها قالوا لها أين كنت وأين ابنك فأعلمتهم بما جرى عليها والفداوى هو الذى خلصها فطلعت أولاد الملك مسعود واحضروا المقدم خالد فقال له قراطلان شكر الله فضلك وستر الله عرضك كما سترت عرضنا ولكن بقى ابنى مركز طين هل لك مقدرة على البحث عنه فقال الفداوى نعم إن شاء الله لا أعود إلا به ولكن ما يزوينى منك

إذا تعبت فى خلاص ولدك ورجوعه اليك فقال كل ما قلته ولو تعلم خبره وأنا أقوم وأخلصه بالحرب فقال الفداوى أما أنا لابد لى والاسم الأعظم أن أسعى خلف ابنك ولكن بشرط أن تكون معى مساعد على سلطنة القلاع والحصون وعزل شيحة فقال قراطلان انا وحياة سيدى رسول الله أجتهد معك وإن قبض عليك شيحة وأراد أن يهنيك اخلصك منه ولم أتركك ولو كانت سلطنة القلاع ملكى لكنت سلمتها اليك ولا أدخل بها عليك فاعتمد على كلامه ونزل من عنده بعد ما أكل الطعام وأعطاه الملك مسعود بك الف دينار ذهب وأعطاه قراطلان الف دينار وبدلة وسيف فنزل الفداوى من عندهم وقال فى باله يعنى الذى أخذ ابنهم ماله طريق غير البحار فذهب إلى مينة البحر وصار يستنشق الأخبار وهو مختلى مقدار اربعة أيام والليلة الخامسة نظر إلى مركب أقبلت على المينه وربطت فقالوا هـــذه مركب القبطان يحيى النابلى ثم انهم سلموا عليه وهم فى مراكبهم وقالوا له انت ما لحقت توصل إلى بلاد الزقالمة فقال لهم ان الذى كان نزل معى كان طالب ملك الزقالمة صحيح ولكن عارضنا الهوى فأرمانا على جزائر الهيش وكان الذى نزل معى وقال انه تاجر كذاب وماهو إلا كافر ولما وصلنا جزائر الهيش فطلبنى ملكها وسألنى عن التجارة التى معى فقلت له على الجميع وأعلمته على ذلك العاتق والأسير الذى معه فأمر التجار أن تطلع تبيع متاجرهم فى بلده وأخذ الأسير من ذلك العاتق وطرده فعاودت أنا إلى هنا وارحت نفسى من التعب والعناء وكان هذا الكلام على حسه وهو فى مركبة وباقى المراكب يسمعونه وسمع المقدم خالد كلامه فعلم أن الغلام الذى هو طالبه فى جزائر الهيش فأقبل على الريس وقال له يا ريس وجزائر الهيش هذه بعيدة فقال له إذا كان الهوى معتدل يوصلنا فى ظرف يومين فقال له أوصلنى اليها وأنا أعطيك كل ما تريد فقال الريس وإيش تريد منها فان الذى يدخلها ان علموا أنه مسلم يقتلوه فقال له الفداوى وأنت كيف كنت فيها فقال أسمى نفسى باسم أحد النصارى حتى أخرج منها فقال وأنا كذلك افعل مثل فعالك فأنزله فى المركب وسافر به وساعدهم الهوى بافن من على العرش استوى فصبح ثانى الايام وما أمسى عليه الثانى إلا وهو فى جزائر الهيش فقال الفداوى طلعنى وعد أنت إلى حالك نجح الله اعمالك وطلع المقدم خالد وهو فى زى راهب سواح وسار الفداوى من المينة ليلا إلى المدينة التى اعلمه الراكبين بها فالتقاها مدينة اسلام فتعجب من تلك الاحكام ودخل على ملكها بنفسه وسأله عن الملك مركوطين فقال له نعم كان عندى ولكن له ايام غائب وأظن أن العاتق الذى أخذته منه هو الذى سرقه ويكون ذهب به إلى الجزيرة الثانية

فتركه الفداوى وسار الى ثانى جزيرة وصار يتجسس الاخبار حتى سمع بعض الناس ان بنت الملك كان عندها مسلم أخذته محبوبا لها وأسلمت وأبوها حبسها وحبس المسلم معها فقال المقدم خالد ياهادى يادليل ثم انه صبر الى الليل وأرمى مفرده على سراية الملك وطلع وسار يدور حتى اتى الى المكان الذى فيه الملك مركوطين وكان مراده فى النهار فلما أقبل فالتقاه مفتوح ولا فيه أحد فتعجب وقال يمكن أن يكون عند وجته وسار الى المكان الذى فيه الملك زين جلا واطلقها وقال لها تعرفى المكان الذى فيه زوجك فقالت نعم وأخذته وجاءت به الى السجن فالتقاها زوجها فقالت له هذا هو ياسيدى فقال له المقدم خالد من الذى أطلقك فقال له واحد فداوى فتعجب المقدم خالد وقال له سربنا من هذه البلاد فقالت له البنت وانا معكم فقال لها سيرى فساروا فوجدوا أبواب البلد مفتحة وواقفين ثلاثة خيل فقال الفداوى ايش هذا تقوم مركوطين واحد وزوجته ركبت الثانى والفداوى ركب الثالث وطلبو البر والقفار بعد ظلام الاعتكار فصار الفداوى يتعجب من خلاص مركوطين كان على يد من

[قال الراوى] وكان الذى اطلقه جمال الدين شيحة والسبب فى ذلك أنه كان واقف على البر وسمع الراكبين لما تكلموا وكان علم بفقد مركوطين وسمع القصة فصار الى الجزائر وكان دخوله مع دخول الفداوى فلم يعارضه لعلمه انه مجتهد فى خلاصه الملك مركوطين وسبقه واطلق مركوطين فاستحس بالفداوى مقبل فتوارى منه حتى جرى ماجرى وراح الفداوى وأطلق البنت وجاء بها والتقى مركوطين وأخذه وصار وكان شيحة فتح لهم باب البلد وحضر لهم الثلاثة الخيل ركبوها وصاروا كما ذكرنا هذا كان السبب وما زالوا سائرين حتى أقبلوا الى ثالث جزيرة فقال الفداوى يامالك مركوطين انا معتزل عنكم فاذا دخلتم وانا معلم ربما ان يصيبنا شىء يعوقنا فاذا كنا متفرقين يبقى الذى خالص يسعى فى خلاص رفيقه ودخل مركوطين الجزيرة وزوجته معه وهو سائر فالتقى عساكر طاردين الوحش فتركهم وسار منفردا عنهم الى دخلة فرأى أسد مفترس بآدمى وقابض بمخالبه عليه وجاء به تحت منه فهجم مركوطين على ذلك السبع وضربه بالسيف على ظهره فقسمه نصفين وخلص الذى كان فى يده فالتقاه مغشى عليه فاتى له بالماء ورشه على وجهه فافاق من غشوته وقال له من أنت يا فتى فقال غريب ومسافر قال له قم عندى حتى تأكل ضيافتى فسار معه الى عند ضيافته وعسكره وأمرهم بالمسير الى البلد فساروا الى البلد وضربت المدافع وفرح الملك بسلامته عليه الملك مركوطين وصارت جميع أهل المدينه فى خدمة مركوطين وزوجته الى يوم من الايام دخل الملك على مركوطين

فى محله فرأى زوجته الملكة نور جلا فى خدمته فلما نظرها نظرة اعقبته الف حسرة فقال له
يا غندار هذه ايش تقرب لك فقال زوجتى فقال اما تشاركنى فيها فانغاظ مركزطين وغضب
فى وجهه وقال حقيقة ان الصنيعة فى الكافى حرام ولو كان لكم عندى ايمان كنتم آمنتم
بالله فضحك الملك وكان اسمه غادرين فصبر الى الليل فادغرلهم البنج فى الطعام فأكلوا
ورقدوا واذا بالفداوى مقبل على مركزطين فعلم فداوى حتى دخل الى المكان وحذفه
بنار بنجه فوقع المقدم خالد مبنج ففرح هذا الملعون غادر وفيق الفداوى أولا وقال له
أنت من أين جئت الى هذا المكان فقال له يا ملعون أنا مخاوى هذا الملك من برصة وان
شاء الله يخلصنا الله تعالى من كل غصة فقال له وهذا ابن من فى برصة فقال له هذا ابن الملك
قراطان المغربى فقال له وأنت فقال له أنا سلطان القلاع والحصون فقال له أنت الذى
اسمك شويحات فقال له أنا اسمى المقدم خالد الحدير فقال له ومتى أخذت السلطنة هذا
الاسم ما سمعناه الا منك فى هذا الوقت ولكن لما أفضى لك واقتلك فان هذا الوقت ما أنا
فاضى وحبسه وحبس الملك مركزطين وفيق البنت وأراد ان يفعل بها الفاحشة فقالت
يا بركة دين الاسلام أنا مستجيرة بالنبى عليه السلام واذا بلطش نزل على صدر الملعون
أرماه على ظهره وركب على صدره والعقلة طبقها على فمه وأوثقه كتاف وكان الذى
فعل ذلك المقدم جمال الدين وسار الى الحبس بعدما أطلق البنت وامنها على روحها وسار
الى الحبس وهو قابض على حزمة شمع مصنوع من البنج كل من شمها يرقد وهو يقرأ فى
قداس حتى بنج جميع الناس وفتح الحبس وأطلق الفداوى ومركزطين قال للمقدم
لاتخف خذ حجرتك اركبها ورفقاؤك يركبوا معك واذا وصلت الى بلادك افتكر هذا
الجميل فقال له وأنت اسمك ايه فقال له أنا اسمى الدرويش السواح فقام الفداوى ركب
وقال له لكن يا درويش دلنا على الطريق فقال له خذ على يمينك للجزيرة الرابعة ولا تخاف
فروحى فداك وها أنا من خلفكم ارعاكم فدخلوا الى رابع جزيرة واذا فيها مدينة لكن
كبيرة ياسواق عامرة وخيراتها وافره فدخلوا الى خان وطنوا أنفسهم وطلع الفداوى
واحضر لهم ما كول ومشروب فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وبعدها قال المقدم
خالد اقاصدى اطلع الى الديوان

فقال مركزطين وانا اطلع معك فساروا الاثنين حتى طلعوا الى الديوان فوجد ملك البلد
عامل ميدان ومجتمعين عساكره والاعوان وبينهم رجل سياف ورجل بهلوان وقد أخذوا
الصائح على جميع من كان فى الميدان فالتفت المقدم خالد الى الملك مركزطين وقال له انظر
هاذين الاثنين ونحن اثنين فاختار لك واحد وأنا واحد اما السياف أو البهلوان فقال له

مركزطين هذا وهذا عندى على حد سوى هذ انت من تريد وابرك الثانى
فانطبق مركزطين على البهلوان وانطبق المقدم خالد على السياف ولاعبوهم وكان مع
البهلوان دبوس حديد وهو فارس جليد فجاوله مركزطين ساعة زمانية فضربه
بالدبوس فزاغ عنه ولفه من الهوى بشدة حيلة والقوى وضربه بالدبوس مثل ماضربه
فرقعت الضربة وسط رأسه فانطبقت الخوذه على رأسه وارمت كل اضراسه
واخذت انفاسه وانهدم اساسه فسار يخبط فى دمه وينطرب فى عدمه وكذلك
المقدم خالد الدهير فانه تعالى مع السياف ساعة بانصاف وساعة باسراف فقام خالد بيده
بالسيف وضربه بالشاكرية فقطعها سيف خصمه لانه ساحقة المعادن حقة وعلم
المقدم خالد انه أذا اهمل خصمه اتلفه فحمل عليه وشد له على سعدية وضرب الارض
ادخل طوله فى العرض فصار قتيل وفى دماه جديل ونظر الملك الى هذين الاثنين وقد
اهلكوا ابطاله الاثنين فامر باحضارهم إلى بين يديه وقد اخلع عليه وجعلهم فى
اعز دولته فقال الملك مركزطين يا بب نحن ما لنا اقامة عندك لاننا ناس سواحين فقال
اهم وما منفعتكم فى السياحة واقامتكم عندى احسن لكم لانكم اهلكتم كبراء دولتى
الذى كنت اعتمد عليهم فى شدتى وانا اريد اجعلكم اعز احبابى وجندى فقال المقدم
خالد ان هذا اخى معه زوجته يحتاج لمكان مخصوص فقال له مرحبا به وبها واخلى
له قصرا برسم زوجته واقاموا عنده فى امان مدة ايام قلايل وهم منتظرين ان
يحتالوا على سفرهم باى حيله الى ليلة من الليالى وكان له وزير اسمه عزازيل بن صليب
كل ما ينظر اليهم ما يخفى عليه حالهم فتسلل عليهم الى بلد الاسلام فقام لبلا فرآهم
يتحدثون فى الايمان ويطلبون من الله الوصول الى بلاد الاسلام فعاد للملك وقال له
يا بب اعلم ان هذين الاثنين مسلمين وما قصدهم الا قتلك وأخذ مالك ومسيرهم الى
بلادهم فخذ حذرك منهم والا اغتالوك وقتلوك فلما سمع الملك كلامه وكان اسمه
كاشور فارسل احضرهم الى عنده بامان واظهر لهم انه فرحان بقدومهم واسقاهم كل
واحد كاس شربات مبنج فرقد وا فادخلهم فى الحبس وضع الحديد فى اعناقهم وايديهم
وارجلهم وفيقهم فنظروا انفسهم على تلك الحالة فقالوا يا بب لاى شىء قبضت
علينا فقال لهم انتم مسلمين وقتلتم رجالى ومرادكم قتلى وسق الصليب ما بقى لكم
خلاص الا اوقد النار اريكم فيها فقال خالد يا ملعون لا يحرق بالنا الا الكافر واما
نحن مؤمنين والله ناصرنا اينما كنا فلم يسمع كلامه وتركهم فى السجن وقال لما يطلع
النهار اشهركم فى البلد واحرقكم بالنار فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فما تم كلامه
الا وتابع من اتباعه اقبل وقال له يا خوند أنا مريت على تلك الجزائر ادور عليك

فسمعت انك محبوس وهذه البلد بها عساكر لا تعد ولا تحصى وانا مرادى اطلقك ولكن هنا شيء واحد اريد أن اسالك عنه وتجاوبنى عليه بالصحيح فقال المقدم خالد قول ياشيخ حتى اعلم مقصودك فقال له اعلم ان هذه جرائر واسعة والحاج شيحة الذى انت تريد عزله وتتولى مكانه له فى كل ارض عيون وأرصاد وأخاف اطلقك وانت خصمه واخاف أن يسلخنى لانى تعديت وعارضته فقال خالد ياشيخ شيحة فى مصر وأنا هنا اقسم بالله ان رأيت على يديه نتيجة لم انكرها ولا اعارضه ان رأيت منه منفعة فقال التابع ان كانت هذه نيتك فان الله ينقذك ومن معك وتركه وطلع وإذا بدخنة بنج اطلقها شيحة وكان هو التابع ونقلهم فى الليل من الحبس إلى الخان وأحضر البنت ايضا عندهم واطلقهم من كتافهم ثم انه فيقهم فلما افاق المقدم خالد رأى نفسه خالص اليدين فقال من فعل هذه الفعال وخلصنا من الاسر والاعتقال فقال له التابع يافداوى الذى خلصكم سلطان الحصون المقدم شيحة جمال الدين فقال خالد واين هو حتى انظره فقال مركز طين ولاشك انه هو الذى يكلمنا فقال خالد اسم الله عليك ولعنة الله على كل من عصى عليك فقال له ماهذا وقت كلام اتبعنى حتى اوريك ما افعل مع هذا الملعون الذى يريد ان يحرقكم بالنار وصار قدامه الى تحت قصر الملك وأرمى المفرد وطلع واشار على خالد ان يطلع فطلع خالد وراه فدخل على صبيت الملك وفيقه فلما افاق فوجد الذى فوق صدره فقال ايش الخبر فقال شيحة انت يا كلب كنت ناوى تحرق رجالى بالنار وانا ماحرقك بل اذبحك فايش قولك فى دين الاسلام فقال اسلام ايه فقال تسلم وتؤمن بالله فلم يرض عليه فذبحه وكتب تذكرة وقد وضعها على صدره وملا خالد مفترنيه من مال السراية وجواهرها وكل شيء فاخر وقال له يامقدم لابد لك ماتروح بلادك وتذكرنى بكل مافعلت معك وانت واصلك ونزل به من القصر ردار على اكابر الدولة ذبح الوزير وذبح اربعين من اعيان الدولة ونزل وكان خالد ذهب إلى الخان فلحقه شيحة وقال له باب البلد مفتوح وهذه ثلاثة خيل اركبوا وسيروا فركب خالد وهو متعجب من شيحة وفعله ثم انهم ساروا والمقدم جمال الدين معهم فدلهم على الطريق حتى طلع النهار فلم يجدوا لشيحة خبر فقال المقدم خالد اين ذهب سلطان القلاع فقال مركز طين هذا فعاله لا تبان إلا عند الحاجة ونحن الحمد لله بقينا على ظهور خيلنا والطريق بين يدينا وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على مدينة فدخلوها ومشوا فى سوقها فأتوا إلى خان ودخلوا فاستقبلهم البواب ونزلوا عن خيولهم صيروهم وربطوهم وطلع المقدم خالد إلى السوق واشتروا طعام وطبخوا واكلوا حتى اكتفوا وكانت هذه المدينة تحكمها عجوزة ساحرة

كهينة فهم واقفين يتشاورون هل يقيموا فى هذه المدينة حتى يأخذوا لهم راحة أو يسافروا وإذا بالعساكر واهل المدينة التى كانوا فيها مقبلين فسألوهم الناس عن أحوالهم وإذا هم لابسين السواد على ابدانهم ويقولون ان ملكنا ووزراءنا وارباب الدولة جميعا انقبهنا وجدناهم مذبوحين وتذكرة على صدر الملك مكتوب فيها ان اجل هذا الملك انقضى ومات وكذلك دولته يتبعوه وكل من تحرك منكم الحقناه بهم فتعجبوا أهل البلد ودخلوا على الكهينة واعلموها بما جرى فاحضرت الخدام وقالت لهم هل كان لكم اعداء يقاتلوه فقالوا يا كهينة ما كان وقع قتال وانما كانوا اثنين عنده لعبوا بالسلاح وغلبوا مصارعينه فأنعم عليهم وبعد ذلك عرف انهم مسلمين فحبسهم فما تدرى إلا وهو محبوس ومذبوح وجميع دولته كذلك ولقينا هذه التذكرة فقالت لهم الذى اراد أن يقتلهم هم الذى قتلوه وخافوا من دولته لا يقيموهم فقتلوهم وهربوا فقالوا لها باقى الناس الذين حضروا يا كهينة اما هو أخوكى واتباعه الذى قتلوهم المسلمين يهون عليك فقالت انا ما أترك دم أخى يروح هدرا ثم انها دخلت محل كهانتها واحضرت اعوانا من الجان وقالت اريد أن تحضروا لى الاثنين الذين لعبوا عند أخى وقتلوا خدامه فى اللعب فقالوا لها هم عندك فى سوق بلدك فاقبضيهم بيدك فقالت لهم هاتوهم من أينما كانوا فانخطف خالد من بيده اليمنى وبالشمال مركز طين فلما حضروا بين يديها قالت لهم اين انتم وفى أى مكان نزلتم فقالوا لها نزلنا فى الخان فاحضرت الخانجى وقالت له هل بقى عندك منهم احد .

فقال عندى لهم بنت فقالت تحضر حالا فحضرت فالتفتت الكاهنة إلى زين جلا وقالت لها وأنت من أجل شهوة الجناقة دخلت فى دين الاسلام وتركت دين المسيح وطاوعتى المسلمين على هلاك أهلك يا ملعونة فقالت لها يا كافرة انا هدانى الله تعالى وصرت من حزب الاسلام وأما انت فتائهة فى ضلالك حتى يعجل الله وبالك والنار مأواك لعن الله أمك وأباك وايش الفائده فى هذا الكلام هل ترى قصدى أن أعود إلى الكفر بعد الاسلام هذا لا يكون فان اردت ان تأخذى ثار أخوكى وتقتلينا فاقتلينى فى الاول لانى أحب هذا فى سبيل الله فانى امرت شهيدة وإن كان باقى لى أجل فاعيش باقى عمرى سعيدة فانخاطت الكاهنة من كلامها وكان اسمها الحكيمة شمكرينة فامرت الاعوان انهم يصنعوا تخت من الخشب ويصنعوا فيه ثلاث قوائم كل قائمة طولها عشرة اذرع وفوقها درج خشب وعليه غطى شبك سلك بولاد ووضعت البنت فى درج ومركز طين فى درج والمقدم خالد فى درج وغطتهم فى الشبك البولاد

وأوقفتهم فى الشمس وقالت لهم هذه قبوركم فى الحياة والممات بالنهار تلاقوا الشمس وبالليل تلاقوا الهواء ولا بقى لكم خلاص ولادوى فقالت الملكة زين جلا سلمت أمرى لصاحب الحول والقوى وهو الله الذى لا إله إلا هو فالق الحب والنوى سبحانه لا إله إلا هو على العرش استوى (قال الراوى) وكانت هذه الملعونة من خمسة اخوات ثلاثة رجال واثنين نساء فاما الفساء فاحدهم الذى قتلها المقدم جمال الدين وخلص منها احمد سلامش ابن السلطان وهذه الكهينة الثانية وأما الذكور فان أحدهم البب كاشور الذى ذبحه شيحه فى هذه الغربة وخلص منه مركزطين وزوجته وخالد ولما فعلت ذلك بالمسلمين وان لها أخوين اثنين ذكور واحد فى الجزيرة السابعة واسمه البب بشكور وهو أخو كاشور ولها أخ فى الجزيرة الثامنة واسمه عبد الصليب

(قال الراوى) وكان ملوك جزائر الهيش جميعا يحملون اليه الخراج ولما اسلم وبقى فى بلاد الاسلام وجعل له نائب على بلاد فاتفق أن نائبه طلب جميع الخراج من سائر الجزائر وبالجملة جزائر الهيش فكل الملوك خلصوا الا بشكور وعبد الصليب توقفوا وقالوا البب دورى فات البلاد ولا بقى يسأل عنها لكونه صار مسلم وأيضا وان جاء لنا البب دورى لم نورد له خراج فأرسل النائب إلى مدينة الرخام ومعه كتاب بصورة ماجرى فقال الملك لابد من صلب كل واحد على باب مدينته حتى يعتبروا باقى الجزائر وركب وصار للجزائر ومعه من مدينة الرخام أربعين الف باربعين ملك وهم توابع الملك عرنوس أولاد ملوك البرتقان وصار حتى حط على أول قلعه ووقع الحرب أول يوم وآخر النهار قال الملك دورى لاولاد ملوك البرتقان كل واحد منكم يبقى من عسكره عشرة أبطال وانتم كونوا خلف ظهرى وهم خلف ظهوركم حتى أدخل بكم البلد واجعلها واقعة الانفصال فقالوا له افعل ماتريد فصبر الملك إلى وقت الظهر والحرب متصل بينهم وصرخ على الملوك وكان أوصاهم ودفع جواده ودهس فى الكفار وتبعوه الملوك حتى وصل إلى باب البلد ودخل أرمى رقبة البواب ومسك الباب وقد تبعوه من له من الاصحاب وكبسوا جميعا ودخلوا البلد وطعنوا فى الصـــدور وأجروا الدماء من أنابيب النحور وماجاء عصر النهار إلا والملك دورى ملك البلد واحتوى على تختها وقعد وكان البب كاشور واقف يقوى عساكره على قتال من قدامه وإذا بباش البطارقة قال له يابب المدينة أخذوها المسلمين واحنا بقينا نقيم فين فالتفت البب بشكور فوجد المدينة تملكت وأكثر من نصف عسكره ذهب فخاف إن وقف و دركه البت دورى يهلكه فما وجد البق من الهرب فالوى عنان جواده وطلب البرارى والقفار وتبعوه

عباد الصلبان هذا والاسلام يطعنوا فى ظهورهم حتى حيروهم فى أمورهم وعادوا من خلفهم وهم فرحين بالنصر والظفر والملك دورى ابن الملك عرنوس أمر العسكر أن يلموا سلب الكفار وأمر أربعة من الملوك بأربعة ألف بطل أن يقيموا فى البلد الفين براها والفين جواها واحفظوا مافيها من الأموال ومن الحريمات والأولاد الاطفال حتى أدرك أنا الكلب ياشكور ولا أعود عنه حتى أجعله مقبور فان هذا الملعون نفسه كبرت ويريد أن يقطع الحمل عن قلعته ومدينته فلابد لى من اتلاف مهجته وكان البت ياشكور لما انهزم تبعوه عساكره وماله من الخدم وسار فى هزيمته لثا من جزيرة ودخل على أخيه عبد الصليب وبكى واحكى له على مافعل الملك دورى وقال له ياأخى أنا كنت شاورتك فى قطع الحمل عنه حتى جرى على ماجرى منه فقال له عبد الصليب ادخل بعسكرك عندى فى المدينة وتقفل الأبواب علينا وعساكرنا معنا ونحاصر فى المدينة ونرسل نعلم حصننا الكهينة شمكرينة وهى تدكنا وتأمر الجن ان يحاربوا المسلمين ويهلكوهم أجمعين فقال ياشكور هى يا أخى أكتب لها حتى تخلصنا وإلا الملك يهلكنا فكتب عبد الصليب كتاب يقول إلى أختنا الكاهنة شمكرينه اعلمى أن البب دورى صاحب الجزاير كنا أولا نورد له الخراج إلى حين أسلم وراح مع المسلمين وكان جاعل له نائب على الجزاير المانعه ونايب على جزاير الهيش فطلب نايبه منا الخراج واحنا كنا أولا شاورناك فى قطع الحمل وقلت لنا اقطعوه فقطعناه وهاهو ركب علينا الملك دورى أخذ الجزيرة السابعة بعد ما أهلك عساكر ياشكور فات القلعة بمافيها وجاء إلى عبد الصليب أخوه وترك ماله وعياله فادركينا انت ياكهينة الزمان وإلا قتلونا المسلمين وسار النجاب حتى وصل إلى الكهينة شمكرينة وكانت ذلك الوقت كما ذكرنا قبضت على المقدم خالد الهدير والملك مركزطين وزوجته زين جلا فلما دخل النجاب وأعطاها الكتاب قامت وقعدت وشالت من مكانها فقالوا لها دولتها ايش نوبتى أن تفعلى من الفعال فقالت الحق اخوتى فى الحرب والخصام وانصرهم وأهلك الاسلام فقالوا ربما هؤلاء الأسارى بعد وراحك يتخلصوا ويذبحونا كما ذبحوا غيرنا فقالت أنا ودينى ما أذبحهم إلا بيدى وهذا الملك دورى أذبحه فى وسط بلدى وان كنتم تخالفونى على هؤلا الاسارى اخدهم معى ثم انها جعلت للتخت عجل وحملت له حمسة من الخيل يجروه وسافرت طالبة الجزيرة الثامنة حتى وصلت اليها ودخلت بالعساكر التى معها ليلا حتى بقت عند أخيها عبد الصليب فلما رآها هو وياشكور سالوها عن ذلك الرجلين والحرمة وكيف واضعهم على ذلك الاخشاب فاعلمته انهم قتلوا أخوها كاشور فبكى عبد الصليب وكذلك ياشكور فقالت شمكرينة

وسابقا المسلمين قتارا حتى بحره وانا حلفت أن اهلكهم عن اخرهم واقامت تلك الليلة وهى تدير فى انواع الكهانة والضلال حتى أظلم الليل بالانسدال وإذا بالعرضى متاع المسلمين ايقاع له ضجيج وصياح فسألت تلك الكهينة عن الخبر فقالوا لها ان البب دورى ركب واحضر حجارين وأمرهم أن ينقبوا الصور بالمعاويل ويكسبوا البلد قبل غسق الليل فقامت الكهينه وأحضرت أعوانها وقالت لهم كونوا على الاصوار وإذا زعقوا المسلمين ارموهم بالشرار والنار فاجابوها الى ماطلبت وزحف الملك دورى على البلد فنظر الدنيا انقلبت بظلام وغام وصار عليه رجم بشرار ونار فلما رأى ذلك علم انها من السحر والكهانة تضاق صدره ورجع وكاد قلبه ان يفرقع هذا جرى للملك دورى واما ماكان من الكهينه فانها افتخرت على اخواتها بما فعلت فيهما هى كذلك واذا ببترك لكنه سمين قدر الفيل الكبير فى المفتنة وهو نازل من على سطح كنيسة البلد يقرأ قدوس من كتاب الانجيل ويفسر مافيه من التحرير والتحليل وصرخ بصوته وقال يارجال الغيب فجاربوه اربع رجال وقالوا له مم ياأبى فقال لهم هاتوا دفتر الاعمار وافرأوه حتى أسمعه فقالوا له سمعاً وطاعة فقال أول اعلمونى عن القرانات فقالوا له فلان بقى فاضل سنة واحده ويموت وفلان له سنتين فقالت الكهينة لمن حولها واخوتها اندهوا لذلك البترك حتى اساله فقاموا بعض الخدام اليه فلم يجدوه فقالوا لها ماوجدناه ولاشك أن هذا من الحواريين الطيارين وبعد ساعة ظهر البترك ثانيا وقال يارجال الغيب فقدموا له أربعة خلاف الاولين فقال لهم اعلمونى من الذى اخرج صدقات السنة فقالوا له البب الفلانى فتح خمارة للفقراء وجعل فيها عشرة فلايين وخمس امرآت للجناقة فى سبيل على روح أبيه وامه فقال اكتبوا له خمسة عشر سنة زيادة فى عمره واكتبوا له خمس فدادين فى سقرلامه وابيه يرقدون فيها وخمس مصاطب فى الهاوية قالوا اكتبنا كما أمرتنا فقال ياشمكرينه فقالت الكهينة نعم فقال لها قربى قربان عن أخيك فانه متضايق يابنتى وحضرى ثلاثة اسارى احدهم أرميه قربان عن أخيك فانه لم يعمل صدقات قبل أن يموت فقالت يا أبى هاهم عندى وأنا وهبتهم فداء عن اخوتى فقال لها ذوا ضعاف ولاتقبل الا الطيبين فقالت ياأبى وكيف العمل فقال لها طيبيهم من ضعفهم وبعد ذلك انحويهم قربان للمسيح فقالت يا أبى وكيف أطيبهم فقال حضريهم فقالت أهم فوق الاخشاب قال هاتهم يامخطفون وإذا بواحد صاح بصوت عالى وهو يقول الذى ركبهم ينزلهم فأمرت الكاهنة الجان فنزلوهم وأوقفوهم قدام البترك فقال يا كهينة أوهبتكم للمسيح فداء عن اختك وأخيك فقالت نعم فقال يامخطفون اودعهم

فى الكنيسة لليلة الآنيه ثم قال ياشمكرينه ان المسيح يأمرك بالوقوف بين يديه حتى ينعم لك بشرته من يده ويكتبك من حزبه وجنده فقالت سمعا وطاعة فقال اطلعى على ظهر الكنيسة فقامت وطلعت على سطح الكنيسة يمخطفون ساق فى حلقها سفوت بولاد وصل إلى امعائها وهو سفرت سموم فذوب كبدها وقد ماتت لوقتها وساعتها وقال البترك باشكور فقال سمعا وطاعة قال الحق الكهينة ونزلها فانها لما شربت غشى عليها فطلع أخوها فادركه سهم فى رقبته خرج من ظهره ووقع قتيل ووقع فى البلد الصياح وتظر عبد الصليب وجدا ابواب البلاد فتحت والملك دورى يضرب بالسيف وباقى الملوك من خلفه يضربون بالحسام وهم كانهم رسل الحمام وقد اهلكوا النصارى وغاروا عليهم غارة وأى غارة فصاح بصوت عالى وقال لحقينى يا كهينة قومى ياشمكرينه فقال البترك له يا عبد الصليب اختك شمكرينه وأخوك باشكور حلهم المسيح لنحو القبور وبقوا من جلساء الحواريين والعذره أم النور فقاتل أنت المسلمين فان اخوتك هاهم فاضيين وماتم البترك كلامه حتى انطبق المقام مركزطين والمقدم خالد الهدير وجذبوا سيوفهم المشاهير وبقى لهم اسواط وهدير وساقور الكفار بين ايديهم مثل الحير وصار الدم من الارواح غزير على أهل الكفر حكم المقادير واقبلت الملكزين جملا إلى قدام البترك وقالت له ياابى متى تعلمنى قربان الكهينة بحر فقال لها يذبحوا المسلمين أخو اشمكرينه الذى بقى فاضل ويبقى الفداء واحد فلما سمع عبد الصليب ذلك الكلام ونظر البترك قد احتاطوا به ابطال الاسلام وكل منهم تقدم اليه وقبل يده فقال له ياأبى بدنك وما تعتقده من يقينك أنت ايش اسمك بين المسلمين فقال له فقال اسمى المقدم جمال الدين شيحة وانا الذى اهلكت أختك شمكرينة الساحره ولا بقيت تنظرها إلى يوم الآخرة وكذلك أخوك إلى جنهم سيقوك وإن أردت أن تسلم فملك الامان وإن كنت على ملة الكفار اصبر بأتوك حتى وبقتلوك ومن عيشتك بريحوك فقال أنا فى عرضك ياسيدى اتوب على يديك واقيم فى بلدى تحت سيف الملك دورى كما كنت فقال لما يخلص دورى وأنا امنعه عنك فلا تنتقل من مكانك فانه إن رآك قتلك وفى تلك الساعة اقبل الملك دورى ووقف قدام البترك وقبل يده وقال يا أبى مابقى فاضل الا هذا عبد الصليب اتاذن لى اقطع رأسه فقال هذا واقف عندى فاذا قتلته وهو عندى كانك قاصد بذلك عندى أنا اضمه انه يعمر بلده ويورد الخراج والعداد كما كان أول وإن كان يتأتى منه أمر ضرورى فقتله ماهو بفيدنا بقى اتى اليه وإذا بحد على فرشه ولا يلزم حرب ولا قتال فالتفت عبد الصليب للمقدم

جمال الدين وقال يا سيدى أنا فى عرضك فقا شيحة لا تخاف بعد ذلك أمر الملك دورى فلم جميع السلب والنهب كل هذا والمقدم خالد قال يا ملك القلاع أسألتك بالله العظيم ان تعلنى عذه الفعلة التى فعلتها حتى انطلت على الكهينة وصبرت لك حتى أنك قتلتها قال شيحة يا مقدم خالد من أطاع الله أطاع الله له كل شىء والسبب فى ذلك ان المقدم جمال الدين تبع جرة الساحرة وقصد ان يلحق خالد ومركزطين لان قلبه عليها فلما أقبل إلى العرضى يجد أولاده الاربعة مع الملك دورى ابن عرنوس لانه لما ركب كانوا عنده وهم الذين اشاروا عليه أولا أن يكبس القلعة الاولى وجرى ماجرى فلما رآهم شيحة أن يتزيوا بزى الخوارنة ولبس البدلة التى أعطاها له سيدى احمد المغاورى فشملته الهيبة والوقار ببركة الاستاذ وتمت حيلته وفعل مافعل وبعد نهب البلد احضر الملك دورى إلى عبد الصليب وأراد ان يقطع رأسه فتشفع اليه شيحة وبعدها قال شيحة للمقدم خالد يا خالد أنت طايع والا طالب سلطنة الحصون فقال خالد يا سلطان لا تؤاخذنى بماسبق من جهلى فانا عبد عبدك ولا لى مقدرة على غضبك فقال اقلع سلاحك واكتب اسمى عليه يا جمعه وعقده الملك دورى أنا قصدى ان أطوف على هذه الجزاير واجمع الخراج منهم فقال شيحة انا احضرهم جميعا الى عندك هنا بالاموال من غير حرب ولا قتال وطلع المقدم جمال الدين والتزم بنصف القلاع وأولاده بنصفهم وصاروا ينزلون عن كل ملك وهو نايم ويفيقوه بعد ما يكتفوه فلما يفوق يجد نفسه مكتف والعقلة فى فمه ويقول له عند الصباح تجمع الخراج المطلوب منك وتوديه للملك عرنوس دورى ابن الملك عرنوس وهو مقيم فى الجزيرة الثامنة وان اقمت ولم تسر أتيتك الليلة الآتية اخذت رأسك وضعتها بين يديك وما داموا كذلك حتى داروا جميع الجزاير ولارجع شيحة الى عند الملك دورى حتى كانت ملوك الجزاير كلها أقبلت بالخراج وبعد قبض الخراج قال شيحة يا ملك دورى هل لك حاجة باقية فى الجزائر حتى أقضيها لك فقال له ياسيدى أنت مجتهد فى قضاء حاجتى قال شيحة نعم يا ولدى أنا خدمتكم على فرض لازم وثانى الايام أمر الملك دورى بالرحيل وساروا إلى مدينة الرخام وعددهم وسار الفدارى إلى قلعته ومركز طين راح الى برصة وسلم على أبيه واعلمه بما فعل المقدم جمال الدين والملك دورى ابن الملك عرنوس وسافر شيحة الى مصر فى امن وأمان ومعه حق بيت مال المسلمين وما خصه وخص السلطان من الأموال التى جمعوها وكان شىء كثير ودخل شيحة على السلطان وأعلمه بما جرى وكان ففرح [قال الروى] الى ليلة من الليالى قام السلطان يقضى حاجة سمع دق شاكوش على البلد فعرف

ان هذا عايق فتدار الماء طلع ونزل عليه كان الملك منتظر نزوله حتى نزل ضربه على غفلة بالت حكم فى صدره ارماه ونزل عليه كتفه وقال من انت يا كلب قال انا سلطان ابن سلطان قال الملك طيب اسمك ايه فقال انا المقدم ثمر أخو المقدم فهد فأمر السلطان بحبسه وقال الحماية حماية الله وكانت ليلة جمعة وابراهيم وسعد فى قاعة الخوارنة . فلما طلع النهار وحضروا واحكى لهم السلطان فقال ابراهيم يا دولتلى هذا رجل جبار ولكن ابقيه حتى يحضر الحاج شيحة وكان السبب ان ظهر فداوى اسمه المقدم فهد ولما وصل إلى قلعته وسألوا عن السلطنة فاحكوا له رجاله على شيحة فارسل اخوه يجيب له الملك الظاهر فوقع كما ذكرنا وغاب على المقدم فهد فركب على حجرته وسار قاصد الى مصر فلما وصل الى مصر ووطن حجرته فى مغار فى جبل الجيوشى وتركها فيه وقد غير زيه وطلع إلى الديوان راود القلعة حتى عرف من اين يدخل ومن اين يخرج وصبر إلى الليل ودخل على الحبس للسجان بنجه وفتح الحاصل واطلق اخوه وراح من خلف السراية ارمى مفرده وطلع على السور وارمى سرباقه ونزل عليه فحكم نزوله على الملك احمد سلامش ابن السلطان بنجه ولفه فى جدانه وطلع به وسلمه إلى اخوه المقدم وقال له اسيقى به إلى قلعة سباط عند المقدم زياذب حتى انى اقضى حاجتى والحقك وعاد الفداوى ثانيا تعلق من جهة اخرى وطلع حكم على محل الحريم فاستعار انه ينظر الحريم فاخذ بنجه مليانة يخص الملكة تاج تحت ام الاسياد وطلع له كلام .

[قال الراوى] واما المقدم ثمر دخل على زياذب قال له مرادى احبس هذا عندك فانه ابن الظاهر فحبسه عنده وبعد ذلك اوصاه ان يحترس عليه وقال له انا مرادى اعود الى اخى فى مصر واشوفه ان بقى سلطان القلاع والحصون اكون أنا باشة كواخيه ثم انه ركب حجرته وسار طالب مصر وهو يقول فى نفسه على ما اصل يكون اخى الفهد مسك شيحة ومادام سايرا إلى آخر النهار وكان اوان الشتاء فاقبل على دير لاجل يبات فيه فطرق باب الدير فقال بترك الدير من الطارق فقال له المقدم ثمر افتح يامعلم انا رجل عابر طريق ابات ليلتى وبكره اسير فى طريق فقال البترك مرحبا بك ياسيدى وفتح باب الدير فدخل الفداوى يجد البترك جالس وقدامه منقد فيه نار وهو ينحر نفسه فتقدم الفداوى لأجل الدفا فاخذته رائحة البخور فانقلب بجانب المنقد فقام البترك وهو المقدم جمال الدين واولاده وصحبته فربطه على عامود وكشف على صدره وطلع الصوت الغضبان وفيقه فنظر إلى شيحة والى اولاده الاربعة واقفين

حوله فلما نظرهم قال لهم لاى شيء ربطونى هذا الرباط فقال له شيحة انت جيت منين
قال من قلعتى فقال شيحة اصدق من غير تعب قبل ما اطعمك ضرب عمرك ما أكلت
مثله فقال له فشرت ايش أقول يا قصير والله لا أخى يعزلك وياخذ سلطنتك منك
وأنت ماتقدر انفعل معى شيء فقام شيحة وضربه بالصوت على صـــدره فصرخ فلم
يلتفت اليه الا بعد عشر ضربات وقال له يافدادى دستنى برعبتك اصبر حتى أكمل على صدرك
الف صوت وبعدها اسيبك فقال أنا فى عرضك ياحاج شيحة فقال شيحة والاسم الاعظم
لا ابطل عنك الضرب الا تحكى لى بالصحيح ومافعلت فى مصر ومافعل أخوك والاخذا ضرب
مثل هذا حتى يذوب لحمك فقال له ياحاج شيحة أنا اخى أرسلنى الى مصر على انى أجيب
السلطان فحكم القضاء قبضنى وجاء اخى اطلقنى وأعطانى ابن السلطان وقال لى ادبه
الى المقدم زبازب وبعده جاب بقجة مربوطة ماأعرف مافيها وقال لى سلمها مع ابن السلطان
وعودلى سريع حتى أقبض على شيحة وها أنت جئت هون وهو يدور عليك فى مصر فقال
شيحة وابن السلطان هذا الوقت عند زبازب فقال نعم قال لما انظر صدقك وان كنت
صادق اعتقك وكتب كتاب وأعطاه للمقدم على الطوبرد وقال له روح الى ذلك الكلب
زبازب وهات ابن السلطان وبقجة الملكة الاسياد التى سرقها الفهد وأرسلها له مع أخيه النمر
فطلع المقدم على الطوبرد وسار قاصد قلعة شباط فالتقاه المقدم فهد فى الطريق وكان بعد
غير اخاه قال فى نفسه انه يروح قلعته ويأخذ ابن السلطان عنده ولا يسلمه لابيه الا اذا
كان بسلطه على القلاع والحصون ويعزل شيحة فهو سائر فالتقاه بالمقدم على الطوبرد كما
ذكرنا فى الطريق فظن فى باله ان هذا شيحة وهو يعرف جيدا أن شيحة لا يعرف يحارب
فلما رآه عارضه وقال له وقعت ياقصير يادوى يافرقيطى ياجلاب النياق ياراعى الجمال
جيتك يامعرص لا تمنى لك خلاص الان تبطل من السلطنة وتحلف انك لا بقيت تعمل
سلطان والا دونك والحرب والطعان فقال له المقدم على ياقليل الادب هى السلطنة
فضية لك ولغيرك حتى ان واحد زبك جاهل يأخذها وقفز المقدم على صار على اكتافه
وضربه بلطة حديد على سماخ اذنيه فوقع من على حجرته كانه العمود الرخام فنزل اليه
المقدم على وهو فى دهشته وركب على اكتافه وادار يديه خلفه وأوثقه كتاف وأدار
على وجهه بالسوط وقال له قوم ياكلب أنت مطلوب للسلطان شيحة حتى يسلخ
جلدك ويلعن أباك وجدك فقام المقدم فهد غضب عنه ومشى قدام المقدم على حتى أتى
به الى أبيه شيحة وقال له خذ يالبى خذ هذا الجاهل قليل الادب ربيه حتى أمضى أنا
الى الكلب زبازب وأحضر ابن الملك الظاهر من عنده فتسلم شيحة المقدم فهد وشحطه

على عمود فى الدير وجعل صدره من برا وظهره جوا العمود وكشف دوارات صدره
وسحب السوط الغضبان وقال له استنا يا سلطان الحصون بالسداعة وتحت الوجه
ناوله بالسوط على صدره ثمانين ضربة حتى مزق صدره وقال له الذى مثلك حرامى
يدخل سرايات الملك ويسرق ابن الملك ومتاع الحريم فما جزاؤه الا العذاب الاليم فقال
المقدم فهد ياشيخ شيحة ما حرامى أنا شريف اسماعيل فقال له شيخك شرفك ماله
فايدة لان افعالك ذميمة وتركه قدر ساعة حتى انه ارتاح ومال عليه ثانيا بالسوط ثمانين
ضربة على ظهره وتركه مشبوح على العامود هذا جرى هاهنا [قال الراوى] وأما المقدم
على الطوبرد فانه وصل إلى قلعة بشباط ودخل على المقدم زبازب وهو فى صفة راهب
وناوله الكتاب مجلد وقراه وعلق رموزه ومعناه وإذا هو بالصليب وما صلب عليه
عن حضرة البترك قد يس صاحب دير الناقوس قاده لك الراهب بوهة تسلمه ابن رين
المسلمين الذى محبوس عندك والبقجة التى سلمها لك النمر اخو فهد فان الاثنين صار
قبضهم عند شويحات وقالوا له إن البقجة وابن السلطان عندك أراد شيحة أن ياتيك
فمنعته أنا وارسلت ذلك الراهب حتى انك ترسلهم صحبته مع ناس يغفروهم وشكر
يا مسيح فالتفت المقدم زبازب إلى المقدم على الطوبرد وقال يبقى النمر والفهد الحاشو
عندكم قال له نعم والبترك ارسلنى اليك تعطى الذى عندك لكن أنا ما استلم شيئا بل
ارسل جماعة بهم من طرفك فقام المقدم زبازب وطلب باش كواخيه وكان اسمه المقدم
غول البر وقال له خذ معك خمسين جدع وخذ ابن الظاهر سلمه للبترك فقال سمعا وطاعة
واخذ ابن السلطان والبقجة وركب فى خمسين خيال وسار من القلعة إلى آخر النهار
فقال المقدم على ماتعشا انزلوا بنا فى هذا المكان لاجل العشا فلما نزلوا تركهم وغاب
عنهم وعاد ومعه خمسة روس من الغنم وقال كل عشرة منكم ياخذوا خاروف عشاهم
واطبخوا حتى اجيب لكم البيسار فعندها قعدوا يصلحوا الطعام وغاب عنهم
وعاد بقربة مليانة خمر وقال لهم وهذا البيسار وبعد ما اكلوا وسكروا كان الخمر
فيه قطع الاجل فماتوا من وقتهم وساعتهم وأخذ عددهم وخليهم وسلاحهم وسار
بهم إلى ابيه واعلمه بالذى جرا كان شيحة ذبح جميع الفكار الذين فى الدير وجمع
المال الذى فيه وحمله على الخيل وركب ابن السلطان على حصان وساق الباقى بين يديه
وشد الفداوية الاثنين على حصانين مصفطين وساروا إلى مصر ودخل شيحة على
السلطان وسلمه ابنه فضربت المدافع لقدوم ابن السلطان وكان يوم فرح وهنا بذلك
الشان واحضر شيحة الاثنين المقادم وهم نمر وفهد قدام السلطان وقال يامولانا هؤلاء
الحرامية الذين سرقوا ابنك وبقجة الملكة أم الاسياد وأنا مرادى سلخ جلودهم حتى

يعتبر فورهم فقال الفهد احنا غنم ياحاج اشيحة تسلخ جلدنا فقال له القنم لهم عقل عنك فان الانسان إذا كان قليل الأدب ناقص التربية يجب على الملوك إزالته من الطريق فقال النمر يا حاج شيحة أنا ماتريد سلطنة ولا شيء مثل ذلك هي طاعة الحق منك إلا حتى تقوم الجير في البحار والاسم الاعظم عدة لمن تعادى وصديق لمن تصادق وان كان أخي عذاما يطيعك فهو في حالة وانا في حالي وان العصيان على الملوك يبطل القرابة والنسب

فقال الفهد وأيضا أطيع فان الاطاعة ولا السلخ فقال أعاملك بهذا الشرط واكفيني ياشيحة شره أنا داخل على حريمك لان جلدي ذايب وعقلي من راسي غايب فقال له وجلدك أيضا أطيبه لك وجاب له دهان ودهن الجرح فقطبت وبردت فقال له وأنا مي طاعة الحق ذلك والاسم الاعظم طاعة صحيحة لا فيها نقض ولا ابرام فاطلقهم شيحة الاثنين وكتب أسماءهم في دفتر الرجال وأخلع عليهم من الخلوع المثمنة وأمرهم أن يروحوا قلوعهم في أمان ورتب الجمايق والعلوفات هذا جرى

[قال الراوي] وأما السلطان فانه جالس في الديوان وإذا براهب طالع من باب الديوان وهو يزعق ويقول مظلوم يا ملك الاسلام فأرادوا الخدام أن يمنعوه فمنعهم السلطان حتى وصل ذلك الراهب ورفع يديه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال يا مولانا السلطان أنا أسلمت وأمري إلى الله سلمت واهلك بان الملعون جوان دخل بلاد العجم وعمل رافضي عند ملك توزير وهو القان ابرأ بن القان هلاوون وها أنا يامولانا السلطان أتيت اليك وجعلت معتمدي على الله وعليك فقال السلطان مرحبا بك وتامل في وجهه فرآه البرتقش فقال السلطان أفلحت يابرتقش ان كنت صادقا لا كنت أسلامك منافق فامر الملك القاضي أن يعرفه المعرفة بالله تعالى والصلاة والعبادة وأمرهم ان يطهروه فنزل فريد باشا طهره حالا وبعد ذلك أخلع عليه السلطان الخلع وأرموا على البرتقش من طرف السلطان قفطان وقال له انت سنجق سلطان الرماية مقدم على جيش الف وأمر له بكرسي في الديوان وأمر له ببيت الامير علوة في باب القرافة وأعطاه قسم من ولاية الجزيرة ماية وثمانين بلد باطيانها النصف لورعه اقطاع بلا مال والنصف يوزعونه الاهالي وهو ياخذ خراجه وأعطى له خيرات واسعة وأمر له بخمسين مملوك تركب لركبه وأعطاه جوار وخدام وعسكر وأمر العلماء أن يعلموه الصلاه والعبادة وسماه محمود

والمابقى في هذه الحالة صارت أكابر مصر يترددون عليه فصار ينفق عليهم الاموال

ويرسل لهم الهدايا ويطعم الفقراء والمساكين ويجتهد في علم الولايم والدعوات ويحضر الفقهاء ويعطيهم الاموال ويقول صلوا عوضا عني فاني ما اعلم ان كنت أعيش حتى أقضي ما علي أولا وبقي على ذلك والناس بقت لهم فيه محبة ورهبة ويقولون سبحان الهادي بعد الضلال

[قال الراوي] هذا جرى للبرتقش وأما ماكان من السلطان فانه يوم جمعة طلب أن يصلي في الازهر فركب إلى باب الجامع ودخل صلى الجمعة وأخرج الصدقة للفقراء والمساكين وخرج من باب الجامع قدم له عثمان الحصان وركب السلطان وجرت العساكر خلفه فبينما هو ساير فنظر واحد وأربعين درويش عليهم ملابس حسنة وقدامهم رجل اختيار طويل عريض وفي يده جريدة خضرة ومعلق عليها ورقة فنظر الملك إلى الورقة ولقى فيها رسم كتابة فرسى مثل سلاسل الذهب فامر السلطان بحضور الورقة الورقة بين يديه ولما بقت في يد السلطان قراها يجد فيها بسم الله الرحمن الرحيم يحل من الله ياظاهر تبق انت ملك مصر والشام وسائر بلاد الاسلام وقبر جدك دفنوه النصارى فقال الملك للدرويش تعال معي الى القلعة فلما جلس على الكرسي أخر الدعاوى وسال الدرويش وقال له أي قبر الذي تقول عنه فقال قبر جدك إبراهيم بن أدهم وهو في اللاذقية بالجيل . فلما سمع السلطان أحضر السعيد وأجلسه مكانه وركب وأخذ معه ابراهيم وسمد وباقي السعاة واتباعهم وأخذ معارجية السلطنة وسافر السلطان إلى حيلة واللاذقية وسال الدرويش وقال له يا أبي ما اسمك فقال اسمي ابراهيم فامره أن يوري المعارجية محل المدفن ويعمره بمعرفته وقعد السلطان في اللاذقية حتى تم البناء وبقي أحسن ماكان أول وجعل ذلك الدرويش إبراهيم ناظر عليه وأتباعه تقيم معه ورتب لهم جاكي وعلوفات على باشة اللاذقية وأكرم الدرويش ومن معه وصاهم وركب السلطان وسافر الى مصر حتى وصل وجلس وبات ليلة وأصبح السلطان جلس واذا بالدرويش ابراهيم طالع من باب الديوان ومعلق في رقبته راسين وهو يقول مظلوم ياملك الاسلام فقال الملك من ظلمك يادرويش ابراهيم بعد ماعمرتني بالاحسان وعمرت المدفن وأقمت فيه وعدت انت الى مصر واذا بفداوي نصراني دخل عليه وهو في بده شاكرية وقال لي انت تعمر الذي أخربوه النصاري وهجم علينا . فلما رأوه أولادي فصاحوا عليه خوفا على منه فقتلهم وبعد قتلهم هربوا الدراويش الذي معي خوفا منه فاراد أن يذبحني فقالت له أما تخاف من الملك الظاهر فحلف انه لا يقتلني الا قدامك وعلق الراسين في رقبتي وقال لي اذهب

إلى رين المسلمين أعطه بحالك واقرى ما فى خيله يركب وأحض مافى طعامه يشرب
ها أنا جيت أعلمك يامالك الاسلام فقال الملك وما تعرف اسم هذا الكافر فقال يامالك
لا أعلم له اسم فقام السلطان ثانيا وأخذ السعاة وأتباعهم وركب وسار حتى وصل إلى
اللاذقية فصبر الدرويش حتى دخل الليل وأذعر على السلطان ومن معه البنج ووضعهم فى الحديد

[قال الراوى] والسبب فى ذلك القان ابراه ابن القان هلاوون صاحب ملك
توريز العجم كان مقيم بين عسكره فدخل عليه جوان فاستقبله وأكرمه الاكرام
الزائد وكان سابقا يعرفه أنه بزرة بخسة فى النصارى فقال له ياجوان ايش جابك عندنا
فقال ياقان الزمان رأيت أن النصارى ديانتهم باطلة وأن النار هى آية صحيحة فاردت
أن أكون معكم فقال له مرحبا بك وجعله وزيرا يساره فأقام مدة وقال أريد أن تأخذ
لى بالثار من قان العرب فقال ابره وانا قصدى ثار أبى من قان العرب فأنت عليك
التدبير وانا على الحرب والقتال فقال جوان حضر لى عيار ويكون من الشطار حتى أعلمه
إيش يفعل فقال له عندى عيار وتحت يده أربعين رافضى والكل أولاد زنا فجار فلما
حضر قدام جوان علمه ذلك الحيلة وكان اسمه تردد فسماه ابراهيم وأخذ رجاله
وراح الى مصر وتمت حيله وقبض على السلطان وجماعته كما ذكرنا وأعطاهم ضد البنج
وأرماهم فى الحديد وفيقهم وأعطاهم وافتخر عليهم بما فعل وأخذهم وساربهم قاصد
توريز وقدموهم قدام القان ابره فلما رآهم قال ياقان العرب أين القان هلاوون قال
فشرته وعن قريب ألحقك به يا كلب العجم فقال ودوهم الحبس فنزلوهم فى الحبس
وصبر جوان الى الليل ونزل الى السلطان باس يده وقال يامالك الاسلام انا أسلمت
وأقول على يديك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقصدى يامالك أكون
تحت ركابك ولكن خائف منك أن يغرك شيحة على قتلى وكان جوان هو السجان فقال
يامالك وأنا تبت وقدمت على مافعلت وأرجو منك السماح وتحمينى من ملوك الروم
ومن دولتك تخلصنى من العجم فقال الملك مرحبا بك وحياة راسى لا أسمع فيك
كلام أحد ولا أروح مصر الا وأنت معى فقال جوان تقدر تحمينى قال السلطان نعم
لا تخاف من شىء أبدا فقال جوان انا أجيب لك ابرة من فرشه وقدأطاق للسلطان
ومن معه وطلع أخذ القان ابرة من فرشه وقدمه للسلطان فقال ابرة إيش هذا ياجوان
هذا ملك الاسلام وأنا أسلمت وأنت الذى بقيت خصم ملك الاسلام ابرة ياقان العرب
أنا أشترى نفسى بخزنة وحق طريق السلطان خزنة وأتوب وأدفع كما كنت الخراج
فأمر السلطان باحضار سيد الدولة وسلمه اليه وطلب الخزنتين وقبضهم السلطان

وأخذ جوان معه وسافر من توريز العجم قاصد إلى مصر مدة أيام حتى وصل إلى
مصر وبات وأصبح طلع الديوان وأحضر جوان وخلع عليه وجعله باشة المباشرين
وسماه الشيخ صلاح الدين وأمر له ببيت فى باب القرافة أكبر من بيت البرتقش هذا
جرى لجوان [ياساده] إلى يوم من الايام طلع السلطان الديوان بجد الديوان ناقص
عشرين أمير وعشرين فداوى وثانى يوم فقد عشرين أمير والبرتقش بجملتهم فانغاظ
السلطان فطلب شيحة لأجل أن يعلمه فلما طلع شيحة رأى جوان فقال إيش هذا
يامالك الاسلام وان غريمك جوان فقال السلطان لا يا شيحة هذا بقى مسلم فقال
جوان هذا خوفى يامولانا السلطان هذا خوفى يامولانا السلطان من دقايق مثل ذلك
أنهم بها أنا وأروح متهوم والله يظهر الحق فقال السلطان لا بأس عليك فقال شيحة
جوان غريمنا فقال السلطان اسكت ياشيحة لا بقيت تذكر جوان إلا بالخير ولا تقول
عنه هذا الكلام وأقاموا إلى آخر النهار وقام الملك صلى العشاء وكان شيحة صلى معه
وطلع قصره ان ينزل فلما خرج من القلعة وسار الى محله وإذا بلطش على ظهره ارماه
وكتفه وأخذه الى مغار وفيقه ففتح شيحة يجد درويش كبير ومعه أربعين مثله عجم
والبرتقش والامارة والفداوية فى الحديد وتقدم العيار اليهم وفيقهم وقال لهم يا ستية
أنتم قتلتم القان هلاوون وتريدوا أن تعيشوا بعده فى الدنيا والتفت إلى شيحة وقال له
أنت كبير العرب من الذى يبقى يخلصك وحط يده على الحسام وأراد أن يرمى رؤوسهم
وإذا بدخنة بنج فرقدوا جميعا وكان طالق الدخنة جوان والسبب فى ذلك أنه كان لما
فعل مافعل توريز كان بينه وبين ابرة وقال له ارسل خلفى ذلك العيار وأنا أرسل لك
جميع كباو العرب وقان العرب تقتلهم فى ثار أبوك وأملكك ملك العرب فطاوعه
وأرسل خلفه هذا العيار على ما وعده وعلمه على بيوت الامارة كل واحد على أمير
وفداوى وودوهم المغار وبعدها الدرويش رصد شيحة حتى قبضه وكل هذا تعليم
جوان وأتاهم فى المغار وبنجهم وفيق شيحة . فلما افاق بجد الامارة والفداوية
والبرتقش معهم فتقدم جوان إلى شيحة وقال له يا ابو محمد بحق دين الاسلام ما كنت
تتهمنى قال نعم لانى اظن ما انت تسلم حقا ولكن الله خرق العوائد وانا يا قاضى صلاح
الدين من اليوم والاسم الاعظم مابقى لى اعز منك فقال جوان اقطع رؤوس هؤلاء
المعرصين الارفاض قام سيحة قطع رؤوسهم وساروا جميعا للسلطان واعلم شيحة بما
جرى فقال السلطان جوان اسلم اسلام صحيح ما فيه شك ولا تلويح ولا تخويح
[قال الراوى] وكان السبب فى اسلام البرتقش أولا ومجيئه إلى مصر وذلك أن
جوان قال له يا سيف الروم انا ضاقت حيلتى ولا بقى معى شىء افعله وانت يا برتقش

مابقى لك مقدرة على مكيدة تعملها فى المسلمين فقال البرتقش أنت عجزت انا ماعجزت عنهم
أنا أروح الى مصر وادخل أنت على البترك كرسانيون واشكى له منى انى عصيت عليك
وأنا أجمع البتاركة والرهبان واتخانق معك ونشتم بعضنا نجتمع علينا الناس اولربما يحضر
شيحة وينظر أفعالنا وانا اسلم وارمى القلنسوة وأدوسها برجلى وأقول كلمة المسلمين فلما
افعل ذلك تقول أنت وبالغد مابقيت اقيم فى بلاد الروم بل اعمل واقضى وادخل بلاد
العجم ثم انك تسير الى ابره ابن هلاوون وتغره وتقول له أنا ماجيت الا اقويك على
أخذ سار ابيك وتلعب المناصب وتوقع بين العرب والعجم واكون أنا دخلت مصر
وتممت حيلتى وابقى لك قعيدة فيها قال جوان هذا رأى طيب ثم انهم عملوا لهم خناقة
واجتمعت عليهم المخلوقات قال البرتقش مابقيت أعاشر جوان ولا بقيت الا اسلم وأرمى
البرنيطة من على رأسه وأردهسها برجلية وقال الشهادة فقال جوان ونظير ماقلت هذه الكلمة
مابقى جوان الا رافضى ويعبد النار ويدخل بلاد العجم وكان هذا يجرى وشيحة واقف
بجملة الناس يسمع ويرى ولما دخل مصر شيحة أعلم السلطان بما وقع بين البرتقش وجوان
وقال له اذا أتاك اكرمه فانى رأيت فى كتاب اليونان انه يسلم ولما دخل البرتقش على
السلطان واسلم على يده اكرمه وانعم عليه وسماه محمود كما ذكرنا وجرى ماجرى واما
جوان فانه فعل فى بلاد العجم ماتقدم ذكره حتى اتى مصر واسلم على يد السلطان وقتل
الغيار وأصحابه وخلص المسلمين واتقن جملة وسبك منصبة على شيحة وكان جوان اطلق
البرتقش من المغار واجتمع عليه وقال مابقى ينشكر منصفك الا بقتل هذين الغيارين
والا ان مسكوهم وضربوهم يقروا عليك واذا قتلتهم فان المسلمين يعتقدوا ان اسلامك
صحيح فطاوعه وقتلهم وفيق الاسلام من بعد قتل الاعجام وقال له شيحة مابقى عندى
أعز منك وصار شيحة والسلطان يكرموا جوان واما البرتقش عمل نفسه مريض فسأل
عليه السلطان فقالوا له انه مريض فقال يجيب علينا ان نطل عليه ولما كانت تلك الليلة
كان جالس جوان فدخل عليه البرتقش وقال له طالت علينا الايام ولا بلغنا مرام فقال
جوان انا افتكرت لك منصف لكن يحتاج الى رفيق ثالث واذا برجل نازل عليهم
وفى يده شاكرية وكان هذا فداوى من بنى اسماعيل يقال له الكرت بن اسلام وكان
غائب فى بلاد النصارى خمسة وثلاثين سنة وثقل ظهره بالمال وشكت رجاله الغربة
فجمع أمواله وسافر الى قلعته واجتمع برجاله وسأل عن معروف فاخبروه انه ظهر
وان المتولى على الحصون شيحة فحلف انه يقتله ويقتل الظاهر وركب دخل مصر
فرأى جوان نازل من الديوان فسأل عنه فقالوا له هذا جوان قد أسلم وحكوا له انه كان

عدو شيحة والان مابقى عنده اعز منه فقال الفداوى لابد من قتله هو الآخر وتبعه الى
بيته وصبر الى الليل ونزل عليه ليقتله وكان البرتقش جاء له وجلس وهم يتشاورون مع
بعضهم ولابسين لبس النصارى فعرف الفداوى أن اسلامهم حيلة ولما قال جوان
البرتقش نحتاج لنا رفيق ثالث فنزل عليهم وشاكريته فى يده فقال لهم أنا رفيقكم
واعلمهم بما كان منه فلما عرفوه وأحكوا له على ما جرى من الاول إلى الاخر فقال
لهم وأنا اكون معكم واتفق وامعه واكمن عندهم فى البيت وصار البرتقش يأخذه
ليلا ويسرق هو واياه من الامراء والفداوية حتى سرق أربعين أمير فضجت أرباب
الديوان فقال إبراهيم يامالك الاسلام ما أحد غريمنا الا هذا جوان فقال جوان لا
حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ملك الاسلام صدق كلام المقدم إبراهيم اوضعنى
فى السجن فان ظهر شىء وانا مسجون أبقى انا برىء ولا تاخذوا البرىء بالسقيم
فقالت الرجال هذا رأى صواب وسجنوا جوان تلك الليلة وقال السلطان للمقدم
ابراهيم ما قد حبسنا جوان وها أنت عليك حراسة البلد فى هذه الليلة فقال إبراهيم
وهو كذلك ونظر البرتقش إذلك فاخذ الفداوى ووقف فى أول الليل قدام باب
القلعة وأوقدوا راكية نار وارمى فيها بنج بكثرة وكان نظر إبراهيم وهو طالع
من باب العاقة ولاجل الفضاء أن ابراهيم وسعد لما طلعوا ونظروا إلى هذه النار
ولا أحد عندها فاتوا اليها فاخذهم البنج ورقدوا جنبها فحملهم الفداوى والبرتقش
ودواهم وعادوا إلى القلعة وكان السلطان طلع الاخر يتبع اثر ابراهيم وسعد وكان
ميعادهم الرميلة فنظر إلى تلك النار فسحبه القضاء اليها فرقد جنبها فلما عاد البرتقش
ورأى السلطان فقال هذه ليلة مبروكة من أولها واخذوه ودوه إلى ابرهيم وسعد
وصبح السعيد جالس لما غاب السلطان هذا وجوان حلف انه لايطلع من الحبس
أبدا وقال خلينى مرتاح من القال والقيل ولما جلس السعيد دخل شيحة عليه وقال
وقال يا سعيد أن كان جوان محبوس يكون هذا فعل البرتقش فانا أخذت ذلك
بالفراسة ولكن الله يعلم بالسرائر والانسان يحكم بالظاهر ثم صبر الليل وصار
قاصد بيت البرتقش فما لحق أن يصل اليه الا والفداوى قبض عليه وكتفه وودام
تحت ظلام الليل وعاد وكان البرتقش قبض السابق لانه نظرهم طالعين على السرايات
فقطع الحبال فوقعوا فنزل عليهم وهم فى غشوتهم وقبض واحد والفداوى قبض الثانى
وما طلع النهار الا وشيحة وأولاده عادمين وكان الفداوى كل ما يأخذ جماعة يحبسهم
فى سرب كبير فى الرحبة إلى أن تكاملوا جميعا فى هذا المكان وبعد ذلك قال
الفداوى ايش بقى مرادى استنى وصفف الجميع وجرد شاكريته وقال لهم ياقرون

أخذت الدنيا كلها لكم ما بقى لكم مشارك فيها ولا تعلموا ان رجالكم أكثر منكم موجودون لهم مقدرة على الأفعال وهز الشاكرية على رؤوسهم وأراد أن يضرب رقابهم وإذا بدخنة انطلقت فرقد الفداوى والذى أطلق تلك الدخنة كان البرتقش وتقدم فك السلطان والأمراء فطل الملك الظاهر اليه وقال له شيخ يامحمود أنت طيب فقال بنفسك يا مولانا السلطان فقال وإيش اعلمك إبأنانى هذا المكان فقال يا مولانا أتانى الخضر أبا العباس ومس بيده على بدنى شفيت وقال لى أدرك السلطان والاسلام فى المحل الفلانى فانيت كما ترانى فقال له السلطان بارك الله فيك يا أمير محمود ثم أنه بعد ما أطلق الجميع أخذ الفداوى وهو مبنج وساروا به إلى القلعة

فقال له المقدم جمال الدين يا مقدم ايش تقول فى الا طاعة فقال يا قرنان كيف أطيعك وانا تحت يدى الوف مثلك يأخذوا منى جامكيتى وجرايات وأنا لابد لى من قتلك واتولى محلك فان كنت خايف منى فاقتلنى وإن كان لك مقدرة على وأنا على قيد الحياة فدونك وما تريد فقال شيحة لولا أنك من بنى اسماعيل كنت سلختك ولكن انت تستحق التربية ثم ان شيحة ضربه ثمانين بالسوط الغضبان ووضعه فى السجن والتفت إلى السلطان وقال أين صلاح الدين فقال إبراهيم محبوس فقال الملك ومن حبسه فقال إبراهيم أنا حبسته فقال السلطان وأنت لك أمر ونهى تحبس الناس بالتعدى وأنت حبست الرجل والافعال ظهرت انها من جفسكم وتمانع انت وتظلم صلاح الدين وتقول جوان

فقال ابراهيم يا ملك أنا أقول على ما أنا شايف ان هذه المصائب من البرتقش ومن جوان وهذا اسلامهم باطل فخذ الحذر يا مولانا عند أرباب الكبائر فان الله يعلم بالسرائر فقال الملك يا إبراهيم أنت لا بقيت تعارضنى فقال إبراهيم الذى ماله كلمة ماله خدمة فقال السلطان الى حيث القت فالتفت ابراهيم لسعد وقال له هيا أنت وابنك ومن يتبعك والتفت إلى سعيد الحايش وعيسى الجامرى وقال لهم ايش مرادكم لما بقينا فى يد الكفار مثل الدجاج هيا على حوران أنتم وتوابعكم فقال السلطان حيا حورانى بيسانى فى جهنم فنزل ابراهيم وسعد وأتباعهم جميعهم وساروا إلى قاعة الحوارنية وأخذوا متاعهم وسافروا إلى قلاعهم يقع لهم كلام إذا اتصلنا اليه نحكى عليه[قال الراوى] واما جوان بات وأصبح دخل قدام السلطان وقال يا ملك الاسلام أنا بقيت رجل كبير وقلبى مشتاق للحج وزيارة الرسول وأقرا لك الفاتحة على مقام الرسول فقال السلطان يا قاضى صلاح الدين

مرادى اجعلك أمير الحج وتسافر فى الحج فى هذا العام فنزل جهز نفسه للسفر مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلعوا خدامين القاضى وقالوا يا ملك الاسلام اتنا بتنا وأصبحنا فوجدنا القاضى قتيل وهذه تذكرة وجدناها معلقة فى رقبته فخذ الملك التذكرة فوجد فيها حيث انك قبلت جوان وجعلته لك صاحب فأنا قتلته وأنا إبراهيم بن حسن وقلعة حوران تلقى الخيل والمشاة ان أردت أخذ الثار فقال السلطان هذا الخائن ما قتلناه وهو كافر ولما أسلم يقتله والله لا بد لى أن أجازيه على فعله وأمر بدفن جوان واصعر الملك انه يركب على حوران ويأخذ ثار جوان وبات وأصبح وإذا بأغات الحريم من عند الملكة مريم الحقى تخبر بأن الوزير طقطمر أخو السلطان بتنا وأصبحنا فما وجدناه وهذه تذكرة وجدناها مكانه فأخذها السلطان وجد فيها ما أغاظك موت جوان ها أنا اخذت أخرك فان كنت فيك نخوة تعال إلى حوران تلقاه مصلوب على باب حوران واقوى ما فى خيلك اركب وأحض ما فى طماك اشرب فقال السلطان طيب هذا خائن وثالث يوم عدم الظاهر والسبب فى اعداده انه اخذ معه اربعين امير وكان فى النهار وأوصاهم أن يدخلوا عند البرتقش ويسايروه حتى يعلموا ما فى قلبه فقالوا الامراء يا أمير محمود مرادنا منك أن تعزمنا ليلة فقال لهم أنا أحب ما على ولكن اخاف أنى رجل غريب وما أنا منكم وإذا عزمتكم تستحقرونى فان كان يا أسيادى لكم رغبة فى ذلك فما أنا إلا عبدكم ولكن بشرط أن لا يعلم أحد بنا فقالوا وهو كذلك وعند المساء دخلوا عليه إلى بيته فرأوه فارد سجادة وواقف محرم بالصلاة فقعدوا وهو لا يلتفت اليهم بل جعل باله صدر المكان وهى القبلة يتوسل ويتضرع فقالوا الامراء سبحان من اهداه من بعد الضلال وبعد ساعة دخل الملك الظاهر فقاموا اليه وأعلموه انه من حين دخلوا الشيخ محمود محرم بالصلاة ولا التفت اليهم

فقال لهم سبقت له السعادة باذن صاحب المشيئة والارادة وبعد ذلك سلم البرتقش فلما التفت ورأى السلطان فحصل عنده خجل وقال يادولتلى لا تؤاخذنى فانى متعلق بالعبادة عسى أن الله يقبلنى ويعفو عنى

فقال السلطان ياشيخ محمود انت بقيت من الزاهدين الصالحين فقام على حيله وقال يا أسيادى تأكلون تمرا فقال السلطان هات المانشوف الاحمر الذى عندك لعله من تمر الجنة فقال يا سيدى من أين كنا حتى اتصلنا وأحضر علبة خشب وفتحها وطلع منها جانب تمر وبعدها احضر صفحة صينى فيها تمر مبلولى وقال يا اسيادى هذا الطعام الذى أمرنى به استاذى الخضر لا آكل إلا منه فقط فاخذ السلطان الصحفة شرب

منها والأمراء جميعا وكل منهم شرب من هذه الصحفة وقعدوا يا كلون التمر فناموا جميعا كانهم موتى ووضعهم فى الحديد وبات وأصبح طلع الديوان وشاع الخبر بفقد السلطان فاشتد الكرب فى الديوان على الحاضرين وشكروا حالهم للوزير شاهين

[قال الراوى] فقال السعيد هذا فعل المقدم إبراهيم فقال الوزير إبراهيم لا يفعل فعل مثل ذلك وأنا اقول انه برىء يا أكابر بنى اسماعيل ومن حضروا وإذا كتبت كتاب هل فيكم من يوديه قلعة حوران للمقدم إبراهيم بن حسن فقال البرتقش أنا يادرلتلى وزير اكتب لى الكتاب وأنا اوديه وأجيب لك رد الجواب فقال الوزير انت كنت غلام جوان وإذا قابلك إبراهيم يحقد عليك فقال له إذا كان ذلك والله ياوزير أنا اقدر اقوده إلى بين يديك اكتب انت فكتب الوزير كتاب اخذه البرتقش وامر عساكره ان يحضروا للسفر ونزل الى بيته طلع كراره ومطبخة الاوجوان دخل عليه سرا ومعه شيحة والسابق ونورد وكان السبب لما عمل قاضى المحمل احضر واحد من حارة الروم وذبحه ووضعه فى مكانه وكتب تذكرة على لسان ابراهيم وجرى ماجرى وثانى يوم سرق طقطم وسرق المقدم جمال الدين وأقام تلك المدة وهو مكمن له فى بيت فى مطبخ مهجور حتى اجتمع باولاده السابق ونورد فبنج الطعام فى المطبخ وقدموا لهم الحوار وجرت بتلك الاقدار فاخذهم جوان وطلع بهم محملين على بغلة وأدخلهم لغلامه البرتقش ، قال هذا منصب كامل وبلد الاسلام خربت وغاب جوان وأنا بالفداوى الاكرت ووضع له الجميع فى قلب صندوق وقال هؤلاء غفرك وحمل البرتقش الحمل وخرج من مصر قاصد حوران كما علمه الوزير وسافر مدة أيام قلائل حتى قطع اللدو الرملة وأنزلهم وفيقهم فقال الفداوى ايش الفائدة فى حمل هؤلاء الكلاب انا قصدى قطع رؤوسهم ثم انه رصهم قدامه وجرد شاكريته فالتفت السلطان وجد جوان والبرتقش وباقى الامراء معه مكتفين فقال ايش الخبر ياقاضى صلاح الدين وأنت ياشيخ محمود فقال جوان يا ملك الاسلام اعقل انت عمرك سمعت أن جوان يفوت دين المسيح ويسلم وانما هذا منتصف وباطل وهذه الساعة آخر أعماركم

قال السلطان كل التفريط منى أنا كذبت ابراهيم بن حسن وأرضى بك يا كلب حتى بلغت اربك وأنت يا شيحة وقعت معى فقال شيحة اذا نزل القضاء عمى البصر والله تعالى اوعدنا بالنصر والظفر على رغم أنف من طغى وكفر وأنت ياجوان نصرانى قال وابن نصرانى ثم ان جوان قال للفداوى قوم هات رؤوسهم وأريح النصارى منهم فقام المقدم كبرت وأراد ان يضرب رقابهم واذا بالغبار ثار وعلا الى الصفا وتكدر ثم انكشف الغبار وبان عن الفين فارس الف حورانى وألف بيسانى ويقدمهم المقدم

إبراهيم بن حسن والمقدم سعد بن دبل وعيسى الجاهرى وناصر الدين الطيار وسعيد اللماج والكل على خيول كانهم الغزلان ومقبلين كانهم العقبان وفى اولهم المقدم ابراهيم وكان السبب فى قدومهم ان ابراهيم فى تلك الليلة قاعد فى محل نومه فاقبل عليه الخضر عليه السلام وقال له قم انجد ملك الاسلام وخلصه من جوان والبرتقش اولاد اللئام فقال ابراهيم واين القاهم ياسيدى فقال على طريق الرملة قاصد بهم بلاد الروم ادركهم فصاح ابراهيم وركب واعلم سعد بذلك فطار سعد البيسانى وأحضر رجاله بابراهيم حتى أدركوا البرتقش كما ذكرنا ولما نظرهم جوان قال وقعنا يا سيف الروم ولا بقى لنا خلاص من يد ابن الحورانى فقال البرتقش اهرب ياجوان وأما الفداوى كان ملثما فى تهديد الاسلام وهو واقف فما يشعر الا والدنيا طبقت عليه أراد ان يركب حجرته فحذف المقدم ناصر الدين الحجرة برغيف رصاص أرماها قدامه وإبراهيم بن حسن الحق الفداوى وضايقه وسعد ضربه فى معاقيله أرماه وكتفوه وأخذوه أسيرا وأما الحوارنه والبياسنة اهلكوا كل من كان من اتباع هذا الملعون والبرتقش لانهم جميعا روم وفكوا السلطان وشيحة فنظر إلى المقدم الفداوى وقال له تدعى أنك شريف ولكن فعلك يرت التعنيف أنا قصرلم تعطينى وتخدم عند جوان تعاونه على اذية المؤمنين بقى هذا حلال عند الرجال انا أولا ضربتك واما النوبة ما بقى الا سلخك فقال الفدارى يا سلطان الحصون انا أخطيت وأنت تسامحنى فقال شيحة ان طعنتنى اكتب اسمى على سلاحك وعفى الله عم سلف وان عصيت والاسم الأعظم أسلخك ولو تكون أعز اولادى أما تعلم يا فداوى ان الذى فعلته شىء صعب فقال طبع يامقدم كرز بلا مخالفة فان الشتاء داخل وإن سلخك شيحة تموت من البرد قال الخوند انا طمعت وسأكون له من جملة التابعين وكتب اسمه على شواكره وخناجره والتفت إبراهيم للسلطان وقال يا ملكنا انا رايح قلعتى فقال السلطان لاى شى فقال إبراهيم ما قلت لى روح جهنم فها أنا رحت جهنم مع ان الشام جنه ماهى جهنم فقال له الملك امش على مصر أنت ورجالك وابنك وابن خالتك واتباعهم انتم اخوانى

فقال ابراهيم أنت ما طردتنا فقال السلطان نعم انا طردتكم ولكن جاكيكم شعاله على بساط الديوان وأما البيت الذى كان فيه البرتقش وجوان وما خلفوه فى هذا المكان فهو لك ولاهل حوران ولسعد وأهل بيسان فقال ناصر الدين الطيار اصبر لما نقسم وخذ حقك واحنا نأخذ حقنا فقال عيسى اقسم ياأخى ما أحد مانعك فانقسمت هذه الاموال التى تركها البرتقش وجوان نصفها للحوارنة عن يد إبراهيم والنصف الآخر للبياسنة عن يد ناصر الدين هذا وسعد يضحك على طمع ولده وعيسى الجاهرى يضحك على طمع

أبيه وبعد ذلك طلبوا العودة إلى مصر فقال السلطان انظر ياشيخة فعال جوان معنا وركوبنا منه الفعلة فقال شيخة يا ولانا هذا قضاء متلاطف وفعل الله أقوى من فعل العبد والسلامة غنيمة فقال والله الذى تقدست اسماؤه ان وقع جوان فى يدى لابد أن تقطعه وان ماقطعته انت اقطعه أنا بالحسام فقال شيخة وهو كذلك رأى ماوقع يكون آخر عمره وتقطيعه وسافر الملك إلى مصر وافعقد موكب مثل العادة حتى طلع قلعة الجبل وجلس يتعاطى الاحكام [قال الراوى] إلى يوم جالس السلطان فحصل له انشغال انفض المنديل وتحولت العساكر ودخل إلى محل التبديل وطلع فى صفة درويش ونزل يشق مصر فجاز على الرميلة وتركها على سوق السلاح ووصل باب زويله فقرأ الفاتحة للمتولى ونظر يلتقى رجل قاعد عريان وواضع اصبعه فى فمه فتقدم الملك اليه يجد الناس يكلموه وهو لا يتكلم فقال له الملك السلام عليكم فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال ياشيخ لاى شىء واضع اصبعك فى فمك هل فيه فائدة اعلمنى على حكايتك لعل الله أن يزيل فاقتك فقال ياسيدى أنا عندى خمس بنات وانا وأمهم بقالنا ثلاثة أيام بالجوع ولا عندنا شىء وهذه حكايتى فقال له السلطان خذه هذه التذكرة وسر إلى القلعة اعطيها إلى الخزندار وإن أحد حاشك فى الطريق خذه معك واعطاه الخزرانة التى فى يده أمارة وقال له أما واقف هنا حتى تجى تعطينى خبزارنتى فقال سمعا وطاعة وقعد الملك على دكان حتى ان الرجل طلع إلى القلعة ودخل على الخزندار وأعطاه التذكرة فوجد فيها خمسة آلاف دينار فاعطاه الخزندار ونزل الرجل حتى أتى السلطان اعطاه الخبزرانة ووقف الرجل يفرق على الناس الذهب حتى ما بقى معه شىء والملك ينظر فقال له ياشيخ انت قلت انك محتاج ولا شىء تصدقت بما ملكت فقال ياسيدى يدفع البلاء إن الله تعالى يقوم معك كل من الناس يأخذ نصيبه عود يامالك الاسلام الله يعينك على وقتك اعلم ياظاهر إن الاحسان ينجى الانسان من صروف الزمان وانت مشتغل بلهو الدنيا وتركت الآخرة خلف ظهرك كانك مخلدفى الدنيا ولا تعلم أن لابد من انقضاء عمرك فقال له السلطان أما تسير معى إلى مكانى فقال حاشا وكلا أنا لا أستطيع ان تحمل شيأ من البلا ولا يعرف النار إلا من بها اسطلا

[قال الراوى] وغطس ذلك الرجل ما بان كانه ما كان وعاد السلطان وهو يتفكر فيما قاله ذلك الرجل حتى وصل إلى محل إقامته وزادت فكرته حتى صلى العشاء وبات فرأى فى منامه انه سار إلى بولاق فرأى البحر علا وعلت أمواجه وساحت مياهه وعلت وتصاعد الماء بالفوران والعلو حتى عم على مصر وزاد فى العلو حتى غرق الاصوار ودخل مصر حتى عم على شوارعها وتصاعد الماء حتى غطا موادن الجوامع فصاح

السلطان ياغياث المستغيثين ياسيد المرسلين يا أمان الخائفين وإذا بالدنيا ابرقت وصار البرق ينزل على الماء يلحسه حتى جف جميع الماء كثيره وقليله وعاد البحر إلى محله فافاق السلطان من منامه وقام يصلى ويذكر الله حتى صلى صلاة الصبح وقرأ اورادة وطلع النهار ودخل الاغا جوهر وقدم البابوج للسلطان وقال

صبحت بخير واسعد الله لياليك ... فرحا وسرورا مع دواما لحاذيك
قولى حق وانت أهلا للصدق ... مالك رق كفيت شر اعاديك
جو غلمانك وخدمك واعرانك ... فى ديوانك ما يحتاجون إلا اليك

قال السلطان على أن الكمال الله قوى عزائم الاسلام انك على كل شىء قدير وقام الملك ولبس البابوج وظهر إلى الديوان فماج الديوان من هيبته حتى جلس على الكرسى فى مرتبته ونظر إلى الميامن والمياسر والصدر والجناحين اطرقوا أجمعين وبعده صاح جايش الديوان بصوته وهو يقول

الملك لله ان الله متجلى ... على الخلائق والظلمات تجلى
ياما على الزور دخانه كل متولى ... سبحان من صنعته المهلة كل مولى

[ياسادة] قال الملك آمنا والله اطعنا من أين كنا حتى اتصلنا أراه الملك يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر جد الاشراف وإذا بأبو على البراج طالع يقول سبحان هادى الطير قال يامالك سبحان عالم الغيب قدم للسلطان كتاب يجده من اسكندرية ومضمونه أن ابو بكر البطرنى قدم بالقراب العظمى وصحبته الملك دورى ابن الملك عرنوس ومقصوده القدوم للحضرة الظاهرية وصحبته اخوته فأمر الملك يشنك ومهرجان وبعد خمسة أيام كان السلطان أمر بزينة البلد ودخل الملك دورى بموكب يشار له باطراف البنان فاستقبله السلطان واكرمه هو واخوته وأقام فى حظ وانشراح إلى يوم من الايام قدم المقدم جمال الدين شيخة وسلم على أولاد الملك عرنوس فلما رآه السلطان قال له يا أخى اما تقصودى ان اخبرك بما رأيت من مدة كم ليلة منام فقال شيخة خيرا فاحكى له السلطان على المنام الذى قدمنا ذكره وكان حاضر بالمجلس سادات علماء الاسلام مثل العز بن عبد السلام وأمثاله فقال العز يامالك الاسلام إن زيادة البحر وعلو الماء فهذا حصار للبلاد وجور عداء وأضداد وركوبه على المواذن يخشى عليك منه فان لم يكن اعلى من مقامك فانه يضاهى المواذن فى الارتفاع وأما البرق الذى انى ورد الماء فانه فرج من عند رب السماء خالق النور والظلما فهم كذلك وإذا بباب الديوان قد استند وبحاب طالع باستعجال ومعه كتاب وهو يقول

سلامي على هذا المقام وذا الحما فان به كرسي الخلافة قد نما
يعم أمير المؤمنين وجيشه وقد حفت الكرسي ملائكة السما
الله حافظك وناصرك ويأخذ بيدك إلى جنات النعيم ياأمير المؤمنين قال السلطان من اين قال من الشام يامالك الاسلام ثم انشد

عرج ركابك عن دمشق لانها بلد تذل لها الاسود وتخضع
مابين جبهتها وباب بريدها قمر يغيب والف شمس تطلع

[قال الراوى] فأخذ ابراهيم الكتاب واعطاه للمقرى فقرأه واذا فيه من حضرة نائب الشام إلى بين ايادى حضرة مولانا ملك الاسلام الى يوم تاريخ الكتاب مقيمين فاقبلت علينا عساكر لاتحصى بعدد الرمل والحصا وهم ستين شنيار على رؤس ستين ملك من ملوك الروم وكل ملك منه فداوى من بحيرة يغرة والتين ملك يتبعهم ستين الف كافر بالخيل والسلاح فحاصرونا وكل محاصر مأخوذ ادركنا يامالك بسيفك المسنون وامرك المكنون وجوادك الميمون فاننا فى ريب المنون والامر امرك أطال الله فى عمرك والسلام على نبى تظلله الغمام فلما سمع السلطان مافى الكتاب امر الامراء أن يتحضروا للجهاد وأمر القراشين أن ينصبوا له الصوان فى الميدان و رز السلطان للسفر واقام ثلاثة أيام فى العادلية حتى كمل العرضى وكان الملك دورى ابن الملك عرقوس حاضر فاستأذن الملك على الذهاب إلى مدينة الرخام لاجل ان يحضره ويلحق عسكره ويلحق السلطان على الشام فقال السلطان لايلزم وماتم الامر إلا يوجب تعبكم فقال الملك دورى يامالك الاسلام أما ان الجهاد فرض على كل مؤمن ثم انه توجه له كلام

[قال الراوى] وأما السلطان فانه سار بالعرضى وارسل قدامه المقدم سعد وابنه ناصر الدين ينهبوا على الفداوية المقيمين بالحصون ليكون الاجتماع على الشام وسافر السلطان حتى حط على الشام وكتب كتاب بعد ما أخذ الراحة بالعسكر واعطاها الكتاب إلى المقدم ابراهيم فركب حجرته وسار حتى وصل الى عرضى الكفار ونزل عن حجرته وسلمها الى المقدم على بن الشباح وشمر حامى الله أكبر

كفو التلاهى وليس الحز والتنعيم إلى الاسنة التى قد طعمت تطعيم
اخلوا الطريق مر قبالى واتركوا التوهيم ومن تصدر فماخصمه سوى ابراهيم

[قال الراوى] ومال على اليمين أرمى مقدار عشرة من الكفار كذلك على اليسار قتل مثلهم فهربت من بين يديه الكفار ودخلوا على الملوك اعلموهم قدوم ابراهيم فقال جوان هذا ابن الحور آتى قبل كل شىء خذوا منه الكتاب واكتبوا

له رد الجواب بالحرب وأعطوه حق الطريق واكتفوا شره فقالت فداوية النصارى تهجم عليه فى الديوان وتقطعه بكل سيف وسنان فقال البرنقش ماهو شرط النجابة بل إيأخذوا حق طريقهم ويروحوا بالامان هذا وابراهيم اقبل وهو يقول قاصد رسول إلى الزواج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول الامام على بن أبى طالب مظهر العجائب كرم الله وجهه ورضى الله عنه بالقوة الامام انكسر الاصنام واحم البيت الحرام ولا تبع من هزم ولاهتك حرم ضرب بسيفه فى الارض كبرت ملائكة السماء سمع النداء من العلا لاسيف الا ذوالفقار القصطلى ولا أمير النحل الا الامام سيدنا على [فقال] جوان هات كتابك وخذ رد جوابك فقال المقدم ابراهيم يا ابن المطبلة ياجوان لاتعارضنى ولا تخاطبنى وانما أقول للذى يكون متمرى على مؤلاء الملوك حتى أعطيه كتاب السلطان والا أعود من حيث أتيت من غير مكانة فقال له ملك من الملوك وكان اسمه بطاروس بن اصطالود صاحب الفلق هات كتابك فقال له أنت ابن من قال ابن اصطالود فقال له ثر على حيلك خذ كتاب السلطان بادب واقرأه بادب واعطنى رد الجواب بادب أعود من عندكم بادب [ياسادة] اعطوا له حق طريقه ورد الجواب وعاد الى السلطان ولقاه بالحرب مزقه وارماه وامر بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الكفار ولما طلع القطار ثانى الايام تمحض العرضى وخرج كافر وهو طالب البراز نزل اليه ايدمر البهلوان وقاله وضربه بالحسام ابرى من الهام والثانى والثالث ونظر جوان الى ذلك فارمى البرنيطة من على راسه وقال يامالك الروم هذا الحرب كان فى زمان يجوز ولما فى هذه الايام لايجوز الحرب الا كما أقول أنا لكم والا خذوا عساكركم وعودوا الى بلادكم وأنا اسلم روحى للمسلمين فقال له بابى اعلمنا ماتريد ونحن بين يديك اطرح من العبيد فقال يركب منكم عشرين مالك بعشرين الف ويزعق زعق واحد على المسلمين تحاربوهم طول النهار وعند المساء يزعق عشرين مالك ثانية تحاربهم بالليل وثانى يوم تحاربهم العشرين مالك الثالثة طول النهار الثانى وفى المسا يحاربهم العشرين مالك الذى حاربوا أول يوم وهذا الحرب مثالثة حتى ان المسلمين لم يكن لهم صبر على ذلك الحال فيموتوا فى الحرب والقتال وهذا تدبير جوان كما أمر المسيح وصار فى حنا المعمدان

فقالوا ملوك الروم احنا رضينا بذلك فقالت الفداوية واحنا ايش نعمل فقال جوان أنتم تخلوا الحرب دائر وتنزلوا على عرضى المسلمين ترموا فيه النار تحرقوا الخيام والسرادقات والاعلام فقالوا له رضينا بذلك فوقف جوان وقال يا اولادى احملوا على الذى فى الميدان فحملت عشرين مالك بعشرين الف ونظر السلطان زعقهم

يأمر عشرين امير ان تزحف على القادمين وتختلطوا بهم أجمعين واختلطوا العسكرين وقد تلاطموا الفريقين وغنى على رؤوسهم غراب البين وتقابضوا مع بعضهم باليدين ودام راعلى ذلك الحال الى آخر النهار وقد دق السلطان طبل الانفصال فهز جوان الشنانير وأمر عشرين ملك ان تحمل بالليل كما وقع الشرط وفى هذا أقبل المقدم جمال الدين واعلم السلطان بما جرى وقال له ان الامراء حاربت بالنهار والفداوية محاربون بالليل وحاذرا على العرضى فان هناك اللعين جران دبر على حرقه ولكن انا قصدى انسبب فى حرق عراضيهم ولكن خلوا عشرين مقدم محاربهم بالليل ثم انه امر عشرين مقدم ان تقاتل ففالوا سمعا وطاعة وزعقوا على الكفار من هذه الساعة وطالوا القتال وطال المطال وقطع الحسام الفصال ودام الحرب على ذلك الحال حتى مضى سواد الليل واستحال واقبل الفجر بضيائه التلال اندق طبل الانفصال فزعقت العشرين ملك الاخر وجذبوا كل حسام أبتر فقال السلطان عشرين أمير اليهم يخرجون لكن خلاف الذى خرجوا بالامس وعساكرهم معهم فحمل فلارون الابين العشرين أمير رفاقته وأظهر فى الكافرين قوته وبراعته ودام على هذا العيار الى آخر النهار حملت الكفار الليلة الثانية وكانت اجمل مدانية وعند الصباح فى اليوم الثالث أقبلت ابناء القلاع والحصون وقد أفلح المؤمنون وخذلت الكافرون وكان السلطان أرسل الى بنات البلاد وأمرهم بالجهاد ودام الحرب والطرد والضرب والاجتهاد هكذا عشرة أيام متواليات هذا وعساكر الكفار من بلادهم متتابعة مثل العيون التابعة فى اليوم الحادى عشر أقبل الملك دورة ابن الملك عرنوس وصحبته من اخوته خمسة عشر بطل والمقدم جوينش وهدير الرعود ابن لهب وقطروا الحرب عمال فتركوا الفراشين تعدل فى الخيام وهم حملوا يطلبون الحرب والصدام ويوم الثالث عشر أقبل الملك مسعود بك من برصة ومعه قار اصـــلان المغربى والملك مركوطين ودار الحرب بالتمكين ويوم الخامس عشر بطل الحرب حتى انهم نظفوا الارض من القتلى بان الدنيا بقت كلها حينئذ وقالوا ملوك الروم يا جوان ان المسيح جعلك بلوة للنصارى لا لك ما عمرك جبت لهم خير

فقال جوان هذه الليلة يكون تمام الحرب ولا يتم الا بقضاء الاشغال ثم ان الملعون جوان طلب الفداوية والنصارى وقال لهم أنا أخرتكم حتى تورونى شطارتكم فان النصر لا يكون الا على يديكم كل واحد منكم ينزل على خيمة أمير ولا يعود منها إلا به فقالوا سمعا وطاعة وخرجوا وهم ستين كافر وسرقوا ستين امير وراحوا بدا

واحدا الى عرضى الكفار ودخلوا تحت ظلام الاعتكار فالتفت البب عبد الصليب صاحب اوراد فقال لهم جيت فقال نعم ابن الملوك فقال يعملوا مشورة فقالوا أين جوان قال لهم معهم فقالوا يبقى جوان يعمل المشورة من غير حضورنا قال عند بسطاروس الفاتى وجوان معهم فكل من كان معه جدان ارماه وراحوا جريا على ملك القاق فقام هذا وفك الستين أمير فأفاقوا يجدوا أنفسهم فى هذا المكان فقال ايش خبر فقال لهم اسحبوا سيوفكم وقولوا الله أكبر لكن بسوط عالى وادخلوا ثانيا عندى وكل واحد منكم يأخذ هذه القارورة النفط ويضرب كل واحد منكم ملك فى وجهه فقالوا سمعا وطاعة وأخذوا منه وصاحوا بصوت واحد الله أكبر وكل واحد منهم راح على جهة وما بقيت الامارة وركب الملك دورى واخوته واولاد ملوك البرتقان وغنى السيف اليمانى والتقا الجمعان [قال الراوى] وأما الستين فداوى الذى جابوا الستين ودخلوا بهم عرضى الكفار وكان عبد الصليب صاحب أولاد هو شيخة صاحب العقل والسداد والسبب فى ذلك أن جران قال يا برتقش اطلع بنا إلى بستان نتهوا فيه ولا أحد يرانا حتى نشرب لنا كاسة بيبار والحرب دابر فأخذه وطلع وراح البرتقش بزيل ضرورة قبضه شيخة وجاء مطرحه قبض جوان وداهم فى مكان وجعل السابق البرتقش ودخل على الملوك وهو محل جوان وبحر خيامهم فقاموا جميعا وكان آخر ما دخل خيمة صاحب أوراد واقبلت الفداوية كان هو قبض على عبد الصليب وجلس محله ووضع من خلف الخيمة مجمرة نار وفيها بخور حضروا الفداوية قال لهم ما قال وطلعوا إلى خيمة صاحب القاق فرماهم البخور وكان السابق رآهم ويده على الشاكرية ذبح جميع الفداوية كل هذا وعسكر الاسلام تضرب بالحسام فى أعناق الكفرة اللئام حتى غسق الظلام حتى ذاقوا العذاب نشتتوا النصارى فى البرارى والقفار وأرادوا المسلمين العودة فرأوا النار دقت فى الخيام والسلوك جميعا بالنقط وأكثر عساكرهم معهم والسبب فى ذلك أن غلاما من غلمان جوان يقال له جن ابن يخشب الارملى كان أرسله جوان انطاكية والسواحل فكتب لملوكهم يحضروا ذلك الوقعة فحضروا صحبته فرأوا ماجرا ونظر جن ابن يخشب إلى ذلك الوقعة فانذك على عرضى الاسلام يدور فلم يجد ملوك الروم ولا جوان فقال انهم لساعة فى عراضهم وسار إلى عراضى الكفار وفبق الملوك وحضر لهم النفط وأمرهم ان يحرقوا عرض المسلمين ويقاتلوا عساكرهم بالنفط فى وجوههم ففعلوا ما أمرهم وردوا الاسلام على أعقابهم بالنار وبقت الاسلام شاتة فى القفار

، ضاق صدر السلطان وإذا برجل يقول لا تخاف ياظاهر تطفى النار بقدرة العزيز الجبار وخجلت الكفار فضربوا فيهم الاسلام بالسيف البتار ونظر الملك الظاهر الى الند اطفى النار وكاد الكفار واذا هو شيخ الذى رآه فى باب زويلة وهو عريان ، اصبعه فى فمه وقال له ياظاهر اذبح الكفار ولا تبق لهم اثار فقال السلطان يا معشر الاسلام جردوا الضرب بالحسام ولا تبقوا شيخا ولا غلاما وكان الأمر كذلك حتى أمن الشام طلعوا قاتلوا ودام السيف ثلاثه أيام والكفار محتاطة بهم أبطال الاسلام حتى أفنوهم بالحسام ولا تفقد الا من كان جواده سابق وفى أجله تأخير وهلكوا الكفار صغير وكبير وأمر السلطان باحضار الشيخ الذى انجده واطفأ النار فلم يجدوا له مكان ولا علموا له خبر فقال الملك اين المقدم جمال الدين فقال شيخة نعم يا أمير المؤمنين قال له يا أخى هذا الوقت اين جوان فقال موجود يا ملك هو فى سجن الشام حتى أحضر له العربة واقطعه عليها بعدما أشهره قدامك فى مصر وينظره الخاص والعام فقال السلطان الرحيل على مصر بكرة فقال على الرأس والعين وبات الملك وأصبح طالب الرحيل طلب جوان فلم يجده فقال السلطان أين هو فقالوا السجانين لا باب انفتح ولا خوخة انفتحت ولا قفل وماذا الا خطفه ملك من السماء أو جنى من الأرض [ياساده] واذا بتذكرة وقعت بين السلطان وشيخة مسكها السلطان وجد فيها من حصرة جوان الى ملك الاسلام اعلم ان الداهية التى مضت صغيرة وها أنا أحضرت لكم داهية كبيرة لا تحملها انت ولا عسكرك فلا تروحوا بعسكركم خليك فى الشام حتى آتى لكم

[قال الراوى] وكان السبب فى خلاص جوان وهو ان مدينة بين الروم والهند اسمها مدينة السند وحولها بحر اسمه بحر الاجاج وملكها اسمه الملك قفلين بن القيسير وذلك الملك يتعاطى الكهانة وعلم القلم وكان يحكم على جانب من الهند وجانب من الروم وذلك المدينة مقاصدها فى وسط البحر من جهة الغرب ومبنى فوق ذلك الجبل اثنين وسبعين حصن وقلعة والكل مليانين بالجمال والمدافع ولها مينة وفيها برجين وحوليه بحر اسمه عمبق وله مينة ثانيه والبحر لا يدرك له قرار ولا يقدر احد على دخول المينتين الا باذن الملك خوفا من المدافع التى قدمنا ذكرها بذلك الحصون والقلاع ودائر بها سورين وبينهم خندق ولا يستطيع احد الدخول الا بالامر قيل وذاك الملك له ولد اسمه عبد الصليب الكلبى وسبب ماسمى بذلك الاسم أنه كان أتاه السل حتى ان يده بقت جلد على عظم ولا فيه لحم أبدا الا نفسه يتردد فى العروق بين الجلد والعظم وقد حير أبوه الحكماء والاطباء ولما ضاقت حيلته فضرب اليزرجة لابنه ونظر الى طالعه فرأى أنه يطيب اذا أكل لحم الكلاب

فاحضر بعض الحكماء الذين يعتمد عليهم وقال لهم أنا رأيت ولدى إذا أكل لحم الكلا ينتج له منه الشفا فقالوا الحكماء ياكهين الزمان ما نظرت الا موضع النظر ونحن نعلم ذلك ولكن ماقدرنا نقول ذلك خوفا لا يصعب عليك فقال لهم أنا قصدى انه يشفى على أى وجه كان فصاروا يجيبون له من الكلاب السمان ويطبخوا له لحمها وهو ياكل فما مضى عليه شهرين حتى ردت جنته وبدا صلاحه جعل اكله دائما لحم الكلاب لما بقى فى غاية العافية واتسع بدنه ولما بلغ من العافية منتهى امله فتولع بالبنات الجميلات والفساد فى النساء الفاحشات وجعل شغله شرب الخمر والزنى وإذا سمع ببنت جميلة يرسل يطلبها للفساد فان رضيت لا باس وإن لم ترض ياخذها قهرا ولا أحد يقدر يتعرض له بما انه جعل له عجايز تدخل البيوت تنظر له النساء الجمالات ويأتوا اليه يعلموه فاذا قالوا له زوجة فلان جميله يرسل لها مع العجائز ويطلبها للجنانات فان رضيت كان به وإن خالفت فيطلب زوجها ويعلمكها من بعده ويقضى منها وطره وتقيم عنده حتى يشبع منها ويتركها إذا سمع بغيرها وهو على هذا الحال وذلك الكاهن له وزير اسمه لوقا وله بنت اسمها شوفة وذلك الوزير كل من فى المملكة يحبه وله اثنا عشر بستان كل بستان باتى حصر من حجارة المرمر وفيه فسقية من الرخام بفوارات وأنا بيب من الذهب والفضة والفسقية فيها سمك من جميع اشكال السمك والبساتين فيها من سائر اصناف الوحوش ياكلون ويشربون لان ارباب الدولة إذا طلعوا الصيد والقنص إذا مسكوا شيئا من الوحوش يطلقوه فى بساتين الوزير من محبتهم فيه والبساتين الاثنا عشر على ذلك الصفة ومن خوف الوزير على بنته من ذلك الكهين تارك بنته قاعدة فى تلك البساتين وهى تقيم فى كل بستان شهر كامل على اكلها وشربها وخدامها يخدموها ودائما أبوها يخوفها من ابن الكهين انه يعلم أن بنته هذه لما نصيب بزواج انسان مسلم وتدخل معه إلى دين الاسلام فمن ذلك بنى لها القصور وحجرها عن الاقامة فى ملك الملك البب فلقين وبنى لها ذلك البساتين وجعلها تقيم فى كل بستان شهر اقامت على ذلك الحال فاتفق أن عجوزة من بعض العجائز نظرت إلى بنت الوزير قد خلت على عبد الصليب الكلبى ابن الكهين فلقين وقالت له اعلم يا بب عبد الصليب أن بنت الوزير لالها فى الدنيا نظير فاطلبها واجعلها لك محضية فانك لا تجد اجمل منها فقال لها امضى اليها عن لسانى وقولى لها امضى الى ابن الملك لاجل يعمل لك جناقه فانه متولع بحبك ولا له صبر عنك

تم الجزء الرابع والاربعون ويليه الجزء الخامس والاربعون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الخامس والاربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فراحت العجوز وقالت لها ابن الكهين ارسلنى اليك ومراده يجعلك محظية تبقى أنت الحاكمة على جميع مملكته فطاوعيه وابشرى منه بكل ما تريدى فقالت لها يا عجوز انا بنت الوزير وهو ابن الملك الكهين وأن كان قصده فى ذلك يخطبنى من ابى ويكلل اكليلى مثل ما يفعلوا الملوك فى أولادهم فقالت لها صدقت فيما قلت وعادت العجوز وأعلمت عبد الصليب بما قالت لها بنت الوزير فانغاظ من ذلك لانه ما يرضى الا بالفساد وقال للعجوز عودى اليها وقولى لها إن لم تطاوعيه على ما يريد وإلا اقتل ابيك وأنهبك وأعملك جناقة غصبا وبعد ذلك يقتلك فعادت العجوز اعلمت البنت بذلك الحال فلما سمعت خافت على نفسها وعلى أبيها لما تعلم ابن الكهين يقدر على ما يقول يفعل فنزلت من قصرها وعادت بيت ابيها ثم انها صبرت لما أتى آخر النهار اعلمته بما سمعت من العجوز وقالت له وانا من خوفى اتيت اليك واعلمتك بما جرى فدبر على قدر ما ترى فقام الوزير وسار إلى الكهين وقبل الارض قدامه وقال له ياكهين الزمان انا وبنتى تحت فضلك ونعمتك وحضرة ولدك طلب بنتى للجناقة فقالت له كل اكليلى وخذنى بالحلال فارسل يقول لها إن لم تأتوا طوعا وإلا اخذتك كرها واقتل ابوك فانا ياكهين ماردته عن بنتى حتى استحق موتى غير انى طلبت التحليل كما فى كتاب الانجيل فلما سمع الكهين ذلك الكلام قال له انا امنعه عنك ياوزير ثم انه احضر ابنه فى الحال وقال لا تعترض لبنت الوزير مطلقا فقال له لاى شىء تمنعنى اما جعلت البنات للجناقات قال نعم ولكن بالاكليل

فقال له والخيل والجمال والحمير يعملوا جناقة بلا اكليل فقال له هؤلا حيوانات فقال هو كله جناقة فقال الوزير ودينى ماتأخذ بنتى الا بالاكليل وكان الوزير مطمئن لكون انه قدام الكهين ولكن كان ذلك الولد احمق فقال للوزير تحلف على يا كلب الوزرا. هو انا تحت يدك وسحب الحسام وضرب الوزير على ويديه اطاح رأسه من على كتفيه ونزل من قدام ابيه فى حمقته دخل على بيت الوزير وأخذ البنت وطلع بها إلى سرايته وقال لها انا ما قلت لك إن منعتنى اقتل ابيك وها أنا قتلته وأخذتك فقالت له يا بب انا ما تمنعت عنك وانا أحبك أكثر ما تحبنى وانما طلبت التحليل فسمح

أبوه كلام البنت فقام إلى ابنه وضربه ومنعه عنها وقال له لا تكون الجناقه إلا بالتحليل حتى احضر عالم الملة يكلل لك عليها واعمل لك فرح وأدخلك عليها وتبقى هى زوجتك وصاحبة بيتك أما غيرها فأنا لا أمنعك فقال له هات لى عالم الملة جوان حتى يكلل عليها وكان قصد الولد بذلك ان جوان بعيد عن أبيه وإن ارسل يطلبه فلا يجده فقام الكهين وأحضر عون من اعوان الجان وقال له اريد منك تحضر لى جوان فقال اعلمنى فى أى مكان فضرب الكهين تخت رمل وقال إن جوان محبوس فى مدينة دمشق الشام والذى حبسه الملك الاسلام ثم قال للعون امض اليه وأحضره وترفق به ولا ترهبه وان امرك بشىء فافعله فقال سمعا وطاعة ونزل على جوان وأخذه من حبس الشام والبرتقش فقال جوان من الذى خالف جوان فقال العون انت مطلوب للكهين فلقين وأمرنى ان احضرك إلى بين يديه وأمرنى أطاوعك فى كل ما تقول عليه فقال له اصبر حتى اكتب ورقة وارميها للمسلمين فصبر له حتى كتب الورقة ورماها بين يدى السلطان وشيحة وقرأها كما ذكرنا فقال كان هذا الملعون كلما نطلب تقطيعه تظهر لنا ارباب السحر ولكن الله وعدنا بالنصر فيا مولانا لا تشيل العرضى من الشام حتى تنظر ما يقضيه علينا الملك العلام هذا ما جرى هنا

[قال الراوى] وأما جوان فان العون سار به حتى وضعه قدام الكهين وقال له ياكهين هذا مطلوبك جوان فنظر الكهين إلى جوان وقام اليه وقبل يديه وأجلسه وهدأ روعه فقال له جوان أنت لاى شىء احضرتنى فقال له الكهين يا أبى إن الوزير بتاعى له بنت جميلة وابنى يحب البنات الجميلات فاتفق انه رآها وطلبها من ابيها فقال الوزير لا أعطيها إلا بمهر وإكليل وكان الحق بيد الوزير لكن ابنى احمق وقتل الوزير فلما فعل ذلك حلفت أنا ما يأخذها إلا أن يكلل اكليلها فلما سمع ابنى فقال لا يكلل اكليلها إلا جوان فأرسلت احضرتك حتى تعلمنى هل تجوز الجناقة من غير اكليل فقال جوان وأين البنت فقال هاهى فى قصر ابنى فقال جوان ياكهين لما هى بنت وزيرك وأبوها منتره ابنك بقى جوان عوض ابيها لانه عالم الملة وقبل ما يكلل عليها يكشف على بكارتها إن كانت مسدودة والا مفوحة

فقال له الكهين انت عالم الملة والذى تعرفه انت لا تعرفه احنا فالتفت جوان إلى البرتقش وقال له ياسيف الروم هذه البنت احنا نعملها جناقة قبل ابن الكهين فقال البرتقش طيب يا أبى [قال الراوى] وأعجب ما رقم أن المقدم محمد طرد البحر كان اخوه على الطريق واقف معه أن جوان كان فى الشام وخطفه كاهن

فقال له طرد البحر يا أخى انت لك خادم من عندك تقدر تأمره أن يودينى إلى البلد الذى انخطف اليها جوان أبات فيها ليلة اتفرج على ما يجرى ويأتى بى ثانيا فقال على

الطويرد اخاف من أمى تخانقنى والتفت إلى سحاب المختطف وقال له تقدر ياسحاب تفعل ماقال أخى فقال اقدر ولكن إذا امك غضبت على انت تردها فقال وهو كذلك فخطفه وأوقفه على باب بيت بنت الوزير فرفعت البنت رأسها وقالت لعلك طود البحر فقال لها ومن اعلمك بهذا الاسم فقالت له أبى أعلمنى انك تتزوجنى وأسلم على يديك ومنعنى عن ابن الكهين فقتله وها انا بقيت ذليلة بين يدى الكهين وابنه واحكت له على القصة التى جرت ولا فى الاعادة افادة فقال المقدم طرد البحر حيث ان هذا الملعون قتل ابيك فأنا اذبحه بين يديك وأخلصك ولو كان خلفه الف كهين فلا ينظرك بالعين وفى تلك الساعة طلع بجد جوان والبرتقش واقفين يتشاورون على الدخول فما رضى بذلك عبد الصليب وتركهم ودخل على بنت الوزير واراه أن يقعد فبادر طود البحر بدخنه بنج كرفها ابن الكهين والبرتقش وجوان فناموا سوى قديح ابن الكهين بعد ما فيق البنت وأوراها بعينها وقال لها هذا فى ثار ابيكى وقطع رأسه ووضع البرتقش فى الفرش وجوان فوقه وأخذ البنت فى حضنه

وقال ياسحاب أنا وقعت فى المحذ رفرح بى عند أخى انا هذه البنت فقال سمعا وطاعة وخطفهم وحطهم قدام الملكة تاج ناس فقالت الملكة تاج ناس ايش هذا ياسحاب فاحكى لها القصة فقالت يا بنت وانت ترضى الدخول فى دين الاسلام وأنا احميكى من الكهين وكل من يطلبك فقالت يا سيدتى رضيت ولكن تزوجينى سيدى طود البحر فقالت لها مرحبا فاحضرت اهل قلوصنة والقاضى وأسلمت البنت على يديهم وبعد ذلك عقدت لها على المقدم طود البحر وعملت له فرح ثلاثة ايام ودخل طود البحر على شونه فى ليلة افراح لم يدخلها كدر قط ولا أتراج وأقام معها له كلام [قال الراوى] وأما الكهين اقام ينتظر من جوان الأخبار حتى ياتيه ويكلل اكليل بنت الوزير على ابنه فلما ابطأ عليه امره قام هو بنفسه الى قصر ابنه ليهنيه بدخوله على بنت الوزير فنظره وهو قطعتين ثم التفت بجد البنت عدمت وجوان والبرتقش فوق بعضهم نائمين ففيقهم وسالهم فقال البرتقش أما نحن فلا نعلم ولا رأينا احد وانت ياكهين الزمان احضرتنا لنكلل اكليل ابنك على وزيرك الكهين محل رصده وخرج يقول يا جوان الذى اخذ البنت طود البحر وهو الذى قتل ولدى

قال جوان انت ملك وكهين فما تاخذ فى ثار ابيك إلا ملك المسلمين اركب وروح بنا على بلاد الشام وأنا اسلمك كل بلاد الاسلام ولا يبقى أحد يضاهيك فى الأحكام فاحضر الملعون سرير وجعله له هو وجوان والبرتقش وحمل بساط يحمل الف انسان وأمر الجان حملوهم حتى أوصلوهم الى الشام من ناحية الصالحية نزل السريرين على ظهر جبل الصالحية والذين كانوا حاملين

السريرين بقوا تراب واصاب الله كل واحد منهم شهاب فاغتاظ الكهين مما عاين وحلف أنه لابد من قتل المسلمين أجمعين قال اخاف يمسكونى فقال له الكهين قوم ولا تخاف فلبسوا فى صفات دراويش والبرتقش مشى خلفهم على حالته فأول ما مر علاء الدين البيسرى وقال خذوا هذا فانخطف وبعده بشتك وسنقر والجداولى وهكذا كلما مر على واحد يشبلوه حتى أخذوا الامرا والفداوية والسلطان وشيحة ولا خرجوا من مرضى حتى أخذوا منه كل مقدام والكل بقوا على جبل الصالحية وقعد الكهين على كرسى وقعد جنبه جوان وأرمى المسلمين قدامه مكتفين قال جوان لشيحة حضرت العربية التى تقطع عليها جوان فقال شيحة نعم ياملعون وهذا الشىء لابد منه باذن الله تعالى فضحك جوان وقال لما تخلص ابقى افعل ما تريد فقال شيحة يامالك الاسلام انت نفسك طاهرة فاطلب لنا الفرج من الله تعالى فانه يقبل دعاك فرفع الملك طرفه إلى نحو السماء ونادى ياعظيم العظماء اللهم أنت تعلم أننا مؤمنين ووقعنا فى يد أعدائنا واعدائك الكافرين العاجزين فلا تسلطهم علينا بذنوبنا ولا تنتقم على ايديهم منا انك على كل شىء قدير فقد قلت , قولك الحق فى كتابك المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين (ياالله بالله ياالله) اغثنا ياغياث المستغيثين برحمتك يا أرحم الراحمين فما تم الملك كلامه إلا ورجل عريان ساتر عورته بخرقة بيضاء وأقبل ماشى على قدميه حتى بقى قدام الكهين وضربه بعصاة كانت فى يده اطاح رأسه عن جسده وفك السلطان وقبل يده فتأمل الملك فيه وإذا هو الشيخ الذى كان وحده فى باب زويلة وأعطاه الذهب وفرقه على الناس فقال السلطان ياسيدى ماسمك الكريم فقال حسن اليمانى فقال له وانت اطلقتنى وما تطلق اخوانى فقال هم مطلوقين قوموا انزلوا عرضيكم حتى انى اوصيكم فقال السلطان سر معى قال لا وانما قصدى ان تصنع لى مدفن فى هذا المكان فانى ما بقيت اقعد غير هذه الساعة فاجتهد فى دفنى بمدفن جديد ثم انه قام إلى باب كهف فى الجبل ونام معتدلا للقبلة وقال اللهم آتى سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واعطه الحوض المورود الذى جعلته له انك لا تخلف الميعاد اللهم اسقنى من يده شربة هنيئة مريئة لا أظمأ بعدها ابدا وصلى الله على سيدنا محمد النبى الاصيل وعلى آله وصحبه وسلم أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله أول خلقه وخاتم رسله وفهق فهقة خرجت روحه مثل النسيم فتقدم السلطان وغسله وكفنه وصنع له معمار جى باشا مدفن عظيم بمقام وزره التراب وقرأوا عليه القرآن ثلاث ليال وبعدها قال السلطان يا أخى جمال الدين هات جوان وسر معى إلى مصر لاجل أن نقطعه ونريح الاسلام منه قال له شيحة سمعا وطاعة وفتش

على جوان فلم يجد له خبر ولا جلية أثر ولا البرتقش فاغتاظ السلطان وقال ياشيحة وايش آخر أفعال هذا الكلب اعجزنا عنه فقال شيحة يامولانا هذا شيء لاتحمل همه وان نفد اليوم لم ينفد غداوالله تعالى يسهل كل أمر عسير

[قال الراوى] والسبب فى اطلاق جوان ان فى بلادك النصارى سبع جزائر يسمو اجزائر الذهب وكل جزيرة فيها قلعة وكل قلعة فيها ملك وكل ملك له عشرة آلاف جنود واعوان فى خدمته وهم يعبدون الناردون الملك الجبار وخلفهم جزيرة قدر السبع جزائر وفيها ملك اسمه الاكبر بن عبد الصليب وهو كهين عنيد ويحكم على الجزائر السبعة والملوك الذين فيها من تحت يده وكان سمع بأن ميخائيل له بنت جميلة فارسل يخطبها فلم يرض البب ميخائيل ملك القسطنطينية ورد رسوله خائب وقال أنا ماعندى بنات تصلح لذلك الملك وان كان عندى أناما أرسلها الى جزائر الذهب وينولى غاية التعب فعاد الرسول إلى الكهين وأعلمه بما قال البب ميخائيل من الكلام فاغتاظ الكهين وجمع عساكره من جزائر الذهب وأمر السبع ملوك الذين على السبع جزائر ان يجمعوا عساكرهم ويركبوا صحبته وكل من تخلف منهم عن الركوب يركب الكهين على بلده ويقتله ويهلك عساكره وجنده فلا أحد قدر ان يتأخر عن الركب فركبوا جميعا وانعقدت على رؤوسهم الشنانير وساروا فى حمية وأى حمية حتى وصلوا إلى القسطنطينية وكبائرهم ملأت الاقطار والبرية وبلغ الخبر الى البب ميخائيل فجمع أرباب دولته ورؤوس مملكته وشاورهم فى حرب ذلك الملك الكهين الهول الاكبر وهو ملك مطاع وعساكره ملأت الارض والبقاع فقالوا له ان حاربناه يهلكنا بهدم العساكر ولكن احنا أمكن منه إذا قفلنا أبواب المدينة وتركناه فى الخلا يكابد الغرام وبلدنا فيها ذخائر تكفينا عوض العام أربعين عام فاذا مضى عام اراثنين مصيرة يزعل ويعود الى بلده فقال صدقتم وأمر بقفل ابواب القسطنطينية وان يركبوا المدافع على الاصوار والابراج العالية ففعلوا كما يلزم للحصار وبقت أصوار البلد كلها مدافع ترمى نار ونظر الكهين الهول الى ذلك الحال فضحك على قلة عقل ميخائيل وقال ميخائيل اقفل البلد وتركنى كانى عاجز عن أخذه ولكن لابد لى ان أوريه كيف يكون فعل الرجال وقام ودخل محل رصده والقى على ديوان ميخائيل باب السحر فياشعر ميخائيل الا والديوان امتلا بالماء حتى بقت الوزراء والبب والعساكر يتعلقون بحيطان الديوان خوفا من الموت والغرق وصاروا يتصارخون وكلا منهم يستغيث باخيه فلا أحد يأخذ أحد وقل صبرهم الجلد ثم ان ميخائيل قام على حيله ووقف على الكرسى والماء خصل صدره وقل جلده وصبره وندم

على ما فعل فبينما هو كذلك الا والذى حطفه وعلى به إلى الجو فصاح يامسبح فما شعر الا هو قدام الكهين بين عساكره وأعوانه فلما رأى نفسه قدام الكهين فسلم فقال له الكهين الهول الاكبر اما تستحى يابب مخائيل وانت اكبر القرانات وارسل لك رسولى لخطبة بنتك تقول ما عندى بنات وان كان عندى بنت ما أغربها عن بلادى عن بلادك أحسن من بلادى او تظن أنك اكبر منى فى القرانات حتى تقول ماعندى بنات فقال البب ميخائيل ياكهين الزمان ان كنت انحمقت منى تظلمنى وانت ملك مطاع ولك جنود واتباع فتكون حليم وتفهم عذرى فقال الكهين ايش يكون عذرك فقال على ما تعلم أن الملوك تحكم عليها القرانات وانا قران والذى يحكم على القرانات علماء النصارى وبناتنا لايجوزهم الا على يد عالم الملة الروم والامر المحتوم البركة جوان ولا نقدر نبدى ولا نعيد الا بأمر عالم الملة لانه بيده الفعل المفيد ولما جانى رسولك سألت عن جوان اشاوره فما لقيته فقلت المرسول ما عندى بنات لما ان البنت بلغت بقت فى حكم نفسها وعالم الملة متولى أمرها فاخطبها ياكهين من عالم الملة جوان فقام الكهين ودخل بيت رصده وسأل عن جوان فعلم انه محبوس فارسل عون اليه خطفه وأتى به حتى اوقفه بين يدية هذا كان سبب اعدام جوان من حبس الشام وجرى ما جرى بين ملك الاسلام وشيحة من الكلام

[قال الراوى] واما جوان لما انخطف فلم يتكلم حتى بقى قدام الكهين قال أنت عندى يا أبى وامر با حضار الطعام والمدام واكرم جوان غاية الاكرام وبجله وعظم قدره فتقدم البب ميخائيل إلى جوان وقال له يا أبى هذا الكهين خطب منى بنتى وأنت تعلم أنك ولى أمرها وأنا رديت رسوله فركب على بلادى والقى على بلادى باب من السحر حتى غرق المكان وخطفنى بعدها إلى بين يديه مع ان لا بينى وبينه عداوة ابدا الا بسبب زواج بنتى ومنعها حتى تحضر أنت وها انت حضرت بقى جوره اورده عنها وخليه يمنع عنى فعاله ودونك وزياه فلما سمع جوان ذلك عرف المضمون والتفت إلى الكهين وقال له يا كهين قبل كل شيء ارفع هذا الباب الذى القيته على ديوان البب فانه لاله فى البنت حل ولا ربط وأما انا ولى امرها واجورها لك ان كنت تقدر مهرها فقال يا ابى انا قادر على مهرها اطلب منى ما تريد وها انا منعت عن البب ما فعلت معه ولا بقى الا قولك امتثله واتبعه فقال جوان بنات الملوك مهرهم ماهو مال يستعان به على الجهاز فان ملوك يقدروا على تجهيز بناتهم من خزاينهم واموالهم واما المهر رؤس المسلمين فان كان معك مقدرة تقدم وان كنت عاجز افلا تقدم فقال له الكهين اطلب ما تشاء فقال جوان هذه مهرها عشر رؤس من رؤس المسلمين اولهم الظاهر

وإبراهيم وسعد من مصر ودورى وتمورج وجويش من مدينة الرخام وشيخة والطويرد والسابق وطود البحر هذه عشرة رؤوس من رؤوس المسلمين فاذا وضعت العشرة قدامى أسحب بالوصك وأنا أفتح لك بكارتها بيدى وأقول تستاهل هذا البانور الناعم وإن كنت ما لك مقدرة على ذلك ارجع إلى بلدك من حيث أتيت ولا تكون ظلمت الناس ولا تعديت فقال الكهين يا أبى هؤلاء أنا لا أعرفهم وأريد منك أن تكون معى تعرفنى مكانهم واطلب منى رؤوسهم قال جوان أنا أروح معك والبرتقش معنا وأما البب ميخائيل هاانا أحكم عليه أنه يركب ويساعدك لأن هذه طلبته لانك تبقى نسيبه وزوج بنته وما زال جوان يسحب إلى ذلك الملعون ويضربه حتى قال وحق الصليب وما صلى عليه لا بقيت أعود إلى بلدى إلا ان قضيت هذه العبارة وأقدم بين يديك الرؤوس الذى قلت عنهم وفى الحال دق طبول الرحيل فركب فى عسكره أربعين الف والسبع ملوك كل ملك معه عشرة آلاف فقال جوان للبب ميخائيل قوم أنت الاخر وساعد زوج بنتك فان هذا فخره عايد عليك وحلف ما بقى يرجع بلده إلا اذا قضى غرضه فقال البرتقش ويمكن أنك لا ترجع بلدك ولا تنظرها بعد ما اجتمعت على جوان فان بركة عالم الملة تخلى الملوك يطلعوا من بلادهم وبعدها قليل ان كانوا يعودوا فقال لها الكهين لاى شىء لا يعودوا فقال البرتقش ان ملوك الروم إذا طابت لهم أرض المسلمين بناموا فيها بل يقوموا فيها فقال الكاهن أنا أقعد فى بلاد المسلمين قال البرتقش ويمكن أن تنام أنت ومن معك فضحك ميخائيل من كلام البرتقش وركب الكهين وركبت الملوك السبعة والملك ميخائيل معهم وساروا بعساكرهم يقطعون البرارى والآكام حتى وصلوا الى مدينة الرخام فقال جوان يا كهين الزمان هذه فيها ثلاثة من العشرة الذى قلت لك عليهم فقال الكهين ما بقيت أتنقل حتى أقدم الثلاث رؤوس منها بين يديك فقال البرتقش ما يصح إلا العشرة رؤوس يكونوا سواء وأما اذا قدمت ثلاثة وأهملت بالباقى لا يجوز فقال الكهين ودينى لا ابل سلاحى فى أحدمنهم إلا اذا اجتمعوا العشرة وبنو قدامى فقال البرتقش هذا هو المقصود فخط الكهين بالعساكر على مدينة الرخام ونظر الملك دورى واخوته اولاد الملك عرنوس إلى ذلك الجمع المتزايد فأراد الملك دورى أن يفتح أبواب البلد ويطلع للقتال فقالوا أولاد ملوك البرتقان يا ملك هذا عسكر عظيم ومن الصواب أن تقفل ابواب البلد وتكتب كتاب للملك الظاهر فانه مقيم على الشام فان ما يروح هذه الركبة إلا السلطان فكتب الملك دورى كتاب وأرسله مع نجاب وقفل باب البلد هذا جرى

[قال الراوى] وأما جوان بات واصبح دخل على الكهين وقال له أنت ساكت ما تقوم

تمسك المسلمين لاجل ما تعطينا رؤوسهم وتتزوج وانا خفت منهم أو منعوك لما قفلوا ابواب البلد وتركوك فقال الملعون اصبر يا أبى لما أوريك صناعتى حتى تبقى تذكر عنى ما رأيته منى وقام محل كهانته وامر الاعوان ان يهدموا من السور مكان حتى تدخل العسكر والفرسان فما يشعروا أولاد عرنوس إلا وركن الصور انهدم وبقت المدينة تتداس بالقدم فقال ما بقى إلا السيف البتار وطعن الرمح الخطار وصرخ على اخوته فركبت وكذلك البرتقان تبادرت وركب الملك دورى فى عساكره والملك يتمورج والملك هدير الرعود ابن لهب وكذلك المقدم نصير النمر وتصايحت الفرسان وقد حف حوافر الخيل بالنيران وقام كل فارس ومسك الاعنان وقامت الاسنة وبقى للناس ضجة ورنة وغنى الحسام الصمصام وزلت الاقدام وكثر الحقد والخصام وقل الكلام وقوى الحرب والصدام وزاد النقع غيام وظلام وخفيت مراضع الاقدام وتكردست القتلى وكومت اكوام ودام الامر على ذلك الحال حتى ولى النهار بالابتسام وهجم الليل بجيوش الظلام ولكن اولاد الملوك عرنوس اشبعوا من الكفار القليل وما لوا على الكفار كل الميل وابلوهم بالخراب الويل وكالوهم كيل واى كيل واعدموهم القرى والحيل ولما مضى النهار واتى لهم الليل عادوا الى البلد ونزلوا عن ظهور الخيل وايقنوا بالنصر والظفر وان يبلغوا الارب فى كل من كفر وقال الملك دورى واقه يا ليتنى ما كنت كتبت إلى السلطان فان فينا كفاية لاعدائنا ونطلب النصر من مولانا فقالوا له اولاد ملوك البرتقان يا ملك ملاقى الاحتراز من باس وما يذمه احد من الناس هذا ما جرى هاهنا

[قال الراوى] واما الكاهن المهول الاكبر لما نزل فى صيوانه فقال للبب ميخائيل ان ان عسكر المسلمين فوق البون وماهم ممن يطمع الانسان ان ياخذهم بالحرب والطعان فانهم ما يسلموا انفسهم ابدا ولو شربوا شراب الردى قال ميخائيل من هذا انا كنت خائف عليك واما انا لو علمت انك قادر على مهر بنتى ما كنت رديت رسولك إلا بالمقصود فقال جوان يا بب ميخائيل وحق شوقا ولوقا إن عجز هذا الكهين عن مهر بنتك ما يحضره إلا جوان فقال الكهين يا ابى على مهلك فى هذه الليلة اعطيك كل من كان فى مدينة البرقان من ابطال وشجعان بس سمى لى اسماءهم وانا احضرهم بين يديك فقال جوان اقعد وانا اعمل عليك واكتب ارلهم الملك دورى ويتمورج وجويش ورعد والجاول وروضة واستاق ومعروف وسار الملعون جوان يقول والكهين يكتب حتى قال جوان يكفى بقى لما نجيب هؤلاء يهون علينا الباقى فقام الملعون ودخل بيت وحده وصار يتلو اسماءهم حتى تصارخت اعوان الجان فقال لهم احب منكم فلان وفلان الخ الذى ذكر لهم جوان فما يشعروا أولاد الملك عرنوس وترابهم الا وهم مرتوعين من على فراشهم

فقالوا إيش فقال لهم الجان لا أحد منكم يتكلم هذا الذى جرى عليكم من القديم فسكتوا حتى بقوا قدام الكهين فقال جوان أهلا وسهلا واصطفوا قدام الكهين وجوان صار يرقص شمال مع يمين ويقول المسيح بارح فيك البركة ياكهين طابت الدنيا من المسلمين وملكوها النصارى المسيحيين فما تم كلامه جوان إلا والمدافع تضرب والغبار علا وانكشف عن الملك الظاهر وعسكر الاسلام من كل فارس وراجل فقال جوان ياكهين ها قضيت حاجتك وبلغك المسيح امنيتك وهذا بيبرس طالبك الدونك وما تريد فقد قرب المسيح لك البعيد فقال الكهين مرحبا ياجوان وصاح على أعوانه فأتوه فقال لهم القوا دخنة على المسلمين وادهشوهم اجمعين وصار الملعون يهزم حتى بقت المسلمين واقفين باهتين والكفار عليهم رابحين ومستظهرين وبقى كل كافر ينظر إلى المسلم ويمد يده اليه يسحبه مثل الخروف ولا أحد يمنع ولا يدفع حتى أخذوا الفين أسير ومن جملتهم الفداوى والسلطان والوزير وكل فداوى وأمير ومقادم وتوابع واكراد وبقى عرضى إسلام مثل مراح الغنم الذى بلا راعى وضاقت على الناس المساعى وأما باقى الاسلام لما رأوا ما حل بكبرائهم أرادوا الهرب فوجدوا دايرماييدور وعرضى الاسلام نار فلا قدر أحد ينقل منهم وبكت الاسلام على ماجرى لهم البعض منهم أحسن الشهادتين وعلموا أنه ما بقى لهم من هذا ملجأ ولا لهم ناصر ولا معين ونظر جوان إلى السلطان ومن تبعه وهم فى أسر فذلك الكهين ففرح وقال يابرتقش مابقاش أحد من المسلمين يقدر يخلص من هذا الحال الذى هو فيه ملك الاسلام وأتباعه فقال البرتقش ياجوان أفلحت ان خلصت من أيديهم وأما إذا أتاهم الفرج من عند صاحب الفرج بقى تعبك كله لاش فى لاش فقال جوان يابرتقش أنا قصدى ان أروح دير النارونز وأتعبد للمسيح وأسأله أن يبلغنا من المسلمين تمام الغرض حتى لايبقى للمسلمين خلاص فقال البرتقش والله ياجوان ماهذه إلا محققة عظيمة وقام جوان والبرتقش وراحوا إلى دير النارونز وأما الاسلام ماحققوا أن يقفوا ونظروا النار أحاطت بهم فرفعوا اعينهم الى السماء وصاروا يسألون من عظيم العظماء ويتوسلون لله حاكم الحكماء والبعض كشف رأسه والبعض ضاع من حواسه والبعض طار عقله من رأسه وشاشت العساكر وضجوا بأصواتهم للملك القادر فهم كذلك وإذا بغبار أقبل من ناحية الشام وطبول تدق لها دوى مثل الرعد فى الغمام وكاسات تدق كانها صياحات النعام رأعلام فى الجو منشورة وبيارق أشكال وألوان وكلهم من الحرير الاخضر والاصفر والاحمر على قضبان من الفضة والذهب وعلى رأس كل علم جوهرة قدر بيضة الدجاجة وهى لها ضوء غالب على الشمس والقمر وغلمان كانهم ألوان وكلهم ماشين على الهوى بقدرة الله الذى على العرش

استوى وبينهم قبة عظيمة لها انوار باهية جسيمة وهى فى مشيها فى الجو مستقيمة ولها ثمانية وجوه كل وجه له عامود من الزمرد الاخضر برفرف من الذهب الاحمر وحولها صفات طيور من الذهب على سائر الاصناف وذلك طيور محتاطة بتلك القبة من جميع النواحى والاطراف والطبول تضرب من حولها والكاسات تدق من داخلها ولما ظهرت فى البر تلك العبارة شخصت لرؤيتها المسلمون والنصارى وما من أحد إلا ويقول هذه غارة لما رأوا من تلك العجائب والاهوال وسارت تلك القبة وما حولها تدور حول العراضى حتى تمت سبع دورات والخلق جميعا إلى رؤيتها باهتات وبعد ذلك نزلت القبة إلى الارض وخرج منها شماس إلى جميع ملابسه من الذهب الاحمر وعلى رأسه طربوش من الجوهر وسار حتى وقف قدام الكهين وقال له قم كلم المسيح فانه ارسلنى اليك وبرؤيته تقر عينيك فقال الكهين سمعا وطاعة وقام على حيله وسار مع الشماس وهو فرحان حتى وصل إلى محل القبة يجد حولها أنوار تذهل الابصار ولا أحد يقدر يشيل عينه فيها ولا يستطيع النظر اليها وذلك من لمعان الجوهر الذى نوره يذهل البصر فدخل الشماس وقال للكهين ادخل ياكهين الزمان وقابل مولانا المسيح فانك إذا نظرت إلى وجهه المليح فينقذك من تعب الدنيا حتى تستريح فدخل الكهين وهو فرحان ووصل إلى الديوان فالتقى بشيخ جالس على كرسى عجيب قوائمه من خراص الذهب ودايره مطعم باللؤلؤ الكبير الرطب وملبوس ذلك الشيخ كله فصوص من الماس وجواهر ولؤلؤ ومعادن وعقيق أحمر وزمرد أخضر وشىء لا يقدر على مثله كسرى ولا قيصر ولا ملوك بنى الاصفر فقال الكهين انت الهول الاكبر فقال له نعم ياسيدى فقال له اعلم أن السيد المسيح أولاك ملك الدنيا على أن تواضب على فرضه وتكون أنت نائبه على ارضه وتعهد الارض وتقتل المسلمين الذين يطلبوا اشهار شريعتهم وينفوا شريعته فتكون أنت الذى تمنعهم وتردهم عن مملكته وبعد ما تملك الارض وتكون فيها لاهل الزنار حارسا وحما يريد أن يأخذك يفرجك على السماء فقال الكهين الهول الاكبر ياسيدى على الرأس والعين أنا خدام المسيح ومن يتبعد من المسيحيين فقال له قوم معى حتى ينظرك ويبارك لك فى كل ما تحتويه يدك وتبقى دائما تأتى عنده وهو يأتى عندك ولكن أنت أكلك من طعام الدنيا فلا تقابله ونفسك مندرج بطعام الدنيا خذ هذه التفاحة من أثمار الجنة كلها فى فمك فانها تقطع من جوفك أنفاس الدنيا ورائحة الذنوب والكبائر تقابل المسيح وأنت طاهر فاخر حتى يلبسك من حلل الملك المشغول بالجواهر ويطيوك جميع الملوك

الاكابر ففتح الكهين فمه فالتقم التفاحة وقال له إذا أنت اكلتها تطير أنا طايرفاكل الكهين التفاحة وهى أصلها سمى فذاب لحمه وعظمه واتلف الرصد والحديد والسحر عن الاسلام وكانوا على دراب فنزلوا إلى الارض فنادى صاحب القبة وقال على يا مسلمين فصار واحول القبة اجمعين والقى الله الرعب فى قلوب الكافرين فصاح يا أهل الاسلام ادخلوا يا أهل مدينة الرخام ويا أهل الدين المسيح اقفوا فى أماكنكم حتى احكم بينكم فقالوا سمعا وطاعة ولم يعلم أحد ما جرى على الكهين لانه من داخل القبة [باسادة] وكان السبب فى ذلك وهوان المقدم جمال الدين لما نظر إلى مافعل هذا الكهين باكابر المسلمين بمدينة الرخام وان جوان اغراه على هذه الاحكام فطلع وهو طالع فى فكرته باى شىء يدخل على ذلك الكافر من حيلته حتى تعجل منيته ويخلص عرضى المؤمنين من قبضة فبينما هو سائر فالتقى به سيدى عبد الله المغاورى فقال له يا سيدى اسعفوا بالمساعدة فقال له الاستاذ يا جمال الدين امض إلى من هى تعرف افعاله وتنظم اشكاله مثل اشكاله واطلب النصر من الله فانه قال وهو اصدق القائلين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ودفعه بيده فالتقى بالملكة تاج ناس زوجته وهى واقفة له فى الانتظار فلما أقبل قالت له يا سلطان القلاع أنا قاعدة استناك حتى تاتى فقال لها ها أنا أتيت فقالت له إن الاسلام قد احتوى عليهم كافر ساحر اسمه الهول الاكبر وأنا وأنا ضربت تخت رمل فرايت نصرهم على يديك ولكن بحيله مليحة وما تفعل غيرها وها أنا أرسلت سحاب المخطاف بامارة وعزيمة حتى اتانى بقفة شداد بن عاد صاحب ارم ذات العماد وجعلت انها قبة المسيح وأمرت خدامها أن يحملوها أنت ادخل إلى ذلك والبس بدلة الملك شداد بن عاد والسابق يلبس ملبوس وزيره [قال الراوى] وفى تلك الساعة أتت الملكة جيلة الملك وكانت ضربت تخت رمل فرأت الاسلام فى ذلك الضيق ولا يكون خلاصهم الا بذلك القبة فانت تريد ان تخرجها فرأت الملكة تاج ناس فعلت ذلك الفعال قالت لها أنت يا أختى سبقتنى للصواب ولكن أنا أساعدك فيما اقدم عليه وصورت هذه الطيور وأمرت أعوانها أن يدفنوا حول القبة الطيول ومن داخلها الكاسات وانقضت الحيلة ودخل شيحة فى القبة وتمت تلك النصبة وانهلك الكهين الهول الاكبر بقدرة الله تعالى وكان شيحة أمر ازواجه الاثنين وهم تاج ناس وجيلة الملك أن يركبوا على أسرتهم ويكونوا معه انهم بعد تمام النصف يعاودوا القبة إلى مكانها وكان الامر كذلك وقال لهم أدوا إلى مكانها وأما جوان فانه لما دخل الدير كما ذكرنا هو والبرتقش سمع الطبول وقد ازعجت الدنيا فقال يا برتقش اكشف الخبر فطلع البرتقش وعاد وهو يقول يا جوان الكهين قتله شيحة والمسلمين بعد

ما كانوا مأسورين هم بقوا فى مدينة الرخام مطمئنين وانت مطلوب وإن لم تذهب وإلا لا يبقى لك خلاص فسار جوان وهو ملهوف من ذلك القضية ودخل على ميخائيل وهو قاعد مع ملوك الجزاير وقال لهم يا أولادى الهرب فقال ميخائيل منين نروح يا أبينا فقال مالكم إلا البحر وهراكبكم أنتم لكم مما تحتاجون فانزلوا بنا فى المراكب من قبل أن يطلع ملك المسلمين ولا يخلى منكم ماشى ولا راكب فقام الملوك وميخائيل قدامهم وهو حيران فى أمره وتركوا خيامهم منصوبين على حالهم وسترهم الليل حتى بقوا فى المراكب وفردوا القلاع ولجوا فى البحار وطلب لهم الهواء فما أصبحوا إلا بعيدا عن مدينة الرخام [قال الراوى] وأما السلطان بات وأصبح أمر العساكر بالحمل على الكفرة اللئام فزحفوا الاسلام ودخلوا الخيام فلم يجدوا لا شيخ ولا غلام فقال السلطان يا شيحة وكيف يكون العمل أنا يا أخى ضاقت بى الحيل وهذا جوان كل ما نعتمد على هلاكه فيتيسر له فكاكه وكل ما نفرغ من مصيبة يأتى لنا من أعظم منها فقال له شيحة يا ملك الاسلام هذه النوبة آخر النوب ولا تدخل مصر ان شاء الله إلا وهو قدامك على العربة وأنا اقطعه بين ايديك وتقر بتقطيعه عينيك وانما أنت سر بعسكرك وانتظرنى على مدينة الشام حتى آتيكم بجوان أو أرسل لك خبر صحيح البيان فقال السلطان هى الرحيل على الشام وقال شيحة الملك دورى وانت واخوتك تكون فى انتظارى وطلع شيحة تابع حرة جوان [قال الراوى] وأما جوان فانه لما بعد عن مدينة الرخام وبان له وجه الامان فقال للملوك جزاير الذهب أنتم امضوا إلى جزاير الكهيش وتحضروا ملوكها وقانون الى رومة المداين حتى اجمع انا ملوك الروم على هلاك المسلمين فقالوا سمعا وطاعة وسار جوان إلى أن دخل رومة المداين وقال للبب رومان قوم على حيلك فقد آن الاوان على أخذ بلاد الاسلام فقال له البب رومان أنا لا أركب معك ولا أطاوعك ولا اضرب بلادى فقال له يغضب عليك المسيح فقال رومان المسيح يعرف أنك كذاب ما تسعى إلا فى الفساد وخراب البلاد وأنا ما أطاوعك وأخرب بلادى وانبعك فقام البب دوقش وقال لابيه أنت عاصى المسيح من دون ملوك الروم وأنت متفق مع ملك المسلمين وتارك الكرسيتان ومونك أحسن من حياتك التى ما منها فائدة وضربه بالحسام على كتفيه وصاح على أهل المدينة والعساكر وقال الجهاد يا فتيان على نصرة دين المسيح وما ريحنا المعمدان ومن يتأخر عن الجهاد فيخرج من هذه البلاد فانها بلاد النصارى على ذمة المسيح فقالوا النصارى كلنا وإياك فقال له جوان أحسنت يا بب دوقش وانت بقيت نايب المسيح بلا شك ولا تلويح وفى نظير ما فعلت

هذه الفعال نظرك المسيح بعين الاقبال وقعد جوان عنده وكتب إلى الانكبيرة ملك الافلاق وملوك السواحل السبعة وكتب إلى مغلوين الاربعين ملك ملوك البرتقال وإلى جمجم ابن ملك اوراد وإلى ملوك الجهجير والطويل وإلى دردريك وجزاير الفلق جزاير الهيش وكلما كتب كتاب يأخذه دوفش ويرسله مع سيار بعد مايعلم عليه ويختمه بختمه حتى كتب أربع مائة كتاب إلى أربعمائة ملك وكانت نسخة الكتاب يقول اعلموا ياملوك الروم أن السيد المسيح جعل نايبه البب درفش بن رومان وغضب عن البب رومان وأمر ولده دوفش أن يقتله ولاه المسيح مكان أبيه وأمر أن يفتح البلدان ويجعلها كلها مسيحية والكلم كلها مرسية فسارعوا إلى نصرته وكونوا من تحت طاعته ومن تأخر عن اجابته أو قصر كان مطرودا من سقرومن الهاوية والواد الاحمر فالبدار البدار والحذر ثم الحذر فما لكم أعذار وسارت السيارة فما كانت إلا يام قلائل حتى اجتمع على رومة المدائن أربعمائة ملك وسبع بباب وسبع افرانات ودوفش يقابلهم بالترحيب ويكرمهم وينزل لهم فى أطيب الاماكن هذا ماجرى هناوقال لهم جوان أقيموا هنا حتى أجيب لكم البب ميخائيل صاحب القسطنطينة وسار جوان ودخل على ميخائيل وقال له ياولدى لاتتوانى عنى فى هذا العام فان الملوك جميعا على رومة المدائن فقال ميخائيل يا أبى وكم أركب وأنفق مال ويروح فى الفارغ البطال فقال جوان إلا هذه النوبة فانها قاطعة الشهوات هذاما جرى (بالسادة) وأما شيحة فانه لما أمر السلطان أن يحط على الشام وصار شيحة قاصد جرة جوان فالتقوه أولاده الاربعة فوردر فويره وعلى الطويره وطود البحر ولما رأوه تجاروا اليه فقال لهم ايش عندكم من الاخبار فقالوا له ان على رومة المدائن اجتمعت أربعمائة ملك وكل ملك يتبعه الفين وثلاثة آلاف وأربعة آلاف وهم مجتمعين بجيش لايعد ولايحصى وان وصلوا هؤلاء إلى بلاد الاسلام يا كلوا الدنيا وما عليها ويخربون الارض الا كام وقد أتينا اليك لتعلمك حتى تدبر حالك فقال شيحة أنا قاصد رومة المدائن وكتب لأولاده كتاب للسلطان يقول انه يركب ويلحق شيحة على رومة المدائن وكتاب إلى الملك دورى وهدير الرعود وأولاد الملك عرنوس أن يقاطعوا على ميخائيل ويقابلوه على مقدونية وكتاب إلى الملك مسعود بك يلحق أولاد عرنوص على مقدونية وكتاب الى أبى بكر البطرنى أن يأتى بالعمارة على القسطنطينية وسارت الكتب وشيحة وسار إلى رومة المدائن ولما وصل وجد بركة من الماء معلوة من المطر وهى بركة واسعة بين الصخور والجبال

فوضع فيها قرص من السلا الخارق وغير شيحة فى صفة راهب سواح وعليه علامات السفر ومشقة فقطع الطريق وسار وحده فى الخلا بلا رفيق فلما نظروه ملوك الروم الذين مجتمعين على رومة المدائن فقالوا البعضهم هذا راهب سواح ولابدأن يكون عنده علم بما يأتى فى هذا العام من الخير والشر فاطلبوه حتى نسأله لعلنا نكتسب منه فائدة نقبع بها فتجاروا اليه وصاحوا عليه فلم يلتفت اليهم ولا يعز عليهم حتى لحقوه وداروا به وجوان وقالوا له ياأبى انت ساير الى فين فقال لهم انا سواح فى بلاد المسيح ومجذوب بالسياحة والمسير من بلد إلى بلد غير هافدعونى أسير فى حالى وايش لكم عندى تقبضونى عليه فقالوا له هل تعلم أن فى هذا العام تملك النصارى بلاد الاسلام فقال يملكوها إذا اغتسلوا فى بركة الهوام لان المسلمين معهم سلاح يقطع فى اللحوم والعظام والذى يغتسل فى هذه البركة ويبل لحمه منها فان السلاح لا يصيبه ولا يصل اليه فلما سمعوا النصارى هذا الكلام قالوا واين البركة ياأبى فقال بين هاتيك الجبال وهى مليانة بالماء الزلال ولكنها لم تسع هذه الجوع فانقسموا نصفين النصف يقعد هنا والنصف يروح معى حتى ادلكم عليها فقالوا له اصبر حتى نقسم فانقسموا مائتين ملك وساروا مع عساكرهم والبترك معهم حتى وصلوا إلى تلك البركة ووقفوا فقال لهم الراهب لاتقعدوا على بعضكم بل أقفوا سوا واقلعوا ثيابكم سوا وانزلوا سوا ولا أحد منكم يتقدم ولا أحد يتأخر حتى لا أحد يزداد على الآخر ففعلوا سوا ونزلوا سوا فاصابهم المنون وماتوا سوا ولم يطلع منهم ولا من يوصل الخبر فتركهم شيحة وخرج من بين الجبال فالتقى الملك الظاهر وعسكر الاسلام فاقبل عليه وسلم عليه وقال له ياملك الاسلام إن دوفش قتل أبوه رومان وجمع له جوان اربعمائة ملك فانا اهلكت منهم مائتين ملك بالحيلة وباقى مائتين ملك وعساكرهم وانا اقصدى أن تلبسوا لبسهم وأسير أنا قدامكم تدخلون عليهم فى الليل وتوضعون الحسام فما يطلع النهار إلا وانتم خالصين منهم فقال السلطان هذا رأى صواب فنزل السلطان ولبس لبس الملوك وكذلك ابراهيم وسعد وباقى الفداوية والامراء والعساكر لبسوا من ملابس العساكر وساروا تحت الظلام العاكر حتى وصلوا إلى الكفار فرأوهم لهم فى الانتظار فتصايحت المؤمنين ومالوا على الكافرين وضرب فيهم بالحسام الذكر ضرب لايبقى ولا يذر واعموا منهم البصر ودام الامر على هذا الحال من وقت السحر حتى برق ضياء الفجر باذن خالق الصور ودخل السلطان إلى رومة المدائن وقد ملكها بالحسام وقعد على محل رومان وقبض على دوفش وقال له لاى شئ قتلت أبيك وجمعت هذه الملوك اما سمعت ماجرى على ملوك الروم وغيرهم من الدجم اما لك موعظه بمن تقدم ثم امر

بصابه على باب المدينة فصلبوه وفتشوا على جوان وجدوه فنهبوا البلد وبعد ذلك دومار محل ابيه وبايعوه النصارى وقال له السلطان انت رأيت ماحصل لابيك واخيك ايش جرى فيهم فان انت دخل فيك الغرور تعرف على ماذا تقدم فقال سمعا وطاعة وبعد ذلك ركب السلطان فقال له شيحة إلى اين قاصد سر من هنا الحق الملك دورى بن عرنوس وعساكره فى مدينة الرخام والملك هدبر الرعود فساق السلطان طالب مقدونية هذا جرى [قال الراوى] وأما ما كان من أولاد الملك عرنوس فانهم ساروا حتى وصلوا إلى مقدونية فالتقوا عساكر ميخائيل والبب معهم فلما رأوهم لم يفعلوا اعمال دون ان حملوا على الكفار وغنا الحسام البتار وقصرت الاعمار واخترق الملك دورى الصفوف وفرق المياه والالوف وطار الذبد على اشداقه كالقطن المندوف وفى تلك الساعة قبل السلطان وعمه ابطال الايمان وغنى السيف اليمان وتعلقت الاعيان فالتفت السلطان إلى دورى واخوته وقال لهم انتم سبعة ملوك وأنا اردفكم بسبع مقادم كل ملك منكم ياخذ من عندى رجل وهم ابراهيم وسعد وناصر الدين وعيسى الجاهرى ومحمد الغندور وعلى ابن المناورى وحسان أبو الدوائب السابع فكل واحد من رجالى يكون مع واحد منكم ولا يعود إلا ومعه ملك من تلك الملوك السبعة وأنا خلف ظهوركم إذا رأيت أحدا منكم قدر على خصمه أكون اناعوضا عنه فقال دورى انا واخوتى نلزم اربع ملوك ورجالك يأخذون ثلاثة وزحف الملك دورى وسار يشق المواكب ويرمى الرؤس من على المناكب ويصيح صيحات يرعب المواكب حتى قرب إلى أول ملك من السبعة ومسكه من خناقه وجذبه اليه اقتلعه وإذا بصرخة من خاين وقال يقول الله أكبر خذ ياسعد تأمل ذلك الملك دورى يجد ابراهيم بن حسن اخذ الملك الثانى وسلمه لسعد قام الملك دورى سلم الذى معه لاتباعه ولحق الملك الثانى اراد ان يضرب فضرب عراقيب جواده بالحسام قطعهم وجذبه اخذه أسيرا كان ابراهيم أسر الرابع وإذا بناصر الدين الطيار طالع من المعمعة ومعه الملك الخامس وعيسى الجاهرى معه السادس والملك السابع ونظر ميخائيل إلى ذلك الحال فايقن بالوبال فقال كيف رايت ياجوان فقال ما بقى إلا الهرب وإلا حل بنا العطب وطلب البر والسبسب وتبعوه الكفار وتشتتوا فى لهوات القفار فتبعوه الاسلام الابرار وهم يضربوهم بكل حسام بتار حتى وصلوا إلى القسطنطينية وهم فى اشد الرزية فدخل ميخائيل وقفل البلد وحصن الافراج بالمدافع وقال جوان يا أبى أنا مابقيت اقدر اسيبك لان ملك المسلمين بيبرس ودورى ابن الملك عرنوس واخوته ومعهم عسكر مثل الرمل السيال فاذا ارسل لى ملك المسلمين

وقال نجيب جوان وإلا رأسك عوضه ايش اقول فخليك عندى حتى انظر كيف يكون العمل فقال جوان ها أنا قاعد فقال يابرتقش ان اردت تقعد معه اقعد وإن اردت تروح روح فقال البرتقش أنا ماحدش طالبنى فقال جوان يابرتقش أنا ربيتك وأريد منك أن تقوم من هنا إلى كنيس الذهب وتدخل على البترك حرجيش صاحب الحارة والكنيس وتقول له يقول لك جوان اضرب لى تخت رمل انظر هل ترى بقى له خلاص من هذه النوبة فقام البرتقش وغاب ساعة وعاد اليه وقال له ماتطلع من كنيس الذهب إلا مصلوب على العربة وشيحة يقطعك فقال جوان من قال فقال البرتقش قال البترك حرجيش فقال جوان كذاب هذا الكلب النحيس انا اقوم اسأله فقام جوان قال ميخائيل فين رايح ياجوان فقال جوان رايح كنيسة الذهب اتعبد فيها قال ميخائيل روح إلى الكنيسة فسار جوان والبرتقش حتى دخلوا كنيسة الذهب [قال الراوى] واعجب ما وقع ان الملك الظاهر قال لشيحة لما طال به المطال ايش تقول ياشيحة وما آخر قعادنا حول القسطنطينية فقال شيحة يامالك الاسلام الليله يحصل كل خير وصار شيحة إلى تحت صور البلد وارمى بمفرده وطلع حتى بقى فوق الصور ونزل على ميخائيل وهو نائم وكتب تذكرة ووضعها فى رقبته وتركه ونزل فلما أفاق ميخائيل يجد التذكرة فيها من حضرة سلطان القلاع جمال الدين شيحة يامیخائيل لاتظن قفل بلدك يحميك منى وانما أنا أمرنى السلطان ان آخذ رأسك أو تسلمنى جوان فانا أتيت اليك ولو كنت لقيت جوان عندك كان مرادى اقطع رأسك انت واعطيها للسلطان لكن تروح انت مظلوم لانى ماعلم ان كنت عاصى انت أم طايع هات جوان سلمه للملك والا إن كان هرب منك إلى أى مكان آخر تقول عليه وتحكى عذرك للملك وان كنت عاصى وطلع النهار ولا حضرت جوان الليلة الآتية انا آتيك وآخذ رأسك واسلمها للسلطان وها أنا عرفتك وشأنك وما تريد [قال الراوى] فلما قرأ ميخائيل تلك التذكرة قال لمن حوله أين جوان قالوا له دخل كنيسة الذهب فقال الف واحد منكم يحتاطوا بالكنيسة وإن هرب جوان قطعت رؤسكم جميعا ففعلوا ما أمرهم وقام ميخائيل وعلق شيفه فى رقبته وسار يمشى حتى بقى قدام صيوان السلطان وقلع القلنسوة من على رأسه وقبل الارض قدام الملك الظاهر وختم وترجم وافصح ما به تكلم وقال ياملك أنا ما أعصى عليك ها أنا واقفت على بساط عدلك فاستوفى منى ما تريد فقال السلطان أنا ما أريد منك إلا جوان فقال ياملك أنا يمكننى فى ديانتى أن اقبض جوان واسلمه اليك وانما جوان دخل فى الكنيسة فان

اردت ان تأخذه دونك وما تريد فقال السلطان انت بقيت حالص ولا بقى يلزوم

بحضور جوان إلا المقدم جمال الدين فقال شيحة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم
يامولاى هؤلاء سبع كنايس وكلهم مهالك وسبحان المنجى منهم فقال السلطان هذا
شغلك وأنا ما أطلب جوان إلا منك فقال شيحة الامر بيد الله والتفت إلى الرجال
وقال لهم من فيكم يكون معى قال إبراهيم أنا وكذلك سعد وثلاثين مقدام من بنو اسماعيل
الذين يصبروا على جور الزمان وأخذهم ودخل القسطنطينية إلى كنيسة الذهب فوجده
خالى لا فيه بترك ولا راهب ولا قسيس فصار يفتش حتى ضاقت حيلته فرفع مخدة فوجد
البرتقش مخبى تحتها فقال له قوم يابرتقش اما آن الأوان فقال البرتقش يا أبا محمد وأنا
ايش ذنبى ان كنت طالبنى فأنا بين يديك فقال شيحة اين جوان ولك منى الامان فقال
البرتقش احلف لى انك تطلعنى ولا تخلى احدا من أصحابك يمكنى لخلف شيحة فقال له هذه
الرخامة رفعها جوان ونزل من تحتها فان كنت عاوزه دونك وإياه لكن أرلا طلعنى
كما حلفت لى فقال شيحة صدقت والحق معك وأخذه لباب الكنيسة وقال للسلطان هذا
اتركه يروح لحاله فاخذه السلطان يطلعه له كلام

[قال الراوى] واما ما كان من شيحة فانه عاد للكنيسة وأتى الرخامة التى أعلمه
بها البرتقش فوجد عقرب نحاس اصفر ففركه فدارت الرخامة وارتفعت وبان من
تحتها باب كنيسة من الرخام الاسود باربع شبابك من الفضة الحجر وفى وسط تلك
الكنيسة قبة من النحاس الاصفر بأربع لواوين وفى وسط اللواوين سرير من العاج
مطعوم بالدر والجوهر وجوان قاعد على ذلك السرير وقدامه مملوك مثل البدر اذا بدر
وهو جالس على سرير آخر وفى يد جوان كاس الخمر والمملوك فى يده المربع وهو يملا الكاس
لجوان وجوان يسكر وعلى راس جوان عشرين قنديل من البلور وفى كل قنديل
جوهرة تضىء ليلا ونهارا وهو قاعد يسكر ويقول للمملوك من أين يجى شيحة أو
يعرف لى طريق فقال له شيحة وأنت من أين تهرب وأنا وراك فى الطلب فقال
جوان عرفت طريق هذا الموضع يا شيحة يا ابن ثعلبة تقدر تجى عندى هذا بعيد
عن شقيك فتحير شيحة وكان شيحة واقف وعلى يمينه إبراهيم بن حسن وسعد على
يساره واما باقى الرجال طلعهم لما طلع البرتقش فنظر شيحة الى كتابة يونانية
يا واصل إلى هذا المكان ان كنت شيحة وطارد جوان وتحصن منك بهذا المكان
فانظر من معه من سلاح مرصود من رجالك يضرب هذا الشباك بسلاحه فينكسر وادخل منه
تاخذ خصمك فقال شيحة يا إبراهيم اضرب هذا الشباك بذو الحيات فضربه إبراهيم فانكسر
وهجم على جوان فقفز جوان إلى مخدع ودخل ابراهيم للمملوك يجده شيخ خشب
مدهون واما جوان فلم يجدوه فدخلوا وراءه المخدع فوجدوا ذلك المخدع صغير قدر فرش

فرش الحصير وأرضه منقوشة بالرخام الملون وحيطانه رخام أبيض فقال شيحة
لاصحابه دوسوا على الرخام الابيض مهالك والاسود سليم فداسوا حتى وصلوا إلى صدر
المخدع فوجدوا لوح كبير فى الحيط فقال شيحة لابراهيم اضرب هذا اللوح بذى الحيات
فضربه انكسر باب كنيسة من الرخام الاحمر الاربعة وعشرين شباك من الذهب ووجدوا
فى ذلك المكان آفة أى ثعبان ولكنه قدر جذع النخل وواقف على ذنبه وفاتح فاه إلى جهة
شيحة وحايل بينه وبين جوان هذا جوان بسكر وقدامه خمس مماليك واقفين لخدمته وفى
تلك الكنيسة أربع لواوين على كل ليوان كوم من الذهب وجوان يفتى وكل ما يشرب كاس
يقول دوس أيها شيحة يتفرج على قعدة جوان وإذا بشيحة قال له ها نا جيتك يا ملعون
اين تنجو منى بالهرب وأنا خلفك فى الطلب فلما رآه ضحك وقال تقدر تجى إلى عندى
روح ياشيحة انظر لك واحد سارق اضربه بالسوط حتى يطيعك وأما جوان مالك اليه
وصول فنظر شيحة يلتقى لوح رخام أصفر بحلقة من النحاس لكن ثقيل فقال للمقدم
إبراهيم ارفع هذا اللوح فتقدم إبراهيم ووضع يده فى الحلقة فبان عن شباك نحاس وفيه
لولب ففرك اللولب شيحة فانخلع الشباك وبان من خلفه الطريق فهجم شيحة على جوان
فقال له جوان وأنا هربت وخليتك وراح خلف المماليك فضربت المماليك والسيوف التى
فى أيديهم فقال شيحة اضربهم يا إبراهيم بذو الحيات فضربهم فوقعوا وإذا هم صور من
الرصاص والسيوف ورق أزرق ولم يجدوا جوان فوقف شيحة محتار فوجد حجر مثل
باب ومن حوله قنطرة تدل على أن هذا الباب مكان فتأمل شيحة حوله فوجد لولب فدوره
فانقسم ذلك ورقتين وبان من خلفه باب من الصاج الهندى مصفح بالذهب فتقدم إبراهيم
ليفتحه فقال شيحة اصبر ذا مهلك ووضع شيحة المجلس تحته وقرص عليه فارتفع أفوق
وإذا تحته عتبة باربعة دراج وبسطة جس شيحة الدرج بجدهم مهالك والبسطة سالمة
فقفز شيحة الى البسطة وتبعه سعد وإبراهيم بجدوا باب قاعة انفتح وفيها كنيسة
من الرخام الابيض بستين شباك من فضة الحجر وعلى كل شباك قنديل برة وقنديل
جوة كل قنديل فيه جوهرة تضىء ليلا ونهارا معلقين بسلاسل فضة وفى وسط
الكنيسة فسقية كبيرة بفرارات وأنابيب بطاسات من الفضة عليها طيور من
الذهب ترمى الماء من أفواهها وأربع قضبان نحاس فى وسط الفسقية مركب
عليهم سرير كبير قدر القبة وتلك الطيور حوله معلقين فى سلاسل فضة وجوان قاعد
على هذا السرير فوق كرسى ذهب وحوله ورد ومشموم وهو قاعد يسكر ولا على
باله شىء ويقول ان كان ابن ثعلبة شاطر يجى هنا فقال شيحة ها نا جيت هنا يا جوان
حتى آخذك وأقطعك . فقال جوان الخرص وزقه برجليه فانفتح وسط تلك

الفسقية فقال ابراهيم أنا أجيبه فقال شيحة اصل الفسقية ماهى ماء أنا أجيبه هذا زئبق مسموم أنظر يا ابراهيم فعل ذلك الحكماء فقال ابراهيم ياحاج شيحة ارجع بنا مابقى لنا وصول اليه فقال له شيحة لاتقلق ياسيع الاسلام فان الصبر سيمة الكرم قال ابراهيم من أين بقينا فلحق جوان أو نحصله فقال شيحة من هنا ودار حول الفسقية بعد ماسأل الله تعالى أن يهديه إلى الصواب فالتقى لولب على شاطىء تلك الفسقية فدوره فانفتح طابق نزل فيه ذلك الزئبق فوصل شيحة بجد طريق فدخل منها وهو يزحف حتى ظهر بجد جوان على سرير أحسن من الأول فهجم ليقبضه فنزلت سلسلة من سقف ذلك المكان فمسك فيها جوان فارتفع وجذبته السلسلة إلى سقف المكان وانفتح السقف ودخل فيه جوان وهو يصفق ويستهزىء بهم فقال شيحة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ماتيسر من القرآن ودعى الله سبحانه وتعالى وإذا به وجد لوح وفيه عقرب ذهب فلما لقاه فركه فانقلع اللوح من مكانه وبان دهليز كله رخام مدور أشكاله فقال شيحة لاأحد يدوس حتى نجسوه فجسه شيحة فوجده كله مهالك وأما الرخام الأحمر سليم فداسوا عليه حتى انتهوا إلى قاعة قدر الثلاثة التى فاترا منهم والقاعة لها دايرها لواوين كل جهة ست لواوين من الرخام الجميلة أربعة وعشرون ليوان وعلى كل ليوان مائة قنديل من البلور وفى كل قنديل جوهرة على سفيلته تضىء ليلا ونهارا وبين هذه الاواوين كنيسة أصوارها نحاس أحمر بأربعة أبراج فى كل برج خمسة مدافع وكل مدفع واقف عليه طبجى بيده اليـــدك ومحضر لضرب النار وحول الكنيسة مائتين شباك على كل شباك قنديل بره وقنديل جوه وفى كل قنديل نص يضىء ليـــلا ونهارا وجوان جالس على سرير من الفضة مطعوم بفصوص الماس ودايز السرير شجر من البولاد بفسقيات معشق بعضه فى بعض وهو بصناعة الحكمة وحول جوان عشر جوار اربعة تضرب بالعود وأربعة بآلات المغانى واثنين يملوا المدام وتسقيه وهو لابس بدله كلها سرقت من كنز كلها من صنف الجوهر ودايز الشجر مائة شخص يلعبون بالسيوف ويهويهم إلى براة الكنيسة يقول أين ابن ثعلبة يتفرج على ما أنا فيه وإذا بشيحة قال له هاجيت ياجوان فقال جوان جئت لحنا فكان فما قال جوان ذلك الكلمة إلا والمدافع انضربت فترك شيحه للارض وضربت السيافين ناحية شيحة وهرج شرار ونار فخر ابراهيم مغشيا عليه وكذلك سعد ونظر شيحة إلى ذلك فخاف عليهم من المهالك وقرأ آية الكرسى عليهم وسورة الجن وأخذ الزمزمية ورش الماء على وجوههم فلما أفاقوا قالوا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وانفتح باب الكنيسة فقال شيحة بسم الله الرحمن الرحيم ودخل الكنيسة وهو

فرحان وأمل ان يقبض على جوان وإذا به غطس ما بان كانه ما كان والسرير مافيه أحد والسيافين يجدوهم سور من قزدير والسيوف من جلد خنازير فلما رأى ابراهيم ذلك فقال ياشيحة هذه الاموال والجواهر والملابس إذا أخذناها ماهى أحسن من جوان الله وكيل على جوهره من تلك الجواهر ما أرضى فيها بألف مثل جوان فقال يابو خليل هذا شىء مرصود لايباح لنا أخذه إلا من بعد تقطيع جوان ونظر شيحة إلى السرير يجد لوح نحاس اصفر فرفعه إلى فوق فبان عن طابق فنزلوا فيه فوجدوا سلالم قطعت من الحجارة إلى أن انتهوا إلى دهليز رخام أبيض ووجدوا كنيسة من الفضة البيضاء والحجر بأربعة شبابيك من الحجر الذهب بقبة من الزبرجد الأخضر وحولها أربع برك كل شباك تحته بركة ماء عذب وفى وسط ذلك الكنيسة سريرين جوان جالس على سرير والبرتقش على السرير الثانى وبيده المربع وهو قاعد يسكر هو وأستاذه جوان وعلى رأسه الف طير فى رقبته سلسلة ذهب معلق فيها قنديل من الجوهر وجوان يغنى ويقول يابرتقش يقدر شيحة يجىء إلى هنا فقال شيحة ها أنا وراك وتروح منى فين فقال له والضراط فى ذقنك وطط من على السرير فانفتحت فى الأرض طابقة نزل فيها جوان وانقفلت كما كانت فتأمل شيحة فوجد عصفورة نحاس ففركها فانفتح باب وفيها ممشة من النحاس الاندلسى فمشوا عليها حتى وصلوا إلى شباك وإذا بأسد هجم عليهم وفاتح فمه فضربه المقدم ابراهيم بذو الحيات قسمه نصفين ودفع شيحة الباب انفتح ودخل سمعوا البرتقش يزعق حامى وهجم على ابراهيم اراد ابراهيم أن يهجم عليه فقال شيحة ارجع هذا ماهو البرتقش هذا شبح فى صورته أبعد عنه وإلا هلكك فامتنع المقدم ابراهيم وإذا بالبرتقش بعد ما كان واقف وقع للارض وهو شبح من الرصاص مدهون وفتشوا على جوان فلم يجدوه فدار شيحة يفتش فلم يجد علامة فاتى للسرير الذى موضوع ، رفعه وإذا تحته لوح عريض من الكهربة الوالب فارتفع اللوح إلى فوق وانكشف عن بحر يجرى من الزئبق يدور حول كنيسة فى وسطه وهى من الذهب وفيها أربعين سرير مركبين عشرة تحت وعشرة فرق وعشرة ثالثة وعشرة رابعة فوق بعضهم وعلى كل سرير جاريتين واحدة بيضة وواحدة حبشية وفوق الجمع سرير عالى قريبة من سقف المكان وجوان قاعد فوقه وسلاسل من السقف معلق فيهم تاج وهو موضوع فوق رأس جوان وملابس جوان كلها كتون ودايز مايدور تلك الكنيسة مائة مقصورة معقودة على عمدان ذهب وعلى كل عمود جوهرة قدر بيضة الدجاجة لايقدر أحد ينظر اليها وفراشها من الديباج بشراريب من الخش البندقى وذخائر فى تلك

الكنيسة مالها مثيل ولا يقدر أحد يحصى مافيها من الزمرد الأخضر وقطع الماس أبيض وأحمر وأرانى ذهب مطعومة بالفصوص وشىء يذهل العقول والنفوس وجوان جالس وقدامه عروسة الكنز تلاعبه الشطرنج وجوان فرحان ويقول شيحة هلك إلى لعنة المسيح فقال له أنا أتيتك ياعنيد وعن خدك فلا أحيد فقال له جوان بينى وبينك بحر من الزئبق المسموم ولم تقدر تصل إلى عندى ياميشوم فانغاظ شيحة وطلع مقلاع ووضع فيه رغيف من الرصاص وكان شيحة لم يجد له طريق يوصل إلى جوان منها فضربه بذلك الرغيف الرصاص فزاغ عنه جوان وحط يده أخذ الجرشة وأرتوها فى قوس وضرب شيحة فزاغ عنها وفاتت خائبة وطلع رغيف ثانى ووضعه فى المقلاع وضرب فيه رش مثل رش النصارى وضرب به جوان فحكم الرغيف فى الشباك فانخلع ووقع وانهدت أثقال هائلة من النحاس على ذلك البحر من محل الشباك إلى عند شيحة فسمى باسم الله وداس عليها وجر الشباك وهجم على جوان فمسك جوان فى سلسلة من الذهب فجذبته وطلع من السقف وشيحة دخل وأصحابه معه إلى الشباك يجدوا البحر الزئبق هرب وجوان عدم فقال شيحة لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ونظر لجهة ماطلع جوان فوجد لوح فضة بيضا مكتوب باليونانى قراه وإذا فيه اذا كنت شيحة اقرأ حسبك ونسبك وافرك هذا اللوح برجلك ترى العجب فقرأ حسبه ونسبه فرأى ذلك اللوح يلعب فضربه برجله فدار كالرحاية وانكشف وإذا من تحته كنيسة من البلور مطلع مثل العمدان وفيه سرير من الزمرد قدر مافى الستة كنائس بين الاعتمة والجواهر النواضر ونظر شيحة وإذا بجوان نائم على وجهه فوق سرير بلور فهجم عليه ليقبضه ففرك لولب فانفتح السرير من تحته وغطس جوان فيه فمن اغاظة شيحة نزل خلفه فى وسط السرير فنزل المقدم سعد وراه وابراهيم أراد النزول فالتقى المحل ضيق فخلع السرير من مكانه ونزل لحق سعد وإذا بالمكان انقفل عليهم جميعا ونظروا إلى ذلك المحل وإذا به ضيق قدرهم وهم واقفين لاغير وهو حبس مطمور ملعون فقال ابراهيم هذا آخر التعب الله يلعن جوان وكل نصرانى فعندها انفتحت طاقة صغيرة قدر فم الانسان وطل منها جوان وقال آنست يابن الحورانى انت وسعد ايش حشركم مع ابن ثعلبة حتى احترقتم بناره وهذا قبركم حتى تلاقوا ربكم وأنا أوعدتك بهذه المطمورة تموت فيها كما أوعدتنى بالعربة تقطنى عليها ثم انه ركب على هذه الطاقة انبوب نحاس ففركه فنزل الماء عليهم ودام نازل حتى امتلا المحل بالماء وفار الماء حتى قرب سقف هذا المكان فقال ابراهيم قتلتنا ياشوحة فى صحايف جوان فقال شيحة لاتخف يا أبوخليل الفرج يأتى قريب

من اللطيف الجليلى واذا بشيحة يسمع قائلا يقول افتح الطابق من تحت رجليك ياجمال الدين فقعد شيحة وجس الارض واذا بحلقة فجذبها بقوته فانخلع لوح رخام ونزلت المياه منها والمحل توسع قال شيحة يامسهل ونزلت من ذلك الطابق وتبعه سعد وابراهيم فوجدوا أنفسهم فى كنيسة الذهب التى دخلوا منها وجوان لم يجدوه فقال ابراهيم اطلع بنا فقال شيحة انا ماأطلع الا اذا أخذت جوان معى فما تم كلامه الا واحد طواشى مقبل وقال له قوم كلم الملك يونان فقام شيحة والطواشى قدامه الى الديوان فوجد ملك جالس وعلى رأسه تاج أصفر فلما رأى شيحة قال أهلا وسهلا مرحبا بالمقدم جمال الدين شيحة بن سيف القبائل ثعلبة أنت أتيت تأخذ جوان عدوك من هنا فقال شيحة نعم قال له أسلمه اليك بشرط أنت لاتقتل ميخائيل ولاتخلى السلطان يؤذيه ولا ينهب بلده فان القسطنطينية ماهى لكم وفتحها اسلام ماهو على يدكم والذى يفتحها لسه ماظهر ولا آن أوان ظهوره فانه يملكها اثنين واحد مسلم وواحد يهودى فان كنت تساعدنى وتحلف لى أنك تعطى ميخائيل الامان أسلمك جوان فقال له شيحة رضيت بذلك فقال له اذا كنت رضيت بذلك فحاجتك قضيت والتفت الى أعوانه وقال لهم هاتوا جوان فغابوا وعادوا بجوان وهو مغلول بجنزيرة فى رقبته وسلموه الى شيحة وقالوا له اطلع من هنا وفتحوا له الباب فطلع الى وسط الكنيسة وبنو اسماعيل واقفين منتظرين طلوعه فقال السلام عليكم فردوا عليه السلام وأخذ معه جوان وطلع به الى بين أيادى السلطان وحكى له على ماجرى له وماقاساه من التعب خلف جوان حتى انه قبضه وكذلك الرجال وكان شيحة قلبه مشغول بمال الكنائس فقال للسلطان جوان عندك حتى أدخل انا البلد فقال السلطان للفداوية احفظوه وراح شيحة لميخائيل وقال له جوان اخذناه وأنا قصدى أكون واسطة فى اطلاقك بارع خزن وعدم نهب بلادك لكن اعمل لختمى الذى على باب كنيسة الذهب فانه برأسك فقال سمعا وطاعة ياسادة وكان السلطان سلم جوان للسجانين فصاريرتعش من البرد فناداه ابراهيم وقال له ياجوان اين المال الذى جمعته من أيام صباك الى الآن فقال جوان عندى أربع صناديق ذهب فى دير مصر العتيقة وصندوق فى دير الحانقة قال ابراهيم وغير كان فقال وصندوق فى دير الجيزة ولكن ياأبو خليل انا بردان وجعان عشينى ودفينى أعطيك كل أموالى فقال ابراهيم مرحبا بك ياجوان وقام ابراهيم للطبخ واتى برغيفين وصحنين طبيخ فقال له خلص لى يدى آكل بها فقال ابراهيم طيب وخلص له يد فبقى يأكل ويرتعش فقام ابراهيم وقدم له منقذ ملآن بالنار ووضعه بين يديه فحط يده تحت باطه ونسل شعر باطه وارماه فى النار واذا بسلسلة نزلت مسك طرفها فرفعته الى سقف المكان وغطس ماباركانه كان ماكان فقال

سعد اقبض يا ابو خليل على جوان وطلع يجرى سعد للسلطان وقال يا ملك الاسلام جوان هرب فامتزج بالغضب وأراد ان يضرب رقاب السجانين وانما قال ابراهيم يا دولتلى لا تظلم الناس فان جوان طار وأنا قاعد قدامه واذا بشيحة أقبل فحكى له السلطان فقال يا ملك الاسلام صدق كتاب اليونان وهذه يا ملك آخر هروبته وهو راح الى دير الشقيق ومنه يأتينا جوان والعربة وآلة التقطيع وها أنا طالع فى طلبه وطلع شيحة قاصد دير الشقيق واذا بسيدى عبد الله المغاورى وقال له الى أين ياشحية فقال له ياسيدى طالع ادور على جوان فقال له دير الشقيق بعيد عليك وانما اتبعنى وانا أوصلك اليه عن قريب وسار شيحة تبعه مقدار ساعة واذا به على باب الدير وقال له اطرق الباب فاذا سمعت قوله من بالباب فتقول أنا شيحة ابن سيف القبائل طالب جوان فطرق الباب فقالوا له الخدام من بالباب فتلاحسبه ونسبه فانفتح باب الدير ودخل شيحة الى صدر الدير فرأى رجل اختيار قاعد على سرير فقال له اهلا وسهلا بسلطان القلاع والحصون انزل ياسيدى وهذا الباب بين يديك فدخل شيحة الى ذلك الكنز يجد قاعة فى بيت التربيع ولها باب مفتوح دخل يلتقى أربع ستاير على أربع لواوين وسمع قائل يقول حودعن الصناديق وخذ على يمينك فتقدم الى جهة اليمين ورفع الستاير تجد عربة من الحديد الصينى ولها سلسلتين وكلاليب اربعة من البولاد وفى العربة صندوق برحلين وعن يمينها كانون حديد وعلية مقلة من الحديد الناعم وكرار نحاس مليان زيت ومحل مقعد يجد فرصة وسكاكين ومحل آخر فيه صندوق مغطى فدخل المكان الثالث فسمع القائل يقول خذ العربة والصندوقين وخذ جوان فهو فى صدر الليوان ادفع الستار الرابع تجده قايم حذه واطلع فرفع الستار الجوانى وجد جوان فقبضه وكان المتكلم سيدى عبد الله المغاورى فأخذ العربة والصندوقين وعاد بهم الى الخيام ووصى على جوان وقال للسلطان أنا تعبت فيه حتى أحضرته وأنت يا ملك تحفظه فقال الملك لا تخف عليه [ياسادة] وكان شيحة أراد ان يأخذ شيئا من الكنز فسمع القائل يقول لا لك هنا شىء مطلقا فطلع وبعد طلوعه انقفل باب الكنز ولما عاد شيحة للقسطنطينية قال السلطان يا ابو سعيد اطاق ميخائيل وبايعه نفسه بالمال فانى انا ضمنت اطلاقه ولا لنافى قتله فائدة وخذ معك ملوك الجزائر السبعة حتى توديهم الى مصر فقد ذهب العنا والحصر فاحضر السلطان ميخائيل وقال له رقبتك باربع حزن ويلك وبلدك باربع خزن فقال على الراس والعين وانورد المال واطلق السلطان ميخائيل وركب وأمر بالرحيل طالب الديار المصرية وجوان على العربة وملوك الجزائر

[قال الراوى] وكان هذا جوان له بنت اسمها رومه وولد اسمه اسفوط فاتفق ان رومة كانت تطل على أبيها وراوها بنو اسماعيل فقالت لهم كل من خلص ابى من شيحة أسلم على يديه وأتزوج به فاشتغلت الفداوية من حين راوها وكان شيحة عارفها ومتعلق قلبه بحبها وساروا حتى خرجوا من بلاد الروم ودخلوا الى بلاد الاسلام واى بلدى علمت بقدوم السلطان يزينوها الى ان وصلوا الى بلاد الشام كتب السلطان كتاب وارسله الى مصر مع نجاب فسار النجاب حتى وصل الى مصر ودخل على السعيد بالكتاب فلما قراه فرح بقدوم أبيه وفرح ايضا بالقبض على جوان فركب فى عساكر مصر وطلع ملتقى أبيه ومراد العسكر ان يتفرجوا على تقطيع جوان وكان شيحة فتح الصندوق الذى كان مغطى يجد فيها بدلة من الجلد السودانى وعليها أسماء مكتوبة مثل دبيب النمل صنعة الحكماء وسكين ماضية ومسخر لاجل التقطيع ووجد قميص من الجلد وكفا فيه مكتوب ما عملت هذا الا لتقطيع جوان ووجد لباس من الجلد فعند ذلك لبس شيحة الجميع وجاب جوان وعلقه من يده اليمين ورجله اليسار فى الكلاليب الذى فى السلاسل وفرغ الزيت من الكوز فى المقلة ووضعها على الكانون وحط الفحم وفرك الفولب الذى معمول فى أرض العربية فانفتح العنبر يجد فيه أعضاء بنى آدم من الخشب ورأس مثل راس جوان فطلعهم عندهم وسار والموكب تابعاله فى المسير الى باب النصر فامر السلطان باحضار القس سمعان وتوابعه من القساسة والرهبان والبترك كوسانيون صاحب دير مصر العتيقة وتوابعه وأمرهم ان ينظروا ما يجرى على جوان فساروا كما أمرهم السلطان

[قال الراوى] وطلع شيحة الكشافية واول ما قطع اصبع يده اليمين الخنصر ووضعه فى الزيت وقلبه حتى استوى ووضعه فى فم جوان وقال له كل يا ملعون فلم يقدر ان يأكله وكان فى العربة فرامات بولاد فقرص عليهم حتى أكل اصبعه وقطع الذى جانبه حتى فعل به مثل ما فعل بالاول وركب غيره وهكذا وجوان لا له الا التحمل وكلما يطع شيحة عضوا يركب غيره على هذا الحال والموكب منعقد حتى صار قدام باب الصاغة وهم فى افراح ومهرجان وخلفهم موكب السلطان سايرين فى امن وأمان واذا بصرخة ادوت لها الدنيا وشاكرية سطعت ولمعت والصايح يقول يا قصير الى متى عايش فى الدنيا يا قرون وضرب شيحة بالشاكرية ضربة جبار فزاغ شيحة عن الضربة فوقعت فى وسط العربة وكانت بعزم امكان فطيرت رقبة الملعون جوان وحكمت فى امرأة قاعدة على باب الصاغة فطبقت حجرها على الراس وقامت بين الجماعة وهاجت الناس فى تلك الساعة ولا أحد يلتفت الى أحد فى ذلك الساعة فسمع السلطان فدفع الحصان ولحق الى عند العربة وصاح يا مقدم جمال الدين فقال لبيك

يا أمير المؤمنين ادام الله لك السرور والايام على مر الليالى والايام [قال الراوى] وكان الذى ضرب هذه الضربة فهو المقدم نصير النمر لأن من حين ما استشهد الملك عرنوس وغاب المقدم اسماعيل أبو السباع من مدينة الرخام كبرت نفسه أن يقعد فى مدينة الرخام فعاد إلى قلعته وعداوة شيحة متمكنة من مهجته حتى بلغه ماجرى فى القسطنطينية وما فعل شيحه حتى طلع جوان من كنيسة الذهب وهرب إلى دير الشقيق وجاء به شيحة على عربة فركب ولحقه من شدة ما عنده من الحسد ودخل فى الناس وأراد قتل شيحة واغتنام الفرصة فحكم الضرب فى رأس جوان أراد أن يقتنى على شيحة فقدم السلطان فسار من المقاصيص وما زاد عيشه إلا تنغيص [قال الراوى] والأعجب من ذلك أن المرأة التى وقع الرأس فى حجرها وضمت حجرها عليه وراحت إلى حالها فهى البرنقش لأنه يعلم من كتاب اليونان بذلك فقعد فى ذلك المكان حتى اخذ رأس جوان وسار طالب بلاد الروم له كلام [قال الراوى] ولما قدم السلطان فرأى جوان جثة بلا رأس وكان شيحة كلمه وهو داخل العربة وطلع وفى يده رأس مثل رأس جوان فركبه فى مكانه ثم انجر الموكب وشيحة يقطع فى اعضاء جوان حتى وصل إلى باب زويلة وكل من نظر جوان وهو معلق يظن انه طيب والرأس الموضوعة رأسه ولا أحد يعلم انها تغيرت وما زال كذلك حتى وصل إلى الرميلة والعالم والناس عليه يتفرجون وسار إلى تحت القلعة وطلت الملكة أم الآساد وكان يوم أحسن من ايام الاعياد وبعد ذلك جاء فى وسط الرميلة وقال كل من انى بخرية كلاب فله درهم فضة فاجتمع عنده جانب فأضرم فيه النار ثم وضع اعضاء جوان فوقها حتى احترق فتقدم المقدم إبراهيم وقال ياشيحة اعطنى تراب جوان فان لى فيه شغل فقال شيحة خذه ياشيخ الاسلام فقال سعد وإيش تعمل به ياأخى قال إبراهيم ياسعد اعلم أن جوان عند الكفار شىء عظيم وإذا علمت الكفار بأن ترابه عندى ياتونى ويشتروه منى لأجل يتبركون به ثم ان إبراهيم أتى بصندوق خشب ووضع تراب جوان فى قلته وختم عليه حتى ياتوه الافرنج ويأخذوا الدرهم بدينار ذهب ولا يكثر عليه البيع فمن خوفه لا يفرغ فيحرق غائط كلاب ويضيف على تراب جوان ويبيعه وبعد تمام ذلك طلع السلطان قلعة الجبل بعد ما اطمأن قلبه وطلع المقدم جمال الدين والفداوية محبته اجمعين فقال السلطان يا شيحة أما تعرف من الذى فعل هذه الفعال

فقال يا ملك كيف ما أعرفه وهو الذى لا تبرح عداوتى من قلبه قديم وجديد وهو المقدم نصير النمر بن اسد الدين البويطى ابن داغر العنيد وأنا يا ملك والله لا بد له من يوم شديد حتى اقبض عليه وعن سلخه لا أحيد فقال السلطان والله يا جمال الدين ان

نصير لم تسلخه اكتر أما للملك عرنوس ولو لم يفعل فانا له نتحمل ولا يصعب ذلك عليك فانه لابد من حضوره على يديك ويصالحك وتصالحه وأما والله العظيم لم تسلخه فقال شيحة وهو كذلك وأنا يا مولانا الحمد لله على ما كان فقال السلطان اتمنى كلما تريد فقال شيحة يا مولانا أنا اتمنى على الله أتزوج برومة بنت الملعون جوان وانما أيضا مال الكنايس السبعة فقال السلطان مال الكنايس فهو لك وبين يديك وأما بنت جوان إذا ملكتها فهى وهبة منى اليك فقال المقدم إبراهيم يا حاج شيحة أنت رجل طماع كيف تأخذ مال الكنايس وتأخذ بنت جوان هذا أمل بعيد اما يأخذ مال الكنايس فهو لك حلال واترك لنا رومة اقتنع بالمال فقال شيحة ومن منكم يأخذ رومة هل ترى تشتركون فيها يارجال وانما ارضيكم واريحكم فقالت الرجال والله يا شيحة ما نخلى لك لا رومة ولا اموال ونحن حتى ما بقينا نطيعك فقال إبراهيم هيا بنو اسماعيل لان شيحة ماله الا العصيان فانه فلما رآنا طايعين له طمع فينا ولا له من برده فقال شيحة امشوا بلا قلة أدب وتترفيهم فنزلوا الديوان على نية العصيان وساروا جميعا وقالوا الاجتماع يكون فى قلعة مسياط فقال إبراهيم يارجال إن المقدم سيف الدين بن فضل معه بالسلطنة حجة ولا أحد يمانعه عنها ولا يحتج له بحجة فنحن نرسل اليه ونحضره فى قلعة مسياط ونطيعه جميعنا ويبقى هو سلطاننا فقال المقدم سليمان الجاموس والله هذا ابئس الرأى وأنا ما اطيع الا شيحة وتبعه على ذلك المقدم حسن الحورانى والمقدم دبل البيسانى وعماد الدين علقم والمقدم عجبور واجتمعوا هؤلاء الخمسة وقالوا يا بنو اسمعيل لا تحسبونا معكم فاننا طايعين شيحة ولا نتبعكم فقالوا لهم انتم كبرتم وبقيتم خرفانين فركبوا الخمسة وكل منهم طلب قلعته وأما الرجال فانهم احضروا المقدم سيف ابن فضل واطاعوه جميعا وقالوا له أنت سلطان علينا وشيحة معزول ففرح بذلك [ياساده] ومن شدة فرح سيف احضر ماله بين يديه وصنع له شنطة مثل شنطة المقدم جمال الدين وفردها على رأسه عند ما يركب وقال للرجال يا بنو اسمعيل كل مقدم منكم يقبض جاملية اربعة اشهر منى لقدام فاذا افرغت المدة يطلب اقدام فقالوا له افعل ما تريد فقبضهم كل واحد منهم جاملية اربعة اشهر وسلم باقى أمواله للمقدم إبراهيم وقال له أنت تكون الخزاندار على جميع مالى ففرح بذلك إبراهيم وقال لسعد سيف هذا يسلخه شيحة وماله اخذته أنا ولا بقيت أرده ولا درهم وأخذ فضحك سعد هذا ما كان من الفداوية [قال الراوى] وأما المقدم جمال الدين لم يعلم بذلك فانه مقيم فى فى مصر عند السلطان وإذا باولاده عابرين عليه فلما رآهم قال يا أولادى مرادى تكشفوا إلى خبر الرجال وتنظروهم فى أى قلعة يجتمعون وعودوا إلى اعلوقى

فساروا كما امرهم والتفت شيحة للسلطان وقال يامالك الاسلام انا اعرف أن الفداوية يعصوا ويطلبوا المكايدة معى ولكن يامولانا لاتحزلا ساكن فانا كفولهم جميع وسفوف اعرفهم قدرهم والعاصى لابد أن يطيع ونزل شيحة من الديوان وطلب الارضى والكتان له كلام | قال الراوى | وأما البرتقش لما اخذ رأس جوان وطلب بها دير الغور وكان اسقوط وروما اولادجوان هناك فرضع الراس قدامهم وبكى واحكى لاولادجوان أن الذى قطع ابوهم شيحة فانغاظوا من ذلك وروما كرهت شيحة بعد المحبة لانه قاتل ابيها فقال اسقوط وحق كل بترك وقديس لابقيت اقيم فى مكان وأبلغ ارنى الان فعلت بشيحة مثال ما فعل بابى فقالت روما وانا معك وأين ما سرت اتبعك ولا بقيت افارقك حتى تقضى حاجتى وحاجتك فقال البرتقش الصواب ان تسيروا من هذا المكان ثم اخذهم وطلب بهم دير العامود ودخلوا على البترك كرسانيون وكان اتاهم يعزيهم فى ابوهم لعلمه انهم باتوا فى هذا الدير عادتهم فاعلموه بحالهم وما فعل شيحة فى جوان فقال لهم البترك انا ما اقدر احميكم من المسلمين والصواب انكم تمضون إلى دير الجليود وتدخلون على البترك ديبون وتسألوه ان يوديكم إلى بركة الحوت وقلاع الجامور فانها اماكن مرصودة وبركة الحوت فى وسطها عامود طوله خمسين ذراع من الذهب وفوق رأسه طبل إذا أتى احد يطلب ان يودى عليها فان فى طرف العامود شخص مرصود وفى فمه بوق فيزعق ذلك الشخص فى البوق ويدوى فيها هذا البطل فيظهر من اسفل البركة حوت من الذهب ويفيض الماء حتى يبقى بعلو العامود ويصل إلى قارب على شاطىء البركة له اربعين مقداف وله اربع رايات وفى مقدمه شخص وفى فمه نفير فزعق النفير يكون الماء عم على القادمين من العدا فاذا سمع الناس زعقته يعلمون بان الغريم مات غريق وبعدها يهبط الماء ويظهر القتلى ينظروهم الناس ودايرماييدور البركة خمسة قلاع خارجة وخمسة قلاع داخلة وبينهم جبل ووادمتسع ويحكم على كل مقاماتك يقال له طرد لهم فاذ رحتم اليه ووقعم فى عرضه فانه يحميكم من شيحة وغيره وإن خالفتم ماينفعكم احد اعلم باسقوط أن شيحة مايتهان امره وألا يصل اليك شره وربما أن يفعل بك كما فعل بأبيك وجميع ملوك الروم مايحموك فقالوا له اكتب لنا كتاب إلى الراهب ديبوب لعله اذا نظر كتابك يقبل كتابك فكتب لهم كتاب واعطاه لهم فاخذوا الكتاب وساروا طالبين روما المدائن الصغرى ودخلوا برأس جوان على دردر بك وأعلموه بما جرى على جوان فبكى وصنع كنيسة ودفن فيها رأس جوان وبعد ذلك صور صورة جوان من الذهب وصنع لها عيون زمرد اخضر وبنو حول الكنيسة اماكن يسكنوها

الفقراء على روح جوان صنع اصفوط لابيه خمارة وجعل فيها عشر دامريات وعشر فلايين وكتب الذى يدخل الخمارة يشرب بيبا روبا كل لحم الخنزير ويفسد فى الدامرات أو فى الفلاين كرامة على روح جوان وأما دردريك فانه صنع اربع غلايين وملاهم يقطعوا طريق البحر على روح جوان وبعد تمام هذه الافعال اجتمع البرتقش بالبب دردريك وقال له انت عملت خيرا كثيرا والبركة جوان لا بد ان يعلم المسيح بفعلك فيجازيك بجانب فى سقر والهاوية فقال يا أبونا البرتقش أنا ماكان عندى أعز من جوان ولكن هل روما ترضى أن انزوج بها

فقال البرتقش لما نخلص من ابيها وأنا اسألها لك فى ذلك وخرج البرتقش فأعلم أولاد جوان وقال لهم هيا سيروا بنا إلى بركة الحوت فأخذهم وسار طالب بركة الحوت وأما شيحة فانه تنكر فى صفة بترك وسار إلى دير العامود فلما دخل على كرسانيون فوجده يبكى فبكى معه على جوان وقال يا ابونا قد بلغنى أن شيحة قطع جوان وبلغ منه مراده وأنا خائف على اولاده فقال له كرسانيون لا تخاف عليهم فأنا ارسلهم إلى دير الجليود فقال له خيار ما فعلت فهو على كل حال يحميهم من المسلمين والبرتقش أين راح فقال معهم فبات إلى وقت السحر وقام شيحة وسار من طرق يعرفها حتى وصل إلى الدير وقرأ قداس ودخل فاستقبله البترك فلما استقبله قال له اين اولاد جوان فأنا قلبى عليهم فقال له أنا ارسلتهم إلى بركة الحوت فقال شيحة فى نفسه اتعبتنى ثم انه صبر حتى اقبل الليل وقام اليه وقبض عليه وعرفه بنفسه وعرض عليه الاسلام فلم يسلم فقتله وقتل كل من كان فى الدير وإذا بأولاده الخمسة مقبلين وكانوا له تابعين فلما قابلوه قالوا له اعلم أن الفداوية سلطوا عليهم سيف بن فضل وأطاعوه الاخمسة منهم وهم عماد وحضر ودبل وسليمان وعجبور واجتمعت عليهم بنو الادرع وهم مقيمون تحت قلعة مسياط. فقال شيحة انا كفؤ لهم ثم انه اخذ مال الدير وسار به إلى حصن صهيون وسلمه إلى المقدم جمال الدين علقم وقال له هذا عندك امانة الله حتى أسير أنا إلى قليل الادب وأعرفهم قدره فقال له عماد الدين الله ينصرك عليهم وسار المقدم جمال الدين حتى وصل إلى قلعة مسياط. وكان وصوله بالليل فدخل على خيمة المقدم سيف فالتقى الفداوية عنده مجتمعين وهم يتشاورون على مكايدة شيحة وكل واحد يقول كلام على قدر عقله فصبر عليهم حتى سرحوا فى الحديث ودخن عليهم بدخنه بنج فرقدوا الجميع لحاق ذقونهم جميعا إلا إبراهيم وسعد وكتب تذكرة ووضعها بينهم وراح إلى حال سبيله قاصد بركة الحوت وأخذ خيلهم وسلاحهم وعند عودته التقى المقدم على الطريق فقال له خذهذه الخيل والسلاح وديهم لعماد الدين علقم وعود إلى إبراهيم وأعلمه بالخبر وسار شيحة قاصد بركة الحوت له كلام

[قال الراوى] وأما على الطويرد فانه سلم الخيل والسلاح لعماد الدين علقم وقال له حتى أعدد آخذهم وسار ثانيا على قلعة مسياط فكانوا بنو اسماعيل دخلوا كراخيهم لقوهم مبنجين ففيقوهم فرأوا ذقونهم محلوقة إلا ذقن إبراهيم وسعد فقالوا له كيف ياحورانى انت الاى حلقت ذقوننا فقال لهم لا والاسم الأعظم هذه افعال الحاج شيحة وسبب ما أبقانى انا فانه مراده ان تقع الفتنة بينى وبينكم بسبب ذلك ويريد أن تقتلونى وتتعدوا على وتظلمونى ثم انهم لقوا تذكرة مكتوب فيها يا رجال أنا حلقت ذقونكم وأخذت سلاحكم وخيلكم ولولا انكم مؤمنين كنت ذبحتكم وأنا المقدم جمال الدين شيحة فقال ابراهيم ياحسرتى على حجرة المريكسنية وشاكريتى ذو الحيات وبقى ابراهيم بتحسر واقدم عصيانه على شيحة فبينما هم فى

قال وقيل واذا بالمقدم على الطويرد قادم عليهم وبدأهم بالسلام فلما رآه المقدم ابراهيم قال له يا مقدم على انظر ما فعل اوك معنا حتى سرق سلاحنا وخيلنا وحلق ذقون الرجال فقال المقدم على وايش بقسم تعملوا فى أبى لما فعل هذه الفعال فقال ابراهيم مانعمل سيء ولكن مرادى منك أن تجيب لى حجرتى وشاكريتى ذات الحيات

فقال المقدم على أما أنا اذا كان ابى فعل بكم هذه الفعال فكيف أنا اخالفه وأرد لكم الذى خذه منكم فقال المقدم ابراهيم انا اجمع لك عشرة آلاف قبرصى ولا الزم حجرتى وخيل الرجال وشاكريتى وسلاح الرجال الا منك

فقال المقدم على هات المال فقال ابراهيم والاسم الأعظم اذا جبت خيلنا وسلاحنا ما احد ياخذ عدته الا بعد ما نعطيك عشرة آلاف دينار فقال لهم رضيت بذلك فعندها سار المقدم على الطويرد وشد جميع الخيل وحط على حجرته سلاح صاحبها وسار بهم الى مسياط وسلمهم لاصحابهم واخذ المال من ابراهيم

ثم قال للفداوية يارجال اعلموا أن ابى سار الى بركة الحوت وقلاع الجاموس وأنا أعلم ذلك وقال لى ان كان سيف بن فضل سلطان القلاع الجديد له غرض هو والرجال أن يقعدونى فها نا بين ايديهم وما النصر الا من عند الله فقال المقدم سيف يارجال هيا وراءه ثم انهم ركبوا وفى اوائلهم المقدم سيف بن فضل وتبعه بنو اسماعيل وبنو الازرع ولهم كلام [قال الراوى] وأما ما كان من المقدم شيحة فانه ايضا طلب بركة الحوت فبعث اثر البرتقش وروما وأسفرط لأنهم لما ساروا وقطعوا البر الأقفر قاصدين بركة الحوت الذى قال لهم عليه البطريق فما زالوا سائرين حتى اشرفوا على الدير الذى فى اول قلاع الجاموس وكان بهذا الدير بطريق اسمه بحريق وهو يعبد النار دون الملك

الجبار فدخلوا أولاد جوان والبرتقش عليه وأخبره بما وقع لابيهم فلما سمع كلامهم قال لهم يا أولادى وايش قصدكم منى فقال له البرتقش مرادنا منك الحماية من شيحة والمسلمين وتكون لنا مساعدا حتى نأخذ بثار جوان

فقال البطريق أنا ما لى قدرة على ذلك وأنا أعرف لكم ملك اسمه الافريطق فانه ملك مطاع وله عساكر كثيرة فهو الذى يغلب المسلمين فان عساكره الف الف محاربين وهو يقاتل بعامودين فانا آخذكم وادخل بكم عليه فقال له البرتقش هذا هو الصواب فاخذهم وسار بهم الى الملك الافريطق وأوقفهم قدامه وقال لهم يا أولادى هؤلاء أولاد عالم الملة جوان والمسلمين قطعوا أبوهم وحرقوه ويريدون منك ان تحميهم من المسلمين وتاخذ لجوان بثاره وتكشف عنهم العار ثم ان روما تقدمت بين يديه ثم أنها بكت فلما نظر اليها الملك قال لها أنت بنت جوان فقالت نعم فتولع قلبه بحبها لان روما فى الجمال بابعد غاية واقصى نهاية فقال البرتقش انا قصدى ان اروج بذلك البنت وتكون هى واخوها عندى حتى أهلك المسلمين فقال البرتقش يا بب هذه راهبة ولا يمكن الراهبة الزواج الا اذا كان مهرها قتل شيحة والظاهر فان كان يمكنك ولك مقدرة على ذلك فلك دونك وما تريد

فقال الملك هذا أمر سهل فقال البطريق أنا وصيتك يامالك عليهم وهم بقوا فى امانك فقال على راسى يا أبى والبطريق يركب حمارته وخرج من عند الملك الافريطق طالب الدير فوجد طريق سائح وهائم فى البر وهو باكى العين فلما رآه قدم له وقبل يده وبكى فقال له لاى شيء تبكى فقال له ياأبى من المسلمين قتلوا جوان وقد كان قطعوه على عربة وهذه عمرها ما جرت فى الدنيا ابطريق فقال هذا أمر سهل وان أولاده دخلوا على مع البرتقش وأخذتهم ودخلتهم على الملك الافريطق وهو نوى على ان ياخذهم ويقتل شيحة ويتوجه على بلاد الاسلام وياخذ ويتزوج بها فقال له نعم ما فعلت وبكى ثانيا وقال يافرحتى وسار معه يقســـاير هو واياه وطلع من عبه جانب لوز وقال تاكل يابطريق لوز فاخذ منه قليل واكله فبنجه وادخله فى مغار وفبقه وقال له كيف يا ملعون انك فاخذ روما بنت جوان وانا بحبها هايم وتوديها للافريطق وتتعب قلبى فى خلاصنا فقال له شيحة وأنت إيش قلت فى دين الاسلام

فقال ما يسلمس فقطع رأسه وتلمط شيحة فى صفته وسار الى الدير فالتقوه البطارقة والرهبان ولا أحد فكر فيه وبات وأصبح واذا بالغبار غبر وعلا الى الصفا وتكدر وانكشف عن بنى اسماعيل وبنو الازرع يقدمهم المقدم سيف بن فضل وهم قد أقبلوا الى هذا

الدير فسألوا عن رومة وأسفوط والبرتقش

فلما وصلوا الى ذلك الدير طرقوا الباب فطل البطرق لهم من قلية الدير وقال أنتم من فقالوا له يامعلم احنا أتينا نسألك عن اسفوط بن جوان واخته رومة والبرتقش فقال لهم كانوا عندى وأرسلتهم للملك الافريطق خوفا عليهم من سراقين المسلمين فقال سيف الدين هل يابطرق احنا كلنا عاصين الحاج شيحة افتح لنا الدير نقيم معك ونحلف لك انا ماخونك ولانغدر بك واحنا ماجينا هنا الاندور على شيحة نقطعه مثل ماقطع جوان وبعدها نريد ان تجمعنا بالملك الافريطن ونحن نساعده على حرب الملك الظاهر وقتاله

فقال لهم أنا أخاف منكم فقال سيف بن فضل لا تخاف يابطرق احنا نحلف على ماتريد قال لهم طيب ثم انه نزل وفتح لهم الباب وأخذهم ثانى الايام وسار بهم الى الملك الافريطق وقال له ياأبى هؤلاء يساعدوك على شيحة سلطانهم فانهم عليه عاصين واذا بقوا معك يفتحوا لك بلاد المسلمين وأنا الضامن لك عنهم الامان فعاملهم يا أبى بالاحسان فصدق كلامه واكرمهم وأنزلهم واكرمهم والماجن الليل قعد الملك يسكر وهم يسكرون معه فقام البطرق يحرين وشاغلهم وأدهن لهم البنج فى الخمرة فشربوا وتبنجوا فذبح الملك وأعيان قومه وأخذ رومة بنت جوان وحطها فى جداق وكتب تذكرة وعلقها فى المكان ان عمل هذا العمل الالمقدم جمال الدين رفيق البرتقش وسعد بن دبل وقال لهم أنا شيحة وأنا قتلت الملك واعيان قومه وأخذت رومة ففيقوا أنتم اصحابكم قبل ان يطلع عليكم النهار فيقتلوكم أهل البلد فى ثار ملكهم وادى خطى وختمى فى أيديكم وأنا الذى كنت فى صفات البطرق بحرين والحاضر منكم يعلم الغايب وخاطركم على والسلام وأخذ رومة وطلع بها فى قلعة وكان بها ملك اسمه مرين الأعرج وهو جبار عنيد وشيطان مريد فدخل عليه شيحة فى صفة الراهب بحرين ورومة معه ولما اجتمع به قال له يابب مرين اعلم ان هذه البنت بنت البب طاجرين وهى راهبة فعشقت واحد من سراق المسلمين اسمه سيف ابن فضل الدين وكان فداتى عندنا فى الدير هو واصحابه السراقين لعبوا بعقلها واخذوها ودخلوا بها على الملك الافريطق ولعبوا بعقله ثم أعطوها له وكانوا لعبوا بعقلها واستسلموها فصبا عنها لانهم شياطين المسلمين واحد اسمه شيحة وواحد اسمه السابق

اما شيحة فانه متلمط فى صفة البرتقش فالسابق متلمط فى صفة اسفوط ودخلوا على الملك بصفة وذبحوه على فرشته وذبحوا أعيان قومه وأخذوا البنت وساروا من عنده وأنا قربت عليهم

قداس واخذتها منهم بفرح الحوارى سمعون وجبتها لك وهم عن قريب يكونوا عندك لانهم تابعين جرتى ويقولوا على هذا سيحة لكونى أخذت البنت منهم وجبتها اليك وكذلك البنت من عشقها لهم تقول على هذا شيحة لانهم علموها لكن إذا قالت لك على شيحة قل لها صحيح واقبض عليها واحبسنى عندك ولما يجى الفداوية ويسألوك عنى قل لهم هو عندى مسجون لانه سابقا قتل ابن عمى وأنا مرادى أن اقتله فيه وأخفكم معى واجمع عساكرى وعسكر ابن واغزى بكم فى بلاد الاسلام فاذا رضيتم بذلك الكلام ودخلوا عندك فلا تأمن لهم فان ما قصدهم إلا أخذ ذلك البنت ويستسلموها وان تمكنوا منك قتلوك وان حاربتهم حاربوك ويجيوا عليك ويقتلوك فقال الملك وكيف العمل فقال له خذ هذا البنج اوضعه لهم فى الطعام إذا أكلوا الطعام تراهم ينامو كانهم موتى اطلقنى لهم وأنا اوريك ما أفعل بهم

[قال الراوى] وكان شيحة قبل ذلك فوق رومة واعرض عليها الاسلام فقالت لا يمكن ذلك لانك قتلت أبى وبقيت عدوى ولا بقيت اريدك أبدا وإن دخلت فى على ملك أقول له هذا شيحة فقال لها شأنك وما تريدى وأطعمها واسقاها وبنجها وسار بها إلى هذا الملك واعلمه بما ذكرنا وأما الملك دخل عليه كلام شيحة وظن أنه الراهب بحرين ثم ان الملك فوق رومه وقال لها لاى شى تولعت بالمسلمين وخالفت البطرق بحرين وحبيت المسلمين فقالت له يا ملك اعلم ان هذا وشيحة فقال لها صدقت ياسيدتى وقبض على شيحة وسجنه وطلعها إلى سرايته واكرمها وبات تلك الليلة وهى عنده فى أمان وعند الصباح اقبلت الفداوية وهم طاردين خيلهم فى جرة شيحة والبرتقش وأسفوط معهم وسبب مجيئهم أن شيحة لما فاق البرتقش وسعد بن دبل كما ذكرنا فقام البرتقش فيق الفداوية فلما أفاقوا وجدوا كل من فى القلعة مذبوح واعلمهم البرتقش بما جرى ثم قال لهم وإن طلع النهار وأفاقوا اهل القلعة ما يقعدوا عنا ولا يسمعوا كلامنا فالصواب تقوموا تتبعوا جرة شيحة فركبوا خيولهم وساروا حتى دخلوا على البب مرين الاعرج ودخلوا وهم فى همة عظيمة وأول من تقدم البرتقش وأسفوط معه وقالوا له يابب اعلم أن الذى أتاك فهو شيحة المسلمين ومعه رومه بنت جوان أخذها بعدما حرق أبيها وقطعه وها نحن أتيناك نحذرك منه لان السراقين معنا عاصين عليه وسار سلطانهم سيف ابن فضل الادرع فقال صدقتم وكذلك البنت أعلمتنى بذلك فقبضت عليه وسجنته وأنتم أين السارقين الذين معكم فان شيحة هذا قتل ابن عمى وأنا مرادى اقتله

عوضه وأريد أن تكونوا معى حتى اركب على ملك المسلمين وأخذ عساكرى وعساكر
ابن عمى وتكون معهم يداواحدة وفى ذلك الوقت دخل المقدم سيف بن فضل وقال
للملك أين شيحة فاحكى له البرتقش على ماقال فقال المقدم سيف طيب ورومة عنده
قال نعم وقبض على شيحة فاطمأنوا الفداوية ونزلوا عن خيولهم فلما رآهم الملك
أمرهم بالجلوس وطلب لهم الطعام فلما حضر الطعام أكلوا جميعا وناموا فى أماكنهم
مبنجين فقام الملك واطلق شيحة وقال ياأبى بحريق ها أنا قلت ما أمرتنى به فدونك
وأعداك افعل بهم كلما تريد وكال لى أكليل هذه البنت حتى اعلم أنها بنت ملكى
فقال له يا بب اعلم أن هؤلاء خلفهم عساكرهم تابعينهم فانظر لنا قلعة نمس فيها
الشراب والمنام وأكون أنا وانت والبنت فقط ونجلسها على كرسى بين يديك
واقرأ أنا عليها القداس وتقوم انت تحضنها وضمها إلى صدرك بعد رمى رقاب
هؤلاء المسلمين الذين يطلبوها منك وأول ما تقتل سيف بن فضل معشوقها فاذا
فعلت ذلك رضيت لك ولم تقدر تخالفك فقال الملك صدقت قم بنا إلى داخل القلعة
فى قلب سرايتى فقال له اربط هؤلاء على خيولهم وخذه معك حتى تضرب رقابهم وعند
ذلك سقطهم على خيولهم ودخل بهم إلى داخل القلعة ووضعهم فى الحديد فدخل
شيحة وفرق المقدم سعد وقال له ايش تقول ياسعد فى قبضهم هكذا واقول للملك
مرتين الاعرج يرمى رقابهم فقال سعد لا ياحاج شيحة إحنا أول النهار وآخره
رجالك وان عصينا اليوم بكره نطيعك فقال له وهو كذلك وبنجه ودخل على
البت مرين الاعرج فالتفتت يقول لرومة ايش تقولى فى زواجى قالت له حتى
تقتل شيحة هذا الذى جاء بى اليك فقال لها شيحة يا بنت هذا احسن من سيف
ابن فضل ووضع الكرسى وطلع مبخره ووضع البخور وقرأ قداس فبنج الملك
ورومة فقام للملك وذبحه ووضع رومة فى الجدران وفوق البرتقش وسعد وقال لهم
ها أنا ذبحت الملك وأخذت البنت ورايح إلى القلعة الثالثة وإذا طلع النهار
ونظروكم أصحاب القلعة وملكهم مذبوح فانهم يذبحوكم وأخذ شيحة البنت
وسار طالب القلعة الثالثة من قلاع كفور الجاموس وكان فيها الملك البنت
طاغين وهو جبار عنيد وكان شيحة أتى إلى مغارة وفيق رومة وقال لها يارومة أنا
لابد لى من أخذك على كل حال وتمنعك هذا فما يعود منه فيدة وان كان صعب عليك
تقطيع أبوك إذا أسلمت فما يبقى أبوك لانه كافر بالله تعالى فقالت له أنا ما أقدلك
وأى ملك يودينى له أقول له هذا شيحة فهو معها فى الكلام وإذا بالملك طاغين فوق

رأسه والسبب فى ذلك أنه كان فى الصيد والقنص وتبع غزالة وطردها إلى هذا الجبل
فرأى المغار وسمع الكلام فثبت عنده أن هذا شيحة صحيح فنزل اليه وكتفه وسأل
البنت عن حالها فأعلمته أنها بنت جوان وهذا شيحة قطع أبوها ويريد يأخذها من
بعده فقال لها مرحبا بك وركبها خلفه على الحصان وسار وساق شيحة قدامه حتى
وصل الى عسكره وأقرامه اخبرهم أنه لقى هذا الراهب وظهر لى أنه شيحة المسلمين
وسارقها وهى بنت عالم الملة جوان . ثم انه سار الى قلعته وطلع البنت السراية
ووضع شيحة فى الحديد وطلع سال رومة عن حالها فأحكت له جميع ما جرى لها
والفداوية عاصين على شيحة وهم تابعين جرته ومعهم البرتقش غلام جوان واسفوط
أخوها فقال لها وأنت ترضى ان أكال لك الا كليل وتكونى امراتى فقالت له
أرضى بعد ما تقطع رأس شيحة هذا قدام أخى اسفوط والمسلمين واقفين بنظروه
فقال لها هذا أمر هين وان أردت اقطع رأسه قبل أن يحضروا فقالت لا تقتله
إلا وهم حاضرين فقال مليح وبات تلك الليلة وهو طيب قلبها ويوعدها بتفريج
همها وكربها وثانى الايام اقبلت بنو إسماعيل واسفوط والبرتقش معهم فاستقبلهم
فقالوا له شيحة عندك فقال لهم عندى واحكى لهم أنه لقاهم فى المغارة وهو يعاتب
البنت ويطلب منها أنها تسلم فقبضته وسألت البنت فاعلمتنى أنها بنت جوان وأخوها
والبرتقش معهم فقالوا صحيح وايش تريد نفعل به فقال اقطع رأسه بين ايديكم
فقالوا له افعل ما تريد واحنا نزوجك رومة إذا قتلت شوحة فاحضره قدامهم
فقالوا له وقعت ياقصير فلم يرد عليهم جواب فضربه الملك بالحسام أطاح رأسه فصعب
على إبراهيم فى الباطن وكذلك سعد وأما باقى الفداوية فرحوا فيه وقالوا أرحنا من
ظلمته ودخلوا القلعة فى فرح وسرور قال لهم الملك هذه الليلة بقت كلها أفراح وأمر
باحضار الطعام أكلوا جميعا وبعده أحضر المدام وقد أوقد الشموع ودارت
الكاسات وأمر الساقى أن يغنى لهم على الكاسات حتى اغتنموا أوقات اللذات
لنصف الليل نامرا كانهم موتى والسبب فى ذلك أن شيحة بعد ما وضعه الملك فى الحديد
وتركه محبوس فتحايل شيحة على الحديد ولده وخلص روحه وحضر من القلعة بطرق
ولطه فى صفته وأخرص لسانه ووضعه محله ولما كان عند الصباح أحضره الملك
وضرب رقبته

[قال الراوى] وأما شيحة فانه دخل إلى الساقى أخذه لبلا قتله وتلطخ فى
صفته حتى دارت آنية المدام واشغل الملك والفداوية وبنجهم وذبح الملك وأخذ

البنت وفيق البرتقش وقال له ها أنا ذبحت الملك وأخذت البنت وسابقكم للحصن الرابع وأخذ رومة وقصد القلعة الرابعة وكان اسم ملكها عبد الصليب المقوت فهو جالس وشيحة داخل عليه وقال له المسيح ارسل لك بنت ولكن عاشقة واحد سرا واسمه سيف بن فضل وقلت لها ان المسيح امرني أن أوديك إلى بيت عبد الصليب فقالت ان وديتني له أقول عليك هذا شيحة لاجل أن يقتلك وانا قصدي أنك تحطني في الحديد وتعلقني على دولاب وإذا جاءك أسيرا فهو شيحة في صفة والبرتقش وابنه في صفة اسفوط ويقولوا لك انهم أولاد إخوان دور معهم وطاوعهم وبنجهم وأحضرني حتى أشتفي منهم وأكل لك الاكليل وتمكنها بامر المسيح

فلما سمع كلامه فيق البنت وسألها عن حالها فقالت هذه شيحة وأنا في عرضك فقبض على شيحة وعلقه في دولاب . ولما أقبلت الرجال تلقاهم وأكرمهم وادغرلهم البنج وبنجتم وأرماهم في الحديد وأطلق شيحة وقال له زوجني برومة

فقال له يابب هذه مقبلة من بلاد بعيدة ولايجوز الاكليل عليها إلا بعد سبعة أيام وفي كل يوم تغتسل انت من ماء العمودية فانها بعد ذلك تحل لك فقال له وجب فاقام شيحة وهو متحير وإذا بزوجة عبد الصليب دخلت عليه وقالت له أنا في عرضك يالبي لا تزوج رومة للملك فاني لا أطيق الغيرة فقال لها هل تعرفي لهذا الملك عدو قالت لهم نعم له عدو واسمه الهبوت المجنون وفي أول قلاع بركة الحوت مسكنه فصبر شيحة الى الليل وأراد أن يعمل عملا وإذا براهب راهب مقبل تامله شيحة فرآه السابق فقال له ما جيت الا في وقت حاجتك واحكي له على ما وقع وقال له تلمط في صفتي وادخل على عبد الصليب وقل له ان الهبوت المجنون سمع بخبر رومة جمع عساكره ومقبل عليك ياخذها منك وأنا رايح إلى بهوت المجنون احثه على الركوب وأوقعهم في بعض فتلمط السابق في صفة أبيه ونزل على الملك وقال له كما قال له أبية وأما شيحة فانه سار إلى بهوت المجنون فلقاه مريض فدخل عليه ودهن سائر أعضائه ولين مفاصله وأعلمه بالبنت وقال له المسيح جعلها من نصيبها اليك فاخذها عبد الصليب وجازها عنده وخالف المسيح [وأنا أعلمتك والصواب أنك تركب في عسكرك وتحاربه وتخرب بلده فقال البهوت طيب وراح شيحة وخلاه وأما الملك بهوت فانه جمع عساكره وسار الى عبد الصليب وأرسل له يطلب البنت فقال ما عندي بنات وما عندي الا الحرب والثبات ثم انهم نزلوا العساكر إلى الميدان وبهوت قتل عبد الصليب وملك بلده ونيب فيها واحدا من جنبه وأخذ

الفداوية والبرتقش واسفوط وهم في الحديد وأخذ رومة ذلك الفعال نالت الملك بهوت يا ملك اعلم ان هذا البترك مسلم واسمه شيحة وهو سلطان على جميع السراقين .

فلما سمع ذلك قال لها لا تقولي هذا الكلام لكونه جاء بك الى عندي ومرادك اقتله وأنت تروحي للمسلمين والا صعب عليك عبد الصليب لما قتلته يا ملعونة وقشعر في وجهها وكان مجنون قهبش باظافره وجهه حتى جرح وجهه وتحمرت عيناه وبقي عبرة لمن يراه وكانت صورته شنيعة وحالته في الاصل مريعة فاندهشت رومة من رؤيته وذهلت من سطوته وبكت وقالت لشيحة أنا في عرضك خلصني فقال لها يا رومة أنا قلت لك ادخلي دين الاسلام وآخذك بالكتاب فلم تقبلي كلامي ولكن أنا أخلصك ولا تخافي والتفت الى الملك وقال له اصبر علينا عشرة أيام حتى يهدأ خوفها فقال لا أدخل عليها إلا في هذه الليلة والا اتفن منها فقال شيحة مرحبا بك الليلة هذه ادخلك عليها هيا حضر فرشك وادخل بها فقام الملعون وفتح قاعة مفروشة من أحسن الفراشات وقال هذا محل الدخلة فقال شيحة يحتاج البخور فقال له بخره مثل ما تعرف فطلع شيحة المبخرة وبخر المكان بالبنج وقال له ادخل يامالك وخذها معك ادخلي معه لاتخافي فدخلوا الاثنين أخذهم البنج ناموا فدخل شيحة ذبحه واخذ رومة وقال اولده ياسابق فيقهم وقل لهم أبي قتل الملك واخذ رومة وراح في الجبال فراح السابق اطلقهم واعلمهم بما قال ابيه فركبوا خيولهم وراحوا تابعين جرته وشيحة لما اخذ رومة وطلع من القلعة وسار حتى طلع النهار فاتى إلى شجرة وجلس تحتها وفيق رومة فقالت له وايش فعلت بالملك قال قتلته من اجلك فما تم كلامه إلا والصرخات اخذته من كل جانب فالتفت بجد الفداوية مقبلين مثل الجراد فلما رآهم ترك رومة وطلب البر وقام القيام فاول من اقبل ابراهيم وسعد اخذوا رومة ودخلوا بها دير وقد افتكروا بحبها قال ابراهيم آخذها انا قال سعد ما ياخذها الا انا لحم ابراهيم يدعلى ذوالحيات وحط سعد يده شاكريته وانطبقوا على بعض فكان شيحة في الدير خلاهم مع بعض في القتال واخذ رومة وسار . واما ابراهيم قال يا سعد انت ابن خالتي وتبيع خاطري ببنت . قال سعد تسالها انا والا انت فالتقوا فلم يجدوا رومة

قال سعد هي راحت لالي ولا لك قال ابراهيم جهنم وكان شيحة لما اخذ رومة طلع بها الى الجبل فرأى مغارا في بيت البربيع وفيه اربع سدلات على صفة قاعة جلوس وفي وسطه فسقية ماء فحط رومة وسار الى ضيعة فرأى عجوز طالعة

راكبة حماره فقتلها وأخذ الحمارة وحملها من الضيعة أكل وشرب وأقبل بالحمارة إلى المغار وفيق رومة وأراد أن يطعمها وإذا بباب المغارة انسد بالمقدم سيف بن فضل وهو يزعق ويقول تزوج فين منى ياشيحة فتضايق شيحة وكان فى المغار طاقة فى الجبل فنط شيحة منها فنزل على أرض رمل ناعم قال الحمد لله وقام فنزل سيف الدين أخذ رومة وصاح على بنو اسماعيل أقبلوا وقال لاسفوط زوجنى رومة اختك وإلا قتلتك فقال له هى لك قال ابراهيم تدخل عليها بلا مهر ولا فرح

قال البرتقش نعمل فرح ويدخل عليها هنا غصبا عن شنبات شيحة قال ابراهيم ومن أين نجيب لنا ماشطة قال البرتقش أنا أقوم من هنا ادخل ضيعة من ضيعة الفلاحين واجيب منها ماشطة وثلاثة مغانى قال ابراهيم وأنا أسير معك ثم انهم ساروا إلى ضيعة وسألوا من أهلها فاعلموهم ببنت الماشطة فطرقوا الباب قالت لهم من الذى يدق على الباب قالوا لها نريد الماشطة والمغنية فان عندنا عروس تريد تدخلها على زوجها فى هذه الليلة قالت أنا الماشطة وأما المغنية فى البيت الثانى الذى قدامكم فساروا إلى بيت المغنية وطلبوها نزلت اليهم أخذوها وساروا وقعدت الماشطة وزينت رومة والمغانى يغنوا وزفوا رومة وادخلوه عليها فى المغار وكانت الماشطة شيحة والمغانى اولاده ثم انه صبر إلى ساعة الخلوة وادغر له البنج بنجه وجاب أسفوط أخو رومة وزينه بالملبوس ونيمه فى حضن المقدم سيف بالخلاف وجعل رجلين أسفوط عند رأس سيف والبسه لبس اخته وبنج باقى الفداوية باتوا وأصبحوا فلم يجدوا الماشطة ولا المغانى فدخلوا المغار فوجدوا سيف محارقة ذقنه واسفوط نايم فى حضنه وبينهم ورقة مكتوبة ما عمل هذا إلا شيحة والشاطر منكم يتبعنى ففيقوا سيف وأسفوط وأعلموهم بما جرى قال سيف أنا وراه فركبوا جيما وساروا وراء شيحة وأما شيحة مازال سايرا حتى طلع النهار طلع إلى رأس الجبل وفيق رومة وأطعمها وأسقاها قالت له ايش فعلت فى سيف فاحكى لها على ما فعل وقعد معها ينادمها حتى استراحت وبنجها واخذها وسار طالب القلعة السادسة وكان بها ملك يقال له الفرقيط فدخل عليه شيحة فى صفة راهب وقال له ياملك هذه بنت جوان وشيحة قطع أبوها والمسلمين لعبوا بعقلها وهم يريدوا زواجها لسيف بن فضل فانا سرقتها منهم ولم أرض أن بنت عالم الملة يأخذوها المسلمون وهم جايبين شيحة يقولوا عنه انه البرتقش والساق ابن شيحة يقولوا عنه أسفوط بن جوان وأنا ياب كرهت ان أعيش وأريد منك أن تحبسنى

حتى يأتون اليك فاذا قالوا لك على هو شيحة قل لهم صدقتم وخذ هذا القرص البنج واوضعه لهم فى الطعام فاذا أكلوه ورقدوا أطلقنى حتى أوريك ما افعل بهم فقال الملك طيب ووضعه فى السجن واكرم رومة وكان افتتن بحبها وما صدق ان النهار ارتحل والليل أقبل حتى سار الى عندها وقعد يتنادم معها وقال لها أنا أردت أن أجعلك زوجتى ما حكمك على مملكتى فقالت له ان أردت ذلك اقتل شيحة فانه قطع أبى جوان فقال لها على الرأس والعين ولما كان عند الصباح اقبلت الفداوية وهم كانهم أسد من حديد ووصلوا إلى القلعة وعلم الملك الفرقيط بقدومهم فقام اليهم كما عليه المقدم جمال الدين شيحة

فلما راوه قالوا له يا ملك شيحة عندك ومعه رومة بنت جوان وهو قاتل أبوها وها نحن مرادنا قتله وأخذها منه وهذا أخوها أسفوط بن جوان وهذا أيضا البرتقش غلام جوان وكان تزوج بها المقدم سيف مذ طلع شيحة هذا سرقها وهرب بها لعندك فلما سمع الفرقيط كلامهم صح عنده كلام شيحة بان هؤلاء مسلمين وهذه البنت نصرانية وقصدهم اسلامها واخذها منهم وأما قولهم ان الذى عنده البنت شيحة ايش اخرجه من حزبهم وهو مسلم زيهم وايش ادخل اسفوط والبرتقش مع المسلمين فان هذا شىء خارق العادة وان الذى أتى بالبنت كلامه صحيح ولازور ولاتلويح هذا ما اقتضاه عقل الفرقيط فما كان منه الا انه ادغر لهم البنج فى قلب الطعام وقدمه بين يديهم اكلوا ورقدوا فوضعهم جميعا فى الحديد واطلع شيحة وقال له يا أبى كل لى اكليل هذه البنت وهاهم أخصامك بقوا فى الحديد افعل بهم ماتريد فقال له هات البنت بين أياديك واحكم عليها ان تغنى لك على المدام وان لم ترضى بذلك اسحب عليها الحسام وان قالت لك هذا شيحة فلا تسمع لها كلام فعند ذلك احضروا رومة قدام الملك الفرقيط وقال لها الفرقيط هيا بنت غنى لى على الكاس حتى اعملك جناقة فى هذه الليلة وحط يده على الحسام فالتفتت رومة إلى شيحة مستجيرة فقال لها لا تخافى فانا افديك بكل من فى الدنيا ولا يبلغ أحد منك غرض أبدا وأنا أحميك بقدرة الله من جميع الشر والضرر ثم انه ملا الكاس وناوله للملك الفرقيط وقال له اشرب على وجهها فشرب الكاس وانقلب فعند ذلك أخذه شيحة الى محل السجن وفيق الفداوية وقال لهم انتم طال ماتعبتونى وخاصين على ولم تطيعونى وأنا ما بقى لى فيكم رغبة وأنا والاسم الاعظم مابقيت اطلقكم هذه النوبة حتى يطلع النهار وتأتيكم البطارقة ويفعلوا بكم ما يريدون لكم تعرضتم لرومة معشوقتى وخالفتم أمرى ومشورتى

وخرجتم من تحت طاعتى ولو كنتم كفارا كنت قطعت رءوسكم ولكن أنا اتركم للكفار أعداؤكم وأخذ رومة وقام وترك محمد السابق وقال يا ولدى مؤلاء على كل حال رجالى ولا ارضى أن يملكوهم الكفار فاقم أنت عندهم واطعمهم عند طلوع النهار فقال سمعا وطاعة وصبر عليهم لما طلع النهار واطلقهم فقاموا واخذوا اسلحتهم وركبوا خيولهم وساروا فى حالهم وأما أهل القلعة دخلوا على ملكهم لقوه مذبوح فقاموا للصباح وركبوا خيولهم وطلبوا الفداوية حتى ادركوهم وصاحوا عليهم يا كناسات تقتلوا الملك وتأخذوا زوجته وتهربوا ثم انهم حملوا عليهم ووقع القتال وغنى السيف الفعال وهـــدرت بنو اسماعيل وكان لهم يوم طويل فانتخبت الاسلام وجود ضرب الحسام وأهلكوا جميع كثير من الكفار اللئام ولا فرق بينهم الا الظلام ولكن استخنوا الفداويه بالجراح ولما خلصوا من القتال والكفاح باتوا فى تلك الليلة حتى اصبح الله بالصباح وقال المقدم سيف هيا يارجال نلحق شيحة ولا نرجع عنه أبدا وركبوا خيولهم وطلبوا جرة شيحة

[قال الراوى] وأما شيحة فانه سار ايام طويلة برومة وهو يطعمها ويسقيها ويبنجها حتى وصل إلى قلعة بعيدة عن العمران منقطعة عن الويان وبها كهينة اسمها الملكة تمريق وهى كافرة زنديقة فدخل شيحة إلى القلعة فى صفة بترك وسما نفسه بحرين ودخل على تلك الحالة ويقرأ اقداس فدخلوا البطارقة على الكهينة ولوا يا كهينة الزمان قدم عليك الراهب بحرين وهو مبزوك فاذا دخل بلدك يملاها بركة فلما سمعت قامت اليه مسرعة واستقبلته احســـن استقبال واجلسته على كرسى عالى وقالت له يا أبى منين العزم فقال لها يا كهينه أنا اسمى البتوك بحرين من دير الجلمود ونزل على حوارى اخبرنى بهذه البنت الراهبة انها عشقت سراق من سراقين المسلمين وقال لا يجوز فى دين المسيح ولا ترضى به العذرة مريم صاحبة الوجه المليح الصبيح فقالت له وكيف الرأى فقال لى الحق البنت واناعوقها لك وحذها وسير بها للملكة تمريق فانها هى التى تحميها من المسلمين فقمت على حيل فوجدته اعاقها منهم وخطفها بجناحه وصار يزعق عليهم فانهزم منه وأنا أخذت البنت وجيتك بها مثل ما قال لى فقالت يا كناس يامرفوص لما قتلت الملوك ابقى لى ولدى من غير قتل ثم انها امرت البطارقة قبضوه وقبضوا أولاده معه الخمسة وارمتهم فى الحديد وفى ثانى الايام اقبلت عليها الفداوية والبرتقش واسفوط فاستقبلتهم واكرمتهما اكرام زائد واعلمتهم بما فعلت مع شيحة وأولاده فشكروها

على فعلها وأراد البرتقش واسفوط قتلهم فقالت لهم إصبروا على لما اجمع ملوك النصارى يحضروا هلاكهم ثم انها كتبت الكتب وارسلتها مع ابن جوان والبرتقش فساروا إلى جميع الملوك فبينما هم سائرين واذا بالملك من ملوك النصارى مقبل وخلفه عسكر والف بطرق فلما رأى البرتقش واسفوط أمر باحضارهم فلما حضروا سالهم عن حالهم فاخبروه عن شيحة وأولاده وكيف حبستهم الكهينة ونحن دايرين بجمع الملوك يحضروا قتلهم فقال لهم وأنا من جملة الملوك الذى ارسلت الكهينة تطلبهم ولكن أنا ما أعرف البلد تعالوا دلونى عليها وارجعوا إلى شغلكم فقال اسفوط أنا لم اوجع فقال له لاتخالفنى ياكلب ورماه ضربه ثمانين سوطا وضرب البرتقش مثله فرجع اسفوط قهرا عنه فقال البرتقش وحق انك العن من أبوك كان هذا من الأول وساروا مع الملك حتى ادخلوه البلد لقدام الكهينة وكان ذلك الغلام إسمر اللون بخداحمر وعذار أخضر فنظرت الكهينة اليه فمال قلبه لمحبته وقالت له منين أنت فقال لها من الجزاير الجوانية وصلتنى الاخبار بموت عالم الملة جوان وشاع موته فى جميع البلدان فطلعنا نفتش من شيحة الاثر فاتتنا عنه الاخبار انه وصل إلى هذه الديار هو واولاده واسفوط والبرتقش فاتينا قاصدين إلى هذه الأرض فاخبرنى البرتقش واسفوط انك قبضت شيحة وأولاده فجيت اتفرج على هلاكهم وقلت لاسفوط عرفنى طرق البلد فمضى على فضربته وادينى جيت فقالت له ياسيدى مرحبا بك وأنا أيضا شفتك حبيتك ومرادى تتزوج بى وأنا احكمك على هذه البلد فقال لها وأنا رضيت بذلك فارسلت احضرت البترك وقالت كال الكليل على هذا الملك نسطون فكال لها الاكليل وقاموا للفراش للخلوة فضمها فى حضنه وقرص عليها وحط يده على فمها ولارفع يده حتى سمعها تفست من تحت فعلم أن روحها خرجت وقام إلى شيحة واطلقه هو واولاده

تم الجزء الخامس والاربعون ويليه الجزء السادس والاربعون

سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السادس والأربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] أقال له انا زرقش الطيار ابنك وامى جميلة وبنت ملك الحبش ففرح به شيحة غاية الفرح والسبب فى مجيئه الى هذه البلاد وهو أنه سال امه وقال لها من أين هو أبى فقالت له أنت ابن شيحة جمال الدين سلطان الفداوية والملك الظاهر سلطان مصر عمك فلما سمع ذلك ركب من وقته وساعته وسار الى مصر ودخل على الظاهر وقبل الارض بين يديه وأعلمه انه ابن شيحة وسأله عن أبيه واعلمه أنه سار إلى بركة الحوت وقلاع الجاموس وكان فى عشرة آلاف فارس من فرسان الحبشة فسار بهم طالب بركة الحوت ولما تقرب الى هذه البلاد تزيا مثل البطارقة هو واصحابه وترك منهم تسعة آلاف وأخذ الف ولبسهم مثل البطارقة حتى يحقق خبر أبيه فالتقى أسفوط مع البرتقش كما ذكرنا وراح للكهينة وجرى من القصة ما جرى وأصبح جالس على كرسى المدينة وقال لاهل البلد ان الملكة فى السراية وتمكن من اذقات البلد وأرسل السابق أخيه يعلم الرجال ويقول لهم ان الغلام الذى اتى للكهنية هو أخينا وابن أبينا فان كنتم طائعين أبى عفى الله عنكم وان كنتم على عصيانكم أخلى ابى يسلخكم فاسرعوا ودخلوا على شيحة جميعا واعتذروا له فقبل عذرهم وطاعوه فعفى عن ذنوبهم وعند الصباح ضربوا فى البلد بالسيف أخربوها وهدموا أصوارها ونهبوا أموالها وحلف المقدم زرقش الطيار لابد له من خراب بركة الحوت ونهب أموالها وقتل أهلها

ثم التفت الى واحد من الرجال وقال له هات الى سيف بن فضل فلما حضر قال له تسير قدام الرجال ام خلفهم فقال أسير قدام ونبعته بنو اسماعيل وطاعت شيحة وتركوه صعب عليه ومن غيظه صبر الليل وسرق شيحة وطلع فالتقاه ابراهيم وقال له ايش الذى معك فقال شيحة فقال ابراهيم بعدما اطعناه وآمنا سرقه هذا من باب الخيانة ثم انه تخاصم معه فافاق ابنه على الطويرد فيق ابوه وقال له والله يا سيف لو يسلم أبى فيك ما أقتلك الا على ظهر

حصانك فقال شيحة خليه وأنا كنفايه له والتفت الى سيف وقال له الزم نفسك فانا خصمك يلاعبه شيحة كبسوها فعارضهم سيف فاندك عليه شيحة فى صفة رومة بنت جوان قال له أنا هربت قال لها وأنا أحميك بنجه ليلا وراح وبنجه ليلا وراح به معا وضربه بمانين سوط حتى غشى عليه وتركه مرمى وعادوا هكذا حتى اخرجوا بلاد الجاموس جميعا وأخذوا مافيها من الاموال وكسروا العامود الذى فى البركة والشحص وأخذوا أموال لاتعد فرفه شيحة على الرجال فكان قسم ابراهيم اربعة أحمال جمال ذهب خلاف ما أخذه متاع وفرح وترك العداوة وقال ياحاج شيحة أنا مالى بركة إلا انت وبعده قبض على سيف بن فضل وقال له انت إما تسلم وتطيع شيحة وإلا يسلخك فقال له فشرت أنا ورأى بنو الادرع فقال له شيحة وأنا لا أسلخك إلا بعد مايتركوك ويهربوا وان ثبتوا سلختهم معك ولا أسلخك إلا على قلعتك وأعلق جلدك على بابها وأمر الرجال بالمسير إلى قلعة الصليبة وقال شيحة لسيف ارسل لرجالك فارسل تبع يعلم بنى الادرع وما وصل شيحة إلى قلعة الصليبة حتى التقى بنو الادرع احتاطوا بها فلما قدم المقدم جمال الدين حملت بنو الادرع فصاح زرقش الطيار فى رجاله الحبشة فحملوا على خيلهم وقال شيحة يا بنو اسماعيل أقفوا انتم مكانكم ولا تقاتلوا الادرعية على شانى فانا ينصرنى الذى خلقنى ونشانى فقال له ابراهيم والاسم الاعظم ماتتأخر عن القتال حتى تلعب الخيل برؤوسنا فى الجمال وكل من لم يقاتل فما يكون ابن حلال وركب حجرته وحمل وتبعه المقدم سعد وحمل ناصر الدين وعيسى الجاهرى وباقى بنو اسماعيل وغنى البتار وقل الانصارى ولحق الجبان الانبهار والنسدل حار وصار الدماغ طاير والدماء فاير والجواد بصاحبه فاير ففرقعت المرابر كانت وقعة بالها وقعة تجلى علينا الملك العزيز القادر تضايقوا بنو الادرع من بنى اسماعيل وأرادوا الهروب فحاط بهم المقدم زرقيش بابطال الحبشة وأوراهم الغلبة والدهشة فصاحوا على شيحة وقالوا له إيش مرادك منا فقال لهم إن أردتم النجاة كل منكم يسير إلى محله ويرتاح من قايلته واصبروا حتى أسلخ سيف بن فضل قدامكم على باب قلعته والذى يهرب ولم يحضر سلخته ولحقته أمه وأبوه فسلخه وعلق جلده على قلعته وكتب فرمان شيحة وعلقه على صدره هذا جزاء من يعارض سلطان القلاع وسافر شيحة وأولاده إلى مصر ومعهم زومة بنت جوان وأسفوط والبرتقش وزرقش الطيار وبنو اسماعيل وساروا حتى وصلوا إلى مصر وطلعوا إلى الديوان ضربوا الاطاعة لشيحة واعلموا السلطان بسلخ سيف بن فضل ففرح السلطان وطلعوا رومة السراية والبرتقش وأسفوط

ودوهم الحبس وعمل السلطان شنك فرح بالمقدم جمال الدين وأطاعه الرجال وباتوا تلك الليلة وعند الصباح طلعوا السجانين أخبروا ان أسفوط والبرتقش عدموا ليلا وقدم الاغا جوهر يخبر السلطان أن رومة سرقت من الحريم ولما تضاحا النهار قدم أغا الحريم بتاع شيحة أعلم الملك أنه انسرق الليلة فقال السلطان والله انها عجيبة ولا يقع إلا كل شاطر (قال الراوى) وكان السبب وذلك واحد رومى اسمه نقولا الصايغ من حارة الروم وكان عميل جوان فبلغه ماجرى على أسفوط والبرتقش فطلع وأخذ عيش وطلع فرقه على المحابيس وقعد بجانب السجان وهو يسامره حتى بنجه وفتح الحبس وطلع البرتقش وأسفوط وقال له تعال معى فقال البرتقش اطلع بناديوان السلطان فانهم مؤمنين من جاء بنا فطلعوا كان شيحة طاب رومة فى قاعة الجلوس وقال لها بقينا فى مصر وانت عند الظاهر اهتدى بالله واسلمى فتقدم أسفوط وفى يده اكرة وحطها فى حنك شيحة وقد ساعده البرتقش ورومة وكتفوه ونزلت رومة مع أخيها فرحانة بخلاصه وخلاص نفسها وأخذوا شيحة وطلعوا من الصور ونزلوا على الجبل وساروا تحت الليل فما صبحوا إلا بعيد عن مصر إلى الاسكندرية نزلوا فى مركب وصلوا إلى رومة المدائن الكبرى فطردهم رومان فراحوا رومة المدائن الصغرى طردهم دردريك راحوا إلى البب طاجرين فاستقبلهم وفرح بهم وحبس شيحة وكاتب ملوك الروم حتى يجتمعوا المبايعة على قتل شيحة وطلع رومة سرايته واجتمعت ملوك الروم حتى بقوا عند البب طاجرين الملوك جميعا وكل منهم يشتهى أن يقتل شيحة فى بلده فقال طاجرين كل منكم يدفع لى دواقيت وأنا أعمل له عربة وأقطعه كما تقطع جوان فقالوا الملوك كل واحد منا يدفع خزنة الف كيس (قال الراوى) وكانت رومنة تلك الليلة وهى نائمة أتاها هاتف يقول يا رومة اسلمى وبطلى اللجاج انت من السعداء فلا تقيمى طريق الشقاء فأفاقت والقى الله حلاوة الاسلام فى قلبها وكانت مقيمة فى مكان يطل على المكان الذى فيه الملوك وهى تنظر اليهم وسمعت ماقالوا على شيحة فقالت والله أمكنكم من قتله كيف هؤلاء الملاعين يتشاورون على قتل شيحة وهو سلطان الفلاح فعند ذلك نزلت لهم وبكت بين أيديهم وقالت لهم ياملوك الروم أنا رومة بنت عالم الملة جوان وقصدى أن تأخذوا بثأر ابى وتنظروا إلى ملك حنك ياخذنى فى مكانه ويحمينى من المسلمين فلما رأوها الملوك بهتوا فى جمالها وماتق أحد إلا وهو شاخص اليها وقالوا لها ياسيدتى احنا كلنا نخدمك ولا أحد منا إلا يحميك ويكرمك ويذكر أيام أبيك فاخفت كرمى بيدها وقعدت بينهم وشاغلتهم ولما رأوها بينهم

طاوا المدام وملوا الكاسات وأرادوا أن يسقوها فقالت أنا لا أشرب البيبار حزبة على أبى وأما أنتم اشربوا مشروب العافية وكان كلامهم لها بتيه ودلال حتى أشغلتهم بما حوت من الجمال ولما رأت الخمرة بينهم قالت لهم أنا ما بقيت أشرب البيبار ولكن لأجل خاطركم أملى لكم واسقيكم كل هذا والبرتقش واسفوط قاعدين والى فعلها ناظرين فشمرت عن ساعدها وملت وناولت الملوك وأخيها مع البرتقش وشاغلت الجميع راد غرت لهم البنج حتى رقدوا وأطلقت شيحة وقالت له هذه نتيجة عملتها معك حتى خلصتك فان كنت تذبحهم دونك وماتريد والبرتقش وأسفوط فعند ذلك نزل شيحة أحضر حصانين طيبين حط البرتقش وأسفوط على واحد مسقطين فى جدانين وأركب رومة على الثانى وسار بها تحت الليل وهى راكبة وأخيها والبرتقش مسقطين على الخيل وسلك من طريق لم يعرفها أحد وهو يكمن بالنهار ويسافر بالليل مدة أيام حتى أتى إلى مصر وطلع إلى قلعة الجبل ودخل على السلطان وهو جالس فى وسط الديوان فلما نظره الملك الظاهر قام اليه واعتنقه وسلم عليه بعد مامشى اليه سبع خطا مثل العادة وأخذ يده وأجلسه جانبه فى مرتبته وسأله أين كانت غيبته فاخبره بكل ماجرى عليه من ملوك الروم ثم أنه أحضر أسفوط والبرتقش وقال شيحة يابرتقش أنا أعرف أن غلمان جوان ما بقى منهم أحد إلا انت وانا اعلم أن لابد لك أن تسلم وسبب ذلك باق عليك فهل ترى هذه النوبة من الذى تسبب فى خلاصكم فاعلمنى بيقين وإلا والاسم الأعظم أمدك تحت الضرب ولا أبطل عنك أماتقرا وتموت فقال البرتقش انا أعلمك من غير أن تضربنى ولا تؤذينى لكن يابو محمد الأيام طويلة وان شهرت الذى خلصنا تخاف الناس ولا يبقى أحد يتعرض لنا فقال شيحة اذا قلت لى عليه لم اتلفه وانما أعرفه فقال له تقله الصايغ فسكت شيحة ونزل البرتقش واسفوط فى الحبس وطلع رومة فى السراية عند الملكة أم الاسياد واعلم السلطان باسلامها ويريد الزواج بها ففرح السلطان بذلك ولما كان ثانى الايام طلع المقدم جمال الدين الى الديوان وقال ياملك الاسلام أنا جيتك خاطب راغب فى رومة بنت جوان فانها أسلمت وهى فى السراية بين خدمك وغلمانك وانت ولى أمرها بعد اسلامها وقد جيتك يامولانا خاطب فلا تردنى خايب فقال السلطان للقاضى قم ياقاضى وخذ ابراهيم رسعد واسألها ان كانت ترضى ومن يكون وكيل عقدها فقام القاضى كريم الدين وطلع مع ابراهيم وسعد فرضيت بزواج شيحة والوكيل السلطان وعقد القاضى الكاح وعمل فرح إلى رومة يشار له باطراف البنان مدة سبعة أيام ولما كانت

ليلة الاصابة دخل شيحة عليها وأزال بكارتها وانسر قلبه وارتاح خاطره وكانت ليلة ابرك الليالى وبات وأصبح دخل الحمام رفع الجنابة عنه ولبس ملبوس المملكة وطلع الى الديوان تلقاه الملك الظاهر وأجلسه الى جانبه واخلع السلطان ذلك اليوم الخلع على أرباب المناصب والموالاه اكراما للمقدم جمال الدين واطلق من فى الحبوس وابطل المظالم والمكوس ونادى فى مصر المنادى بالامن والامان وحفظ الرعية وقلة الاذية

[قال الراوى] وبعد أيام جلس السلطان على تخت القلعة يتعاطى القصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبي جد الاشراف وشيحة قاعد بجانبه وأولاده مقيمين بالديوان وهم السابق وتويرد وعلى الطويرد ودرنش الطيار والكل حاضرين والديوان محتبك بالفداوية والامراء والوزراء أرباب الدولة جميعا واذا بفداوى طالع من باب الديوان الى قدام السلطان وقبل الارض وقال يامالك الدولة تعيش رأسك فى المقدم عاصى سلطان بنو الادرع وكان هذا الفداوى يقال له المقدم نجم الدين بن شاكر فقال له السلطان ومن قتل المقدم عاصى فقال يادولتلى قتله نصير النمر بن اسد الدين البويضى وملك حصنه ووضع يده على ماله وسلاحه وخيله وفرد شطفه عاصى على رأسه ونادى فى الجبال ولم جميع العصاة صحبته وركب بالنمور وأخرب سبع قلاع من قلاع بنو اسماعيل وأخذ النهب منهم ورجع الى الحصن الازرق عمره وسكن فيه ونزل جلود بنى الادرع من على القلاع وأمر بدفنهم فاهان علينا ذلك الفعال فركبت أنا واتيت لكم اعلمكم ليكون فى شريف علمكم وللسلام

[قال الراوى] وكان السبب فى عصيان المقدم نصير النمر أنه من حين مات الملك عرنوس قعد المقدم نصير النمر فى زارية بارة يخدم المقدم اسماعيل أبو السباع لانه عمى من بكاه على ابن اخيه الملك عرنوس وقد طلع مدينة الرخام وقعد فى زاوية بارة وأخذ نصير النمر عده فلما وصلت الاخبار ان شيحة أتى بجوان من للسبعة كنايس وساربه يقطعه فى مصر دخل على اسماعيل أبو السباع وقال له ياخوند مرادى أسافر الى قلعتى واطل على أولادى وقرايبى وأحبابى

قال له المقدم اسماعيل ياولدى سرولكن يامقدم نصير أوصيك لاتعصى على المقدم شيحة ولا تفعل فعلا يوجب العصيان فقال نصير عيب على يا خوند وأنا إيش لى بشيحة فقال له أوصنتك والسلام فقبل يده وركب بعد ان تخفى وسار الى مصر فلما وصل التقى جوان معلق على كلاليب العربة وشيحة يقطعه فسحب شاكريته وضربه شيحة الضربة التى بها راس جوان ولما فعل هذه الفعال انطبقت عليه الرجال فاحمى

نفسه منهم ولا زال يقاتل حتى قفل باب الخوخة بينه وبينهم وما صدق أنه ينفذ وعادت الرجال وجدوا شيحة طيب فهنوه بالسلامة وجرى ما جرى وعاد نصير من حيث أتى ودخل إلى زاوية بارة وقلاع الونبور وأقام عند المقدم اسماعيل يخدمه الى ان رجعت بنو اسماعيل من بركة الحوت وقلاع الجاموس وشيحة سلخ سيف بن فضل وساروا بعدها إلى مصر وتزوج شيحة برومة بقت جوان واقامت بنو إسماعيل فى مصر حتى يحضروا الفرح وأما بنو الادرع لما جرى لهم ما جرى وانسلخ سيف وعلق جلده شيحة على قلعته أرسلوا إلى نصير واعلموه بما تم من شيحة وقالوا له كيف ابن عمنا ودمنا ولحمنا ويتمكن شيحة من سلخه فلما سمع نصير الخبر ذلك ركب وسار اليهم واجتمع معهم وقال لهم يارجال هذا كله منكم ومن سلطانكم عاصى فانه لا فيه مخوة رجال فقالوا له هم معنا وخذ لنا بالثار ونجعلك سلطاننا ونتفق معك على قتل عاصى لكن بشرط تأخذ لنا بالثار من شيحة

فقال نصير يا رجال لموا بعضكم وتعالوا على قلعة الطيره وعكار ونسير كلنا إلى عاصى وندخل عليه ونعامله بما عولنا عليه فان قام معنا وشد بنا كنا معه وهو معنا وان أبى وقال أنا ما أعادى شوحة قتلته انا وقعدت مكانه وبعدها اتفرغ أنا الشيحة والظاهر وكل من معهم نقالوا له واحنا معك على كل ما تريد واوسلوا اتباعهم وجمعوا ما تبقى من بنى الادرع وساروا إلى قلعة الطيره وعكار ودخلوا على نصير كما اتفقوا وقالوا له هانحن جينا فاخذهم وسار بهم الى قلعة الصليبة ودخلوا على المقدم عاصى وطلبوا منه ان يكون معهم على اتفاقهم قال المقدم عاصى كيف أعمى على رجل بينى وبينه عهد الله وميثاقه أنه لا يخونى ولا أنا أخونه فقدم نصير النمر الله ومسكه من لحيته وقال له قتلت الادرعية واتكى عليه ذبحه وبعدها سلخه وكفنه ودفنه واخذ شطفة السلطنة ونشرها على راسه وجمع اللموم وركب واخذ الادرعية وهجم على الحصون واولاد اسماعيل غايبة فى مصر ونهب سبع قلاع من قلاع بنى اسماعيل ورجع ملك الحصن الازرق كان المقدم نجم الدين بن شاكر منقطع فى قلعته وهو ضعيف فلما بلغه ذلك ما هان عليه وكان لما شفى من ضعفه ركب حجرته وسار إلى مصر ودخل الديوان اعلم السلطان هذا كان السبب

[قال الراوى] فلما سمع الملك الكلام اشتد به الغضب وأمر نجم الدين بالجلوس ثم انه التفت إلى شيحة وقال له كيف الراى يا مقدم جمال الدين فكتب شيحة كتاب وقال يا رجال من فيكم يأخذ هذا الكتاب ويدخل به على نصير النمر ويجيب منه رد الجواب فسكتوا الرجال لا أحد قدر يتكلم فعندها تحرك ابراهيم بن حسن

وقال أنا أكون بداء أولاد اسماعيل فقال شيحة تستاهل يا أبو خليل ان تكون نايب عني في كل أمر مهم ثم خلع عليه قفطان النيابة على السلطنة وقفطان النجابة وفرد له شطفه الملك على رأسه ونادى له في الديوان ان يكون كيخة الحصون فنزل ابراهيم من الديوان وجمع رجاله وكواخيه وأخذ كواخي شيحة وكبيرهم المقدم اسيل بن الاصم واحد معه فارس وسالم وسلام وغانم وغنام والخطاب وهؤلاء السبعة الذين كانوا كواخي عند رفيق اليشهبي ولما أطاعوا شيحة جعلهم كواخيه في الديوان فلما ركب ابراهيم أخذهم معه وساروا جملة واحدة وقد ساروا طالبين الحصن الازرق

[يا سادة]وكان في الديوان رجل تبع من بني الادرع وهو متخفي ولا احد يلتفت اليه ولما جرى ما جرى فما هان عليه فنزل ركب خجرته وسبق الى الحصن الازرق ودخل على نصير النمر وكان اسمه المقدم حامد واعلم نصير النمر وبنو الادرع بقدوم ابراهيم الحوراني وكواخيه قالوا بنو الادرع تركب ونسير ونقابلهم على أبعد مكان وتذهبهم وهم تعبانين من كثرة السفر فقال المقدم نصير هيا يا رجال فركب بنو الادرع وطلبوا البر وساروا حتى التقوا مع المقدم ابراهيم ومن معه وكان ملتقى على عمل يقال له حبس الفضلي قريب من ارض الشام ووقعت العين على العين فلم يصبروا بنو الادرع الا حملوا على بني اسماعيل في الحال ووقع على الطائفتين وغنى الحسام الفصال وتبطحت القتلى على الرمال وعطل الدم وسال وحمحم الشجاع ومال وثقل على بني اسماعيل العدد وزاد المعدود وارجعهم بنو الادرع الى ورى ونظر المقدم ابراهيم الى تعب الرجال فسال عن الخبر فقالوا له كسرونا بنو الادرع فدكس ابراهيم على بني الادرع بحجرته وصرخ فيهم بعظم دعقته وقرى قلوب الرجال بحملته وما دام يضرب في بني الادرع بذو الحيات حتى أشرفوا على الحرب والشتات وصار يضرب فيهم ضرب مطلق بقد الخرد والدرق حتى ردهم الى الحصن الازرق ولما عادوا الادرعية دخلوا الحصن على نصير النمر فقال لهم ايش الخبر فاخبروه بما فعل ابراهيم بن حسن فقال نصير خلوا ابن الحوراني من قسمي وأنا الضامن لكم قتله اقعدوا يا رجال فقعدوا وإذا بالسبعة كواخي داخلين ومعهم كتاب شيحة والسبب في ذلك ان ابراهيم جاء تحت الحصن ونصب خيامه وقال ان الحاج شيحة قليل العقل كيف يكتب كتابا إلى هذا الفاجر ويريد منه رد الجواب هذا ماله الا الطعان عند الحملة والضرب فقالوا الكواخي السبعة يا مقدم ابراهيم قبل كل شيء ارسل كتاب شيحة اليه قبل الخصام فان عمل

بما فيه فما يبقى عليه عتب ولا ملام فقال إبراهيم اقوم ادخل في قلعته واعطيه كتاب سلطان القلاع وهو رجل مجنون يقطع كتاب شيحة فمن ذلك يقع بيني وبينه الصلح وعلى أي حالة بقي الا القتال فقالوا سلمنا كتاب شيحة ونحن نسلمه اليه ولا نلوم رد الجواب إلا منا اما بالاطاعة والصلح وأما بالحرب فاذا طلب الحرب وحاربناه يبقى هو البادي والسلام فقال إبراهيم إذا أخذتم الكتاب تدخلون به على نصير النمر انتم ولا اللوم رد الجواب الا منكم قالوا نعم فاعطاهم الجواب فاخذوه السبعة ودخلوا من باب القلعة ولما وصلوا إلى نصير النمر قالوا تفضل يا سلطان بنو الادرع وخذ كتاب شيحة فاخذه منهم وفرده قراه وإذا فيه من حضرة المقدم جمال الدين شيحة إلى المقدم نصير النمر اعلم انه بلغني خبرانك عاصي وقتلت المقدم عاصي سلطان بنو الادرع وتوليت أنت على قلعته وطاعوك بنو الادرع وانتم اولادهم واقارب فانا مالي أن أتعرض لكم في فعلكم ولكن انزلت جلود المسلوخين من الادرعية ودفنتهم فهذه أيضا لا تؤاخذك بها لان دفن الرمة احسن من ابقايها وانما أنا كتبت لك هذا الكتاب اسألك إن كنت باقي على صلحي وعدم الافساد وترك الذي أخذته من قلاع بني اسماعيل ويكون الصلح بيني وبينك وأنت سلطان عوض عن المقدم عاصي وإن خالفت الصلح تعلم على ماذا تقدم وأنا والاسم الاعظم إن وقعت في يدي لم أقبل فيك قط شفاعة الا اهلكك ولا ابقي عليك وقد اعلمتك والسلام فلما قرأ المقدم نصير الكتاب دخل الشيطان في معاطفه فقطع الكتاب وصاح على الكواخي الذي انوالله يا لكتاب وقال لهم ياقررق انتم ما كنتم رجال المقدم رفيق اليشهبي ولما سلخه شيحة خدمتم عنده وتركتم بنو الادرع وصرتم اسماعيلية وقام على حيله والغضب على وجهه فقبض عليهم وشنقهم على صور الحصن الازرق وقطع الكتاب وارماه وصاح على بنو الادرع وقال الخيل يا ارباب الخيل فركبت الرجال وركب المقدم نصير النمر في أوائلهم وطلعوا من القلعة واصطفوا صفوف وتحضروا لشرب كاسات الحتوف وكان ابراهيم منتظر عودة الكواخي فما بعشر الا الخيل خرجت ونظر الكوخي على الاصوار فركب وركبت الرجال الذي معه والتقت الرجال وتصادمت الابطال ساعة من النهار وإذا بغبار انعقد وغمام ارتفع وبعد ساعة الغبار انكشف وبان عن ملك الاسلام وباقي الفداوية والامراء ونظر السلطان فامر الفداوية أن يدوروا بالادرعية وكذلك الامارة المسمية ومالوا على بني الادرع كل الميل وانزلوا بهم الذل والويل وكالوهم كيل وأي كيل وانزلوا عليهم العذاب واسقوهم من الموت أمر

شراب فانهزموا وعادوا على الاعقاب وطلبوا الهرب والذهاب ودخلوا إلى الحصن الازرق وأغلقوا الابواب واقاموا الحصار وركبوا المدافع على الاسوار فنزل السلطان وأمر بنصب الخيام وعاد المقدم ابراهيم وهو فى غيظ عظيم فلما بقى قدام السلطان حكى له على ما فعل نصير النمر وأنه شنق المقدم اصيل ومن امعه من كراخى سلطان القلاع فصعب على السلطان ذلك الحال وبات السلطان تلك الليلة وعند الصباح افتتحت القلعة وطلع المقدم نصير النمر بالرجال طالب الحرب والقتال فأمر السلطان ايدمر البهلوان أن يفتح باب الميدان فركب ايدمر وبرز للقتال فنزل له كيخية ادرعى قتله فلما نظره نصير النمر قال له هذا مايشفى غليل وركب حجرته وبرز إلى ايدمر اخذه اسيرا وصرخ على الميدان فخرج اليه من بنى اسماعيل حسن النصر بن عجبر اسره بعده صوان بن الافعى وجبل بن رأس الشيخ مشهد حاصله اخذ خمس مقادم واثنى عشر امير وعاد من الميدان وثانى يوم كذلك اربعة ايام فقال السلطان حضر ياعثمان الحصان قال الوزير اصبر يا ملك الرجال عندنا يزل المقدم ابراهيم قال السلطان هيا يا مقدم ابراهيم قال ابراهيم حاضر وأراد الخروج واذا بالمقدم هدير الوعود اقبل وصحبه الملك دوربن الملك عرنوس واخواته وهم كالهم العقبان على خيول كانها الغزلان فنزلوا وسلموا على السلطان فقام اليهم الملك وتذكر الملك عرنوس وقدومه فى مثل الاوقاف

فقال هدير الرعود يا ملك الاسلام اسمح لى انزل الى ذلك النضال الذى غره الجهل بعد مابقى رجل كبير ولا اخشى من اللطيف الخبير فقال السلطان دونك وماتريد فعند ذلك نزل المقدم هدير الرعود للميدان ولما رآه نصير النمر قال له ايش جابك ياهدير الرعود من مدينة الرخام الى هذا المكان ونزلت الى الميدان فقال له ياقليل الادب فى حق السلطان انا قلبى عليك والصواب انك تنزل عن حجرتك وتسير معى الى اولاد الملك عرنوس تقع عليهم ويصالحوك مع السلطان قبل ما يتسع عليك الغضب فان شيحة حلف ان وقعت فى يده فما يبقى عليك فقال المقدم نصير ان كنت جيت تحارب دونك والقتال وان كنت من خوفك عمال تقول هذا المقال فانه منك كله محال فقال هدير الرعود جيتك فانطبق الاثنين كانهم جبلين وافترقوا كانهم بحرين وحان على رؤوسهم الحين وزعق عليهم غراب البين وكانوا بطلين شجاعين يجرى لهم فى ذلك اليوم ماجرى كل عين وداموا فى الحرب والقتال حتى مالت الشمس الى الزوال فسبق من الاثنين ضربتين قاتلتين فاما ضربة نصير النمر وقعت على صدر الملك هدير فقطعت الزرد والخرد ووصلت الجسد ولا أثرت وأما ضربة هدير فكانت مشبعة

تمام من يد بطل همام فوقعت على كتف نصير النمر وهى ضربة ماحقة والسيف من صاعقة فنزل كتف نصير النمر وجرحه جرح سنيع اشرف منه على الرحيل للمقابر والتوديع وأمر الملك هدير الرعود أن يثنى بالضرب عليه فانهزم من بين يديه وحس ان الدنيا انطبقت عليه فدخل القلعة وحاله لم يسر حبيب وقال لرجاله هاتوا لى طبيب فقالوا له ما نعلم طبيب إلا الشيخ صابر الحلاق

فقال اطلبوه حتى يقطب لى هذا الجرح والا يعجز ذراعى فأتوه إلى بين يديه وهو رجل اختيار ونصير عرفه من قديم الزمان فقال له يا شيخ صابر الحقنى

فقال له لاتخف فما يحصل لك إلا الخير والسلامة وتقدم اليه وقطب جرحه ودهن له بدهن الاستقطاب فبردت جرحاته وراق من سكراته التفت إلى الطبيب

وقال له ياشيخ صابر هالك اولاد تعلمهم هذه الصنعة فقال له ياخوندلى اربعة تعلموا صنعتى وهاهم فى خدمتى فنظر اليهم نصير وقال لهم اقعدوا عندى فقعدوا بين يديه فقبض على الطبيب والحاضرين قبضوا على أولاده وقال للطبيب بالاسم الاعظم ماانت شيحة وهؤلاء اولادك فقال شيحة نعم ولكن اعمى يانصير فان خلنى ملك الاسلام

فقال والاسم الاعظم الذى ما يحلفوا به ادرعية ماأقتلك إلا والظاهر معك وكل من كان من اكابر دولته وحشمهم جميعا وأقام حتى فرغ النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم التفت إلى مقادمه وقال لهم انزلوا هيجوا فى عرضى الملك الظاهر فاذا التفتوا إلى نحوكم الحراس اسرقوا الظاهر فقالوا له سمعا وطاعة ونزلوا رودوا نحو خيمة السلطان فصاح إبراهيم وسعد عليهم فكان نصير من خلف الصيوان ارمى تعفينة بنج ودخل على السلطان حمله وعاد للقلعة وعاد إبراهيم لم يجد الملك فشاش العرضى بالليل وطلع ابراهيم من ناحية وسعد من ناحية حتى خلصوا قلعة نصير فلم يجدوا فعادوا على اعقابهم ودخلوا صيوان الملك فأخذهم البنج لأن نصير كان ارسل السلطان واختفى فى الصيوان حتى عاد إبراهيم وسعد وقبضهم وطلع بهم والناس مشتغلة بضيعان السلطان وبات العرضى بضيع وعاد آخر الليل سرق الملك هدير لرعود وعند الصباح طلع على سور القلعة وعمر المدافع ونادى بأتباع الظاهر اعلموا ان جميع ملوككم وشيحة وأولاده عندى وأنا هذا الوقت اشنق الجميع فان كان احد فيه نخوة وحمية يطلب خلاصهم من يدى فانتحت الاسلام وزعقوا على الحصن الازرق فأمر الطوبجية ضربوهم بالمدافع فامتنعت الاسلام وطلع نصير فوق سور الحصن وطلع الاسلام وأراد شنقهم وجميع عساكر الاسلام تنظر ولا احد له قدرة ان يتقدم إلى الحصن عما عليه من ضرب المدافع والنار وبعده قال

نصير شيحة سلخ من بنى الادرع كل مقدام يسوى كل البيلربجية وأنا الرأى عندى
اسلخه حتى أكون أخذت بثار بنو الادرع وتقدم لشيحة ومسكه وأراد أن يسلخه
واذا بلطش نزل بين أكتافه أرماه والضارب المقدم زرقش الطيار وفك سادات
الاسلام وكان السبب فى ذلك ان الملكة جميلة ام المقدم زرقش الطيار لما فارقها ابنها
وأتى إلى مصر وطال غيابه عنها ولا لها غيره وفى السحر والكهانة بمكان رفيع فضربت
تخت رمل تنظر ولدها اجتمع على أبيه ام لا فرأت شيحة والاسلام فى هذه الحالة فأخذت
دبوس من الخشب وأعطته الى عون من الجان وقالت له خذ هذا أعطيه لولدى وقل له
يضرب باب القلعة ويدخل يضرب ذلك العدو بهذا الدبوس وكل من تعرض له يضربه
وان كان بعيدا عنه يشاور عليه فيقع من غير ضرب ويقبض الاعداء ويخلص أبوه واخوته
من الردى فاتاه العون وأعطى بما قالت له والدته فاخذ الدبوس فى يده وسار الى باب
القلعة ضربه بالدبوس فانفتح ودخل وتبعوه عساكره الحبشة وصاح الله أكبر ولطش
نصير النمر أرماه وكتف جميع رفقاه وكل من هوب عليه بذلك الدبوس أرماه وسار
اعلى مافيه رجلاه وقبض زرقش كل من فى قلعة الازرق وكتفوهم جميعا والتفت شيحة الى
المقدم نصير النمر وقال له انا اذا عاتبتك فاينفع معك العتاب وأيضا الناس لا يعتبوا الا
على العاقل وأنت رجل مالك عقل قليل الادب جاهل وأنا إيش رايح أأدبك اكثر
ما بيت على أكتافك صور مدينة الافلاق ودبرها واخيرا افركك للملك عرنوس هذه
المدة ولا أعاقبك على أفعالك وكل الذى جرى لا أسألك عنه وفى هذه النوبة ان طعنتنى
وثبت من جميع الذنوب ودخلت تحت طاعتى حتى أكتب اسمى على سلاحك واسامحك
فيما فعلت فقال نصير يا ابن تسع مائة مطيلة ما أنت عندى الا كلب وابن كلب كيف
أطبع مثلك بدوى تابع مملوك حرمة اما هذا الظاهر الذى كان خدام
حبظلم بطافة واشترته بنت الاقواسى وعلق بحود المسارع وأنت ياخدام جوان
يا قليل الاصل

[قال الراوى] وخبص نصير النمر بكلام مثل هذا وزيد لانه علم انه لا يبقى خلاص من يد
شيحة وان اطلقه شيحة ما يطلقوه اهل المقدم عاصى لكونه قتله وهو سلطان بنى الادرع
ورأى المقدم طايع ابن المقدم عاصى وهو واقف ينتظر ما يفعل سلطان الحصون فى حق قاتل
ابيه فلخبط نصير النمر وغلط الكلام فى حق شيحة ما علينا يا مقدم نصير وانا أيضا اغتنيت
عنك وعن اطاعتك ولا بد ما اريح باو اسماعيل نصير جزير حديد بعقله ومكنوا من جوزة
رقبته وقرصها عليه فخنقته وكان شيحة أراد سلخه لكن تذكر يمين السلطان لما حلف

على شيحة انه لا يسلخه واما سبب استعجاله فانه نظر الى الملك دورين ابن الملك
عرنوس وتبعه باقى اخوته وايضا أولاد الملك قطلوابغ لما يعلموا ان هذا الفدلوى
خادم ابوهم وجدهم فارادوا أن يتشمعوا فيه ويخلصوه منه ولكن شيحة حلف لا يبقى
عليه ولكن المنية تدانت وهذا آخر ماله فى الدنيا وأقبلت أولاد الملك عرنوس على
حد المحوار وهم طاردين الخيل وقالوا شفاعة ياعم فقال المقدم لو حضرتم قبل موته
كنت اطلقته لكم ولكن يا ملوك الروم لا تؤاخذونى فانا فى ذلك معزور وثانيا انه حصل
منه أيضا فى حق مولانا السلطان وثالثا قاتل المقدم عاصى سلطان بنو الادرع كل هذا
يجرى وأولاد شيحة شفاعين فى مقادم بنو الادرع حتى سلخوا الاربعة عشر مقدام
فصاحوا باقى المقادم وقالوا ياحاج شيحة املا قلبك ايد الله سيادتك الملكية وهى طاعة
الخوندلك حتى تقوم الجبال والرمال فوق ماء البحار فقال شيحة أريد منكم ضامن
يضمنكم واجمعه سلطانا عليكم فانكم قليلون الاصل وانا بعد ما قتلتم المقدم عاصى ما بقيت
أخلى ولا مقدم من بنو الادرع يعيش فى الدنيا فقال ابن المقدم عاصى كان اسمه المقدم طايع
ياسلطان الحصون واريد منك ان تسامح بو الادرع والذى قتل أبى هما أنت قتلته واخذت
لى بالثار وبنو الادرع أولاد عمنا على كل حال وقد أطاعوك فاكتب اسمك على
شواكرهم واعتقهم حتى يقيموا فى قلاعهم وأنا الضامن لهم

فقال شيحة اذا كنت أنت طلبت ذلك ما أمنعك ولا أرد كلامك بشرط ان تكون
أنت السلطان عليهم عوض أبوك والذى يخالفك فى كلام انا انتقم منه غاية الانتقام
اسالهم هل يرضوا بذلك أم لا فقالت بنو الادرع ياسلطان الحصون كل من وليته علينا
فلا نخالفه ونكون جميعا تحت طاعته وكتفه فقال شيحة قوم يامقدام طايع اطلقهم
واخلع عليه السلطان والبسه قفطان الرضى بان يكون مكان أبيه وانفردت على رأسه
شطفة ابره وارتحلوا بنو الادرع الى قلاعهم وأقام المقدم طايع فى قلعة الصليبة مكان
أبيه له كلام وأما الظاهر طلب العودة الى مصر وأولاد الملك عرنوس أخذوا اذن
بالمسير الى مدينة الرخام والملك هدير الرعود معهم وشال السلطان بالعساكر طالبه
مصر حتى وصل برجاله وانعقد له الموكب وجلس على تخت مصر يتعاطى الاحكام كما
أمر الملك العلام

[قال الراوى] وكان فداوى فى سابق الأمر يقال له المقدم جمر بن
الاسد وهو صاحب حصن صهيون وكانت سلطنة القلاع والحصون سابقا
فى قلعة زاوية بارة والمقدم جمر بن الاسد قل ماله وقالوا له رجاله يا خوند

سر بنا إلى بلاد النصارى نكتسب فيها أموال فقال صدقتم وقام دخل جمر إلى معروف وقال له عنده قلعتى سلمتها اليك وأنا قصدى الدخول فى اللجج فان كان لى عمر أتيت وأخذت قلعتى وإن كنت أموت فالأمر بيد الله تعالى وسافر فى اللجج

وأما المقدم جمر أبى معروف فانه التقى حصن صهيون هذا مليح وفى وسط القلاع فجعله تختا للسلطنة وتوفى وتولى بعد معروف وجرى ماجرى

وأما المقدم جمر بن أسد فانه لما دخل إلى بلاد النصارى فدخل فى قلب دير فالتقى بنات مترهبين ومن جملتهم بنت بارعة فى الجمال فسألها عن اسمها وعن أهلها فقالت أنا اسمى كرمة بنت البب توما صاحب قلعة سردانية فلاعبها وسايرها حتى طاوعته على مراده وأسلمت وعافها وزال بكارتها وقام فى ذلك الدير إلى ليلة قام على أهل الدير بنجيم وذبحهم ولا بقى فى الدير إلا المقدم جمر والبنت فقط فاتفق فى بعض الأيام أن أبوها أتى لزيارتها فلم يجد عندها أحد ورآها حامل فسألها وقال يابنتى بطنك كبيرة ولا عندك أحد فقالت له وهو أن واحد سراق أتاها فى الدير وقد ابتكرها وهو الآن غائب فى الصيد والقنص فاستخبأ فى الدير حتى اتى الفداوى وتحايل عليه وقبضه وأخذه إلى قلعته وحبسه فى سرايته فسارت البنت تراعيه وهو محبوس فاقام خمسة سنين وبعدها فكته البنت من الحبس وطلع قتل البب توما وأقام مكانه وطاوعه جماعة من عسكره وأوراهم أنه نصرانى فاقام يتعبد فى الليل وهو مع زوجته وفى النهار يحكم بين دولته على تخت قلعته فاقام خمسة وأربعين عام إلى ليلة من الليالى قالت له زوجته هذه بنتك كبرت واسمها نجمة المسيح لا يهون علينا ان نزوجها للنصارى ولا أحد يعلم بها من المسلمين سر بنا إلى بلاد الاسلام أحسن مقام لنا فقام وجمع أمواله وهو شىء كثير وأخذ زوجته معه وسار إلى حصن صهيون فدخل على المقدم عماد الدين وسلم عليه وقال له يامقدم عماد الدين اعلم ان هذا حصن صهيون ملكى وأنا صاحبه ولى مدة أعوام غائب فى بلاد النصارى وأما اصل قلعة اجدادى زاوية بارة فقال المقدم عماد هذا كلام لا اسمعه ولا يدخل عقلى ولا أتبعه هذه قلعة خالى معروف أخذها عن أبيه المقدم جمر وتوفى خالى واستحقوها اخوتى النساء لأن حق القلعة للملك عرنوس وساعتى فيها وقد أخذ مدينة الرخام ومضت سنين وشهور وأعوام فقوم على حيلك فما لك عندى شىء أبدا ولولا ما أكلت زادى ما كنت أعاملك إلا بالحرب والصدام فقال المقدم جمر الحق معك وطلع زوجته وبنته وأدخلهم فى ضيعة بجانب صهيون وركب حجرته

وراح الى مصر ودخل على الملك الظاهر وقبل الارض بين يديه وأحكى له على الذى جرى بينه وبين عماد وان حصن صهيون حصنى وهذه المدة التى غبتها كنت فى اللجج قال السلطان حتى إذا كنت صادق ما يجوز انى الملك بعد خمسين سنة ياتى له منازع والا تترك دعواه ولا هى تركة كنا نقول الى التركة تقعد أربعين عاما وهذه الغيبة زيادة عن أربعين عام ولكن الحكومة ما تقتضى أن تفوتك حقك ولا تحكم على عماد الدين ان يطلع منه بل يقتضى الصلح بينكم على أى حالة وتقسم القلعة بينكم ان كان قولك صحيح والتفت إلى ابراهيم وقال له سر معه إلى حصن صهيون وصالحه مع عماد الدين ويقوم معه فى السكنة سوى وعدم التعدى وقلة الجور على ملكه

فقال سمعا وطاعة وركب المقدم ابراهيم وسار مع المقدم جمر الى حصن صهيون وقال للمقدم عماد الدين ان السلطان يامرك بالصلح بينك وبينه فقال عماد الدين لم له عندنا حق فى هذا المكان ولا بينى وبينه إلا الميدان فقال ابراهيم ما يكون الا الحق والحمد لله خالنا المقدم اسماعيل أبو السباع حتى فى زاوية بارة نروح اليه ونسأله ان كان المقدم جمر له حق فى الحصن فلا يجوز أن تمنعه من حقه وقام إبراهيم وأخذ المقدم جمر معه وسار الى زاوية بارة ودخلوا على المقدم اسماعيل أبى السباع وأعلمه ابراهيم بالقضية فقال المقدم اسماعيل ياولدى الحق أحق أن يتبع وحصن صهيون فهو ملك المقدم جمر هذا وكان أعطاه لأبى المقدم جمر وديعة وسار الى اللجج وأبى جعله تحت مملكته . من حيث انه أتى صاحبه فهو أحق به فقام ابراهيم ابن حسن وركب حجرته وراح الى المعرة وامر المقدم سليمان أن يجمع الرجال فلما حضروا قال لهم يا إبراهيم انا مرادى أن تسيروا معى للمقدم اسماعيل أبو السباع حتى تسمعوا ما يقول فراحوا معه وسأله قدامهم قال له المقدم اسماعيل يا مقدم ابراهيم أنا ما قلت لك بالصحيح واشهدوا يابنو اسماعيل على قولى ان حصن صهيون فهو ملك المقدم جمر بن أسد وأبى كان أخذوه مستودع فقط فشهدوا الرجال على ذلك وعاد بهم ابراهيم للمقدم عماد الدين وقال يا رجال احكوا للمقدم عماد الدين بما سمعتوه من المقدم اسماعيل وكان المقدم اسماعيل معهم فقال له يا عماد الدين هذا حقه اصطلح مع ابن عمك ولا تخالف أمر السلطان فقال عماد الدين سمعا وطاعة عند ذلك قاموا الرجال ودخلوا الحصن وقسموه نصفين وقال للمقدم جمر خذ النصف ارضى بذلك وأدخل حريمه وعياله وأمواله واصطلحوا على ذلك

وعند دخول عيال المقدم جمر نظر ابراهيم الى بنته وكان اسمها نجمة فلما رآها تولع بحبها فساق على ابيها فى الحال المقدم سليمان الجاموس والمقدم عجبور لكون انهم

من أكبر المقادم وخطبها من أبيها على أيديهم فقال المقدم جمر يا أبو خليل بنتى جارية لك تخدم أقل ما فى بيت ولا أجد لها أحسن منك فقال إبراهيم ومهرها منى عشرة آلاف قبرص فرضى المقدم جمر بذلك وانعقد العقد وقال المقدم إبراهيم حتى أروح مصر واستأذن السلطان وركب إبراهيم وسافر إلى مصر ودخل إلى السلطان وأحكى له ماوقع من الصلح بينهما وقال يا دولتلى وأنا خطبت بنت المقدم جمر وقصدى زواجها وأنيت أقبل الارض من مولانا السلطان فقال السلطان مبارك

[قال الراوى] وأنعم السلطان على إبراهيم وأذن له أن يعود إلى صهيون ويعمل فرحه ويدخل على زوجته فعاد المقدم إبراهيم قاصد حصن صهيون [ياسادة] وكان المقدم عماد الدين بعد ما اصطلح مع المقدم جمر وركبت الرجال وعادت إلى قلاعها تشاجر عماد الدين مع جمر وقال له والاسم الاعظم ان ما خرجت من القلعة أكبس عليك ليلا وأقتلك قال المقدم جمر يامقدم ما يحتاج الى ذلك الحال انا أترك هذا الحصن خير من الفتنة وآخذ حريمه وأمواله وطلع من القلعة فالتقاه إبراهيم وهو عايد من عند الملك فسأله عن حاله فأخبره فطلب إبراهيم القلعة وجمع الحوارنة ودخل على حصن وكبس على ابن خالته عماد وقال هذا حصن صهيون ماهو لك ولا لخلفه أبوك ففزع فيه عماد الدين ووقع القتال نقل إبراهيم بن حسن وضايق عماد الدين علقم وأخرجه من القلعة قهرة واقتدارا وطلع عماد وعمل ابراهيم فرح ودخل على زوجته زال بكارتها وصبح ركب طالب قلعة حوران ليعلم أبيه وياخذ خاطر نافلة ويطيب خاطرها لكون أنه تزوج غيرها فكان المقدم عماد الدين أتى ليلا ومعه رجاله ومراده أن يكبس القلعة على المقدم جمر ويقتله أو يطلع من القلعة فكان المقدم جمر أخذ الحذر منه ولما عرف قصده وقف هو ورجاله ليلا مختفى حتى نزل عماد الدين من على المفرد قبضه وشاغل رجاله حتى نزلوا وكانوا عشر كواخى فقبض الجميع ووضعهم فى الحبس وتركهم وعند الصباح سمع الصياح فى الحريم سأل عن الخبر فقالوا له بنتك نجمة عدمت فى هذه الليلة فقال هذه أعمال المقدم عماد الدين ودخل له وقال له أنت سلطت على بنتى فقال عماد الدين والاسم الاعظم ما سرقت بنتك ولا سلطت عليها ولا اعلم من سرقها فصدقه وتركه [قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن جمر له ابن أخ يقال له المقدم حسن فكان فى الليل واتفق أنه ظهر فى هذه الايام ويعلم ان عمه له بنت وكان قصده يخطبها فبلغه انه تزوجها ابراهيم بن حسن وقالوا له الرجال ما بقى لك اليها وصول فنزل تلك الليلة سرقها لانه عارف مخارز القلعة ولما أخذها فسار

بها إلى قلعة الغضبان وكان بها فدارى نصرانى اسمه المقدم سليم فقال له مرادى أن أخلى هذه البنت عندك حتى انى اهتدى مع ابيها ويطلقها زوجها وأتزوج أنا بها قال له سمعا وطاعة وطلع البنت الحريم ولما كان عند المساء قدم له الطعام وادغر له فيه البنج فلما عرفه انه تبنج ذبحه ودفنه فى قلعته واحضر البنت وقال لها ايش اسمك فقالت له اسمى نجمه وزوجى ابراهيم بن حسن فقال لها اما تدخلى فى دين النصارى قالت له لا يكون هذا أبدا فعند هذا حبسها وارسل تبع من أتباعه وقال دور على ابن جوان أسفوط والبرتقش حتى يكلل لى أكليل هذه البنت فسار التبع يدور على أسفوط [قال الراوى] واعجب ما وقع للمقدم جمر لما بات وأصبح لم يجد بنته فارسل تبع المقدم ابراهيم يعلمه فى حوران فدخل التبع على ابراهيم وأحكى له فلما سمع ابراهيم بعدم زوجته ركب عن وقته وساعته وعلى ظهر حجرته طلع وطلب البر يدور على زوجته مصادفه تبع فى طريقه وهو ساير على عجل فدفع المريكنية وصاح عليه فوقف فقال ابراهيم من اين انيت وإلى أين ساير فقال فى طريقى فهز ذو الحيات وقال له وحق دين الاسلام ان لم تصدقنى فى الكلام جعلتك قسمين بهذا الحسام فقال له أنا أرسلنى المقدم سليم أدور على أسفوط بن جوان يكلل له أكليل بنت مسلمة وأعلمه بالقضية فعلم أن زوجته فى حصن الغضبان فقتل التبع وسار طالب حصن الغضبان ولما هجم الحر دخل مغار يستريح حتى برد الهوى فادركه النوم فنام فى المغار واتفق أن المقدم سليم بن مريم طلع ليتبع تبعه حتى يجيب أسفوط معه فدخل ذلك المغار فوجد المقدم ابراهيم نايم فبنجه ولفه فى حرمدانه وسفطه على حجرته وعاد به الى قلاع الغضبان حبسه عند البنت ورجع لبس ملابس تبع من أتباع المسلمين ودخل على المقدم جمر بن أسد فى قلعة صهيون وباس يده وقال له ياخوند أنا كنت فى قلاع الغضبان فرأيت بنتك المقدمة نجمة محبوسة ورأيت المقدم ابراهيم راح يسعى فى خلاصها فقبضه المقدم سليم وحبسه أيضا وأنا لما رأيت ذلك قلت هان على وأتيت اليك أعلمك فقال له مرحبا بك وشكر الله فضلك وقبض على خناقه ونادى على جميع الكواخى وقال لهم هل فيكم من يعرف هذا التبع فقالوا له من بعض الرجال هذا ما هو تبع هذا مقدم اسمه سليم صاحب قلاع الغضبان فلما سمع ذلك الكلام قال له ومن حيث انت المقدم سليم انيت ياقرن تعمل مكيدة على قلعتى بعد ما قبضت على بنتى وزوجها وأتيت إلى عندى

وتريد أن تفعل بى كما فعلت بهم وتقبضنى كما قبضتهم ثم انه شبحه على عامود وربطه عليه ومال عليه حتى اشرف على الموت فقال له بنتك وزوج بنتك عندى فقال له وبقى ايش الذى اوصلها اليك فاعلمه بالذى جاء بها وهو المقدم حسن بن أخيه وقتلته قال وابن أخى قتلته قال نعم فضربه بالشاكرية قسمه قسمين وصاح على رجاله وقال الخيل فركبت بنوا إسماعيل وسار بهم إلى حصن الغضبان كبسوه ليلا وضع السيف فيه هو ورجاله حتى اهلكوا كل من كان فى الحصن وخلصوا ابراهيم والبقت ونهبوا جميع مافى الحصن من مال وذخاير وخيل وسلاح ثم عادوا طالبين حصن صهيون فوجدوا أبوابه مقفولة وعليه الحصار فتعجبوا من ذلك وكل منهم حار (ياسادة) والسبب فى ذلك انه كان فى الحصون فداوى يسمى المقدم خالد الحاجرى وكان أصله من بلاد الحاجر وما هو من بنى اسماعيل وسكنه فارس شجاع وقرن مناع فاتفق انه نظر إلى بنو اسماعيل فأعجبه زيهم فاراد أن يكون من جملتهم ليكون مجاهدا وترتفع قدره حتى يبقى مقدم ويعلم ان المقدم عمادالدين علقم له كلمة تسمع وحرمة يرفع فاخذه هدية ودخل عليه وقال يامقدم عماد أريد منك أن تأخذ لى الاذن من بنو اسماعيل حتى يدخلونى فى زمرتهم واكون من حزبهم وجماعتهم فقبل هديته المقدم عماد الدين وعمل عزومة للرجال واضافهم وسألهم ان يقبلوا المقدم خالد لأجل خاطر المقدم عماد الدين علقم وان يكون سياف على سلطان الحصون فاجابوه إلى ما طلب وكتب شيحة اسمه على سلاحه وكتبه فى دفتره وبقى من بنى اسماعيل وجرت المودة بينه وبينهم وكان هذا من مدة سنين وأعوام وتحازبوا مع المقدم عماد الدين علقم واقام على ذلك الحال أيام وليالى تمام فلما كان فى ذلك الايام بلغه من بعض رجاله ان المقدم عماد الدين علقم مقبوض فى حصن صهيون فسأل عن الخبر واركد القصة فلما ثبت عنده ذلك احضر فرقة من المقدمين واعلمهم فركبوا جميعا وراحوا على قلعة صهيون وقد كبسوا القلعة واطلقوا عماد الدين علقم ومن كان معه فلما خلص عماد الدين انطلقت اصحابه على كواخى المقدل جمر وقبضوا جماعة منهم حبسوهم وجماعة هربوا وقفلوا حصن صهيون وقاموا الحصار وركبوا المدافع على الاسوار وحصنوها بالنار كان ذلك فى غياب المقدم جمر والمقدم ابراهيم وأقبل ابراهيم بن حسن بزوجته والمقدم جمر ورفقته فالتفت ابراهيم بن حسن إلى المقدم جمر وقال له اعلم ان عماد ابن خالتى وصعبان عليه قلعة صهيون أن يفوتها بعد ما تربى فيها وأنا جبرته وطردته غصبا منها وأراد أن يحتال عليك فكنت انت اسبق قبضته وجرى وهذا الوقت

اجتمع معه بعض مقادم وهذه فتنة نعوذ بالله منها وان حار بناه ضمنا يجرى الدما بيننا وبينه وينفسد حاله وحالنا وإذا علم السلطان بما جرى من القتال بعا تبنا على هذه الاعمال والصواب أن نرسل نعلم السلطان قبل الحرب والقتال فقال له المقدم جمر صدقت وكتبوا كتاب وأرسله ابراهيم مع كيخية من كراخيه وقال له اعطيه لولدى المقدم عيسى يسلمه للسلطان فأخذه الكيخية وسار إلى مصر وسلم الكتاب إلى المقدم عيسى الجاهرى فاخذه عيسى وسلمه للسلطان فلما علم السلطان بذلك خاف من اثارة الفتنة لما يعلم أن عماد الدين احق فركب السلطان فى جماعة من الامرا والمقادم وطلب حصن صهيون ولما اقبل السلطان كان عماد الدين على اسوار البلد ونظر إلى بيرق السلطان فخاف من عضبه وفتح القلعة ونزل طايع حتى بقى قدام السلطان فقبل الاص بين يديه وقال يامالك الدولة حيث انك حضرت تساعد ابن الحورانى على حربى مع انك لوعلمت من فينا الظالم ومن فينا المظلوم فقال السلطان ايش الخبر احكى له عماد الدين على اصل طلب جمر القلعة قال السلطان خذوا قلاع الضاب لكم تساعدوا انساعها ان كان كانت قلعة صهيون صيقة عليكم واتركوا هذه العداوة من بينكم فقال المقدم جمر انا رضيت بذلك فقال عماد الدين نحن اولاد عم على كل حال فايما احب اليك يامقدم جمر تأخذ صهيون وارحل انا اقلاع الغضبان قال جمر بارك الله لك فى قلعة صهيون وانا أخذت قلاع الغضبان واصطلحوا على يد السلطان وقد تعانقوا مع بعضهم وزالت الاحقاد من قلوبهم وبعد ذلك رحل السلطان من على صهيون واخذ ابراهيم وأمر خالد ان يذهب إلى قلعته ووصل السلطان إلى مصر واقام يتعاطى الاحكام | قال الراوى] اسمع ماجرى من تصاريف الزمان وهو ان الملك الفرنسيس صاحب مدينة سيس ماهان عليه موت جان وان ملك النصارى ذلوا لما رأوا جان قطعه شيحة فارسل خطاب من عنده يقول إلى القان ابرمة صاحب ملك توزبر ياقان ابرمه كيف طاب على خاطرك ان تملك سائر بلاد العجم وهذا الملك الظاهر قاتل ابوك ومقيم على تخت مصر وانت ساكت عنه ان كانت ملوك العجم ما هم منطاعين معك للحرب اركب وتعال عندى وانا اركب ملوك السواحل وتكون معك حتى نهلك المسلمين فلما وصل الى القان ابرمة هذا الخطاب ركب واتى إلى مدينة سيس ودخل على فرنسيس واستوى معه على حرب ملك الاسلام ويكونوا يد واحدة وعاد ابرمة إلى بلده وارسل من عنده ناس فى صفة تجار وسافروا عابرين طريق يتوطوا فى حانات حلب حتى بقى فى البلد مقدار خمسة آلاف عجمى وبعده

اصطنع مائتين صندوق وحط فى كل صندوق عيار وجعل الصندوق مجوف وهو بروحين من تحت الغطا أموال وأما الروح الثانية رجال ولكنهم أبطال معدودين للحرب والجلاد وهم عيارين شياطين وحمل الصناديق على جمال على صفة انها خزنة مسافر بها للسلطان وسار بها هو وملك توريز ابرمة بن هلاون مختفى على هيئة طومان عجمى وسار حتى وصل إلى حلب ودخل على عماد الدين أبو الخيش واعلمه ان هذه خزنة قامت من ملك توزير وأنا غفير عليها وطلع على الفرسيس ملك سيس يريد أن ينهبها وهذا مال الملك الظاهر وأنا أريد أودعها عندك وارسل للسلطان يرسل باخذ ماله ويحميه بعساكره ورجاله فانطلا الكلام على باشة حلب وادخل الصناديق فى القلعة ولم يسلم ما كتب له فى الغيب من القضاء والقدر ولما تمكن ابرمة من القلعة طلعت الرجال من الصناديق وكان السقير عند الذى فى باب الخان فعند ذلك ضربت فى أهل المدافع بالسيف وخافوا عليهم خوف وأى خوف ونزل عماد الدين من القلعة بعسكره يدافع عن الرعية فكانوا الذى فى القلعة ملكوها واجتمعت الاعجام على بعض وملكوا القلعة واهلكوا من عسكر الاسلام جمع عظيم وفى تلك الساعة أقبل الفونسيس بعساكره وكبس على حلب فهرب من عساكرها من هرب وملك ابرة البلد وقبض على عماد الدين أبو الخيش وبلغ الخبر إلى المقدم سليمان الجاموس ان حلب اخذوها النصارى والعجم فركب من فزعه على الاسلام وسار إلى حلب وكان القان ابره قعد على كرسى حلب والفرنسيس جانبه وإذا بكبار البلد طالعين اليه وقالوا له ياقان الزمان انت ملك وما قصدك إلا ملك البلاد والرعية ايش ذنبهم اعطيهم الامان يقيموا فى اماكنهم فقال ابرة الرعاية لهم الامان ولا أحد يعارضهم وأما بعد قتل قار العرب الذى يطلب الاقامة فى بلادنا يلزن رفضى مثل القان ابرة قالوا له بعد ماتنفض من قتال السلطان يكون الشرط هذا وقد نزلوا وبعد نزولهم احضر عماد الدين أبو الخيش وأرماه على نطعة الدم وأمر بضرب رقبته وإذا بالمقدم سليمان الجاموس ضرب السياف ارماه نصفين فصاح ابرة عليه انت من السنية قال نعم وبعت روحى فى سبيل الله

[قال الراوى] وكان المقدم سليمان الجاموس لما أقبل وضع حجرته فى مكان وطلع الديوان لينظر الخبر فرأى باشة حلب تحت السيف فاهان عليه وضرب السياف قتله فصاح ابرة على العجم وصاح الفرنسيس على النصارى فهالوا عليه فقاتل المقدم سليمان وسار يهبر فى العجم والنصارى حتى ذاب الدرع الذى على بدنه واستشهد هو وعماد الدين أبو الخيش باشة حلب رحمة الله عليهم فأمر ابرة بدفنهم ودفن قتلاه

العجم وقتلاه النصارى وجلس على تخت حلب وأرسل يطلب عساكر من ملك توزير حتى يزحف بهم على ملك الشام ولا بقى يرجع حتى يملك ملك العرب ومن معه من عسكر الاسلام .

[قال الراوى] وكان القان ابره له ولد هادى اسمه شراجيل فدفن جميع القتلى فى الخلا الا سليمان الجاموس وعماد الدين أبو الخيش دفنهم فى باب أنطاكية بجانب المقدم معروف بن جمر وعاد لأبيه وقال له يا أبى ابقى موضع للصلح فقال اسكت يا سراجيل وايش يكون صلح بعد موت أبى القان هلاون وأنا ما ارجع إلا إذا قتلت قان العرب أو يموت ابرة ويذهب وقد جاءت العساكر من ملك توزير فرحب بها أخذ حماه مع حمص وبعدها كان الفرنسيس أيضا أخذ سرميل والمعرة وداسوا بلاد الاسلام حتى أخذوا مدينة دمشق الشام

[قال الراوى] ثم ان اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص دخلوا عليه وقالوا له ياخوند ان ابرة قان العرب بن هلاون والكافر فرنسيس ملك سيس انطبقوا مع بعضهم وأخذوا حلب وما يليها من البلاد وحمص وحماه وأقطاعهم وأخذوا دمشق الشام وقتلوا المقدم سليمان الجاموس نقيب بنو اسماعيل وقتلوا أيضا باشة حلب عماد الدين أبو الخيش فقال لهم هيا ورحوا إلى مصر وادخلوا أعلموا السلطان لان البلاد بلاده والاجناد اجناده فساروا اثنين اتباع منهم حتى دخلوا مصر وطلعوا الديوان وقبلوا الارض وقالوا له يا ملك الاسلام نحن من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص أرسلنا اليك نعلمك أن حلب ملكها ابرة بن هلاون وقتل عماد الدين وكذلك نقيب الرجال المقدم سليمان الجاموس وأخذ إلى آخر اقطاع الشام وهلك خلق كثير من المسلمين ومقدمنا أرسلنا اليك لنعلمك فأمرلهم الملك كل واحد الف دينار وكسوة وحصان وحلف أنه لابد من نشر ابرة بين خشبتين كما نشر أبوه وبرز بعساكر الاسلام وسافر طالب أرض الشام فلما وصل البهار أى الدنيا منقلبة وجميع أهل الشام والبلاد الذى حولها بتقاتلوا مع الاعجام وواقع الحرب والخصام فقال السلطان يابنو اسماعيل كل مقدم منكم بعشرة يأتى من ناحية وأنا بالامارة أصدم القلب فتقدم الأمير قارغول الى السلطان وقال له يامولانا السلطان فى هذه الغزوة أريد الاذن منك وأسير بعسكرى افتح حلب قال السلطان روح اذنت لك والله تعالى ياخذ بيدك فاخذ عساكره عشرة آلاف البسهم ارهاض وسار بهم طالب حلب فلما وصل نصب على رأسه بيرق الارفاض ودقت قدامه طبول الاشارة انه عايد

منصور وكان فى حلب مقدار اربع آلاف عجمى وعليهم مقدم اسمه عبد لهب فلما نظر إلى الملك قراغول نزل ليقابله وكان يشابه أبره فى الزى والمنظر فتقدم عبد لهب إلى قرغول ليسلم عليه فضربه بالسيف على رأسه وريديه اطاح رأسه من على كتفيه وكان هذا قدام باب حلب فكبست عساكر قراغول ودخلوا على حلب ووضعوا فى الاعجام الحسام وساعدتهم أهل البلد لان اصحاب حلب كلهم ذرهمة ونخوة وحمية وكان أيضا الفرنسيس ملك الفرنسيس مقيم فى حلب ومعه مقدار الفين فاهلكوهم الاسلام وطرحوهم بالحسام وما جاء الليل حتى أهلكوا جميع الكفار ولا فضل منهم ولا ديار هـــذا والملك الفرنسيس كان فى حلب يقاتل حتى غلب فدخل عليه أحد الرعايا وأعطاه كلما يملك من لبسه ومتاعه حتى انه يداريه عنده فاخفاه له كلام

[قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه لما كبس على الشام بعساكر الاسلام وفرقه الفداويه كما ذكرنا والقى الله هيبته فى قلوب الاعداء وضربت الرجال بكل سيف فصال وطعنوا العدا بكبل رمح املود عسال ونظر القان أبره أن ملك الاسلام ما هو مما يتعاند فعلم أن اجله دانى ومنيته جاءت فقاتل قادر كها المقدم حسن النصر بن عجبور وساعده والده فقتلوا جواده وضايقوه حتى قبضوا عليه وكتفوه وبعده وقع الفناق باقى الاعجام وقطعوهم الاسلام وذبحوهم ذبح الاغنام وما هجم عليهم الليل حتى دخلوا مدينة الشام وأهلك الله جميع الاعجام ونصرا الله الاسلام وبان الملك الظاهر اصبح شال العرضى وحط على حلب فالتقى الأمير قراغول ملكها وأهلك كل من كان من العجم والنصارى وطلع قبل ركاب السلطان فاخلع عليه الملك فقطان وجعله باشة ونادى المنادى من قبل حلب كل من دارى الفرنسيس ووالى عليه يكون دمه مهدور ورأسه تحت رجليه وسمع الذى هو عنده ذلك النداء فدخل على الفرنسيس وقال له يابب أنا مالى طاقة أن اعادى الدولة قم معى حتى ادخل بك على باشة حلب الجديد فقال ادبنى لابراهيم الحوارنى فقال وهو كذلك قوم معى فاخذه ودخل به على المقدم إبراهيم واخبره بالقصة وكان الرجل اسمه السيد أحمد النفلى فقال له إبراهيم كلما أخذته من هذا الملعون لك حلال وأخذ الفرنسيس ودخل على السلطان وقال يا دولتلى هذا الملعون شريك ابره قتل نقيبنا سليمان الجاموس وكان المقدم نهد واقفه فضربه بالشاكريه تسمه نصفين فقال السلطان أحسنت هاتوا ابره بن هلاوز فاحضروه معه

مائتين أسير فامر السلطان بصلبهم على أسوار حلب واما ابرة وابنه شراجيل امر السلطان ان يوضع ابرة خشبتين وينشروه وجرى ذلك حالا ونظر شراجيل الى ماجرى على ابيه فبكى والتفت للوزير وقال فى جيرتك يادولتى اشفع لى عند السلطان وانا اعيش تحت سيفه بامان ولا يؤاخذنى بذنب ابى فانى ما ارضى بالضلال وإن حصل منى ادنى خلل فيكون جزايا كما جرى لابى فقام الوزير وقبل انك السلطان وتشفع فى إبرة فقبل شفاعته اطلقه وسار إلى بلده بامان . وقال السلطان لابد من الرواح إلى مدينة سيس وفتح السواحل [قال الراوى] والعجب ماوقع واغرب ما اتفق من عناد سيف الروم والبرتقش وابن جوان اسفوط والسبب فى ذلك ان الكلب اسفوط سمع بواحد جبار فداوى نصرانى يقال له فخر بن جبش ودخل عليه وقال له اعلم ان دين المسيح انهدم وما بقى فيه احد يجاهد وملوك الروم والافرنج جميعا سمعوا بما عملوا المسلمين فى جوان لما قطعوه فما سألوا عنه ولا كانه كان عالم ملتهم وانا جاءنى فى هذه الايام حورانى من عند المسيح يامرنى ان ادور على كل الملوك وامرهم تغزوا بلاد الاسلام فقلت للحوارى الذى اتانى الملوك مايطاوعونى فقال لى سر للمقدم فخر بن جبش وقول له على لسان المسيح اكتب إلى ملوك السواحل كتب من عندك وأمرهم فيها بالجهاد والذى له رغبة فى دين المسيح قال مرحبا بك يا أبى اسفوط. فكتب له كتب يقول فيها الذى أعلم به الملك الفلانى أنت وجميع الملوك ان عالم الملة جوان هلكوه المسلمين ولا بقى فى الدنيا بركة والآن ظهر ولده اسفوط بامر المسيح يامر النصارى بالجهاد فاول ماانى إلى واعلمنى ففالت سمعا وطاعة وكتبت لكم هذه الكتب فالملوك الذين فى السواحل تتبع سواحل المسلمين والملوك الذين فى البلاد تتبع المدن وفى هذا العام قوموا جميعا قومة واحدة حتى ان الدنيا تصبح من المسلمين خامدة والذى يتاخر عن الجهاد فيكون مخالفا المسيح وملوى ملة فيجب علينا ان نغزيه قبل المسلمين وها حذرتكم ليكون فى علمكم شكرا يا مسيح وكتب على موجب هذه النسخة أربعين كتابا الى أربعين ملك وأخذهم اسفوط والبرتقش وساروا بهم الى ملوك جنوة وملوك السواحل فاول ما ركب الرين حنا ملك جنوة أخذ معه خمس ملوك وهو السادس وسار بهم قاصد الاسكندرية وسار اسفوط للاقريش ملك الجزائر أخذ معه خمس ملوك وهو السادس وسار قاصد دمياط وانتقل اسفوط إلى الانكبيرة ملك الافلاق وملك القيقيول ومعهم ست ملوك فصاروا ثمانية وقصدوا انطاكية ولما وصلوا اليها وكانت جردة العساكر ثمانين الف ملكوا انطاكية وزحفوا منها إلى حلب

ومسكوا نايب الرحبة بالمائة كردى الذين كانوا محافظون معه أرسلوهم أنطاكية حبسوهم فيها واما نائب حلب أتاه الخبر وعلم بذلك فقفل أبواب حلب وأقام الحصار وكتب كتاب للسلطان أرسله مع بجاب فسار بالكتاب حتى دخل على الملك وبقر بين يديه وقدم له الكتاب فلما قرأه وفهم معناه واذا بكتاب داخل من دمياط من عند على ابن الجوخى فحله يجد فيه يامالك الاسلام انه راكب على دمياط ست ملوك وتبعهم ستون الف كافر احتاطوا بدمياط وملكوا البر والبحر ادركنا يامالك الاسلام لولا قدرة الله وأولياء الله الا كانت البلاد ملكتها الكفار ادركنا والا أرسل الينا من يدركنا الامر أمرك أطال الله عمرك فلما قرأ الملك الكتاب والبراج طالع يقول سبحان هادى الطير وكتاب من الاسكندرية من محمد فارس مضمونه انجدنا يامالك الاسلام فانه أحاطت ستة ملوك مسكوا الاسكندرية من الاربع جوانب حولها وهانحن فى شدة الضيق ادركنا يامالك الاسلام فان كل محصور مأخوذ فقال الملك قم يا أيدمر اخلع عليه قفطان ثم قال له انت باش تجريدة معك عشرين امير بعشرين الف سافر فقال سمعا وطاعة والتفت الى الوزير تقطمر أخو السلطان وقال له أنت خلف أيدمر يا أخى بعشرين امير تكون خلفك قدم بقدم فقال سمعا وطاعة والتفت الى أولاده أحمد سلامش مع سعيد فقال لهم أنتم الاثنين والامير قلاوون وأحمد بن ايبك انتم الاربعة وأربعين الف مهاجرين تذهبوا على أنطاكية فقالوا سمعا وطاعة وبعد ذلك برز السلطان بباقى العساكر طالب دمياط على كرسى مصر وسافر الملك وأرسل كتاب مع محمد بن كامل الهجان للغداوية ان لايلاقوا الملك محمد السعيد على أنطاكية وارتحل السلطان بالعسكر وخط على دمياط رجع النصارى ناصبين خيامهم فنصب السلطان وانتضبت الخيام واركزت الاعلام وبات السلطان وأصبح يصلى على نبى فى كفه الورد فتح اراد أن يكتب كتاب ويرسله واذا بعرضى النصارى تمخص واصطفت الكفار صفوف ونزلت الميات والالوف وبرز الملك الافريش أول من برز وكان ذلك بامر الملعون اسفوط ولما برز درات به العساكر وقد ذكرنا ان الامراء والغداوية جميعا شيء راح الاسكندرية وشيء راح أنطاكية مع اخوا السلطان وأولاده ومن معهم من عساكره وأجناده فاول من أراد ان يبرز كان عز الدين الحلبى باشة الاكراد وقال للسلطان يامالك الاسلام اصبر علينا حتى نأخذ لنا جانب من الصواب وخرج للميدان فقتل الملك الافريش ساعة زمانية فضرب عز الدين الحلبى بنبلة حكمت فى فخذه سمرت فخذه فى جنب الحصان فعاد من قدامه وهو كانه سهران ولولا أدركته الاكراد

أخذوه والا كانوا الكفار أسروه فعاد الى قدام السلطان وهو على ذلك الحال فانفظ السلطان وقال أول من يخرج منا يعود مجروح ولكن الامر لله عزوجل وصاح ياعثمان هات الحصان فقال عثمان قوم يا جدع مالها الا رجالها فركب السلطان وبرز الى الميدان ولطم الملك الافريش لطمة الأسد الكاسر وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وما زال معه حتى سد عليه طرقه وطرائقه وانبعه وطبق فى خناقه وهزه من على ظهر حصانه وسلمه لغلمانه ونظر اسفوط والبرتقش الى الملك الافريش أسر فهزوا الشنانير كان السلطان سلم الاسير للاكراد وعرض للكفار لأنه نظر اسفوط لما هز الشنانير فصاح الله أكبر ياكلاب المشركين وأعداء الله رب العالمين وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كحل الكفار بمرود العمى أبلاهم بالقيل والقال والذل والخبال وغنى السيف البتار وقل من الاعداء الانصار ولحق الجبان الانبهار والندل ولى وصابا ولانرى الادمافاير ودماغ طاير وجواد بصاحبه غاير تقرقعت المرائر كانت وقعة يالهامن وقعة تجلى عليها الملك القادر القاهر ودام الامر الى آخر النهار وانفصلوا الطائفتين وعاد السلطان وهو مؤيد منصور حتى وصل الى عرضى الاسلام ونزل فى صيوانه وأحدقت به ارباب دولته وأعوانه بعدما أخذ الراحة أمر باحضار الملك الافريش فاحضره ابراهيم بن حسن الى بين يديه فلما نظره قال السلطان اقطع رأسه يا ابراهيم فخاف من الموت فقال يامالك الاسلام أنا أحط الخراج وبايعى نفسى بالمال فقال السلطان بعد موت عرنوس حلفت لا ابايع كافر منكم أبدا ولو يعطينى ملك الدنيا الا اذا اسلم فقال أنا اسلم فقال السلطان ان اسلمت يحرم قتلك فقال الافريش أشهد ان لااله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله قال السلطان سيبه يا ابراهيم فقال ابراهيم اسلامه باطل قال السلطان اطلقه فاطلقه قال الافريش وحيات رأس السلطان مابقيت أروح للكفار ولا أحارب الا تحت أركاب السلطان فى دين الابمار فقال السلطان شأنك وما تريد ولما كان عند الصباح ركب الافريش وطلب الميدان ونظر اسفوط فعرف المعنى فصار ينزل كل من كان عادم من النصارى وهو يقتل ويأسر حتى أخذ عشر أسارى وقتل أربعة وثانى الايام كذلك وثالث يوم الى الليلة الرابعة وهو واقف قدام السلطان فى الخدمة فغافل ابراهيم وسعد واندغر على السلطان وضربه بالحسام حكم على فخذه فجرح لكن جرح بالغ صرخ السلطان امان فدخل ابراهيم وضرب الافريش فى رأسه ارماه وكتفه ووضعه فى الحديد وطلع الابرة والمرهم وقطب جرح السلطان ابراهيم وقال يامالك سنالته كان كان ضربنى ولاضربك هذا الملعون فقال السلطان هذا قضاء الله تعالى يا ابراهيم

المليار فاخلع عليهم وفرح بماجرى وزال عن قلبه الهم والغم (ياسادة) وأما المقدم
زرقش فانه عاد إلى اسكندرية فوجد عسكر الاسلام على آخر نفس مع النصارى لان
ملوك الكفار تكاثروا على الكفار وأهانوا المسلمين بكثرة العدد وتزايد المدد
وبقوا المسلمين فى غاية الضيق فترك عساكره وقال لهم انتم اثبتوا مكانكم حتى
اقدم انا قدامكم واحتال على ذلك الجموع ثم انه كتب كتاب على لسان أسفوط وملك
جنوة وختم عليه بختم اسفوط وختم ملك جنوة وباقى الملوك والاختام مثل اختامهم
لاتغيير ولا تبديل ودخل به على النصارى الذى فى اسكندرية فوجدوا فيه من حضرة
عالم الملة المسيحية البركة أسفوط بن جوان إلى ملوك النصرانية الحاصرين المسلمين
فى اسكندرية اعلموا انى سافرت إلى أرض انطاكية املكها للنصارى بامر المار يحنا
العمدان والبترك زرارة وانتم لازم لكم أن تملكوا إسكندرية فلا تتوانوا عن القتال
وأنا أرسلت لكم ثانى يعقوب بن القسيس حتى يساعدكم فى الجهاد ويملككم اسكندرية
وما حولها من الاراضى والبلاد فطاوعوه وإذا قال كلام اسمعوا له وعلى رأيه اتبعوه
ولا تخالفوه فلما سمعوا الملوك هذا الكتاب فما منهم إلا انعم وأجاب وخلعوا عليه
قبلار نصير وزنار كبير وقالوا له يا أبى نحن لك وبين يديك ولا نبخل بارواحنا
عليك فقال لهم هذه الليلة إذا جن الظلام تجتمعوا عندى فى بعض الخيام لحتى اعرض
عليكم ما قال لى أسفوط من الكلام وبكرة من أول النهار لا أخلى من المسلمين ولا
ديار ومن هنا أسير قدامكم إلى مصر وأملككم قلعة الجبل فاربط كل من هناك من
المسلمين ففرحوا بذلك وأخلوا له خيمة مليحة من أحسن الخيام ووضعوا فيها
كلما يحتاج من شراب وطعام وعند الليل دخلوا عنده فرأوه عريان وواضع عنده
البخور ويقرأ فى الانجيل بصوت حنين وطب يشفى العليل فدخلوا عليه فاشار
لهم بالقعاد واجتهد هو بالقراءة كل الاجتهاد واطلق فى النار البخور وهو يقرأ
لهم فى شرح الزرقانور حتى أبكاهم من كلامه وهم له شاخصين وإلى قوله سامعين
وتباركوا بالبخور وامتثلوا إلى هذه الامور وهجم الليل فناموا سوى فقام اليهم
ذبحهم جميعا وتركهم فى الخيمة وطلع يقرأ فى الانجيل حتى بقى فى وسط الكافرين
وصاح بعلو صوته وقال يا أبناء النصارى اقبضوا على المسلمين فانهم دخلوا فى وسطكم
وهم يريدون هلاك ملوككم فهاجت النصارى فى بعضهم وزرقش تركهم وغطس
من بينهم فصاحت النصارى ووصل الخبر إلى تقطمر وقال لهم احضروا عساكركم
واكبسوا على الكفار وهذه الليلة تنصرون من الله العزيز الغفار فانا ابن شيحة

ولما كان عند الصباح اصطفت العسكرين وأول مافعل ابراهيم طلع الافريش
قطع رأسه فى وسط الميدان ونظر السلطان عيان فوضعه فى محفة واحضر الملك أولاد
اخته وأمرهم ان يكونوا مكانه ووصى عليهم العسكر وسافر السلطان على مصر
وحاربوا أولاد اخت السلطان وعلموا النصارى أن السلطان سار على مصر عيان
فطمعوا فى أهل الايمان وزاد المدد وقاست الاسلام البلاء والسقام فهم كذلك
وإذا بعسكر مقدارهم الف فارس على خيول مثل الطيور ويقدمهم الملك قسطون بن
البب ميخائيل ملك القسطنطينية ولما دخل الملك قاموا اليه الملوك جميعا وكانوا
قاعدين فلم يقوموا فقالوا له الملوك من أى طريقك قال لهم من أجل ابى لانى
خطبت بنت البب دوقش فقال لا ياخذ مهرها إلا راس سلطان الحصون وملك
المسلمين ركب فى محفة وروح على مصر وأما شيحة قليل وقرعه فى يدى وقصدى
اعرف مكانه أو اعرفه ذاتا فقال أسفوط خليك معى دائما وأنا ادلك عليه
عامه عدوى وقائل أبى فقال قسطون وأنا مثلك ولما كان وقت السحر والنصارى
فى الحظ الاوفر القى البنج على الجميع وقبض على الملوك وارسلهم ليلا إلى عند
ايد غدى رايد غمش ولحقهم قطع رؤوسهم تحت الليل وركب رؤوسهم على مزاريق
وعرى البرتقش من ثيابه وحلق ذقنه وكفى أسفوط على وجهه والبرتقش كفاه
فوقه كمثل الذى يلوطون بعضهم ورص المزاريق بالرؤوس فى وسط الميدان وما
أصبح الصباح الا واصطفت العساكر والمنادى ينادى يا أبناء النصرانية عمن تقاتلون
أما انتم ناظرين إلى رؤوس ملوككم وهم على المزارق فى وسط الميدان هل لكم
ملوك غيرهم ان علمتم انهم يعودوا بعد موتهم وهذا شى لا يقى فيه فائده وبعد ذلك
خرج المقدم زرقش من الحبس وقال لهم جودوا بضرب الحسام وطعن الرمح
المعتدل القوام فى هؤلاء الكفرة اللئام عندما هجمت عساكر الاسلام وافترسوا
النصارى افتراس الاسود الاجام وانتقموا منهم غاية الانتقام فاهلكوهم وشتتوهم
فى البرارى والاكام ونصر الله الاسلام وهربوا الكافرين وذاقوا العذاب المهين
ولموا الاسلام متاعهم ونهبوا كلما كان لهم وأخذوا خيامهم وأموالهم وخيولهم
وقال المقدم زرقش لابد أن أروح إلى مصر وأسلم على عمى الملك الظاهر والتفت
إلى أولاد اخت الملك وقال لهم سلموا لى على السلطان وقبلوا عنى يديه وقولوا له
زرقش راح اسكندرية يجد الاسلام

فعادوا إلى مصر واعلموا السلطان بما جرى لهم من الفتح والنصر ومافعل زرقش

واسمى زرقش الطيار فصاح تقطمر الخيل يا أربابها فاستعدت على السروج وكابها وتحضرت فرسانها ونجابها وحضرت توابع زوقش الطيار وأجادوا الضرب بالحسام البتار وما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ودخلوا النصارى على ملوكهم يجدوهم مذبوحين ودماهم سائلة فى الخيمة فعلموا ان هذه نومة ذميمة واحوال ماهى مستقيمة فما كان لهم أحسن من الهروب والهزيمة وتركوا أموالهم وخيامهم للاسلام غنيمة وما دخل الليل الا والدنيا خالية من الكفار وجمعت المسلمين كل ماتركوه مال وخيام وخيل وبعدما جمعوا النهب والسلب قال رقش لطقطمر يا أمير سلم هذا كله الى عمى الملك الظاهر وقل له زرقش راح أنطاكية ليساعد الاسلام وأيضا قل له الذى كسر الركبتين وقتل اثنى عشر ملك يستاهل ان يكون ملك بعد أنيه على الحصون فعاد تقطمر الى مصر واعلم السلطان بما فعل زرقش فاخلع عليه قفطان وكان السلطان برى من جرحه وبدأ اصلاحه فقال للوزير تقطمر وزرقش ابن اخريه وشيحة أين راح فقال يا دولتلى توجه الى أنطاكية يساعد الاسلام فانى أعلمته ان أولاد مولانا السلطان هناك فقال لابد لى ان ألحقهم فقال السلطان وأنا أيضا لابد لى أن أروح أنطاكية وبرز السلطان بالعساكر وسار طالب أنطاكية هذا ماجرى

(قال الراوى) واما الملك محمد السعيد فانه قدم أحمد بن أيبك وجعله باشة عسكر الركبة وجعل حوله عشر مقادم من بنى اسماعيل وهم عباس ابو الدوايب وسيف الساعى وخالد البراعى وجبل بن رأس الشيخ مشهد وصوان بن الانقه ومنصور العقاب ونعم الدين الفيور والتيل بن ملهب وداود ابن شاهين ومعهم خمسين الف مقاتل وسار أحمد بن ايبك وسبق السعيد وحط على أنطاكية كانوا الكفار مالكين البلد والفرتماكوس مقيم معهم فى أنطاكية واسفوط والبرنقش معهم فقال لهم اسفوط اقفلوا الأبواب واضربوهم بالمدافع والنار من فوق الاسوار ففعلوا كذلك ومنعوهم على قدر رمى النار وحضر السعيد فرأى ذلك فنصب العرضى على قدر رمى النار وأقام ثلاثة أيام ولما أعياه الحال كتب كتاب وأعطاه للمقدم عباس أبو الدوايب فاخذه وسار به الى أنطاكية وقال نجاب ففتحوا له الباب فدخل على ابن ملك القيقيول وناوله الكتاب فقرأه واذا فيه اعلموا أيتها الكفار أنكم تعديتم واقتم فى أنطاكية وقبضتم على الاكراد الذى كانوا بالرحبة فعلتم هذه الفعال وهذا من باب التعدى والضلال ورجعتم قفلتم باب أنطاكية وحبستم انفسكم فى البلد وها أنا أتيتكم بامر السلطان فاطلقوا الاسارى من الاعتقال ودونكم والقتال وها أنا أعلمتكم وحذرتكم قبل قطع أجلكم وأيضا اقبضوا على اسفوط والبرنقش ان كانوا عندكم وان خالفتم

جازيتكم على افعالكم والسلام فلما قرأ الكتاب مزقه وأرماه هذا وعباس ابو الدوايب نظر إلى الكتاب انقطع ويده على قبضة شاكريته فضرب ابن ملك القيقول على وريديه اطاح رأسه من على كتفيه وصاح الله اكبر فأطبقت الكفار على المقدم عباس ابو الدوايب فقال ما احسن هذه السعادة إذا كنت فى ذلك اليوم افوز بالشهادة ثم انه قاتل ماقصر كأنه الليث الغشوم أرمى رؤوسا كالاكروكفوف كأوراق الشجر هذا وأسفوط يصيح على النصارى اقتلوه كما قتل ملككم وسمعوا المسلمين الصياح فبقى السعيد قلقان على المقدم عباس وأما عباس قاتل إلى آخر النهار واستشهد فى انطاكية وبعد ما قتل عباس قال اسفوط للملك إذا كان المسلمون يقتلوا منكم كل من ملكوه وأنتم لاى شىء تبقوا عليهم اقتلوا الاكراد الذى عندكم وريحوا أنفسكم منهم على كل حال تبقوا أخذتم بثاركم فعندها احضروا المائة كردى قطعوا رؤوسهم وأرموهم من على الأسوار ونادوا يامسلمين آدى اسراكم قتلناهم وكل من وقع فى ايدينا قتلناه وهذه جثث الاكراد وهذه جثه النجاب وأرموهم من على الأسوار فقد وا المسلمين إلى الجثث اخذوهم وفحتوا فى الارض دفنوهم وانفتح باب انطاكية وطلعت الكفار واصطفوا لأجل الحرب والقتال وطلبوا البراز والنزال فقال احمد بن ايبك حيث انهم طلبوا البراز فأنا أتولى برازهم وأنزل بالذل اعمارهم وبرز إلى حومة الميدان ولطم البطريق الذى قدامه وضربه بالسيف على هامه اطاح رأسه قدامه نزل اليه الثانى والثالث جعلهم على الارض قتلى نواكس نزل الرابع والخامس والسادس والسابع القاهم وقتلهم وجعل بعضهم لبعض توابع وأحمى الامير احمد ابن ايبك الميدان ولا عاد آخر النهار حتى اهلك جمع كثير من الكفار وعاد احمد من الميدان مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان عباد الصلبان فقال له السعيد تقبل الله منك الغزاة يا أمير احمد

فقال له الله يقبلنا وإياكم وثانى الايام برز احمد ايضا وقاتل مثل أول يوم والثالث والرابع وهكذا مدة اثنى عشر يوم حتى ان النصارى كلت وملت وخافت من القتال وقالوا لاسفوط أنت ما قلت انك تنصرنا على المسلمين فقال لهم الأذية منكم إيش النفع فى البراز الذى ماله ثمرة كل من نزل أطبقوا غاليه ولا تبقوه حتى تأسروه أو تقتلوه فقالوا له هذا رأى جيد ولما كان عند الصباح نزل احمد بن أيبك وكان ثالث عشر يوم ولما برز أحمد هز الشنابير اسفوط فزحفت الكفار كانهم موج البحار فقاتلهم أحمد بن أيبك وغطس فى وسط هذه العساكر فصاح أسفوط عرقبوا جواده فضربوا حصانه وقع أحمد واقف على قدميه وقاتل عن نفسه وإذا

بضربة فوق رأسه والقاتل يقول الله أكبر وكان هذا المقدم نجم الدين بن شاكر وقاتل على رأس أحمد إلى أن أدركوه عسكر الاسلام ووقع الضرب بالحسام فهم على ذلك وإذا بغبار علا وثار وانكشف عن عساكر الاسلام والملك الظاهر وبيرق المظلل بالغمام ولما رأى السلطان ازدحام الحرب فصاح فى عسكر الاسلام وقاتلوا فى ذلك الوقت ودام الحرب إلى آخر النهار اندفعت الكفار إلى جانب الاسوار والخندق طبل الانفصال ولما عادت الاسلام فتشوا القتلى فرأوا أحمد بن ايبك مات ونجم الدين ابن شاكر مشطب بالجراح فأمر السلطان بدفن احمد بن ايبك بجانب عباس أبو الدوايب والاكراد وأما نجم الدين امر بارساله إلى قلعته وأمر طبيب السلطنة أن يروح معه يداويه له كلام

[يا سادة] وأما اسفوط لما نظر السلطان حضر قال للملوك بطارا الحرب حتى أقول لكم وكتب كتاب وأعطاه لبطريق وقال له سر إلى الصاط وعجلون للمقدم زرطق ابن الغايب فانه إذا قرأه يحضر إلى هنا حتى يساعد الملك على القتال فما غاب إلا ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع أتى المقدم زرطق وسلم على الملوك وعلى أسفوط والبرنقش

فقال له أسفوط يافداوى أنا ما ارسلت لك إلا لتعاون الكرستيان على حرب المسلمين

فقال مرحبا وبات وأصبح نزل الميدان وأسر من الفداوية والامر هكذا ثمانية أيام اخذ عشرة فداوية واخذ أربعة وثلاثين أمير وكان هذا المقدم زرطق بطل جبار

فقال السلطان يا إبراهيم انزل إلى هذا الملعون

قال إبراهيم يادولتلى والله إن هذا ماهو ملعون وما هو إلا فارس ريال وبطل من الابطال وهو صورته ماهى صورة الكفار ولكن إن أراد الله الملك المتعال أنزل أنا إليه والله ينصرنى عليه وأقوده بين يديك أسير فقال السلطان هكذا يكون ان شاء الله هذا جرى [قال الواوى] وأما ما كان من المقدم جمال الدين فانه أتى إلى انطاكية وهو مختلط بالناس حتى بقى فى قلب الديوان ونظره اسفوط عيان

فقال يامولك الروم أنا قصدى أروح بحيرة يفرة حتى أجمع الفداوية أبناء النصرانية وأحثهم على الجهاد فى دين النصرانية لأنى أراكم فى القتال باردين ومن المسلمين خائفين ولولا جيت لكم هـذا الفداوى لما كنتم قدرتم تمسكوا ولا مسلم وأنا ما أقدر أقيم على هذا الحال ثم إنه نزل ويخفى فى مكان كان شيحة نظر أسفوط لما نزل فقال لأولاده خلى لنا المكان ومرادى أخش أنا بترك وأنتم رهبان

فقالوا له أولاده افعل ما بدا لك فدخل على الملوك وقرأ قداس وأولاده يردوا عليه أسفوط من خلفه يقول يا أبناء الروم هذا شيحة وأولاده فقبضوهم

فقال أسفوط بالاسم الاعظم ما أنت شيحة وأولادك الخمسة قال نعم يا ملعون

فالتفت الى الفداوى وقال له يامقدم زرطق خذ هذا شيحة وديه عندك فى قلب قلعتك وهى قلعة سمعان فى الصاط وعجلون فانى قصدى قطعهم كما قطعوا جوان فقال المقدم زرطق إن كان كذلك هات أسراتى معى لأنى أخاف أن يحتالوا المسلمين ويطلقوهم وأنا غائب عنهم فقال اسفوط خذهم فنزل المقدم زرطق بن الغايب وفى الحال أحضر الخيل وحط كل أمير على حصانه وكل فداوى على حجرته وطلب بهم البرارى والقيعان قاصد بهم قلعة سمعان

[قال الراوى] ومع ما وقع من الاتفاق ان المقدم زرقش الطيار لما وصل إلى انطاكية ورأى إلى كثرة الامم فقال للعساكر الذى معه الحبشة سيروا بنا ولا نتحشر فى عساكر الاسلام فانفردوا الى بعيد عن انطاكية وشاورهم المقدم زرقش انهم يتفرقوا وكل من ملك الدخول يدخل ويكون الاجتماع فى شارع البلد لأن البلد فيها ملوك بكثرة فكل من رآكم يظن أنكم من مارك غيرهم وتضيعوا بينهم حتى أنتم حيلتى وأطلبكم فقالوا له افعل ما تريد فنحن عن رأيك لا نحيد وسار كلامنهم بروح وحده ويتحامل فى دخول البلد حتى لم يبق أحد إلا المقدم زرقش فقط فلما علم أن الالف حبشى أتباعه تمكنوا من دخولهم انطاكية فدخل بعدهم وطلع الديوان فالتقى اسفوط قبض على أبيه واخوته كما ذكرنا بحيلته وسلمهم لذلك الفداوى حتى يوديهم قلعة سمعان فتبعهم حتى دخلوا الحصن ودخل معهم وصبر حتى دخل الليل وأول مافعل شيء أطلق أبيه واخوته وقال لهم أطلقوا الامارة والفداوية حتى ألحق أنا إلى ذلك الكافر الذى أتى بكم إلى تلك القلعة وسار المقدم زرقش فى مكان الفداوى يجده قاعد قدام أمه وقال لها أنا معى خمسين مسلم ومرادى أذبحهم بأمر اسفوط فقالت له يا ولدى هل فيهم أحد اسمه عباس أبو الدوايب فقال لها قتل فى الحرب قبل ما أحضر أنا لأن ملك المسلمين أرسله بكتاب فقتل ابن ملك القيقيول فقتلوه النصارى فى ثاره فقالت يا ندامة عليه وأنا يا ولدى أعلمك بالصدق فان عباس أبو الدوايب أبوك وأنت ابنه وهكذا اسمك ابن الغايب وعلى الحقيقة أنت مسلم واسمك حماد أبو الدوايب وهذه نسبتك وأنا مسلمة فقال لها وإيش السبب فى ذلك قالت له ان صاحب حصن الصفط وعجلون كان أبى المقدم ساطع فاتفق أن المقدم عباس دخل هذا الحصن ونظرنى فنزل على ليلا وسرقنى وقال لى أنا حبيتك فقلت له وأنا حبيتك فاعرض على الاسلام فلما سمعت أسلمت على يديه وعقد على كما تفعل أهل الايمان وزال بكارتى وأعطانى حسبه ونسبه وقال لى إذا جيت بالسلامة أخذتك إلى قلعتى وان قدر الله على ولم أرجع فان جاءك بنت سميها فاطمة وإن جاءك ولد سميه حماد أبو الدوايب والزنق هذا أسماء جدك المقدم

ساطع أبى وأنا ربيتك وأبى أراد قتلك فما مكنته من ذلك فطق ومات وأنا نضلت أداديك حتى كبرت وبلغت مبالغ الرجال وأنا تارة أقول هذا من أبوه وتارة أقول ابن الغايب حتى جرى هذا الحال هذا كله يجرى واسفوط القى البنج ونزل عليه أرماه فيق أمه فلما أفاقت قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ففيق ابنها فقالت أمه يا ولدى اسأل هذا من الذى قبضنا فقال زرقش أنا ابن سلطان الحصون ولولا سبقتنى امك وأعلمتنى وسمعت حديثها كنت ذبحتك فيا فداوى اقطع القول بالاسلام حتى أبى أفكك والا بالكفر حتى اذبحك فانا مستعجل فقال له كيف ذلك أشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمدا رسول الله فاطلقه زرقش وقال له انزل ساعد المؤمنين فعند ذلك نزل المقدم زرطق يلتقى أبطال الاسلام انطلقوا وملكوا سيوفهم فحط يده فى سلاحه وصاح الله أكبر وما طلع النهار حتى ما بقى فى الحصن ولا ديار ولا نافخ نار وسال شيحة ابنه زرقش عن ذلك الفداوى فاعلمه بحاله وانه ابن المقدم عباس أبو الدوايب فقال شيحة الحمد لله الذى خلف عباس هذا البطل ثم انه طاهره ودهن له بدهن الاستقطاب فطاب لوقته وساعته فقال شيحة أحسن الاسماء اسمك حماد أبو الدوايب فقال زرقش اسمه حسان لانه أحسن البنا وأول ظهوره بادانا فعل الاحسان وبعد ذلك نهبوا القلعة ورجعوا إلى عرضى الاسلام ودخلوا على السلطان واخبروه بما جرى وقال المقدم حسان ابو الدوايب يا ملك الاسلام لا تطلب فتح انطاكية الامنى انا وانا الضامن لك فتحها بعون الله تعالى وبركة دين الاسلام وسار من وقته وساعته طالب انطاكية ودخل على اسفوط فلما رآه عرف أنه اسلم لان دين الاسلام له نور ظاهر فقال له اسفوط اهلا وسهلا وديت الأسارى قلعة سمعان فقال وحبستهم فيها واتيت اليك حتى اقاتل المسلمين فقال له اسفوط حتى ابخرك فقال له ما لزوم بخور فقال انا اخاف اليك ان يصيبك جرح من المسلمين ثم قدم المبخرة بالبخور قدامه فشمها ونام لانه واضع له بنج فقالوا له الملوك بعيد يا ابى اسفوط فقال لا تخافوا لان هذا الكلب اسلم واتى يعمل علينا مكيدة حتى يوقعنا فى يد المسلمين ثم انه كتفه وفيقه فاحسن الشهادتين قال اسفوط لحقت فى يوم واحد عرفت كلمة المسلمين هيا منتار فتقدم سياف ووقف على راسه فقال اسفوط وعلى السياف قبضه وقبض معه اربعة وكان هذا شيحة واولاده داخلين على اثر حسان ابو الدوايب ووضع الكل فى الحديد واراد ان يقطع رؤوسهم فقالوا له الملوك يا ابى اسفوط قبل ان تقبل شيحة واولاده سلمنا كل ملك واحد ويبقوا عندنا وقوم ادركنا بنجدة من ملوك الروم تعيننا على المسلمين لانك اذا قتلت هؤلاء وملكونا رجال الاسلام قطعونا بالسيف الصمصام

فقال اسفوط ابقوهم عندكم ولا الزمهم الامنكم وطلع اسفوط ركب حمارته على انه يأتى بنجدة ويأتوا الملوك فى امان وهم محاصرين وإذا بغبار انعقد وانكشف عن عسكر الف خيال ويقدمهم ملك البلاط فلما رأوه مارك الروم فتحوا له انطاكية فقال لهم اقفوا حتى تأتى باقى العساكر فانى سبقتهم بهذه الالاف وحالا اقبلت تسعة آلاف يبقوا عشرة آلاف وطلع إلى الديوان وحالا قبض على الملوك وصاح الله اكبر أنا زرقش الطيار ابن شيحة وخرجوا العسكر الله اكبر أنا إبراهيم وهذا يقول أنا اسعد وهذا يقول أنا ابدر وما كانت الا ليلة مظلمة وما اصبح الصباح الا والسلطان على انطاكية وقطع راس الملك وقسم الغنيمة واخرج قسم المقدم نجم الدين شاكر وقد سلمه إلى ثلاثين مقدم من اصحاب القلاع وقال انتم سايرين إلى قلاعكم وهذا قسم المقدم نجم الدين شاكروهو ابن محبكم خذوه معكم إن كان عفا الله عنه وإن كان عيان فسلموه له وسلموا لى عليه وخذوا خاطره عنى وإن لفيتوه توفى بسبب الجراح فسلموا حقه لذريته وبعد تسليمه لهم تعلموني فقالوا له سمعا وطاعة وأخذوا قسمة مع استحقاقهم وطلبوا القلاع وركب السلطان وأمر العرضى بالرحيل فرحل من انطاكية حط على حلب وأما الفداوية فانهم ساروا إلى قلعة المقدم نجم الدين ودخلوا عليه فالتقوه برا من جراحه وبدا صلاحه لكنه عنده حزن وبكى وناح وتعدد وكل من فى قلعته جميعا لا بسين السواد فاعطوه قسمه وسألوه عن سبب لبس السواد بعد ما ابلغوه سلام السلطان فقال لهم ياليتنى قتلت فى هذه الوقعة والا فجعت فى عرضى هذه الفجعة فقالوا له الرجال وايش الفجعة فقال فجعت فى بنتى نجمة انسرقت من فرشها وهذه اكبر الفظائع وهى عزيزة عندى لانها كانت تحمى قلعتى إذا كنت أنا غايب ولها فى ركوب الخيل أهوال وعجايب فقال له الرجال أما تعرف لك غريم فقال نعم كانت ذات يوم تتصيد لنا شيئا من الغزلان فوجدها نصير الكافرى فكلمها بكلام قلة ادب فحلت عليه وحاربته وضربته بالشاكرية جرحته وجاءت من الصيد اعلمتنى بذلك وأنا أقول ما سرقها غيره فقال له منصور العقاب صدقت ومالك غريم الا هو فانه هذا الكلب لما انفاظ منها فاتاها ليلا وسرقها وأنا لابد لى أن أروح اليه فقالوا الرجال واحنا معك ولم نرجع نقعد فى قلاعنا الا إذا ظهر عرضنا ولا يكون كلب كافر مثل هذا القرن يسود عمائمنا وركب منصور العقاب وركب معه عشرين مقدم برجالهم وساروا إلى قلعة الغور ودخلوا على نصير الكافرى وقال له ابن نجمة يا نصير أنت من غيظك ما قدرت عليها وهى على ظهر حجرتها تسبيت واجتهدت فى سرقتها وتقدم منصور العقاب قبض على خنقه

فقامت اهل قلعته عليه فالوا بنو اسماعيل على الذى فى القلعة أملكوهم ونهبوا القلعة . فتشروا على بجمة فلم يجدوها فقال نجم الدين أنا لا أرجع عن نصير هذا أبد ولا أطلب بنتى الا منه فاخذوه وعادوا به الى نجم الدين وضربوه فانكر البنت ولم يقر بها لهم فعند ذلك حبسوه كل ذلك يجرى وأخوه المقدم ملهب مختفى وشاف ما جرى على أخيه فصبر الى الليل ونزل على المقدم نجم الدين شاكر وفتحه فى فراشه وخلص اخيه نصير وكان الذى سرق البنت هو نصير الكافرى ولكن ما حطها فى قلعته وحسب هذا الحساب فودعها عند اخيه المقدم ملهب فى قلعته واعلمه بالقضية حتى جرى ماجرى

[يا سادة] ولما نزل المقدم ملهب وفعل ما فعل أخذ جميع ما اخذوه الرجال من قلعة أخيه وعاد الى قلعته وأخوه معه وعند الصباح طلعوا بنو اسماعيل فوجدوا المقدم نجم الدين مذبوح ونصير الكافرى انطلق من الحبس فقالوا ما فعل ذلك الا ان كان ملهب اخو نصير واحنا ضيعنا الحزم ولو كنا لحقنا ملهب كنا خلصنا بنتنا ولكن كان الذى كان ولا بقى لنا وجه الا اننا نعلم الملك ثم انهم غسلوا المقدم نجم الدين وكفنوه ودفنوه وارسلوا جماعة منهم يعلموا السلطان

[قال الراوى] وأما ملهب ونصير اخوه لما قتلوا نجم الدين عادوا الى قلعة ملهب أخذوا بجمة ودخلوا قلعة الكفور وأقاموا شواشى العصيان وقفلوا ابواب القلعة بعد ما استحضروا على ما يقوم بهم الحصار وارسلوا إلى كل من كان عاصى فى الجبال ورعبرهم فى كسب الاموال فاجتمع عندهم كل من لا يخاف الله من أهل الضلال ولا يفرقون بين الحرام والحلال وإذا ساروا يعلموا السلطان وصلوا الى حلب وقالوا يا ملك الدولة تعيش رأسك فى نجم الدين ولكن ما قتل بسبب الجراحات وحكوا له على جميع ما جرى فقال السلطان وهذه العبارة أيضا جرت علينا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وشال السلطان من على حلب ووصل الى قلعة الكفور ونصب العرضى قدامها ونظر نصير وأخوه ملهب إلى ذلك فايقنوا بشرب كاس المهالك فقالوا له الرجال الذى اجتمعوا لا تحمل هم شىء فكلامنا قلبه مليان من شيحة والسلطان ونتمنى ان نرى مثل هذا اليوم حتى نشفى قلوبنا من هؤلاء القوم وأنزلوا ليلا وأختلطوا بعساكر السلطان وكل فاجر اندك على خيمة من خيم المقادم ولا طلعوا من العرضى الا وكل زندق منهم سارق أميرا وفداوى لان العسكر تعبانة من السفر وعرضى السلطان واسع يتوه فيه الدليل فاغتنموا أولاد الزنى الفقـــلة طول الليل وفعلوا ما فعلوا وعندما طلع النهار ثار العايط فى الحرس بان العرضى انسرق منهم اثنى عشر مقدم وخمسة عشر أمير فقال السلطان للوزير يا أبى أما هذه من الغرايب اذا دخلت الاعداء فى العرضى ويفعلوا على قدر ذلك فقال الوزير يامولانا

هذه عصاة الجبال اجتمعوا فى هذه القلعة وغافلونا ولكن الله تعالى له فى خلقه أرادة يارى أين سلطان القلاع يقتص من هؤلاء العصاة وإذا شيحة مقبل فقام السلطان واجلسه وتحدث معه واحكى له على الذى حرا فقال شيحة يامالك الاسلام ناس تدانت آجالهم وهذه الفعال سببا لاتلافهم وهلاكهم ثم أنه قام واحضر أولاده وقال لهم هذه القلعة كلامنا يروح من ناحية حتى تقبضوا على العصاة الذى فيها وإن ظفرتم بهم لا تبقوهم والذى تقبضوه اذبحوه حتى تنظف الدنيا من تلك العصاة فقالوا سمعا وطاعة وقد تفرقوا من تلك الساعة فكان المقدم ملهب مختفى وسمع كلما جرى بين شيحة وأولاده فعاد إلى القلعة واعلم نصير قال نصير هذا معـــ ص وكار قريب من القلعة دير فاخذ جماعة ودخل بهم ذلك الدير أهلك كل من فيه وادخل مقدار اربعين مقدم فى الدير وقال شيحة يعمل بترك فاذا دخل بترك اقبضوه هذا جرى وأما شيحة وأولاده وصلوا إلى صور القلعة فقال السابق يا ابى أنا سمعت ملهب ونصير يقولون لبعضهم أن شيحة وأولاده قادمين الينا فى الليلة ووضبوا الحرس وأنا عارف انهم واقفين بالمرصاد والصواب أننا ندخل ذلك الدير نقيم فية إلى آخر الليل إيكونوا نسيونا فنأتيهم آخر الليل قال شيحة هذا راى صواب وسار شيحة واولاده إلى الدير وطلع هو فى الاول لما حصل الصور وإذ بالذى قبض عليه ووضع الاكرة فى فمه وبعده طلع السابق وبعده نورد حتى قبض الجميع ليلا وعادتهم إلى القلعة وحبسهم مع الاسارى كان نصير طالب الملك الظاهر فانكشف عليه كيخية من كراخى المقدم إبراهيم فصاح عليه من أنت فى الليل كان نصيرا اسرع من البرق ضرب الكيخية بالشاكرية على صدره خرطه إلى حد ظهره فكان إبراهيم بن حسن قريب منه ورأى هذا الحال فحط يده على ذو الحيات وضرب نصير فى وسط رأسه فشقه إلى حد لباسه ونظر إلى كيخيته وجده مات فانغاظ إبراهيم ودفن كيخيته واعلم السلطان بما فعل نصير وانه قتله فقال ارمى جثته للكلاب فانه ملعون مرتاب فرموه ونظر ملهب أخوه فقال والله ما ارجع الا آخذ تاره وبات واصبح نزل الميدان وطلب الحرب والطعان وقال ياظاهر أنت قتلت أخى وأنا قبضت على رجالك وشيحة وأولاده فى هذه الليلة اشنق الجميع فان كان عندك فرسان تلقانى فى الحرب والطعان ابرزهم لى فى الميدان حين اريك قتال الشجعان وكان هذا المقدم ملهب من ابطال الحرب قال السلطان قوم يالايدمر فقال الوزير يامولانا ايش تصدك بنزول ايدمر فما هو من رجاله ولا يعد من اشكاله فعندما قام المقدم حسان بن دباس ابو الدوايب وباس الارض قدام السلطان قال السلطان مالك ياحسان قال يامولانا اناقضيت الايام الذى مضت فى بحر

الضلال وارجو الاذن من حضرتك حتى ابرز إلى القتال فقال السلطان دونك وما تريد فخرج حسان وانطبق على ملهب وتقاتل معه قتال وأى قتال حتى تحيرت بما فعلوا الناظرين الى المحال وطال بينهما المطال حتى ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال واندق طبل الانفصال وعاد حسان أبو الدوايب وهو خجلان لكون انه ما أسر خصمه ولا قتله فى الميدان فلما علم بحاله السلطان قال له والله يامقدم حسان ما قصرت إنى رد شر هذا الجبار عن المؤمنين الابرار وقال يامالك الاسلام الحرب سجال وانا كنت أقول انى اقدر اقتله او آسره ولكن الله ما ارادلى بالنصر وان شاء الله فى غداة يفعل الله مايريد إن اذان لى مولانا السلطان انزل إلى الميدان والنصر يكون من الرحيم الرحمن هذا ماجرى (ياسادة) وأما المقدم ملهب فانه عاد إلى القلعة وهو منغاظ كيف ما قتل المقدم حسان ولا اسره فهو كذلك واذا بسيار إلى مقبل بكتاب فقرأه وجد فيه من حضرة اسفوط بن جوان إلى المقدم ملهب ياسيدى أنت تعلم بالذى فعله شيحة فى ابى جوان لما قطعه على العربة وقد حرقه بالنار وبلغنى انك قبضت عليه واولاده فارسلت لك هذا الخطاب مع البترك سمعان وهو بترك ملك الزغاورة وعلى علمك ان ملك الزغاورة تحت يده عشرة آلاف فارس وهذا بتركهم فان اردت ان تعاهدو أتيك بملك الزغاورة يعاونك على المسلمين واذا اخذت بلادهم فالمال لك وانما ارجو منك أن تفرجنى على شيحة لما نقطعه وانا ارسل لك ملوك الروم والا فرنج يحاربوا معك فلما قرا المقدم ملهب الكتاب التفت إلى البترك السيار وقال له واين ملك الزغاورة ما كان يأتى معك

قال له اتى معى ومعه اسفوط والبرتقش لكن بعد ما قرب إلى هنا قال للبترك اسفوط وربما يكون المقدم ملهب يقول ما احد يساعدنى انا قدر ملك المسلمين ولا اريد مساعد ولا عيره قال المقدم ملهب سر اليه وسلم عليه وقل ان شيحة وا ولاده يقطعهم مثل ماقطع ابيك واما هذا ملك الزغاورة اذا ساعدنى فى القتال فيكون شريكى على كل حال وله النصف فى الغنايم والمال وكذلك السلطنة هو يبقى على البلاد كلها وانا لى سلطة الحصون ويا بترك اسرع اليه وخليه يسرع فى القدوم قال البترك يامقدم هاهو قريب وماهو بعيد ولا تنقضى هذه الليله الا وهو معك انتظرنى فى نصف الليل والملك وعسكره عندك وهم عشرة آلاف فارس للحديد لوابس وطلع من عنده وقعد المقدم ملهب منتظر عودته ومامضى ساعتين الا والخيل اقبل ويقدمها ملك الزغاورة ويتبعه عشرة آلاف فى خيال فانفتحت القلعة حالا ودخلت العساكر واول مادخل ملك الزغاورة تقدم ملهب ليسلم عليه فضربه بدبوس حديد على رأسه اسكره . صاح الله اكبر فصاحت العشرة آلاف الذى معه الله

اكبر ووضعوا السيف فى القلعة ليلا وكانت ليلة ظلمة ودام السيف يعمل فى القلعة إلى الصباح فهلكوا كل من فيها وملكوا القلعة وكان هذا النجاب الاصلى هو المقدم زرقش الطيار وكذلك الذى اتى باسم ملك الزغاورة وقبض على المقدم ملهب وفعل مافعل والعساكر الذى معه جماعته الحبشة وباقى العسكر عسكر السلطان فانه لما علم بما جرى على ابيه فى القلعة كان حاضر وناظر فاعلم عساكره وتنكروا فى صفة الزاورة ودخلوا ملوكا ودخل المقدم زرقش إلى السراية واطلق ابوه واخواته والمحبوسين معه ونظر إلى عجوزة مقيمة فقال لها من تكونى قالت أنا أم ملهب ونصير قال لها قاعدة هنا إيش تعملى قالت غفيرة على نجمة فسمع المقدم شاكر بن نجم الدين فضربها اطاح رأسها وطلع أخته نجمة ودخل المقدم زرقش الطيار على السلطان وقال يامالك الاسلام هذا ملهب الذى قتل المقدم نجم الدين وهذه نجمة بنته وهذا شاكر ابنه قال السلطان يا مقدم شاكر اقطع راس الذى قتل أبوك فضربه أطاح رأسه فقال زرقش يامالك الاسلام أنا مرادى أن اتزوج بهذه المقدمة نجمة فقالت بنو اسماعيل والله انك تستحق أن تأخذ الاموال جميعها والارواح

فقال السلطان والفرح من عندى هنا فى حلب وشرع السلطان بالزينة فى مدينة حلب مدة سبعة أيام وانعقد العقد واليوم السابع يوم الزفاف فلم يجدوا للبنت خبر فقال المقدم شاكر أنا احترت فى عبارة نجمة هذه فانها فقدت أرواح أبى مقتول فى سببها وهذه النوبة اقتل أنا ولكن يجب علينا ذلك لان الغرض ما دونه فقال المقدم زرقش الطيار يا مقدم شاكر هى كانت اختك . وأما هى الآن زوجتى وأنا الملزوم وطلع المقدم زرقش فتش على نجمة

[قال الراوى] وكان السبب فى اعدام نجمة وهو أنه نشأ للمقدم نصير النمر ولد قلعة الطيرة وعكار اسمه المقدم الفهد وهو أى أقوى وأشجع من أبيه وقلبه مليان من شيحة وبنو إسماعيل فاتفق أنه فايت على حلب ورأى الفرح فسأل عن ذلك فأعلموه الناس أن هذه نجمة بنت المرحوم نجم الدين بن شاكر والذى تزوج بها زرقش الطيار ابن شيحة

فلما علم بذلك وطن حجرته فى مكان ودخل اختلط بالناس حتى ملك رشده وبقى فى السراية فينج النساء المقيمين وبنجها معهم ولفها فى جمدان وأخذها ونزل من محل ماطلع وسار بها الى دير النحاس قرب من حلب فدخل بنج الذى فيه وذبحهم واقعد البنت وفيقها . فلما رأته قالت له من تكون قال لها يانجمة انت بنت الدين وتتزوجى زرقش بن شيحة قالت له ياخوند أنا إيش بيدى والله لو رأيتك أنت تخلصنى

منه كان هذا أكبر مرادى ومن حيث يا بطل الزمان أنك قدرت على أخذى وها أنا بقيت بين يديك اجهد على قتل زرقش وأنا اكون زوجتك فقال لها مرحبا بك أنا ما أعود لك إلا بزرقش والأمر لله فقالت له وأنا لك وبين يديك وما تكلمت نجمة بذلك الكلام إلا خوفا من ذلك الجبار أن يسبى عرضها قوة واقتدارا فما كان لها إلا المخادعة معه حتى تأمن شره فتركها فى الدير وحدها ونزل قاصد حلب حتى يجيب زرقش أو يذبحه ويأتى براسه

[قال الراوى] واتفق أن تبع من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص مر على ذلك الدير ليلا فرأى أثر المفرد فعلم أن هنا محل عابق طلع إلى الدير فما كان منه إلا أتى من جهة ثانية ورمى مفرده وطلع فوق السور وسمع ما جرى من قتل الذى كانوا فى الدير وحديث المقدم فهد ونجمة ونظر الفداوى لما نزل طالب حلب حتى يقتل زرقش أو يأتى به أسير فعاد طالب حلب فالتقى بالمقدم زرقش فتقدم اليه وقبل يده وقال له اعلم أنى مريت على دير النحاس فرأيت المقدم الفهد بن نصير النمر فى دير النحاس قتل النصارى ومعه بنتا وحكى له على ما جرى وقال له خذ الحذر على نفسك من هذا الجبار والسلام

فلما سمع زرقش هذا الكلام سار المقدم زرقش حتى وصل إلى الدير وطلع فكانت نجمة واقفة على هذا السور فعرفته معرفة تمام فصبرت حتى طلع وضمته الى صدرها وقالت له يا بطل الزمان مثلك من يصون الملاح وينفذ بكل الأموال والأرواح وقالت له أموال هذا الدير تاخذها قال نعم وغاب ساعة وعاد باربعة جمال وحملهم أموال الدير وأخذ نجمة وسار حتى وصل حلب ودخل على السلطان وأعلمه بانه جاب نجمة والذى كان سرقها فهد بن نصير النمر

فقال السلطان داهية ثانية جاءت لا بيك لان نصير ما كان يسرق بل يأتى محارب وأما هذا حربى وحرامى فقال زرقش يا ملك وأنا أيضا مثله حربى وحرامى فامر السلطان بزينة حلب ثانيا وعمل فرح ثلاثين يوما ودخل على نجمة المقدم زرقش وأقام حتى سبع وأمر السلطان بالرحيل على مصر وسار زرقش مع السلطان إلى مصر

[يا سادة] وأما أسفوط فانه دخل على سرجويل وعلمه على مكيدة ثم ان سرجويل أرسل كتاب إلى باشة الشام وهدية يقول أنا معى بنت ومقصودها أن تزور كنيس مريم وآدى غفرها على يديك فقبل باشة الشام الهدية وأرسل يقول له ابعثها فانا الضامن لها فنزل البنت وأعطاها حق مز السم وأعلمها كما علمه اسفوط فركبت ومعها

بطريق حتى وصلت الشام وحطت البساتين ولا وضيت تدخل الشام وأرسلت تقول لباشة الشام انا ما أقدر أدخل الشام إلا إذا كنت تستلمنى بيدك وازور الكنيس وأرجع وإن كنت ما ترضاش تاخذلى ارجع مثل ماجيت فنزل الباشة من الديوان وطلع برا الشام وراح الى صيوان البنت وكان اسمها صفا المسيح فلما رأت الباشا أتى قامت اليه وخدمته وأدخلته فى قلب صيوانها واجلسته ووقفت فى خدمته ورفعت قدره وعظمته وطردت خدامها بره الصيوان وقالت له يا سيدى اعلم أنى رأيت فى المنام ان القيامة قامت وانتصب الميزان فرأيت النصارى يساقون الى النار وأنت واقف فقلت لك فى عرضك خذنى فقلت لى أنا مسلم فان كنت تسلمنى أخذتك بالسنة فقلت لى قولى أشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقلتها وانا واقفة بجانبك وها انا اعلمتك ومرادى ان أتم إسلامى على يديك وانت ايش تقول إنى اكون لك زوجة وتكرن لى بعلا قال لها باشة الشام يا ملكة هذا مقصودى إذا كان هذا هواك فانا اكون فى رضاك وقال لها هيا سيرى إلى سرايتى فقامت وطلعت إلى سرايته وفرحت والفتت ثانى الايام إلى البطارقة وقال لهم الملكة صفا المسيح اسلمت قالوا له ما تجيبها تروديها لأبيها قال لهم لا يجوز واحضر العلماء وطلعهم السراية وقال لهم اسمعوا ما تقول هذه البنت فسالوها فقالت أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله قالوا لها بقى يجب زواجك قالت انتم سياق على باشة الشام يقبلنى اكون زوجته قال الباشا قبلت ذلك لكن انتم تكتبوا إلى حجة أعرضها على مولانا الملك قالوا له وهو كذلك وكتبوا له حجة وختموها له باختامهم وبات واصبح قال للبطارقة عودوا إلى البب سر جويل وقولوا له بنتك اسلمت فعادوا إلى بلادهم واعلموا البب سر جويل بذلك وأما الأمير افش النجيلى كتب كتاب بصورة ما جرى ووضع الحجة فى قلب الكتاب وارسله مع نجاب دخل على السلطان وقدم الكتاب افقرى المقرى على السلطان وسمعوه ارباب الديوان وانه يطلب الاذن من السلطان بزواجها فكتب له السلطان وعاد النجاب ومعه رد الجواب بالاذن فاحضر القاضى والعلماء وعقدوا له عندها وامهرها وعمل فرح ثلاثة ايام والليلة الرابعة دخل عليها وزال بكارتها واقام معها ايام فقالت له مرادى أن اعمل وليمة وتجمع لى اكابر الشام والعلماء حتى اعلاوة اسلامى قال لها هو كذلك وعملت لى وليمة وحضرت اعيان الشام وكانت صفا المسيح مباشرة الطعام حتى ملته بالسم الذى كان معها واتمد السماط فى سراية افش النجيلى ولا بقى الا

أكل الطعام وإذا بالمقدم زرقش الطيار اقبل وطلع إلى الديوان وصاح على السماط قال لا أحد يأكل ياقوم فان الطعام مسموم فتعجبت الناس من كلامه فهذا ما كان منهم

[قال الراوى] ثم ان المقدم زرقش أخذ بسنان الخنجر قطعة لحمة وأرماها لقطة قاكلتها فماتت لوقتها وقال يا أمير افش أنت مرادك أن تهلك أهل الشام فقال لا والله واحكى له على ماجرى فقال زرقش وقال مريت على صفة فرأيت النصارى يتحاكرا فى تلك العبارة فاتيت مطرود حتى لحقت الناس شكر الله فضلك وانقذك من الهموم والغموم كما انقذتنا من أكل الطعام المسموم فقال زرقش اطلع معى يا أمير افش على سرايتك حتى أنظر البنت التى فعلت هذه الفعال نطلع قدامه واحضر البنت وسالها فقالت نعم أبى أمرنى البترك اسفوط فقال لها زرقش وأنت اسلامك صحيح والا نصرانية فقالت نصرانية فضربها بالحسام قسلها نصفين تركها ونزل فامر الباشا بدفنها فى ترب النصارى ودرى البب سرجويل بما جرى على بنته فاحضر اسفوط وقال له بقنى ماتت فقال له أخذتها العذرة ام النور عندها اركب أنت على الشام وأنا املكك البلاد وأهلك لك المسلمين عساكر واجناد فركب سرجويل وسار بالكفرة اللئام حط على مدينة الشام ولما علم زرقش بقدومه طلع اليه بعساكره ونصب قدامه فارسل له سرجويل يقول انا الذى كنت عملت على قتلك وانت الذى قتلت بنتى فابرز انت وانا الى الميدان فان قتلتك يكرن ثار بنتى وإن اسرتك اخذت منك حقى وان انت قتلتنى او اسرتنى افعل بى ما تريد فاجابه باشة الشام إلى ذلك ونزلوا وتقاتلوا وكان افش من الفرسان المشهورة والابطال المذكورة فقاتل سرجويل حتى اتعبه واكربه وارادان ياسره ونظر سرجويل نفسه كل ومل ووهى عزمه واضمحل فولى هاربا والى النجاة طالبا فوقف الباشة ولم يتبعه غير جواده وسار إلى عرضى الاسلام فضربه سرجويل بذلة حكمت فى ظهره فقدت من صدره فحملت عساكره وحملت اهل الشام مع عساكر الاسلام وقاتلوا الكفار حتى ابعدوهم فى الغبار وعادوا فشالوا افش من الميدان فتيل وغسلوه وكفنوه ودفنوه جنب الناصر وكتبوا كتاب اكابر الشام إلى ملك الاسلام وارسلوه مع مسافر

فلما علم السلطان ان سرجويل المهرى قتل باشة الشام فركب بالعساكر وحط على الشام ونظر سرجويل الى عسكر السلطان فقال لاسفوط كيف العمل فارسل اسفوط الى بحيرة بغرة لفداوى نصرانى يقال له العاج بن عجلون فلما حضر قال له اسفوط انزل حارب المسلمين فان النصر على يديك وانت تبقى سلطان الحصون واما سرجويل

يكرن ملك البلاد ويقود العساكر والاجناد ونزل المقدم العلج وكان جبار فاسر من الامراء اربعة ومن الفداوية اثنين ومنزل له الثالث وهو مصاد فابن المقدم بدر الغفير فقاتله فاذا هو بأمور الحرب خبير فاظهر له الكسل والتقصير حتى طمع فيه وبعدها اسلت حربة من تحت فخذه وضربه بها حكمت فى صدره خرجت من ظهره كان هذا من باب القدر ونظر المقدم بدر الغفير إلى ابنه قتيل فما قى صبر دون أن حمل على العلج واطبق عليه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالشاكرية على عاتقه فطلعت تلمع من علائقه وكان هذا آخر النهار وانفصلوا عن القتال ولما أمسى المساء قال سرجويل لاسفوط يا أبى كيف العمل

فقال له الليلة أجيب لك نجدة أنا أرسلت آتيك بملك من جزائر العنبر ولا يصح الحرب إلا على يديه فكان زرقش واقف وسامع فقال البرتقش لاسفوط أنا قلبى خايف من سرجويل من خرفه من ملك المسلمين يقوم يقبض عليك ويقبضنى معك ويودينا لملك المسلمين وبعدى بقصدى وبلده بنا وأنا الراى عندى أنك تقوم بنا وتقول له أجيب لك فداوى مع ملك جزائر العنبر غضب المسيح وأنزل بنا من عنده ان أبقى أحد اتيناه وعدنا به وإن ما وجدنا أحد تبقى بره وبخاطر سرجويل فقال اسفوط صدقت والتفت إلى سرجويل وقال له يا أبى أنا مرادى اقوم أجيب لك نجدة وأعود اليك فقال فى عرضك ياأبى الحقنى فقال له الليلة لاتتم الا وعندك غضب من المسيح ملك جزائر العنبر وقام اسفوط والبرتقش طلبوا بحيرة بغرة وبعد ساعة أقبل غضب المسيح ملك جزائر العنبر الذى أرسله اسفوط

فلما رآه سرجويل فرح بقدومه وقام له واستقبله وأدخله معه الصيوان واحتاطت عساكره بصيوان البب سرجويل وكان هذا زرقش لما تمكن من الصيوان صاح الله اكبر وقبض على سرجويل وارسل اعلم السلطان يركب فى عساكر الاسلام وغنى الحسام الصمصام ولا طلع النهار حتى هلكت الكفار تحت الغبار ونصر الله الاسلام الابرار ودخل السلطان على سقط وقدم له زرقش سرجويل المهرى فامر السلطان بنهب بلده وجعل عليها نائب بامر السلطان وأخذ سرجويل معه وراح إلى الشام فعلقة على باب الميدان وخلع على الامير سنقر وجعله باشة الشام وركب السلطان طالب مصر [قال الراوى] وكان هذا شيحة دائر يشق فى كنا تس الشام كنيسة كنيسة ومراده القبض على اسفوط حتى يرتاح من غاينه فالتقى عشرة رهبان داير ين كنيسة إلى كنيسة يقاطع عليهم وتزيا بزى بترك وقال لهم انتم

داير بن على من فقالوا له يا أبى دابرين على اسفرط بن جوان فقال لهم لاى شىء اعلمونى حتى احضر لكم لانه ما يقعد فى هذه البلاد إلا القليل وا كثر اقامته فى الجبال يحضر دواوين الحواريون فقالوله له يا أبى أن بركه الحرت بها عشرة كهان وقصدهم أن يبايعوه على البركه فقال لهم سيروا حتى ادلكم عليه فساروا معه إلى كنيسة حتى باتت وقالت لهم هنا تجمع الحواريون بالليل اقعدوا بنا إلى الليل وقام جاب لهم فخذ خنزير مشوى على عشرة أرغفة وقال لهم هذا عشاكم وجدانة خمر وقال لهم وهذا سكركم فقعدوا يتعاملوا وقعد شيحة يقرا فى الانجيل بعيد عنهم حتى انهم أكلوا واكتفوا وسكروا وارتمرا فقام اليهم وذبحهم أجمعا ودفنهم فى الكنيسة وطلب السفر قاصد جزيرة الحوت فتاه عن الطريق وأقام ثلاثة ايام ولم يعلم من اين يسير فأقبل على ارض وعرة كلها أحجار ولم يجد فيها طريق مسلوكة فضاق صدره وهجر عليه البرد وزاد الهجر والحر فدخل فى مقام يستظل فيه من الشمس والحر فالتقى فى ذلك المغار رجل اختيار قاعد وحده ولا أحد عنده فلما نظره اقشعر بدنه أراد الخروج من المغار قال له الاختيار هذا لا تخف فانا قاعد فى انتظارك كان لى أيام وأنا مقيم هاهنا وموعود بك أن تأتى إلى عندى حتى أبلغ مرادى وقصدى فقال شيحة وأنت قاعد تنتظرنى هل لك منفعة منى أو أنت تنفعنى

تم الجزء السادس والاربعون ويليه الجزء السابع والاربعون

سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السابع والأربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال له ما أنت شيحة الذى قتلت الرهبان وقصدك ان تروح جزيرة الحوت تعمل مكيدة كما فعلت سابقا ومعك رزمة بنت جوان وخربت القلاع ونهبت أموالهم فقال له شيحة وأنت من تكون فقال له أنا مقدم الكهنا الذى أنت قاصد اليهم ومراهك ترمى مكايدك عليهم انزل فى الحديد حتى أعذبك العذاب الشديد فانك شيطان مريد واذا بشيحة يجد نفسه فى الحديد وذلك الكهين قال له لو تعلم يا شيحة ما يجرى عليك من الكاهن برهوت ما تعرضت الى الرياح نحو بركه الحوت فهم الكهين كلامه واذا بتخت مقبل من الهوا وضع على الباب المغار وخرج منه المقدم على الطور بردوأمه الملكة تاج ناس وسبب مجيئها ان المقدم على قام يوم من الايام واستوحش الى والدته فطلب سحاب المختطف خادم امه وقال له ودينى تحمله وسار به الى أمه فلما رأته قامت اليه وضمته الى صدرها وسألته عن حاله واخوته وقدمت له طعام ليأكل فقال لها يا امى انا لى مدة أيام لا رأيت أبى ومرادى منك ان تنظرى أين هو فقالت سمعا وطاعة وضربت زايرجة وقالت ياولدى أبوك حصره كهين جبار من كهان بركة الحوت يقال له الكهين برهوت وانه يا ابنى مرامه قتل أبيك فقال له وكيف تسكتى على ذلك سيرى بنا اليه فقالت وهو كذلك وأحضرت سريرها وابنها معها وشالت السرير الخدام حتى وضعوه قدام المغار فلما نظرها الكهين قال لها أنت اتيت ياعاهرة تريد ان تخلصى زوجك من يدى وهذا شىء لا تقدرى عليه ثم انه نتف شعرة من شيبته زرقة وقال لها كونى حربة وادخلى من صدرها اطلعى من ظهرها فتصورت الشعرة وخرجت حربة ولها هفيف وبريق ونظرتها تاج ناس فقال لها عودى شعرة كما كنت بقدرة من صورك فعادت شعرة كما كانت فضحك الكهين وقص ورقة وقد جعلها صورة آدمى وقال ابنى جثة تاج ناس حتى اقطع منك الرأس فقالت تاج ناس المقص لا يقص ولا يقطع بل أنه يعود بقدرة الله الملك المعبود فعاد المقص وبطل عمل الكهين وهكذا عشرة أبواب وهى تردهم الملكة تاج ناس وذلك الكهين طمع فى جانب الملكة تاج ناس وأراد ان يهلكنا ويبطل عليها عملها واذا

بسيدى عبدالله المغاورى مقبل وقال يا كافر يا ابن الكافرة لقد طمعتك نفسك انك تهلك الاسلام بما عندك من علوم الاقلام قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ثم انه أخذ من الارض شوية تراب وقال نحن كلنا من التراب ونعود إلى التراب وأنت ياعدو الله كن تراب بحق رب الارباب وضربه بذلك التراب فانعجم فى نفسه ونخيل فبادره المقدم على الطويرد وضربه بحد حسامة البتار وإذا برأسه من على بدنه نار فتصارخت أعوان الجان وقالوا له اراحك الله يامقدم كما ارحتنا من خدمته (فقال) شيحة ياسيدى جزاك الله خيرا فقال المغاورى ياشيحة انت ماقصدك ببركة الحوت فقال وماقصدى غير الجهاد فى طاعة رب العباد لعل الله تعالى أن يهدينا إلى سبيل الرشاد فقالت تاج ناس طاوع وارجع فان هذا أمل بعيد والوصل اليه صعب شديد فقال المقدم جال الدين أنا لا أبالى بكل ماجرى لى لانى أعلم ان الجهاد هذا فرض على الانسان وانا لا أتأخر عنه ولو اجتمعت على موتى الانس والجان واطلب النصر والاعانة من الله العزيز الديان فقالت الملكة تاج ناس خذ هذا اللوح النحاس فاذا وصلت إلى شاطىء البركة فاظهر هذا اللوح على صدرك فيظهر لك الحوت فاطلع على ظهره فانه يعديك إلى أى محل طلبت وتوكل على الله فاهذا اللوح وسافر شيحة حتى وصل إلى البركة وقد اظهر اللوح فظهر الحوت وداس على ظهره فعداه إلى البر الثانى فالتقاه اول كهين وكان اسمه الكهين لوقا فقال له أهلا وسهلا من أين اتيت يا أبى حتى وصلت إلى بركة الحوت فقال له أنا أرسلنى البترك أسفوط فضحك الملعون وقال له انزل فى الحديد فسار فى الحديد وقال الكهين والاسم الاعظم ما أنت شيحة وقتلت مقدمنا يا كناس وجاى تدبر مكيدة علينا فاتم كلامه إلا وإذا بحربة دخلت من صدره خرجت من ظهره وكان الضارب له طود البحر وصاح الله اكبر وإذا بشرار ونار واصرخت اهل البلد وقالوا ياجمال الدين نحن ماعصيناك ارفع اذيتك وبلاك فقال أنا قصدى تدخلوا فى دين الاسلام فاسلموا جميعا وسبب مجىء طود البحر ايضا الملكة تاج ناس لان المقدم على الطويرد قال لابد لى أن الحق أبى فقال طود البحر وأنا معك فاعطتهم الملكة تاج ناس كل واحد قوس واربع نبلات وقالت لهم أينما رأيتم ابوكم مقبوض مع كهين فلا تسألوه بل اضربوا الكهين بضربة اقتلوه وإذا أحدكم يضرب الثانى وكان الامر كذلك فتبعوا شيحة على هذه الصفة حتى وصل شيحة وقبضه أرل كهين فضربه محمد طود البحر وصاح الله أكبر فكانت الملكة تاج ناس يكبروا ويرموا حجار ونار حتى اسلموا أهل القلعة جميعا وجرى مثل ذلك فى الثانية والثالثة لغاية سبع قلاع قد صاروا اسلام وقد وصلت الملكة تاج ناس

وقالت لشيحة اجعل لك فى كل قلعة نائب فنيب على كل قلعة نائب فقالت الملكة تاج ناس بقى عليك أخذ الحوت ثم انها اقبلت وأطلقت البخور وعزمت فانفتح كنز الحامور وقالت له انزل هات الحوت فقال شيحة ما أقدر أحمله فقالت له متى قبضت عليه بيدك صار معك فنزل شيحة وطلع الحوت فخرج شهاب وقع فى صدر تاج ناس فماتت لوقتها وساعتها وخرجت روحها وهى تقول اشهد ان لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى طرد البحر فقال له على الطويرد ماهذا محل بكى فكان الموت ونزل طرد البحر فى قلب الكنز وأخرج جميع الذخائر منه ومن جملته مائة ناطورة وأمروها الجان أن يحولوا جميع ما فى الكنز واخذ أمه وعاديها والذخائر كلها إلى مدينة قلوصة ودفن أمه فيها وسلم جميع المال والذخائر إلى أبيه شيحة وشيحة أعطاهم للسلطان اعانة للجهاد ودخل شيحة عند رومة بنت جران وأقام فى امن وأمان

(قال الراوى) وأما أسفوط بن جوان فانه صار إلى البلاد يغرى ملوك الروم على حرب الاسلام فلم يقبلوا كلامه وقالوا أبوك خرب بلادنا فى الاصل وانت قصدك تكمل البقية خراب فلما ضاق عليه الحال دخل الجزائر السود إلى ملك يسمى الملك بارسوط وهو يحكم على أربعة وعشرين ملك وقرا قداس وهو يغلط يستاهل من ياصه اينما ذكر والبر تقش قدامه يظهر للكفار شهرة الكلب اصفوط حتى طاف الاربعة وعشرين قلعة واسماؤهم قلاع السرور وعرفوه جميع ملوكها أن هذا ابن جوان وقال لهم اسفرط أنا أمرنى المسيح أنا أحثكم على الجهاد فقالوا له إذا ركب الملك برصوط ركبنا معه فتركهم ودخل على الملك البارصوط وقرا قدامه اشياء من الانجيل فقام الملك اليه واستقبله واجلسه بجانبه وقدم له طعام فقال أسفوط أكلى من عندكم حرام فانكم من دونكم المسلمين مرفوسين وقد غضب عليكم المسيح ومارى حنا المعمدان وجميع الحواريون وأما أنا ما أنا قادما لكم على انى آخذ منكم صدقات وما اتيت إلا احذركم من طردكم من صقر ويقيكم فى الهاوية والوادى الاحمر كما أمرونى رجال الغيب فان طاوعتمونى نصرتكم وان خالفتونى شطبتكم من دين النصارى فقال له الملك بارصوط ايش الخبر يا أبى اسفوط انت قلت لنا على شىء وخالفناك فيه حتى انك تطردنا من دين النصارى فقال أسفوط يابب أنا ضاقت على الدنيا والمسيح الزبير ان أحس الناس على غزو المسلمين وفى هذه الايام اتانى حورانى من طرف المسيح اسمه الحورى سيروطه وقال لى ادخل الجزائر السود وطوف قلاع السرور وأطلب الملك الباصوطه فانه فى هذا العام يأخذ بلاد الاسلام وتطيعه العسام فروح اليه وحثه على الجهاد فقلت أنا لم أعرف تلك البلاد فامر الحوارى يدلنى على أرضكم وها أنا

جيشكم وبقيت عندكم فأنتم قاتلون ان كنتم نصارى فتجندوا فى ذلك الفارة واصطفوط قدامكم على ظهر الحارة وان كنتم مخالفين خليكم قاعدين والمسيح لكم من الناظرين وانتم من شعوركم مطرودين فلما سمع البب ذلك الكلام هم وانبا على الاقدام وصرخ بصوت كانه الرعد فى خلال الغمام وقال لعسكره احضروا جميعا حتى اركب على بلاد الاسلام فقال اصفوط اصبر يا بب الحرب يكون بالاستدلال قبل ان تركب اكتب كتاب الى الاربعة وعشرين ملك الذين تحت يدك واطلبهم للجهاد فالذى يطاوعك لا بأس والذى يخالفك اعلمنى حتى امسح اسمه من النصرانية فكتب كتاب إلى الملك الذى حوله وأخذهم اسفوط ودار عليهم حتى جمعهم على قلعة الملك البارصوط وقرأ قداس وبعد ذلك صاروا من الجزائر طالبين بلاد الاسلام وعدة عساكرهم مائة الف وثلاثين الف وكلهم بالخيول العربية والسيوف الهندية والرماح الخطية وهم فى حمية وأى حمية وسار بهم الملك البارصوط والبرتقش واصفوط وهم يقطعون الارض حتى وصلوا إلى انطاكية فقال اصفوط ادخلوا هذه البلاد فان انطاكية هذه مقارنة على حلب وتدخلوها ويبقى كامل احتياجكم فيها والعساكر يكونوا جرائد على الخيل ففعلوا ذلك وقطعوا الطرق وسارت سراياهم تنهب حول حلب وسارت أيضا إلى جهة الشام وصار سفك الدماء على الطرق واباحة المحرمات وبلغ نائب حلب فخاف ان يزحفوا على بلاده فكتب كتاب السلطان يعلمه بتلك الاسباب وأرسله مع نجاب وأمره أن يتهاون فى المسير فسار ليلا ونهارا حتى دخل مصر وطلع الديوان وقدم إلى خادمه مطلب واظهر الكتاب بعد ما ختم ودعى للسلطان بدام العز والنعم فاخذ المقدم ابراهيم الكتاب وأعطاه إلى من يقرأه ففضه وقرأه وإذا فيه من حضرة باشة حلب إلى حضرة ملك الاسلام اعلم يا مولانا ان الملعون اصفوط بن جوان جمع عساكر لا تعد ولا تحصى وهو ملك الجزائر السود واسمه بارصوط ومعه اربعة وعشرون ملك وعسكرهم شىء لا ينتهى له عدد ولا يدرك له مدد وقاطعين الطرقات على السالكين والغابرين لا تفوت قفل إلا وينهبوه والذى يتعاصى عليهم يقتلوه واخربوا السواد ونهبوا البلاد فلا تتوانى عنا يا ملك الاسلام فادركنا والا ارسل لنا من يدركنا والامر أمرك أطال الله عمرك والسلام

[قال الراوى] فلما سمع السلطان هذا الكلام اخلع على النجاب وأمر العساكر أن يتجهزوا للرحيل وفرق القفاطين على الامراء واجلس السعيد على الكرسى وبرز بالعرضى إلى الوردانية وعمل مولد سيد المرسلين وشال طالب انطاكية وارسل إلى الفداوية ان يلاقوه على الشام والقوه وسار حتى حط انطاكية وقعد ثلاثة ايام واليوم الرابع كتب كتاب وأرسله إلى انطاكية مع المقـــدم سعد

فصار به حتى بقى تحت الاسوار وصاح على البوابين وقال لهم سيار فانزلوا له حبل من الصور وأعطاهم الكتاب فدخلوا للملك برصوط ففضه وقرأه فوجد فيه من ملك الاسلام إلى حضرة الكلب بارصوط ايش أغراك يا ملعون حتى أتيت البلاد ما أنت منها ولا تعرفها وتبعت اصفوط وأوهيت نفسك فى بلى مالك به طاقة انظن أن أنطاكية تحميك مع انها من جملة من تعطى الخراج وهى أقل البلاد فان أردت السلامة تقبض على اسفوط والبرتقش غلامه وتأتى بهم وأنت خاضع صاغر أبايعك رقبتك بالمال وآخدمنك كل ما كلفته ركبتى وجاتى مدة السفر واكتب عليك الجزية فى كل عام فان فعلت ذلك والا دونك والقتال فقطع الكتاب وأرماه وكتب رد الجواب بالحرب وأرسله مع سعد فقطعه السلطان وقد امر بدق الطبل وعند الصباح انفتحت أنطاكية وخرجت العساكر وتصففت وأرادوا ان ينزلوا للبراز فخرج طريق فخرج له أيدمر فقتله فعلقت الكفار على أيدمر وقال أصفوط البر زيادته فائدة وهو الشنيار فزحفت الكفار والقتها المسلمين الابرار وغنى السيف البتار وحكم فى الرقاب وجار وقصرت الاعمار فكم من رأس طار ودم فار الى آخر النهار ودقوا طبول الانفصال فمارسى اصفوط ولا البرتقش ولا بارصوص بل قسموا العسكر نصفين نصف لليل ونصف للنهار وعرف السلطان المقصود فخرج من تحت البرق ورد الفداوية وأخذ الاغا شاهين الوزير وقلاوون وتقطمر وايدغدى وايدغمش وقال أنا أتولى حرب الليل وكان الامر كذلك فقاتل السلطان طول الليل حتى ان الفداوية يكون عليهم حرب النهار وقاتل السلطان ومن معه هذه الليلة وعند الصباح زحفت الفداوية وآخر النهار نزل الملك الاسلام والامراء الكرام وهكذا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أقبل الملك دورو وأخوه يتموروج وباقى أولاد الملك عرنوس وأولاد ملوك البرتقان وهم على خيول أخف من الغزلان وعند وصولهم كان الحرب متصل فكل منهم صاح وحمل وجرد الطعن باطراف الاسل وحكم السيف أعالى القلل هنالك طلع الغبار وتقسطل وزاد النفع وقوى فيه الهوجل وضرب بالناس المثل ودام القتال على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال وكان هذا آخر النهار من اليوم الرابع وصارت أرض الميدان ملآنة بالقتلى وحامت عليهم عقبان الفلا وعادت الناس الى اماكنها وأما عساكر الاسلام عادوا الى الخيام وأما الكفار فانهم دخلوا أنطاكية وملوكهم ووزراتهم باكية لانه هلك منهم خلق كثير وأيضا استشهد من الاسلام مقدار عشرة آلاف تمام والخروج مثل ذلك وأما عسكر الكفار فراح منهم كل عين وحان عليهم الحين وعاد الملك البارسوط

وهو كانه مخبوط من شدة مارأى فى تلك الأيام من المشقة والسطرس ولما جلس فى مكانه قال ائتونى باسفوط فاحضروه إلى بين يديه وصدغه مثل الخشب البلوط فقال البب باصوط كيف رأيت حالتنا فقال له رأيت كل الخير ولا يصيبكم الا كل خير ولاضير فقال له اما ترى يا أبى عسكر المسلمين سحقونا ومات نصف العسكر وحالنا معهم تعس فقال أصفوط لاتحملوهم الذى يمرت وأنا متى انقضت أيام القتال الذى يموت كله انا أسأل المسيح يحييه ولا يعدم من عسركم ولاشخص واحد فقال البارصوط أنا لى ابن عم فى الجزائر السود يقال له البب صبرون وهو أفرس أهل زمانه وهو مايرضى يتعرض لقتال المسلمين ونحن على كل حال عادينا هم وبقى علينا دمالهم ولابد لنا من قتالهم والصبر على لقاهم لكن عسكرنا هلك منه خلق كثير ولابد لنا من النجدة قبل القتال وإلا ان صدمنا المسلمون صدمة واحدة أهلكوا باقينا واما اذا جاءنا ابن عمى ولو بعشرة آلاف يساعدونا فى القتال فقال أسبرط بكره يوم احد تقفل البلد ونبطل القتال وانا أرسل من عندى نجاب إلى الجزائر السود فقال البب انت الذى تروح ومعك البرنقش فقال أسفوط اروح ولكن اصبر على بكره طول هذا ما جرى

(قال الراوى) وأما ملك الاسلام فانه عاد إلى الخيام ونزل واحتاطت به الفداوية من كل فارس وبطل وتقدموا أولاد الملك عرنوص وسلموا عليه فتزحزح لهم وسلم عليهم واستوحش لهم فقال الملك دورى ياعمى عجب يعنى إذا جاءت الكفار يحاربوا الاسلام فما نرسل لنا ولا تعلمنا اما نحن أيضا من جملة توابع ملك الاسلام اما تحسبنا مثل الفداوية تكاتبنا مثلهم فقال السلطان أنا والله مايهون على نفيهم فانكم على كل حال مقيمين فى مدينة الرخام تصد ملوك الروم اللئام ولكن هذا حال طول كون ان الملاعين تمكنوا من أنطاكية وقفلوا أبوابها وهلك منهم خلق كثير وأقل انهم يقعدوا فى البلد ولا يقاتلوا حتى تأتيهم نجدة وأنا أريد من يفتح لى البلد ولا يقاتلوا حتى أضرب فيها بالسيف المهند

(قال الراوى) وإذا بشيحة طالع فقام له السلطان وسلم عليه وأجلسه إلى جانبه فقال السلطان لشيحة يا أخى أنا مرادى بجتهد لى فى فتح أنطاكية فان الكفار لابد أن يحاصرونا فيها وأنا قصدى منك فتحها فقال على الرأس والعين الليلة هذه باذن الله يفعل الله مايشاء فيها وقام شيحة وطلع من عند السلطان فالتقوه أولاده فقالوا له أين قاصد فقال أنا التزمت للسلطان فتح أنطاكية ولازم الليلة تجتهدوا فقالوا له نعم نطلع من الصور والاجتماع فى مكان الملعون اسفوط فان قتل هـــذا الملعون أفضل من الجهاد فانه نقمة على الاسلام ثم انهم انفردوا على صور انطاكية وكل

واحد منهم طلع من ناحية وأما أسفوط لما قال له البب بارصوط تروح الجزاير السود فقال حاضر وطلع من قدامه والبرنقش واختفى فى الصور مثل الحصين بعد ماقال للبرنقش انا ظنى انك موالس مع المسلمين فقال البرنقش وما الذى رأيته منى وأنا قضيت عمرى مع أبيك وبعد أبيك تبعتك ومشيت معك فقال أسفوط وانا اعلم انك على الأواخر تسلم وتسير مع المسلمين فقال أنا والاسم الاعظم لا رلثت عليك مطلقا ولكن انت فى هذه الليلة تأخذ شيحة وأولاده من الصور لاجهم يأتوا طمعانين ان يفتحوا البلد ويملكوها للسلطان وأنا أضمن لك قبضهم فى الديوان واختفى البرنقش أيضا كما اختفى أسفوط ولما طلع شيحة وأولاده من بعده صبرا صفوط حتى بقوا عند الملوك وجاء أسفوط من خلفهم وقال ازبط وساعده البرنقش واستيقظوا على انفسهم الملوك وقبضوا شيحه واولاده الخمسة وقال اصفوط اقطعوا رؤوسهم قبل كل شىء حتى تستريح منهم فقدموهم لضرب الرقاب فعند ذلك تذكر البرنقش كلام اسفوط لما قال له انت موالس مع المسلمين واتسب انه منافق فقال فى عقله هذا الملعون تعبنى معه باطل وضائع وكلما افعله مع النصارى هو الذى يفتخر به عليهم وانا مابقى لى الا ابطل عليه كلما يفعله والجميل عند المسلمين مايضيع والتفت للبارصوط وقال له يابب لاتقتل من هؤلاء احد إلا لما يحضر ابن عمك البب صابرون بعساكره من الجزاير تبقى تقطع رؤسهم وترمى بهم المسلمين وتكبس عليهم فى دهشتهم فيكون قل عزمهم إذا رأوا رؤوس اصحابهم وتكونوا انتم عليهم بالكثرة فبذلك تقتلوهم وانت امس قلت البترك اسفوط روح الجزاير السود هات ابن عمك يروح بل اجتهد فى القبض على شيحة وأولاده مع انهم لا يحاربوا ولا يضاربوا بل محتالون حيلة معروفة ولاتدخل علينا مادمنا مستيقظين على انفسنا وانما نحن نخاف اذا وقع الحرب وعساكرنا قليلة تبقى وقعتنا مع المسلمين وبيلة فالتفت اليه بارصوط لاصفوط وقال له انت تضحك على انزل فى مركب حالا وخذ هذا المكتوب ولاتعود إلا ومعك ابن عمى وهاهو البرنقش هنا يقوم مقامك ونحن قافلين البلد ولا نفتحها وندور الحرب حتى تعود انت بالعساكر مع الجزاير السود ومعك ابن عمى فعندما نزل اسفوط فى مركب وسافر له كلام

(قال الراوى) واما البرنقش فانه قال للملك انا مرادى اروح للمسلمين واكشف لك اخبارهم وانت لاتفتح البلد الا اذا حضر ابن عمك بعسكره ونزل البرنقش وهو يتسلل حول عرضى الاسلام فلم يجد زرقش بن شيحة فسار يدور عليه حتى التقى عرضى الحبس منفرد وحده فمر عليه فقبضوه الحرس وقالوا له انت من تقال لهم ردونى للمقدم زرقش فساقوه الى بين يديه فقال له زرقش من تكون

فضحك وقال له أنا البرنقش وأتيت اليك بفائدة وهو ان اسفوط نزل فى البحر قاصد الجزائر السود للملك صابرون وانا أتيتك اعلمك ومرادى منك ان تأتى فى مراكب من البحر ومعك عشرة الف عسكرى لابسين لبس النصارى حتى اذا وصلت انطاكية تقول انا صابرون صاحب الجزائر السود ان ابن عم البب البارصوط ويكون الذى معك أبطال شداد وتضعوا السيف فى أنطاكية وتملكوها فقال زرقش انا افعل ذلك ولكن ربما تكون هذه منك مكيدة يابرنقش فقال البرنقش الحق فيدك فاوضعنى فى الحديد واذا دخلت أنطاكية ورأيت فعلى مكيدة اقطع رأسى قبل كل شى. فقال زرقش أنا اقنع منك ان تحلف بالاسم الاعظم ولا احبسك ولا أضربك فحلف له البرنقش وقال زرقش وأبى واخوتى محبوسين عندكم فقال البرنقش نعم فعند ذلك قام درقش ودخل على السلطان وأعلمه بكل ما أراد أن يفعله ونزل المقدم زرقش الطيار ويدبر أشغاله وعاد البرنقش الى أنطاكية له كلام [قال الراوى] وأما بارصوط امر بقفل باب أنطاكية والتوكيل على شيحة وأولاده حتى لا ينجو امنهم احد وما مضى الا ايام قلائل وقد أقبلت من البحر مراكب الكراكب وناشرين قلوع سود وما دامو اسائرين حتى بقوا تحت مينة أنطاكية ونشروا بنادير الامان فلما نظر الملك البارصوط اليهم أرسل يكشف أخبارهم فعاد اليه السيار يقول يابب هذا عسكر الجزائر السود والمقدم على ان عمك صابرون فامر الملك بفتح أبواب أنطاكية ودخول تلك العساكر المقبلة فانفتحت الأبواب وطلعة العساكر جميعا ووقف البارصوط يوضب لهم محلات وأماكن يقعدون فيها وكلما طلعت فرقة يستقبلها وينزلها فى مكان حتى امتلأت أنطاكية وكان العسكر مقدار عشرة الف وعند ذلك طلع الملك صابرون وهو يشتكى الضعف من قاساه من السفر فى البحر وهو رابط رأسه حتى بقى فى وسط السراية وهو يتململ من العى فاقبل اليه بارصوط وسلم عليه فلم يرد عليه السلام دون ان ضربوا بالحسام فحكم الضربة على ودنيه اطار رأسه من على كتفيه وصرخ فى وسط السراية الله اكبر فكانت عسكره معهم السفير فوضعوا السيف فى الكبير والصغير وكانوا جميعا منهم كل فداوى واسير فما نصف الليل الا وجميع من كان فى أنطاكية راحوا على براشق السيوف كالقطن المندوف لانه لما انفتح الباب وكان الخبر عند السلطان ودخلت عساكر الاسلام حكم فيها فرح للنصارى طلبوا الانهزام ولو لا ذلك لم تعد منهم من يوصل الخبر وكانت هذه اجتهاد المقدم زرقش لانه لما طلع قدام السلطان أخذ من بنى اسماعيل أربعين مقدم ونفى من الامراء عشرة الف مقاتل وعساكره الحبشة وسار ليلا الى اللاتقية فكان البطريق هناك فاعلمه بالخبر وأخرج الغراب العظمى وعشرون خلافهم غليون

قدمهم له البطريق ونزل الرجال من اللاتقية ليلا وخرجوا للبحر وغيروا القلوع والبيارق والملبوس حتى دخلوا المغرب على مينة انطاكية وكان الليل أقبل والنهار ارتحل وملك زرقش البلد وقتل البارصوط وملك انطاكية كما ذكرنا ودخل السلطان واحتووا على ما خلفوه عباد الصلبان وأقام فى انطاكية بعد ما أطلق شيحة وأولاده وطاب قلب السلطان وانبسط فؤاده

[قال الراوى] وأما اسفوط فانه سار إلى الجزائر السود ودخل على الملك صابرون وقال له ابن عمك ملك انطاكية بعدما هلك من المسلمين خلق كثير ومراده أن يتوجه منها إلى حلب ويحط فيها نائب من طرفه وكذلك إذا اخذ حلب ايضا يحتاج ان يخلى فيها نيابه من طرفه والشام وغيرها فأرسلنى اليك لتركب وتكون معه

فقال صابرون طيب يا ابى أسفوط وفى الحال جهز عسكره وأعرض عساكره فكانت خمسين الف بترك منها عشرة آلاف تحفظ البلاد ثم أخذ أربعين الف وساروا على الخيول وانتشروا فى البر عرضا وطول وقطعوا القيافى والقفار طالبين انطاكية وتلك الأمصار فوجدوهم منهزمين من عكا فقال اصفوط إيش الخبر فقابلوه ملوك الشرور والجزائر السود الذين كانوا صحبة الملك البارصوط وكانوا أربعة وعشرين ملك كما ذكرنا فقتل منهم تسعة ملوك وخمسة عشر منزمين وخلفهم عساكرهم متقطعين من عشرة وعشرين فلما رآهم أسفوط وصابرون فسألهم عن الخبر اخبروا على الذى جرى وأتى بالملك صابرون وقبض على الملك بارصوط وقتلوا وفتح انطاكية وأعطاها له فى المسلمين فقال أصفوط هذا من تدبير بارصوط فانى قلت له ابعث نجاب الجزائر السود لابن عمك وأنا اخلى أملاكك المسلمين فما قبل منى إلا ارسلنى ولكن أملاكك أرض المسلمين للبب صابرون وهذا مات إلى لعنة المسيح وأنت يابب صابرون سر بنا إلى عكا فان انطاكية بقت مع المسلمين

فقال صابرون وأنا آخذ ثار ابن عمى من ملك المسلمين وسار مع أصفوط ودخل به على عكا وأمرهم الملوك الذين انهزموا أن يكونوا معى اليه صابرون حتى انهم يخلص لهم ثارهم أصفوط كلما عدم منهم ولذلك المسلمين أعدامهم ونصبت عرضى النصارى على عكا وكان السلطان بعد ما ملك انطاكية شال من عليها وأراد ان يرحل على حلب فأتاه تبع من القصاصين وأعلمه بأن اصفوط حط على عكا ومعه عساكره الذى انهزمت من انطاكيه وصابرون صاحب الجزائر السود فالتفت للوزير

وقال له لابد لى أن ألحق هذا الكلب وادخل عكا وأشرف ملكها طائع أم عاصى وأجازيه على قدر ما أرى وأخذ ابراهيم وسعد وسار بهم حتى اختلط بالناس ودخل عكا وهو لابس مثل روم ووصل الى الميدان وكان فى تلك الساعة دخل اصفوط

بالملوك . وأحكى له ما وقع وطلع أصفوط نظر إلى السلطان عرفه فعاد إلى ملك عكا وقال له سلطان المسلمين ها هو فى الميدان فخذ الحذر منه وافعل كذا وكذا فعند ذلك قام ملك عكا على حيله وقبض على اصفوط وصابرون والملوك الذين معه ووضعهم كلهم فى السجن وقال له يا أسفوط انت مرادك تغرنى على الضلال وأنا طول عمرى طايع ملك الاسلام ولا أقدر اخالفه فنظر ابراهيم والسلطان ما فعل ملك عكا فقال السلطان هذا لنا من الناصحين ودخل على ملك عكا السلطان وابراهيم وسعد وقال له يا عبد الصليب أنا كنت ظنيت انك تقوم مع هؤلاء الملاعين لما رأيتك هذا الفعال وقبضت على اعدائنا بقيت عندى فى المنزلة العيا فقال عبد الصليب، ملك عكا يا برين المسلمين أنا ما بقيت أخونك أبدا ولا أسمع من أصفوط ولا من غيره كلام ثم أنه اجلس السلطان وقال له أنا قبضت على أعدائك خذهم معك ولا أرسلهم لك أنا فى عرض المسلمين هذا وقام الملعون عمل للسلطان الفداو قبل يديه وقال له يا ملك الاسلام تجبر خطرى بأكل الطعام قال السلطان أكلكم لا يحل عندنا فقال هذه مربات وحلويات ما فيها من المحرمات عندها دخل السلطان وابراهيم وسعد وقد اندقت الحيلة عليهم أكلوا وتبنجوا ووضعهم ملك عكا فى الحديد وفك أسفوط والملوك وقال لهم هذا ملك الاسلام دونكم وما تريد فقال أسفوط منتار قام السياف على السلطان وأراد أن يضربه وإذا بلطش أرما رقبة السياف وكان الضارب له القدم هو اجر سياف السلطان وقال أنا فدا أمير المؤمنين وقاتل وقع قبضره وأرادوا أن يقتلوه الجميع كان الوزير أقبل بعساكر الاسلام فضربه ملك عكا بالمدافع امتنع على قدر رمى النار ونصب العرضى ولما كان عند الصباح وتنصب الميدان وقال أسفوط للملوك النصارى ملك المسلمين معكم مقبوض ما بقى غير التبع فارجعوا عليهم واطحنوهم تحت سنابك الخيل فحملوا أهل الكفر فتلقتهم الاسلام وحكم الحسام الصمصام فى الاعضاء حتى أقبل الليل بالظلام وخفيت مراضع الاقدام وثانى الايام هكذا تمام أربعة عشر يوما

[قال الراوى] وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق أن المقدم طود البحر لما أتى بالنواطير من جزاير البحر يجد كل ناطورة لها مراية وكل من له غائب أو مأسور يشوف المراية ويقول فلان فانه يراه على كيفية ما هو فيه فقال لابد ما اجعل فى كل بندر ناطورة فجعل واحدة فى الاسكندرية وواحدة فى رشيد والثالثة فى دمياط وبعد ما وضب الناطورة بدمياط اتفق انه جايز فى شارع دمياط فرأى باب دار انفتح وطلعت منه بنت جميلة لكن فقيرة الحال فلما نظرها طود البحر وقف حتى

أتت إلى عنده فقال لها انت انتى من وما اسمك وما اسم ابوكى فاستحيت لانها تعلم انه سلطان الحصون فقالت له يا سيدى انا اسمى فاطمة السملاوية وأبى مات وخلفنا سبع بنات وأنا اخراتى فاكل من صدقات السلطان وها أنا رائحة للنكية اجيب من صدقات الملك الظاهر واطعم اخوتى فقال لها اما تقبلينى ضيف عندك فقالت يا سيدى مرحبا وأهلا وسهلا فها انا واخواتى إلا من بعض خدامك فسار معها إلى البيت وقال لأمها اما تزوجينى بنتك فاطمة فقالت يا سيدى انت ملك وابن ملك فان يطيب على خاطرك مرحبا وأهلا وسهلا فكتب كتابها وأمهرها ودخل عليها وبات وأصبح اخبر باشة دمياط وقال له انا ركبت الناطورة تبع المسلمين وهذه المراية كل من له غائب فينظر فى المراية يراه كما هو ثم انه رتب للمراية كل عام عشرة فضة وبعد ذلك نظر فى المراية وسأل على السلطان فرآه فى عكا ورأى عسكر الاسلام فى الحرب على عكا فطلب سحاب المخطف خادم الملكة تاج بخت وقال اريد تودينى عكا وتساعدنى حتى اخلص السلطان ومن معه فحمله ووصله إلى عكا فقال لها شيلنى إلى قدام السلطان وكانت الملوك اجتمعوا وضربوا رأيهم على قتل السلطان وإبراهيم وسعد ووضعوهم فى نطعة الدم وارادوا أن يقتلوهم فنزل طرد البحر ارمى رقبة السياف ورقبة صابرون والملوك الذى معه وأطلق السلطان وإبراهيم وأعطاهم سلاحهم ضربوا فى البلد ونزل طرد البحر فتح الباب وقال للفداوية الامراء ادخلوا ووضعوا السيف حتى ملكوا البلد وهرب اصفوط والبرتقش ومعه الملوك جميعا قتلوا إلا ملك عكا احضره السلطان ووبخه على فعله وشنقه على باب البلد وكان له ولد اسمه عبد المسيح اتى قدام السلطان وطلب الامان فبايعه الملك على عكا وأخذ عليه المكاتبة ورحل السلطان يطلب مصر وشيحة معه

فقال السلطان والله يا طود البحر انك فعلت فى هذه النوبة فعل الرجال وتستحق ان يتمنى غاية الآمال فقال يا ملك الاسلام ما استحق ان اكون بعد ابى ملك القلاع

فقال له شيحة يا ولدى انت حكيم والحكمة أعلى قدر امر السلطنة وفيها نفع للناس اكثر فانفذ طود البحر من ابيه وأما السلطان تودع من شيحة ومن اولاده وسافر إلى مصر واقام يتعاطى الاحكام [يا سادة] ومما اتفق ان فى بلاد كروان فداوى نصرانى اسمه يعقوب الكروانى وهو عليه خراج سنوى ويديه للمغيث وبعد وفات المغيث وتوليته ولده الكامل صار يودى له كذلك فاتفق ان الامير كامل يوم فى البر فصادف ذلك فقال له انت تعرف تصطاد

فقال له يا قليل الادب إذا كنت أنا باشة الكرك ما أعرف اصطاد انت الذى تعرف تصطاد يا فلاح الكروان وكافر بالله الملك الديان فانغاظ الفداوى وحط يده فى شاكريته

وضرب الامير كامل حكمت الضربة فى رأسه بالحد فانفلقت ووقع قيل وكان خلفه خدامين عشرة لكن ماقدروا ان يقاتلوا فساقهم قدامه وصاح على اهل بلده فتبعه خلق كثير ودخل إلى قلعة الكرس وملكها فلما رأت الاكراد ذلك الفعال فما هان عليهم اخذ بلدهم وقتل ابن عمى فأتت جماعة منهم مصر ودخلوا على باشة الاكراد عز الحلبى واعلموه بموت كامل بن المغيث فقال الله الدائم ولابد بقى من اعلام السلطان ونقول له ان يرسل قلاوون الالفى لأنه من الاتراك وصاحب هبة وعراك وصبح طلع للسلطان وكان السلطان يحبه محبة زائده لكرمه بن عم الصالح فقال عز الدين يامالك الاسلام واحد نصرانى قتل كامل بن المغيث وأخذ قلعة الكرك وحاصر فيها ابعث له قلاوون الالفى خليه يملص اردانه فان كل شيء له آفة من جنسه ولايقدر على هذا الكافر إلا قلاوون وقدرة الله تعينه على ذلك الملعون فقال السلطان مرحبا فى الحال طلب قلاوون وأرسله عليه قفطان وقال له انت باشة الكرك خذ عسكرك وسافر والذى تعجز فيه اتحمله عنك

فقال قلاوون نعم وسافر بعسكره حط على الكرك فرأى الحرب واقع فى القلعة وكان السبب أن المقدم زرقش سمع الخبر وهو جائز من على الكرك فأخذ عشرة من عساكره وقال للباقى انا افتح لكم البلد وأنتم اتبعونى حتى آخذ القلعة وأقتل هذا النصرانى الذى قتل باشة الكرك وسار إلى باب القلعة وهو فى صفة بترك ومعه عشر رهبان فقالوا له البوابين إيش مرادك يا بى فقال يا أولادى المسيح اعلمنى بأن المقدم يعقوب اخذ هذه القلعة وأمرنى ان ارضع له البركة لأنه جاهد فى دين المسيح قالوا افتح له الباب فدخل المقدم زرقش بجد الحرب واقع بين الاكراد اهل القلعة والنصارى ولكثر المسلمين فى اشد الضيق فلما وقعت عين المقدم زرقش على يعقوب وعلم انه المطلوب فتقدم اليه وضربه بلطشردبوس حديد على صدغه فأراه وصاح الله اكبر هجم الجيش وأهلكوا النصارى وأخذ يعقوب وطلع به إلى الامير قلاوون وقال له يا دولتلى هذا يعقوب الذى انت جيت لأجله خذه اقتله واتولى على الكرك فأخذه الامير قلاوون

وقال له شكر الله فضلك وطلع قلاوون بعساكره ملك قلعة الكرك وبعدها احضر يعقوب وقال له انت فداوى وقتلك خسارة وأنا قصدى منك ان تكون معى صاحب ورفيق واشفع فيك عند السلطان والمال الذى عليك تدفعه ولكن إذا طلبت منك حاجة هل تقضيها لى

قال له نعم وأكون لك من بعض العبيد فقال له تكون قلعة الكروان وقلعة الكرك سوى سرمى إلى قلعتك وانت مكتف فسار معه لقلعة الكروان وقال يا اهل القلعة هذا يعقوب مقدمكم وأريد اطلعة لكم ويكون حاميكم قالوا له افعل ما تريد فطلع إلى

قلعة الكروان وتبعه من له من الخدم والعسكر والغلمان ولما بقى فى القلعة صاح الله اكبر وضرب رقية يعقوب الكيروانى عند ذلك صاحت عسكر قلاوون الله اكبر ودام القتال حتى ملك القلعة واهلك كل من فيها وأعطاها للاكراد وأقام فى الكرك حاكم وباشة واتفق ان كامل بن المغيث له بنت اسمها كاملة فعلم الامير قلاوون بها فارسل لها بعض الدايات ليحفظها ، فأتت فقال قلاوون للكيخية وكان اسمه صالح الكردى قال له قلاوون اعلم يا صالح كيخية ان السيدة كاملة بنت باشة الكرك قلبى مولع بها وقصدى اتزوج بها فانها لاتجد غيرى كفؤا لها وإن خلفت منى ولدا يبقى باشة محل ابيه فقال الكيخية أنا اسألها وقام طلع للحريم اعلم اغا الحريم ان يأمر سيدته تأتى تكلمه فلما اقبلت قال لها ياسيدتى كاملة انت لأى شيء ظردت الباشا وهو راغب فى زواجك وإذا خلفت منه ذرية فيكون مقام ابيك ولم تجدى احسن من هذا الباشا كفؤ لك ومادام لمح مثل هذا حتى رضت وأعلمته برضاها فاحضر قاضى الكرك وعقد عقدها دخل عليها فخلفت منه ولد جميل يسمى محمد الناصر له كلام واقام قلاوون باشة الكرك

إقال الراوى ، اما اصفوط لما عرب من عكا فانه نزل فى البحر ليلا وسافر إلى مدينة الرغدة وكان بها ملك يقال له عبد المسيح فدخل عليه اصفوط وقال له يا بب ماهو الجهاد فرض عليك فى دين المسيح لعل ان تهلك المسلمين وتقتل ملكهم وتاخذ بلادهم فقال يا أبى اعلم ان المسلمين نارهم قوية ولهم سطوة وانا ماسبق منهم لى عدارة حتى كنت اتجرد لقتالهم واجازيهم على فعالهم فقال له اصفوط اما تعلم ان بيبرس ملك المسلمين مرتب الخراج والعداد على ملوك الافرنج وانت إذا قتلت ملك المسلمين فتكون ترفع ذلك من ابناء النصارى وتشيع ذكرك والمسيح يغفر ذلك ويهاديك فقال وكم عند ملك المسلمين عساكر فقال اصفوط عسكره كثير لكن إذا كنت معك نهلكهم بالتدبير ولا يبقى منهم صغير ولا كبير فقام عبد المسيح واجتهد حتى عمر ثلثون مائة شيء كان حاضر وشيء جدده وألاهم بالعساكر وسافر على وجه البحر طالب الاسكندرية فجاء فى طريقه على القسطنطينية فلما مر عليها قال اصفوط. انا اطلع وأقول للبب ميخائيل يركب معك ويجمع عساكره وينفعك قوم بنا ندخل عليه واخذه ودخل على ميخائيل وقال له اصفوط. انت اكبر البيات ولاى شيء متاخر عن حرب المسلمين فقال ميخائيل انا ماتاخرت وإنما انا منتظر قدومك فقال اصفوط. ماهو عيب عليك لما سلمت ابى جوان للمسلمين قطوه ولكن كافى الذى كان ومرادى منك ان تركب معنا حتى ناخذ ثار ابى من المسلمين فقال ميخائيل على الراس والعين سيروا قدامى وانا الحقكم على

ما اجمع عساكرى فساروا وقام ميخيل يجهز عساكره وسار البب عبد الصليب طالب الاسكندرية فقال أسفرط يابب أنا لى غرض قبل كل شيء نأخذ مدينة الرخام فقال عبد المسيح افعل مابدا لك وساقوا على مدينة الرخام حتى بقرا قدامها وضربوا المدافع واصطفوا حولها وتهامروا على الدخول على مينتها فضربوهم الطبجية بالمدافع ومنعوهم عن المينة وقال الملك دورى للملك هدير الرعود طلع العساكر حتى اننا قلقاهم ونبيد أنصاهم وأدناهم فقال هدير الرعود الرأى عندى يامالك دورى ان تكتب كتاب للسلطان لاجل يبقى على علمه ولربما أنه إذا بلغه الخبر يرسل لنا نجدة فى الحر وتأتى من خلف هذا العسكر ونحن من بين أيديهم فنهلكهم ونفنيهم فقال له صدقت وكتب الملك دورى كتاب وأرسله مع سيار فسار حتى وصل إلى السلطان فاخذ الكتاب وجد فيه من حضرة أولاد الملك عرنوس إلى بين أيادى ملك الاسلام انه قدم علينا عبد المسيح ملك الرغده بماية مركب مليانة عساكر كفار فارسلنا اليك هذا الكتاب أدركنا ، إلا ابعث لنا من يدركنا والسلام على من ظللت عليه الغمام فلما قرأ السلطان الكتاب التفت لابنه أحمد سلامش وقال له حضر نفسك وسر على مدينة الرخام وخد معك عشرة من الامارة وبنو إسماعيل يلحقوك من تلاعهم واجمعكم على مدينة الكرك ومن هناك تروحوا على مدينة الكرك فسمع هلاوون بقدوم أحمد سلامش فخرج وركب اليه وسلم عليه وطلع من الكرك واقامات علوفات واعلمه أحمد سلامش أنه قاصد مدينة الرخام قال له وأنا معك بجميع عسكرى وركب فلاوون فى عساكره بعد ماأقام له نائب فى الكرك ثم انهم ساروا حتى وصلوا إلى مدينة الرخام ولحقته بنو اسماعيل

[قال الراوى] وأما أسفرط والبرتقش فانهم لما وصلوا إلى مينة مدينة الرخام ومنعوهم بالمدافع فساروا إلى ساحل مرج الخيل قريب من مدينة الرخام وطلعوا البر ونصبوا الخيام قدام مدينة الرخام فعند ذلك أمر هدير الرعود بفتح البلد وطلع بعساكره وعساكر ملوك البرتقان وطلعت أولاد الملك عرنوس ونصبوا عرضيهم قدام عرضى الكفار وتصفت الصفوف وترتبت المشات والالوف وبرز الملك هدير الرعود إلى الميدان وبرزت عباد الصلبان فقاتل قتال الفرسان ونكس عباد الصلبان واشبههم من الحرب والطعان فلما تعبوا من البراز شكوا لاسفرط فقال لهم إذا برز غدا احملوا عليه فى الحرب والكفاح ولا تتركوه يرتاح وشيلوه على اسنة الرماح فعند ذلك صبر الكفار إلى ثانى يوم وبرز الملك هدير

الرعود وطلب البراز وسأل الانجاز بقدرة الكفار وحملوا عليه من جهة اليمين واليسار فتلقاهم وصبر على ثقلهم هناك حمل الملك دورى وحملت اولاد ملوك البرتقان ووقع ضرب السيف اليمانى وطعن الرمح المهان وكان لهم يوم حارت فيه الافكار وذهلت منه النظار وفى عصار النهار اقبل الملك احمد سلامش وقلاوون وبنو اسماعيل ولما اقبلوا وجدوا الحرب دايرٍ فحمل الملك احمد سلامش على الكفار وتبعوه ابطال الاسلام الابرار وغنى البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانهزام وداموا إلى آخر النهار ودق طبل الانفصال وبطل القتال وعاد الملك دورى والملك يتمرجح وباقى اخوته وهدير الرعود وتلقوا احمد سلامش وسلموا عليه وعادوا إلى الامير قلاوون وسلموا عليه وعلى بنو اسماعيل فردا فردا وشكروهم واثنوا عليهم بكل خير فقال احمد سلامش والله يا اولاد العم انا ما اعطيت تهاون فى المجى. الا مقدار ما امرنى السلطان حتى اتيت الى الكرك وجمعت الرجال واتيت والحمد لله انتم لاتحتاجين الى نجدتى لان الله اوعدكم النصر عن آباكم وجدكم فقال دورى والله ماجيتم الا وقت الحاجة لكم شكر الله فضلكم واحسانكم وقاموا يفقدوا عساكرهم فوجدوا مات من عسكر مدينة الرخام سبعون نفر ومن عسكر مصر اربعة وثلاثون من اتباع الفداوية اربعة واربعون فقال الملك احمد وهل عندنا مجروحين فقالوا سبعة انفار مجروحة من عساكر مصر هذا والملك دورى احضر للملك احمد سلامش ومن معه الاقامات والعلوفات من مدينة الرخام فقال احمد سلامش السلطان اعطانا بزايد فقال دورى ونحن كل ماعندنا من السلطان الله لايحرمنا منه هذا ماجرى هنا

(قال الراوى) واما البب عبد المسيح فانه لما نزل فى صيوانه اول ماسال عن الذى قتل فى هذه الوقعة فغابوا وحبسوا وعادوا له وقالوا قتل مقدار احد عشر الفا والذى جرح اكثر من هذا العدد فلما سمع ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام والتفت الى اسفرط وقال له كيف العمل يابى وانت قلت لى انك تملكنى البلاد بالتدبير وها انت لادبرت ولاتعبت فقال اسفرط مابقى الا التدبير ولاتخاف من المسلمين وعن قريب ياتينا البب ميخائيل هذا جرى

(قال الراوى) واما ميخائيل ملك القسطنطينية فانه جهز عسكره وقال فى غد يكون الرحيل وفى تلك الليلة نائم فى فراشه مايشعر الا والذى نزل عليه ليلا بنجه واخذه من وسط فرشه وفيقه فى قلب مغار فى جبل وقال له يامليون كم تقع فى يد ابى وعمى مرارا عديدة وتحلف لهم ايمان وتعاهدهم وتدعى التوبة وتغدر بعد التوبة

فقال له وانت من باغدار فقال له أنا انا المقدم زرقش الطيار بن شيحة وأبى فاتت على القسطنطينية فرآك تتجهز فى عساكرك وقد اعتمدت على قتال المسلمين فقال هذا الرجل لا يبقى فيه خير روح خذه الى مقر واذبحه واتركه مرمى حتى تكفى المسلمين شره فقال له ياسيدى أنا الذى أمرنى اسفوط ولكن ياسيدى اتوب واقعد فى بلدى من هذا الوقت لا يقبت احرك ساكن ولو أجيب يدى على صدرى وأنا ياسيدى فى عرضك اعف عنى هذه النوبة وان تحركت ثانيا حركة أوجعت يدى على صدرى افعل فى أنت وأبوك ماتريد فقال زرقش أنا مابيدى حل ولا ربط الامر والنهى بيد أبى وانا عبد مأمور لكن اذا تركتك بلاقتل ايش تعطينى دية رقبتك فقال خزنة دواقيت فقال زرقش هاتها فقال ماهى معى هنا مال قال زرقش انا أجيب لك المال وتركنى الغارم بوطرآتى اليه الوزير بناعه وقال له هذا زيرك يشهد عليك وأنا مرادى أردك الى فرشك حتى توزن الجزية وتبعثها للسلطان ابعت لى الخزنة وان وقع منك خلاف أنت تعرف على أى شىء تقدم ثم انه بنجه ورجعه مكانه فلما كان الصباح قال المقدمو ركوبته بطلت السفر كل منكم يروح الى حاله هذا و لغ الخبر الى عبد المسيح فالتفت الى اسفوط قال له ارميتى وارميت عسكرى للمسلمين فقال له يا بب لاتخاف وكتب اسفوط كتاب وأعطاه للبرتقش وقال له تقوم تروح حصن القمام أعطى هذا الكتاب للمقدم الحايم وقول له طالبك اسفوط بجدة للصارى على مدينة الرخام فراح اسفوط وأعرض عليه الكتاب وحضر وسلم على اسفوط وبات وأصبح نزل الميدان واطم هدير الرعود وكان لهم يوم مشهود وطال القتال بينهم الى آخر النهار ونظر الحايم الى هدير الرعود بطل جبار وار الجبار لا تؤخذ بالحرة فعاد من قدامه آخر النهار وقال لاسفوط أنا ماأنا قياس المسلم هذا وان كانوا المسلمين كلهم مثل هذا فما تقدر عليهم فقال اسفوط يامقدم حايم أنت على وجهك النصر للكرستيان فقال ما قدم شىء الا بالعياقة والصوصية فقال اسفوط هذا مانعرف نصير الى الليل ونزل الى عرضى الاسلام واندغر على خيمة الملك هدير الرعود سرقه ووصله الى عرضى البب عبد المسيح وسلمه لاسفوط وعاد الى بنى اسماعيل سرق المقدم عقيل البلاط وداه ورجع الى عرضى الفداوية سرق سعد الدين الرمانى وداه وهدير الرعود وآخر النهار

قال له اسفوط ماتخليهم فى العرضى لا يتسبب شيحة فى خلاصهم خذهم الى حصن القمام فاخذهم الحايم وسار الى حصن القمام وحبسهم ودخل على أمه وقال لها أما عرفت ما جرى قالت له ايش جرى قال اسفوط بن جوان ارسل طلبنى ان أحارب المسلمين

فحاربتهم فرأيتهم جبابرة فسرقت منهم تسعة فى ليلة واحدة وأمرنى ان أحبسهم هنا فى حصن القمام وأنا مرادى أقتلهم وارتاح منهم لانهم من أكابر المسلمين فقالت له يا ولدى هؤلاء المسلمون أهلك وانت مسلم وأبوك اسمه منصور العقاب ابن كاسر ومن حيث أنك عليهم كيف تقتلهم فقال لها وايش الذى جمع المسلمين علينا فقالت له احكى لك والسبب وذلك ان منصور العقاب مر على حصن القمام رأى بنتا جميلة حبها فنزل عليها ليلا اسلمت على يده استبكرها جابت هذا الغلام وسمته الحايم وكبر وانتشا وكان مقدم الحصن اسمه سيف النصرانية فلما كبر الحايم وطلع جبار استولى على الحصن وسيف النصرانية سأل بنته واسمها مريم فاعلمته ان الذى ابتكرها سراب وهذا ولده فتركه فى الحصن والناس تظن انه ابنه حتى مات وتولى الحايم على الحصن من بعده ولما أعلمت ابنها بذلك فقال لها وايش نقى بجمعى بالى أنا اسلم وأكون معهم فقالت له فك الاسرى وانا أروح معك واعلم أبيك بك وأنا معى سبعة فما تمت كلامها الا وزرقش نازل عليهم وكان يسمع الكلام فقال له يافى أبوك عندى وانا ابو شيحة فاسلم على يده ودخلوا أطلقوا الاسلام وأعطاهم خيلهم وضربوا السيف فى الحصن حتى ملكوه وانقاب من الكفر الى الاسلام واسلم كل من كان فى الحصن بالتمام رجال ونساء ونزل الحايم وقال على ما أقبض اسفوط وتركهم وراح الى عرضى عبد المسيح فقابله اسفوط عرفه انه اسلم فقال له أهلا وسهلا حبيت المسلمين عندك فقال نعم فقال له أما شاف على وجهك حفار ومسح وجهه بمنديل فبنجه وفيقه قر بالشهادتين فقال له اسفوط من يوم واحد بقيت مسلم متنار فقام عبد الصليب ليقتله واذا الملك هدير الرعود لخرته كبسوا العرضى وعساكر زرقش ودار السيف فى أهل الصلبان وكان وقعة يشار لها باطراف البنان وزرقش أطلق الحايم وأعطاه سلاحه ووقع القتال وهجم أحد سلامش من تحت الاعلام وقبض عبد المسيح وسلمه الى المماليك وكذلك زراؤه واسفوط هرب البرتقش جمعوا السلب واجتمع الحايم على ابيه سلم عليه ففرح به وضمه الى صدره وقال له والله يا ولدى لو اعلم بك ماكان يقر قرارى وأنت قبالة نظرى ولكن يا ولدى اطع شيحة ولا تكن من العاصين فان اطاعة شيحة شرف الرجال وبعدها أمر السلطان بقتل الاسارى وقسم الغنيمة وعاد طالب مصر وتودغ من الابرقلاوون فركبت أولاد الملك عرنوس لوداع ابن السلطان فحلف عليهم وردهم وقال لهم يا اخوتى أنتم عند أبويه والله أعز منى ومن اخوتى فلا تقطعوا زيارته

فقالوا له يا ملك احنا والله نعلم ان ما لنا حبيب الا الملك الظاهر فلا أذاقنا الله بعده هذا

وكان أحمد سلامش قسم الغنيمة وكانت شيء كثيرا من مراكب مائة قطعة خشب بعددها هذه مسكتها رجال مدينة الرخام وذخايرهم ومدافعهم وخيامهم وسلاحهم فقال الملك دورى هذه المراكب يستدلها قبطان الاسلام اما باقى الغنيمة أخرجوا الخمس ليبت مال المسلمين خمس لاولاد عرنوس وخمر للفداوية وقلاووز وخمس لاحمد سلامش وافرقوا على ذلك الحال وسافر أحمد سلامش الى مصر وسلم الغنيمة الى أبيه فقال له يا ولدى ياريتك ما أخذت فقال له والله ياملك الاسلام أولاد الملك عرنوس ماهم راضين يأخذوا من الغنيمة شيء وأما المراكب أرسلوها فى البحر لقبطان المسلمين غير زيها بزى الاسلام للجهاد وهذا ما جرى (قال الراوى) اما ما كان من أمر الملعون اسفوط بن جوان لما هرب من مدينة الرخام فما وجد محلا يلتجيء اليه الا مدينة قسطوره وهى قريبة لانطاكية وملكها اسمه دردنيش فلما دخل عليه اسفوط قام اليه واستقبله فاقام عنده لما علم ان الدنيا راقت فاشار اه اسفوط على طريقة خيانة لاجلها نظير أبدا بالاسم للبب دردنيش ملك سطورة ولكن الفعل لاسفوط فانه أرسل يستأذن الملك فى عمارة مدينة أنطاكية حكم ما كانت ويبنى فيها جامع للمسلمين وحارت اسلام يقيموا مع النصارى حتى ان البلد يوجدوا فيها المسلمين ويقول فى كتابه ياملك الاسلام الذى سلموا فيها مقيمين بلا جامع فانا أجعل فيها جامع فاذن له السلطان ان يفعل ذلك ويكون كلفة الجامع على طرف السلطان فاشتغل الملك دردنيش واجتمعت أهل المهارات بناتين وحجارين وخلاف ذلك حتى صنعوا جامع فى وسط حارة الاسلام وكنيسة فى وسط حارة النصارى ومن خبث اسفوط وبنى القلعة والابراج كما كانت وأرسل كتاب للسلطان أعلمه بما فعل وطلب منه ان يكون حاكما من طرف مولانا السلطان لاجل حكم الاسلام وأرسل الملك الامير سقر يكون باشة على أطاكية فلما علموا أهل الروم أن انطاكية عمرت وهى بلد أحسن البلاد فدخلت الاسلام سكنوا الماعلموا بالامير سقر ومعه الف عسكرى ودامت الايام حتى عمرت البلد فقال اسفوط هذا وقت الاشغال وأحضر أربعين عايق وابراهيم ودخلوا السرداب الذى نافذ على الجامع من الكنيسة وكان خارج أنطاكيه دير قريب منه اسمه دير أنطاكية كان اسفوط جعل سرداب من الكنيسة نافذ اليه ولما حضرت العياق التى أتى بها اسفوط واوراهم طريق الدير من تحت الأرض وقال لهم اذا رأيتم مسلم تفرد وحده بالجامع خذوه الى الكنيسة ومن الكنيسة للدير ففعلوا ذلك وأهل الاسلام الذى فى أنطاكية بدأ فيها النقص مع ان البلد فيها أمان ولا يعلم بها سوء والناس اجتمعت فى أنطاكية

لكونها باب الروم ففى أقل من عشرة أيام للامير سقر دعاوى بكثرة فاتفق أن شيخة دخل انطاكية وكان هو الذى سعى فى خرابها فلما رآها عمرت دخل يتفرج اعجبه شوارعها وكذلك الجامع وكان قصده انه بعد ما يتفرج على الجامع يغير زيه ويتفرج على الكنيسة فلما دخل الى الجامع وصلى صلاة الظهر وجلس يقرأ فما يشعر الا وطلعوا عليه اثنين من السراديب أخذوه اسيرا فقال شيخة والله مصدق لها نظير ولما انزلوه ادخلوه الكنيسة ونظر اليه اسفوط وقال له ياشيخة الآن وقعت فى يدى ولا بقى الانقطيعك كما قطعت أبى فقال له يا ملعون أبوك قطعته أنا وأنت يقطعك واحد من أولادى عن قريب ولا تظن انك تنقذ وانما لك فى الدنيا نصيب تأخذه فقال اسفوط ودينى ما اقطعك الا واولادك معك ثم انه سجنه وتركوا قام على ما هو عليه وثانى يوم اجتمع السابق واخرته وقصدوا جرة ابنهم حتى دخلوا انطاكية فراوها عمرت والاسلام فيها كثرت فدخلوا على الامير سقر وسلموا عليه وسألوا عن ابيهم فقال لهم انا ما رأيته ونظروا شكيان الناس على عدم بعض رجال منهم فقال السابق لا بد لنا أن نقيم هنا أيام حتى ننظر ايش الخبر الذى سرق بنو ادم فى هذه البلد فان هذه مصيبة عظمى واقاموا يدوروا الى وقت الظهر دخلوا الجامع صلوا وبعد صلاة الظهر جلسوا يتحدثوا فما يشعر الا والابواب انقفلت ودار وابهم اربعين كافر قبضوهم باليد ونزلوابهم من السرداب إلى الكنيسة ووقفوهم قدام اسفوط [قال الراوى] فلما نظرهم قال لهم وقعتم يا أولاد شيخة ابوكم يقول إن واحدا منكم يقطعنى كما هو قطع أبى قال السابق صدق ابى فيما قال ولا بد لك من هذا الحال وأما يا ملعون سوف يعلم بغيابنا ملك الاسلام ويأتى اليك ويخلصنا من يديك ونرى ما قدره الله عليك هذا ما جرى [باساده] وأما السلطان فانه قال للوزير يا أبى انا انشغل قلبى بانطاكية وعمارتها وكان قصدى خرابها إلى الابد ولكن عمارتها ثانيا اشتغلت بها ولا بد لى أن ادخلها وأتفرج عليها وجلس السعيد على كرسى وركب السلطان وصار فى هيئة درويش حتى وصل انطاكية ودخل إلى خان ونزل على الحصان وسلمه إلى البواب وسار يتنقل فى شوارع انطاكية حتى وصلى إلى الجامع فقال بقى يجب الصلاة فيه ودخل توضا واحرم بالصلاة كان اسفوط مراصده فتركه حتى سجد وكان مستحضرا على دبوس من حديد وضرب السلطان فى صدغه ولولا خردة السلطان على راسه كان مات من اللطش لانه على غفلة منه وهو فى محراب الصلاة رفى دهشته تكاثروا عليه العياق والجامع كان انقفل

و كتفوه وانزلوه من السرداب فما افاق الا وهو بجانب شيحة فلما رآه شيحة قال يا ملك الاسلام هذه البلد عمارها ماناباوامنهم الا الضرر فقال السلطان البلد ايش عملت هذا اقل اسفوط الذى قطعت ابيه وتركته لنايعاقبنا قال شيحة صدقت شعر

كان فى الحارة كلب افاق الناس من عواه
فلما مات خلف جرو فلق فى القبح عن ابيه

وسكت السلطان على مضض وأما اسفوط بعد ما فعل ذلك اتى إلى البب دردنيش وعلمه على حيلة ارسل وزيره إلى مصر على صفة تاجر ومعه متجر فلما وصل إلى مصر طلع الديوان وقدم للملك السعيد هدية وهى عقد جوهر وخنجر بقبضة جوهر يساووا مبلغ كثير فقال له السعيد وأنت إيش تريد تفعل حتى تهادينى بهذه الهدية قال يا ملك اقصدى الحمى تحت جنابك وادخل فى دين الاسلام وأكون لك من بعض الخدام قال السعيد مرحبا بك وأنت أين نزلت اقال فى خان قال ومرادك تسلم قال نعم وكان القاضى جالس بالديوان فلقنه الشهادة واسلم على يد السعيد فى الديوان فاعطى له بيت فى قلعة الكبش وقال له كلما احتجت اليه اذا اقضيه لك فقام ذلك الوزير وسماه سعيد الهدى واصل اسمه وهو كافر هدية المسيح ولما سكن فى قلعة الكبش سار يقدم من بعض التجارة الذى عنده سيوف رعدد وركابات مذهب ويعطى لامارة ولا يطالبهم بالثمن فصاروا يترددون عليه وقالوا هذا التاجر لا نظير له ولما عرف نفسه امتزجوا به الى اول ما عزم ايدمر البهلوان وكان ايدمر ساله فى قبضة خنجر مثل الذى هادى به السعيد. فقال له اذا حضرت إلى بيتى تشرفنى تشرب عندى قهوة وأوريك صندوق الخناجر الذى يعجبك خذه والثمن ما فيه خلاف فصبر أيدمر إلى آخر النهار ولما روح من الديوان قال لخدامه روحوا انتم فانا لى شغل ودخل عند الوزير سعيد فلما لقاه فرح به واحضر له الشربات وكان منجح فقبض عليه ولما كان ثانى الايام عدم ايدمر فقال السعيد يا امراء ما انا مثل ابى كل منكم يحرس بيته ونفسه فقالوا يا ملك الحق بيدك وبعد يومين قعد الامير علاء الدين وهكذا كل يوم والثانى امير فضاق صدر السعيد وقال للوزير كيف العمل وانى غائب وانا والله ضاقت حضيرتى فبينما هو على هذا الحال وإذا بالمقدم زرقش الطيار طلع الديوان فقام السعيد اليه واستقبله فلما جلس اعلمه السعيد بالذى جرى وفقد الامراء فقال له زرقش يا اخى هل حدث عندك حادث فقال ابراهيم انا اقول ان هذا المعرص الذى اسلم فان اسلامه فور ومحال وماهو إلا على مثلاث لانه اسلم على غير الاسلام ولا شك انه على دين الكفرة اللئام فقال زرقش ومن هو يا مقدم

إبراهيم فأعلمه فقام زرقش وسار إلى بيت سعيد الهدى ولما دخل قام اليه وتلقاه فقال له أنا لى غرض تخلى معك لان البب دردنيش أرسل لى مرايوصينى عليك ويقول لك أن أردت أن ترسل له أحد فلا يكون إلا على يدى فقال له أنت من فقال زرقش أنا كميله واسمى عبد السيد ولى معه صداقة من قديم ومن حين راح اسفوط إلى بلادكم وعلم البب على بناية الجامع عندى الخبر. فلما سمع الوزير هذا الكلام بقى بين مصدق ومكذب وبقى محتار بظهر نفسه أو ما يظهر نفسه وتلخبط فقام زرقش وصاح على توامه وقبض الوزير وكل من كان معه فى تلك البيت وبعد قبضه أرماه وسحب السوط الغضبان ومال عليه حتى انشق وبعد دهن له برده وقال له أين الامراء وسحب السوط ثانيا فقال له فى عرضك أقول وا لمعه فتح المطمورة وطلع الامراء وبعد ذلك قال له زرقش إيش الذى أغراك على هذه الفعل فاعلمه ان اسفوط هو الذى دخل على البب دردنيش وعلمه أنه بنى انطاكية وما جرى وقبض الناس من الجامع وكل ما فعله اسفوط فقال السعيد هذا ما كان فى حسابنا ثم انه قطع ذلك الملعون وحرقه بالنار وركب السعيد بالعساكر وسار حتى حط على انطاكية فلما نظر البب دردنيش ذلك قام على الأمير سقر قبض عليه وعلى من معه ووضعهم فى الحبس عند السلطان وقفل باب انطاكية وقام الحصار وقال لاسفوط إيش بقى عندك من الراى تبرك المسلمين حتى يأخذونا قال اسفوط لا تخاف أنا اجيب ناس تحارب المسلمين ويهلكوهم أجمعين ثم انه كتب كتاب واعطاه للبرقش وقال له يا سيف الروم روح إلى حصن ترحيل الى المقدم يعقوب الصينى اعطيه هـذا الكتاب ولا تعود إلا به لانه يساعدنا فسار به ودخل على يعقوب الصينى أعطاه الكتاب فقراه وقال اعتكرنى اسفوط لما غلب من حرب المسلمين فقال له اسفوط ونصرة الكرستيان على يديك فركب معه وسار إلى انطاكية فقام اليه اسفوط ورحب به واكرمه وطلب منه حرب المسلمين فقال على راسى افتح باب البلاد ونزل المقدم يعقوب يباع فى الميدان لانه كان قتاله مبارزة فارس لفارس فاخذ أول يوم خمسة عشر أمير أولهم ايدمر وآخرهم قلاوون وثانى يوم أخذ عشرة فداوية وثالث يوم ورابع يوم فى خمسة أيام أخذ من الفداوية عشرين ومن الامراء ثلاثين وقال لاسفوط اعلم يا أبى أنا كل من أسرته يكون عندى فى قلعتى ولا أكون أنا قاتل واتعب وتعبى يأخذه غيرى لانى مقصدى اجتهد حتى آخذ جميع المسلمين وإذا خلصت منهم أشاركك مع البب دردنيش فى أموالهم وغنائمهم فقال له اسفوط افعل ما تريد وفرح اسفوط

بقوله فقال البب دردنيش يا مقدم يعقوب أنا معك على كلما تطلبه ولا أخالفك فيما تأمر به ولكن فوق عن حصن ترجيل قلعة اسمها قلعة قسطوك فان كنت تطاوعني وتأخذ هذلاء الاسارى وتسير بهم إلى هنالك وتوكل عليهم أحد من رجالك الذى تعرف أنه معتمد لا مانع فقال يعقوب أنا أوديهم قلعة قسطوك واخذهم وأخذ معه مائة كافر وسار بالمسلمين ليلا طالب قلعة قسطوك فجاز على حصن ترجيل فدخل لوالدته بالاسارة معه وأمر البطارقة بحفظهم ودخل على أمه وأحكى لها مافعل فقالت له أمه يا يعقوب يابنى أنا أعلمك انك مسلم وأبوك اكبر الاسلام واسمه المقدم ابراهيم ابن حسن والسبب فى ذلك انه لما ظهر واحد فداوى وكان اسمه سمعان العزم ووقع بينه وبين شيخة مشاجرة وقبض على شيخة والسلطان وسجنهم فى ذلك الحصن وكان المقدم ابراهيم متعادى مع ابيه المقدم ترجيل فاتفق انه نظرنى فصبر حتى خلصوا الاسلام على يد سيدى عبد الله المغاورى فاتى المقدم إبراهيم بالحوارنة واخرب الحصن وأخذنى أنا إلى قلعة حوران اسلمت على يده وزال بكارتى وقمت عنده فلما جرى ذلك هرب أبى وبعد أيام أتانى ابى المقدم ترجيل وجاب جارية نصرانية كانت عاتت مع من مات ذبحها وحطها مكانى وأخذنى وأتى بى إلى هنا لأجل ان يايس ابوك ولا سأل عنى بسبب ما رأى الجارية مذبوحة فى الفرج فظنها اياى وأقام فى هذا الحصن بعد ما عمره ووضعتك أناصرك يعقوب وربيتك أنا على هذا الحال حتى اكبرت أنت ومات ترجيل وأنت توليت على الحصن من بعده وجاء اسفوط أخذك تقتل اهلك المسلمين وتعيش تحت ظل الكافرين وإذا مت تدخل جهنم والمسلمون مأواهم الجنة وأنا اعلمتك وأنت وشأنك فعند ذلك بهت المقدم يعقوب من كلامها حنت جوارحه للاسلام فعند ذلك كرت عليه أمه الكلام فاهداه الله واسلم قلبا ولسانا ودخل على المسلمين احكى لهم ما جرى وانه مسلم ابوه إبراهيم بن الحورانى وبعد ذلك اطلقهم وأعطاهم سلاحهم وقال لهم ميلوا معى على أهل هذا الحصن إما يسلموا واما نقتلهم فصاحوا الله اكبر وقد قفل باب الحصن ولا نفذ ولا واحد وقال للمسلمين اقعدوا أنتم هنا حتى أروح انطاكية واسك اسفوط واما اسفوط اخذ البرتقش وقال له مرادى الحق يعقوب هذا واشوف حاله فانا قلبى مشغول منه واعلم البب دردنيش بما هو عازم عليه وراح له كلام وآخر الليل دخل اسفوط وحده على البب دردنيش وقال له يابب إيش قصدك تعمل فى المسلمين الذى عندك وشيخة وملك الاسلام ادخل معى إلى السراية وأنا أقول لك على تدبير فقام معه

السراية وقال لهمات أكابر البطارقة معنا فاحضرهم قال اسفوط يا خنداره كل واحد منكم يقتل واحد من المسلمين المحبوسين لاجل ان ينظر لكم المسيح بعين الرضى ويعلم أنكم مجاهدين فى ملته وقائمين على شريعته فقالوا سمعا وطاعة فقال اسفوط يابب حضر لنا جميع المسلمين الذى عندك حتى نضرب رقابهم وترمى رؤوسهم الى باقى أصحابهم بعد ذلك أحضر جميع المسلمين الذى ضبطوهم من البلد جميعا وكذلك السلطان وشيخة وأولاده فقال اسفوط هذا نهار مبروك باتلاف هذه المسلمين ثم ان اسفوط فتح سوطه وقرأ قداس وطلع المبخرة وحطها قدامه واطلق البخور وكان بخور بزيادة فاسكر النصارى والمسلمين وقام الى المسلمين جميعا شمهم ضد البنج فافاقوا وقال لهم أنا مرادى اطلقكم لاجل ان تقتلوا أعداءكم فقال السلطان والله يامعون ماأظنك تفعل ذلك أبدا فقال اصبر يا ملك وقام على حيله وبيده خنجر امضى من القدر مع القضاء فذبح دردنيش واتباعه واكابر البطارقة جميعا وبعده تقدم فك الاسلام وقبل يد السلطان فقال له السلطان كانك أسلمت يا اسفوط والا ايش الخبر فقال يامولانا اسفوط ولا اشتهى للكفار ريحة أنا زرقش وأيضا اسفوط هرب واذا بالذى دخل من القلعة ويده على شاكريته وقال يا مسلمين من فيكم ابى واسمه ابراهيم الحورانى فقال ابراهيم أنا ياصبى أنت ابن من فقال أنا أمر مريم بنت ترجيل وهى مقيمه فى الحصن وربقى يتيم فقام ابراهيم وعنقه وضمه الى صدره وقال لشيخة ظاهره ياشيخة فقال المقدم يعقوب أنا نظفت حصن ترجيل من النصارى ومرادى أنظف لكم انطاكية قال السلطان صدقت ووضعوا أياديهم جميعا على السلاح وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وطلع الامير سنقر الى سرايته وأعلم أتباعه فجذبوا سيوفهم ونادى أبى انطاكية يا مؤمنين جاهدوا فى الكفرة أعداء الدين ودام الامر كذلك حتى هلكوا جميع الكفار وأيد الله الاسلام الابرار وملكوا انطاكية وجلس السلطان على تختها وامر شيخة بظهر المقدم يعقوب وكتب اسمه على شاكريته والتفت شيخة الى أولاده وقال لهم أنتم أولادى خمسة والسادس زرقش الطيار هل ترى أنتم عجزتم فى اسفوط ولا بقى أحد منكم يعرف مستقره ياحيف أولادى وكل واحد يطلب منى سلطنة الحصون من بعدى مع ان هذا منكم اكبر عيب والسلطنة التى تطلبوها بعيدة عنكم ان لم تقدروا على اسفوط فكيف تقدرون على الرجال تحكموا عليها وتطيعكم وأنا أشار طكم كل من قبض على اسفوط واتانى به فهو سلطان القلاع والحصون وتطيعه الرجال من بعدى فالذى فيكم له مقدرة فليجتهد

فلما سمعوا ذلك المقال طلعوا طالبين جزة أسفرط لهم كلام (ياسادة) وأما أسفرط لما هرب فانه دخل إلى جزائر الغلق وكان بها ملك يقال له الكندوفش بن اصطالود وقال له يابب المسلمون قاتلون أبيك وأنت قائم على ملك وملوك النصارى يقولوا انك قصير الطباع مالك مقدرة على أخذ ثار أبيك قوم جهز عسكرك واركب على سلطان المسلمين وأنا الضامن لك انى املكك بلاده وأهلك لك عساكره وأجناده فقام الكندوفش وجهز عساكره ورحل من جزائر الغلق وأسفرط صحبته والبرتقش وهم قاصدين بلاد الاسلام حتى وصلوا إلى مدينة الرخام فلما وصلوا قال أسفرط انزلوا على هذه المدينة فانها أول بلاد المسلمين وان أخذناها تكونوا منصورين فعند ذلك نزلوا على مدينة الرخام

[قال الراوى] وكان الملك الظاهر لما رحل من انطاكية وتفرقت العساكر كلا إلى محل اقامته والفداوية إلى قلاعهم وعبر السلطان للسويدية فبلغه الخبر بان الكندوفش على مدينة الرخام فقال السلطان هذه ركبات متباردة خلف بعض وأنا والله ضاق صدرى ورحل حط على الشام وأرسل ناصر الدين الطيار طلب الفداوية من القلاع فاجتمعوا بالشام فلما حضروا قال لهم الجهاد قالت الفداوية ياملك الاسلام مرادنا تقبضنا جاكينا فقال السلطان المال فى مصر ولا يمكنى أن أصل إلى مصر واترك العدو على مدينة الرخام ولكن انا أستلف لكم من تجار الشام واحضر التجار وقال لهم سلفونى مال حتى اكلف الركبة وبعد عودتى أرد عليكم مالكم فقالوا مرحبا وقاموا للشيخ النووى فأتى السلطان وقال له لا يجوز لك أن تستلف مال من التجار وانت كنت ماعندك مقدرة على الجهاد كيف تقبض الخراج من أهل الارض والجزية من الكفار فقال السلطان ازرعوا الشام ارضها بالقصبة وكل قدان عليه أربعة دراهم فضة وبعد ذلك لما أعود من الركبة لى معكم كلام فعارضه الشيخ النووى وقال له حرام عليك أن تحدث حادثة على الناس فقال له اطلع من بلدى ودعنى أنا ورعيتى فقال النووى رحمه الله أنا أطلع وأعود وأما انت تعود مرتين وكلا منا له حق فى الدنيا يأخذه وطلع النووى من من الشام غضبان فنام السلطان فى صيوانه تلك الليلة فرأى منام كان الملك الصالح يقول له ابنى لك بيت تأوى اليه إذا أرحلت من الفانية إلى الباقية فلما أفاق من نومه أحضر له مهندس باشه وأمره أن يصنع له مدفن فى دار العقيق ورحل من الشام طالب مدينة الرخام (ياسادة) وأما ما جرى للنصارى والملك الكندوفش فانه لما حط على مدينة الرخام فقام الملك هدير الرعود فتح البلد وطلع العساكر واصطف قدام

الكفار ووقع الحرب والقتال وخفة الكفار واتلفتها الاسلام الابرار ووقع ضرب السيف البتار إلى آخر النهار وانفصلوا عن القتال وكذلك اليوم الثانى والثالث ورابع يوم كان الحرب مبارزة نزل الملك الكندوفش الميدان وقال يامسلمين أبا الذى طالب أخذ بلدكم منكم وجيت احاربكم فاخرجوا لقتالى فرسانكم فارس لفارس فخرج له الملك دورى ابن الملك عرنوس وتقاتل معه إلى وقت الظهر ووقف الملك دورى فى ركابه وتمطى فى الرمح وأراد أن يطعن خصمه فقطع الركاب ووقع الملك دورى فانقض على الكندوفش فى وقعته أخذه أسير ونزل بعده أحد اخوته فأكسره الملعون واذاق طبل الانفصال وثانى الايام نزل الملك يتمورج بن عرنوس وهكذا فى خمسة أيام أسر من أولاد الملك عرنوس سبعة وكان الثامن الملك هدير الرعود فقاتله إلى آخر النهار وانفصلوا على سلامة وعاد الملك هدير الرعود طالب عرضى الاسلام كان الكندوفش اشرف من البرق أخذ حربه الجرسية وضرب بها الملك هدير الرعود من خلف ظهره ولاجل القضاء حكمت الحربة فى سلسلة رقبته مرمحت الخودة تعدت من صدره ووقع على الارض قتيل فصاحب أولاد ملوك البرتقان وحملوا على الكندوفش عملوا الكفار عمل بهم السيف البتار ودام الحرب حتى بقى وقت الاصفرار وفى تلك الساعة أقبل الملك الظاهر ونجد الاسلام ودام ضرب الحسام حتى أقبل الظلام وثانى الايام برز الكندوفش وطلب البراز فاراد السلطان أن يبارز له من يبارز وإذا بعدوى خرج وكان هذا سلطان القلاع حسن بن حتتم فامر السلطان باحضار هدير الرعود فنزل المقدم سعد بن دبل وأتى به من الميدان وغسلوه وكفنوه وولوه التراب على هذا وحسن ابن حتتم مع الكندوفش انقهر وأكرهه ولطش الكندوفش إلى سلطان القلاع حكم اللطش على صدره قسمه قسمين هالك رمقت الاسلام وحملوا على الكفر اللئام حتى دخل الظلام وانفصلوا أخذ البقاع من وسط المعركة دفنوا جنب هدير الرعود وحزنوا الاسلام على لاثين فقال السلطان سقرنا للجنة وثالث ورابع يوم فى الخامس أن الملعون الكندوفش كان جبار جسيم يفتك فى الاسلام سبعة أيام وهو يبارز فارس لفارس وما نزل له أحد إلا قتله أو يأسره وثامن الايام ضاق صدر السلطان فقال ياعثمان حضر الحصان حتى انزل أنا الميدان فقال ابراهيم يادولتلى أموت أنا أنزل بعدى فهو كذلك وإذا بالغبار غبر وعلا إلى الصفا وتكدر وانكشف عن الف خيال والكل فرسان أبطال ويقدمهم شاب أمرد جميل الصورة حسن المنظر ولكنه لابس لبس الفداوية

وعلى رأسه خودة من البولاد مطلية بالذهب وعلى جسده درع داودى ضيق الرزد كثير العدد كانه اعنى الجرد لايعمل فيه الصارح المهند وفى يده صبحة هندية على حدها رسول القضا والمنية ولما وصل إلى الميدان اشار الى من خلفه وأمرهم بالوقوف وقفز بحجرته حتى صار بين الصفوف وطلب الملك الكندفش حتى حاداه وقال له ياكلب الكفار لقد بعت دمك غالى فى هذا النهار لانك قتلت فارسين منسوبين من اهل المجد والوقار وها انا اتيتك آخذ منك بالثار وازيل عنى العار مع انك والله ما نفعوا التراب احدهم ولكن الصواب قتلك فيهم لانك قتلتهم ثم انه هجم على الملك الكندوفش هجمة الاسد واخذ منه واعطاه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه واتبعه واكربه وضرب بالحسام ضربة مشفعة تمام وقع السيف فى سط رأسه شقه إلى حد اضراسه وصاح بالتارات جدى الفارس الغشمشم سلطان البقاع حسن ختنم ومد يده إلى الكندوفش اخذ منه الطير ونظر اسفوط إلى هذا الحال فزاد به الوبال وهز الشنافير وصاح الثار بالبتار يابناه النصرانية هناك اطبقت النصارى على ذلك الغلام فتبسم للقاء الاهوال وقال الله اكبر وانشد .

انا ثار العجاج مع السرا ... وحمحمت الصوافنة الجيد
تروني اقتحم حرب المنايا ... بقلب قدمن قلب الجماد
وان حملت كلاب الكفر نحوى ... تريد الطعن بالسمير الصعاد
احيهم فوق حجرة اعوجيه ... لهافى الحرب سبقا فى الطراد
هلموا معشر الكفار بحرى ... فقد نادى بقلعكم المناد
انا مهر من عرنوس حسبى ... له ذكر سرى بين البواد
وسلطان البقاع حسن بن ختنم ... لجدى فى التنا سب والوداد
بقر اسماعيل لاتستغر بونى ... فانى هازم جمع الاعاد
اخذت الثار بالغضب اليمانى ... نهار الملتقى والسيف حاد
فدونكم على الكفا مبلو ... فان الله قد فرض الجهاد
وصلى الله على احمد محمد ... نبى جاء بالقرآن هاد

[قال الراوى] وبعد ما فرغ هذا الفارس من ذلك الكلام حمل على عصبة الكفرة اللئام ودعس فيهم كما يدعس الذى فى الاعتاب وقطع بسيفه كل علق وهدم فعند ذلك حملت خلفه ابطال الاسلام وحملت الالف خيال التى جاءت معه كانهم اساد الاحام وانعقد على رؤوسهم الغبار والقتال وغنى السيف الصمصام

وظهرت اسراء الاسلام وقد انطلقوا من الاسر والآلام واقبلوا على الخيل وطلبوا الحرب والصدام كانهم رسل الحمام وانعقدت على الجميع القبرة وكانت ساعة عشرة ذهلت من الشجاع بصرة وبقت الارض على الكفار ضيقة منحصرة

[ياساده] وكان الذى اطلق الاسارة المقدم نويد بن شيحة لانه لما طلع من قدام ابيه يدور على اسفوط فراى الوقعة هذه على مدينة الرخام فدخل يريد فرصة على قبض اسفوط فما قدروا ذلك الاسارة الذى اسرهم ذلك الجبار الكندوفش فقال فى نفسه والله اطلاق هؤلاء احسن من قبض اسفوط واطلقهم وقدم لهم خيولهم فركبوا ولحقوا الحرب كما ذكرنا ودام القتال إلى آخر النهار فتشتت الكفار وطلبوا الهرب والفرار وخلفوا خيامهم ورجالهم نهبا للاسلام الابرار وجلس الملك دورى ابن عرنوس وكان ملك الاسلام اقبل من بعد اسره فلما خلصة الوقعة وجلس فى العرضى وعلم بالسلطان فسعى إلى خدمته هو واخوته فهناه بالسلامة وأمر له بالجلوس هو واخوته واقبل الغلام المقدم ذكره وقبل يد السلطان فقال السلطان ياغلام من أنت من فرسان الاسلام فانى مارأيتك الا فى هذا اليوم فقال ياسولانا السلطان أنا اسمى الملك محمد سيف الدين عرنوس ولكن لا رأيته بل توفى وأنا على كتف والدتى صغير فقال له ومن هى والدتك فقال له والدتى يقال لها حسنة البقاعية بنت المقدم حسن سلطان البقاع وأنا رأيت جدى أبو والدتى قتله ذلك الكافر أرادت أمى أن تخرج إلى هذا المعلون تأخذ ثأر أبوها فمنعتها وقلت لها لايجوز خروج النساء بل أنا انزل له واقتله فقام اليه الملك دورى وضمه إلى صدره وقال له يا أخى ولاى شىء أتيت إلى عندنا وشاركتنا فى مخلفات ابينا لما انك اخونا فقال معروف يا أخى لما عرفت بقتل أبى كنت على اكتاف امى طفل فهذا معذور وطلعت لما عرفت ركوب الخيل وقفت فى الجبال اصطاد الوحوش والغزال وأقاتل أسد الدجال وتربوا مع هؤلاء أولاد الانباع ولما علمت بموت جدى فانيت رأيت امى تحضرت لتأخذ ثارها فقنعتها وأتيت أنا إلى مدينة الرخام وقتلت هذا الكلب ابن اللئام فلما سمع السلطان هذا الكلام قال الاولاد الملك عرنوس هذا اخوكم وله قلعة البقاع مقيم فيها كما تعلموا هل ترى أنا مقامكم عند والدتى يرضيكم وهو أخيكم ومن عزة نفسه لا أتاكم وإن كان تقولوا انه ما يعرفكم فان والدته المقدمة حسنة البقاعية ولكن هى بنت ملك البقاع وأيضا جدها ما كان يفارقه ولكن هذا فارس غيور وبطل عيور لايجوز أن يفرط فيه فقالوا اخوته يامالك الاسلام احنا كلما نملكه من مال وسلاح وخيل وأموال هو المحكم فيه فقال السلطان يا مقدم معروف أنت على مدينة الرخام مقدم كان مكان الملك هدير الرعود

فاجاب بالسمع والطاعة واذا بخيال مقبل من البر على حجرة دهمة حتى وصل قدام الملك وترجل وقبل الارض وهو ضارب على وجهه لثام وصاح نعم يا ملك الدولة سامح ولدى يقوم معى فما أقدر اقعد بلاه ولا افرد ساعة فقال السلطان أنت حسنه فقالت نعم فقال ابنك يبقى مع اخوانه فقالت له يامولانا مخلفات جده أكثر من مخلفات أبيه وثانيا لاعلى قلعة البقاع لاحرب ولا قتال وأما الملك عرنوس رحمه الله تعالى كان دائما ينفق ماله فى الحروب فقال السلطان قيمز فى مدينة الرخام وبملكته البقاع فهى الك ماحد يمنعك عنها فقالت اقعد مع ولدى وباش كواخين أى يقوم بالقلعة وتولى الملك معروف ابن الملك عرنوس على مدينة الرخام محل هدير الرعود وفرحوا به اخوته وأقام السلطان على مدينة الرخام حتى عملوا عزاء هدير الرعود وكذلك أعز المقدم حسن ملك البقاع وأراد السلطان الرحيل فاتاه بحاب من برصة ومعه كتاب فأخذه السلطان وجد فيه حضرة مسعود بك الى أيادى مولانا السلطان اعلم انه ركب على برصة ملك مدينة سهدرة بمائة الف مقاتل وكان السبب فى ذلك ان اسفوط لما هرب من مدينة الرخام بعد موت الكندوفش فمر فى هزيمته حتى وصل مدينة سهدرة وبها ملك اسمه البب هدون فقام اليه وسلم عليه فرآه يبكى هو والبرتقش فسأله عن حاله واعلمه بالذى جرى على الكندوفش وقتله على مدينة الرخام وكان هذا سهدروق ابن عم الكندوفش فلما سمع من اسفوط هذا الكلام فقال أنا ماقعد عن المسلمين الا أركب عليهم فقال البرتقش شد حيلك يابب سهدون فانك على يد البترك اسفوط تنتصر على المسلمين وتملكهم أجمعين فقال البب سهدرون لابد من قتلهم ولو كانوا يقاتلوني فقال البرتقش أنت ونصيبك وعند ذلك أطاق المنادى فى عسكره باخذ الاهبة للقتال وأعرض عساكره وكانوا مائة الف مقاتل فامرهم بالركوب طالب بلاد الاسلام ولما صاروا قال اسفوط ان ملك الاسلام احاط على مدينة الرخام وأنا قصدى ان أسير بهذه الركبة على برصة حتى أملكها فان ملكناها نجعلها لنا مصار وصار الى برصة ونظر الملك السعود فطلع باولاده وعساكره ونصب عرضيه مقابلة أعاديه ووقع القتال ثلاثة أيام بين الكفرة والاسلام وراع يوم كان القتال بالبراز فنزل الملك قاراصلان المغربى وأسر الاعداء وقاتل الى آخر النهار فأسر خمسين وقتل سبعين وثانى الايام كذلك نصعب على الملك سهدرون وقفز من تحت الشنيار بالحصان حتى لحق الملك قاراصلان وكان لهم ساعة تشعر منها الجلود ويلين لهولها الحجر الجلمود وتعلق فى رقبته خصمه وأراد أن يأسره فهز اسفوط الشنيار فزحفت العساكر على الملك

قار اصلان فاطلق خصمه من يده وتلقى بوادر الخيل ونزل عليها نزول السيل ومال عليهم كل الميل فمن اغاظة الملعون سهدرون اغتال الملك قار اصلان وضربه بحربة فجاءت فى فخذ الحصان فحس بالجرح فطار بالجريان وما قدر يحوشه قار اصلان ومازال الحصان فى جريه وقار اصلان فوقه حتى وصل به الى بلدة بعيدة ودخل الليل والجواد لازال به جارى ودام الى الصباح وطلع النهار فافاق قار اصلان فوجد نفسه قدام قلاع النمورة وهو بجانب سهدرة الذى هى مدينة ذلك الملعون الذى جرجه ونظر بين قلاع النمورة وبين مدينة سهدرة فرأى قصر عالى فاتى قار اصلان تحت ذلك القصر فنزل عن الحصان وكان فى ذلك القصر بنت ملك سهدرة واسمها الملكة سهاد فطلت فوجدت الملك قار اصلان فقالت له أنت من أين أتيت الى هذا المكان فقال لها أنا رجل غريب ومرادى أستريح وأركب جوادى وأطلب بلادى فقالت أنت قار اصلان المغربى فقال نعم فقالت زوجى فى الدنيا والآخرة وأنا مسلمة واسمى الملكة سهاد فقال لها قار اصلان اسمك سعاد وطلع إلى عندها وسألها عن سبب اسلامها فقالت أسلمت على يد الشهيد عرنوس منامًا وقال لى ان قار اصلان زوجك فى الدنيا والآخرة فعقد عليها وقال لها لايكون دخولى عليكى إلا فى برصة ونزل من القصر وأخذها على كفل الحصان وصار طالب برصة فكان فى القصر محورة ورأت ماجرى فاعلمت أهل سهدرة فركبوا الخيل وطلعوا أثره حتى لحقوه عند برصة وكان وصوله بالليل فاعلموا أبو البنت فركب فى عسكره وصاح على قار اصلان فنزلت البنت من خلفه وأخذت حصان المعركة وعدة من القتال وركبت وصاحت بالدين الاسلام وقاتلت مع قار اصلان طول الليل وأما الملك يزيد بن مسعود بك فانه أخذ فرقة من العسكر وطلع يكشف خبر اصلان فى عودته فلقاه كما ذكرنا فقاتل معه وأرسل اعلم أباه فأدركوهم الاسلام حتى كتبوا النصارى فوجدوا البنت ماتت وقار اصلان مسجون بالجراح فعند ذلك أخذوا البنت دفنوها ورجعوا بقار اصلان وهو مجروح إلى برصة فمات فدفنوه فى برصة وفى تلك الايام وصل السلطان بالعرضى وحط قدام الكفار هذا ما جرى

[ياسادة] وأما زرقش الطيار فانه أقبل بعد انهزام الذى كانوا قدام قار اصلان فاختلط هو بهم وعساكره فى الظلام ودخلوا معهم فى العرضى فسار زرقش الى عند الملك وقال يابب اعلم ان الذى أخذ بفكك سهاد ودخل بها إلى بستان برصة فقوم معى وأنا أدلك عليه فاقبضه والا اقتله وخذ بفكك منه فقام معه وأخذ كبراء العسكر وهم ثلاثون مقدام وكان ذلك تحت أستار الظلام وكان اسفوط أخذ البرتقش

وقصد عرضى الاسلام ليدبر له مكيدة وأما زرقش أخذ الملك ومن معه الى البستان وكانت الحبشة مقيمين فى البستان مختفيين بين الاشجار فقاموا عليهم وأول ما فعل زرقش ضرب البب بالدبوس على جذع رقبته والحبشة قبضوا على رفقاه وصاحوا الله اكبر وكان الخبر وصل إلى السلطان فقال الملك الخيل يا أرباب الخيل وكبسوا النصارى فى الليل وأعدموهم القوى والخيل وما طلع النهار حتى تشتتوا الكفار وهجروا الديار والقفار وجمعوا السلب والنهب والغنائم وهرب اسفوط وهو صاغر ونادم وأمر السلطان عسكره بالرحيل وسافر حتى وصل الى السويدة بعد ما حضر قراصلان فى برصة واندقت فيها فانه مات من الجرح الذى اصابه ودفنوه مع زوجته كما أوصاهم ولما وصل السلطان الى السويدة فرأى العسكر الذين انهزموا من برصة وكان اسفوط خلص الملوك وجمعوا عساكرهم وراحوا على السويدية وذو الامير قلاوون فاتى على السويدية يحاربهم . ولما قدم السلطان فاعلمه قلاوون بالخبر فنصب الملك الحيام على السلطان السويدية وارسل كتاب مع إبراهيم إلى ملك السويدية مضمونه المراد منك ان تقبض الملوك الذى عندك واسفوط والبرتقش وترسلهم لى فى الحديد حالا والا ان وقعت فى يدى صلبتك على باب بلدك وكان النجاب نورد بن شيحة فاعطاه له سرا فقراه فارسل يقول ارسل لى الفداوية وانا اسلمهم لهم فاتى طائع فامر السلطان ابراهيم ياخذ الرجال ويدخل السويدية يجيب الرجال فقال سمعا وطاعة

واما اسفوط قال الملك السويدية ارنى الكتاب الذى اتاك من قبل السلطان فقال له ما اوريك انت تريد ان تخرب بلادى فعرف اسفوط واخذ البرتقش وهرب ولما دخلوا الفداوية على الملوك اخذوهم وضربوا رقابهم وصاحوا الله اكبر وسمع السلطان ان نكبس على السويدية ليلا وما طلع النهار إلا والدنيا خالية وطلع ملك السويدية وقابل السلطان فاخلع عليه خلعة الأمان وركب السلطان طلب مصر والفداوية راحوا قلاعهم وشيحة واولاده طلبوا جرة اسفوط يفتشوا عليه لهم كلام

[قال الراوى] واعجب ما وقع ان ملك بيروت جمع جماعة من العصاة ووقف معهم لقطع الطريق على جبل كسروان وكان المقدم على بن بارزخان مقيم فى ذلك فارسل اعلم السلطان وطلب منه الاذن ان يرده فارسل السلطان وقال له املك بيروت وهى لك من غير مال

فلما جاء الجواب للمقدم على بذلك جمع رجاله ولبسهم نصارى وسار بهم إلى بيروت وكبسها بالنهار قتل ملكها واحتوى عليها وهدم كنائسها والدبورة والصوامع وبناهم

مدارس وجوامع وأرسل اعلم السلطان فارسل فرمان يقول له أنت نائب فى بيروت مستمر طول مدة حياتك وان مت لذريتك من بعد فاقام بها يقع له كلام

[يا سادة] ثم ان اسفوط لما هرب دخل السواحل وأغراه اهل السواحل وقال لهم ملك المسلمين ضعف وضعفت عساكره قوموا معى أملككم بلاده قام الملك سيس وملك قبرص وقاموا ينادوا العصيان قمرت الغصاصين توابع المقدم موسى بن حسن وراحوا إلى مصر وأعلموا السلطان فقال هذا أمر سهل وأحضر السعيد وأعطاه ثلاثين فداوى وثلاثين أمير وقال أنت تركب على سيس وأنا رايح على قبرص فانه ما بقى إلا فتح السواحل فسار السعيد حتى وصل إلى سيس ونصب العرضى قدام المدينة والفرنسيس لما رأى ذلك قال لاسفوط يا أبى إيش عندك مقابلة ملك المسلمين ومحاربه أو تقفل البلد ونحاصر فقال اسفوط الحرب والجهاد فى دين المسيح وانا أروح قبرص وأساعد ملكها وأدبر على الحرب وأعود لك سريعا ونزل اسفوط. وأما الفرنسيس جالس وإذا بفداوى وقف بين يديه وقال له يا ربى مرادى أحارب المسلمين فاذا نصرتك عليهم وملكتك بلادهم أريد منك أن تجعلنى باشة البطارقة عندك فقال له مرحبا وأنت من تكون . فقال أنا اسمى شادر بن اهالى نصارة الشام وغضبت على أهلى وقعدت لى سنة مقيم فى بلدك . ولما رأيت المسلمين أتوا يحاربوك تعرضت أن أحارب معك فقال له البب فرنسيس انزل الميدان وفرجنى على شطارتك وأنا أعطيك طلبتك فقال له فى هذه الليلة أعمر لك الحبوس منهم ونزل شادر أول ما سرق منهم فى ليلة واحدة خمسين أميرا ونزل فى النهار أسر خمسة وثانى ليلة سرق اثنين مقادم وأسر فى النهار أربعة من الفداوية وكان هذا الفداوى فى الفروسية بمكان عظيم وفى اللصوصية يفوق على كل عريم فاجتهد وهو فى النهار يحارب وفى الليل يسرق حتى انه سرق السعيد وفرقة من الفداوية وفرقة من الامراء وتضعضع العرضى من أفعاله إلى يوم هو فى الميدان فبرز له المقدم جمر بن أسد وتقاتل معه وهذا جمر من الأبطال الموصوفة وهو صاحب حصن صهيون وجرى له مع عماد الدين علقم ما جرى فقاتله ذلك الفداوى فرآه ثقيل عليه فالتفت شادر إلى المقدم جمر وقال له ياخوند أنا ما أنا بكافر حتى تجتهد فى قتلى أنا مؤمن واسمى المقدم خالد ودخلت على فرنسيس بهذه الحيلة وحتى أملأ الاسلام فى الحبوس وأطلقهم فى الليل وأملكهم مدينة سيس وانت حاربنى بتهاون حتى ينفصل القتال وفى الليل أعمل طريقة وأدخل عرضى النصارى وقتا عندى فساعدنى على ما أنا عازم عليه يبقى لك

الشراب فقال المقدم جمر ان كان على هذا الحال أنا أساعدك والنصر من عند الله وقاتله حتى اندق طبل الانفصال وعاد اعلم رجاله بما رأى وقال يا رجال من فى الفداوية اسمه خالد قالوا له ياخوند ما نعرفه فحكى لهم على ما جرى

ولما دخل الليل قام المقدم جمر وسار حتى دخل عرضى الفرنسيس للخيمة الذى وصفها له خالد فكان قاعد له فى الانتظار ولما أقبل قام اليه يسلم عليه وضمه فى حضنه وكان محضر له جماعة من جبابرة النصارى يعاونوه حتى قبضوا المقدم جمر فقال له جمر هذه الحيلة الذى قلت لى عليها فقال يا جمر ما أنا خالد انا شادر البرملى اكبر غلمان جوان فقال جمر لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . واما الاسلام جلسوا ينتظروا المقدم جمر ان يعود فلم يعد فكتبوا كتاب للسلطان وارسلوه مع نجاب

فلما قراه التفت إلى إبراهيم وقال أروح الى سيس فقال المقدم ابراهيم على الراس والعين يا ملك الاسلام وطلع قدام الملك وكتب كتاب مثل ختم شراجيل وسار إلى سيس وهو فى صفة عجمى ولما بقى قدام ناوله الكتاب فقراه يلتقى خبر قان العرب انه ركب على بلادك فجمعت عسكرى وسرت اليك وها انا وعسكرى على جبال طرابلس وها انا قادم عليك واكون من خلف قان العرب لعل ان نهلكه ونأخذ بلاده والقادم لك حامل الكتاب ابقيه عندك الساعة الحلة معك فانه باشة لوماق ومن الشجاعة بمكان عظيم فاحتفظ عليه والسلام فلما قرأ الفرنسيس ذلك الخطاب التفت إلى المقدم إبراهيم وقال له ان القان يأمرك ان تقيم عندى فقال إبراهيم مافيش ضرر والقان على طرابلس وعن قريب يكون عندنا ووقف المقدم ابراهيم واراد ان يقول للملك هذا ابن الحورانى فكان ابراهيم اسبق يده على ذو الحيات وضربه فى بيت الحرام قسمه نصفين فانفاظ الفرنسيس منه وقال له لاى شىء قتلته فقال ابراهيم هذا من العرب واسمه المقدم خالد المنافق ويلعب بعقل الملوك يلعب عليهم ويقول انا اقاتل المسلمين وينزل إلى الميدان يقاتل المسلمين ليسلموا له ارواحهم بانخداع وينزل ليلا يجيب بالسرقة بالمخاوزة حتى يملا الحبوس ولما يبقى عنده ناس كثير من جبابرة الفرسان ينزل ليلا يطلقهم ويعطيهم سلاحهم ويطلع بهم يقول الله اكبر يهلك الناس ويملك البلاد وهذه افعال ذلك الكلب كما فعل عند القان ابرمة وملكه ملك العرب حتى نشره وكان قاوى يملك بلادك فقال له الفرنسيس صدقت وانا اسر عندى جماعة إسلام بكثرة وبالجملة السعيد ابن ملك المسلمين سرقه وارسل لى اسقوط خطاب مع البرتقش اخذه فقال المقدم ابراهيم ما كنت له حتى تفعل معه مثل مافعل بالقان ابرة ولكن

ادفنوا هذا الكلب فدفنوه فاقام ابراهيم وقلبه يغل على السعيد الذى هو جاء من أجله فلما كان الليل قام ابراهيم ودخل أطاق المحبوسين جميعا وقال لهم استعدلوا أنفسكم ودخل هو على الفرنسيس وقبض على خناقه وقال له ما تعرفنى يا معرص أنا ابراهيم الحورانى ثم انه كتفه وصاح الله اكبر أنا ابراهيم الحورانى الذى تعرفوه وجاوبه الفداوية والامراء ومالوا على الكفار كل الميل وانزلوا بهم الذل والويل وكالوهم كيل واى كيل ولاطلع النهار حتى فنيت طائفة كثيرة من الكفار وقتلوا على السعيد فما وجدوا له خبرا فاحضر ابراهيم البب فرانسيس وقال له اين ابن السلطان يا كلب فقال له أخذه أسقوط والذى استلمه البرتقش وهو الآن فى ارطنطوس فارسل الفرنسيس للسلطان بكتاب يعلمه أن السعيد أخذه البرتقش وهاملك سيس مرتهن حتى تكشف أخبار السعيد فلما وصل الكتاب للسلطان قال للفرنسيس يا كلب الكافرين مابقيت ترجع ولا تقرب عن ما أنت فيه حتى اصلبك على بلدك وارتاح منك والتفت إلى الوزير تقطمر وقال له اركب وخذ معك عشرين مقدم من بنى اسماعيل بعساكرهم أربعين الف كل مقدم الفين وعشرين أمير بعشرين ألف وسافر وحط على ارطنطوس فركب تقطمر وسار كما أمره السلطان ولما وصل إلى ارطنطوس فركب البب امسيس ملك البلد ولما وصل إلى عرضى الاسلام نزل ومشى على أقدامه أحتى وصل إلى قدام تقطمر وقال له ياداولتلى أنا طايع ملك الاسلام وأورد الجزية فى كل عام ولاى سبب أتيت لى بعساكرك من غير ذنب فقال له عندك ابن السلطان والذى أرسله البب اليك الفرنسيس ملك سيس وكان الفرنسيس مع تقطمر فقال البب ها أنا موجود ان كنت أخذت ابن السلطان ياملعون فقال لا أدرى وانما جانى كتاب بخط أسقوط مع البرتقش وقال انه رايح يوديه ارطنطوس وهذا الذى جرى فقال امسيس كذب أسقوط والبرتقش وانا لو رأيت السعيد كنت ارسلته لابيه فقال تقطمر روح انت بلدك وانا ارسل اعلم السلطان فعاد إلى بلده وقلبه مشغول على الفرنسيس لانه ابن عمه ولما وصل إلى بلده احضر عابق من عنده يقال المقدم شاروخ ولكن فى اللصرصية بمكان عظيم وقال له مرادى منك ان تنزل على عرضى المسلمين وتسرق البب فرنسيس او تطلقه من وثاقه وهو يهرب إلى بلده فنزل الملعون ووصل عرضى الاسلام اول مافعل اطلق ملك سيس وسار إلى خيمة الوزير تقطمر فكان تقطمر واقف يخلع ثيابه للنوم فنظر إلى العابق شاروخ فصاح عليه ويده على الحسام وضربه بحد السيف وكان الملعون فى يده خنجر فحذف به تقطمر حكم الخنجر فى صرته وضربه الوزير

تقطمر حكمت على صدر الملعون خرجت من ظهره فوقعوا الاثنين فى قتال كان الفرنسيس نجا وركب من بعض الخيل وطلب بلدة تحت الليل هذا جرى وأما السلطان فانه كان حاطط على قبرص كما ذكرنا فما يشعر ليلا إلا والمقدم جمال الدين أتى اليه وقال له أنا ماقبضت على مالك قبرص وفتحت البلد اعطيت المدافع وبجت الحرس فقم بقى أركب فركب السلطان وتبعوه أبطال الاسلام وصرخ الله اكبر ولا طلع النهار إلا وهو على تخت البلد فهرب ملك قبرص فأمر السلطان العسكر بنهب البلد والطبجى ضرب على أصوارها مدافع هدم ابراجها ومن استعجاله على ولده محمد السعيد ركب بالعساكر وصل ارطغاوس فحكم دخوله اليوم الذى مات فيه اخوه فرأى تقطمر ميتا فصبره وأرسله إلى مصر يدفنوه فى طيلون والتفت الملك إلى الفداوية وقال هل فيكم أحد يقدر يفتح هذه البلد حتى انظر هذا الملعون امسيس كيف أخى أطلقه وهو يفعل هذه الفعال ويرسل لاخى من يقتله فقال المقدم بدر الغفير أنا ياملك الاسلام وقام المقدم بدر دخل البلد وسار حتى بقى فى الديوان فنظره البب امسيس فصاح يا أبناء النصارى فحط يدى فى شاكريته وقال الله أكبر وقاتل فى الكفار وأرمى رؤوسا كالاكر والكفوف كاوراق الاشجار وسمعت الاسلام فاعلوا السلطان فركب وسبق سعد وناصر الدين كسر الابواب ودخل السلطان وقاتل فى الكفار والتقى المقدم ابراهيم بالملعون امسيس وضربه بذو الحيات أرماه نصفين وأهلكوا باقى الكفار وملك البلد السلطان وفتشوا على بدر الغفير فرأوه استشهد فامر السلطان بدفنه وصاروا يدوروا فى البلدان على السعيد فما وجدوه وإذا بتباع من اتباع المقدم موسى قبل الارض قدام السلطان وقال ياملك الاسلام انا رأيت اسفرط بن جوان معه ولدك السعيد ودخل به مقدونية فقال له السلطان وانت من أين فقال ياسيدى أنا من أتباع المقدم موسى فأمر له بألف دينار وذهب وسار السلطان بالعساكر وحط على مقدونيه وعند رحيله قال لها ابراهيم يادولتى أنا أسبقك لعلى اقبض على اسفرط وسار ابراهيم الى جانب مقدونية فرأى بستان وفى قلبه دير فدخل ابراهيم إلى ذلك الدير فلم يجد فيه أحدا فصار يفتش فيه وإذا بنتين طالعين من سرداب تحت الارض فقبض عليهم ابراهيم وقال لهم انتم من أين أتيتم فقالوا له أتينا من السراية نزور الدير لان هذا سرداب أوله فى السراية وآخره فى الدير فقال لهم وايش تقولوا فى دين الاسلام فلم يسلموا فقتلهم بعد ما أخذ منهم أوصاف السرداب وعرفه وكان النهار مضى وأقبل الليل ووصل السلطان مقدونية وحط بالعرضى فاتاه ابراهيم وقاله

له يادولتلى هذه الليلة نخلص السعيد ونفتح مقدونية وايش تعطينى فقال له اعطيك عشرة آلاف دينار فقال له ابراهيم هاتهم وإلا اكتب لى بهم تذكرة وقوم معى حالا وأنا أملكك مقدونية فكتب له السلطان تذكرة واخذه والفداوية معه وابراهيم قدامهم وانزلوا من السرداب فطلعوا من وسط السراية وكان مقدمين قائم بريد النوم فضربه ابراهيم بذو الحيات صفعا على رأسه أرماه على الارض فقبضوه أبطال الاسلام وصاح السلطان الله أكبر وضرب بالسيف فى رقاب الكفار المسلمون الابرار وما طلع النهار حتى اهلكوا الكفار واحضر السلطان ملك مقدونية وقال له اين السعيد ياملعون فقال فى الدير يامولانا السلطان فهجموا الاسلام على الدير وطلعوا السعيد وخلصوه من الحديد فقال السلطان لملك مقدونية انت من الذى جاب لك ولدى السعيد وسلمه اليك فقال أسفوط فقال السلطان واين أسفرط ياملعون فقال فى السويدية فصلب ملك مقدونية على الصور وقال لابد لى من خراب السويدية وأمر العساكر بالرحيل فساروا حتى وصلوا إلى السويدية وحط قدامها وكتب كتاب وقال ابن ابراهيم فقالوا له انه مريض وأصبح عيان فقال المقدم شهاب الدين ياملك أنا أروح بكتابك إلى السويدية فاعطاه الملك الكتاب وصار حتى بقى فى وسط الديوان وقال لملك السويدية أين أسفوط ياملعون قوم حضره والا اقطع رأسك واوديها للسلطان فاتفاظ ملك السويدية وأمر بقفل البلد وقال عليكم بهذا يا أبناء الروم فحملت الكفار على المقدم شهاب الدين فقاتل حتى استشهد رحمة الله عليه فاخذوا النصارى جثته وأرموها للاسلام وقفلوا البلد فلما نظر السلطان شهاب الدين أمر بدفنه فدفنوه وكان عند ملك السويدية عاق حرامى اسمه المقدم سماطع فقال له ياسماطع ان جبت لى دين المسلمين ازوجك ابنتى وعاهده على ذلك وطلع من قدامه وقصد عرضى السلطان فكان المقدم ابراهيم واقف لغفر السلطان فنظر إلى سماطع وهو يدور ويتسلل فتقدم للباب بتباع صيوان الملك وقال ياسعد اتقف مكانك حتى انام شوية ودخل ابراهيم وتخفى حتى دخل سماطع من خلف الصيوان فقبض ابراهيم على اذنه وقال له انت من فقال له ياسيدى أنا فى عرضك أنا سماطع فقال ابراهيم ومن أرسلك فقال أرسلنى ملك السويدية اقتل ملك المسلمين ويزوجنى بنته فقال ابراهيم وعلى شان زواجك تقتل ملك المسلمين والله ان هذا المهر غالى واتكبى على رقبته طلع روحه وواراه تحت الليل وكان للمقدم شهاب الدين ولد اسمه الليث الشديد فلبس ثياب سماطع ودخل السويدية

واختفى فيها حتى اقبل الليل وصاح الله اكبر فصاحت النصارى دالى وضربوا فى بعضهم حتى طلع النهار فالتقوا قد قتل منهم يزيد عن خمسمائة كافر

فقال ملك السويدية ما الخبر فقالوا له يا بب نحن سمعنا فى الليل صياح المسلمين الله اكبر فقاتلنا ولم نعرف المقاتل من ولما طلع النهار راينا الذين قتلوا كلهم نصارى ما فيهم ولا مسلم

فقال نفتش البلد ففتشوا فوجدوا الليث الشديد نائم فى جانب كنيسة البلد فقبضوه وقدموه للملك فقال له من انت يا كناس فقال انا سماطع فقال له انت مسلم وتدعى انك سماطع يا كلب روضعه فى الحديد ثم ارسل للسلطان يقول له انا قبضت على مسلم منكم فان اردت أن تأخذه ارحل عن بلدى فأرسل له السلطان يقول ما احد ناقص من رجالنا فلما اتاه الجواب أمر باحضار الليث الشديد وأرماه فى نطعه الدم وإذا ببترك اتى من دير نحراز وبصحبته أربعين راهب وهو يقرا فى الانجيل ويفسر قواعده فى التحريم والتحليل فقام اليه ملك السويدية وعظم قدره وبجله واجلسه بجانبه قال له أين العزم يا أبى

فقال من عند الملك الظاهر سيد سلاطين بنو آدم وظل الله فى العلام وانت يا ملعون قتلت المقدم شهاب الدين ومرادك تقتل ولده ولم تحسب أن الزمان يقدر عليك ويرسل من يقطع راسك من على كتفيك وحطيده على الحسام وضربه على وريديه أطاح راسه من على كتفيه وكان هذا المقدم زرقش الطيار والذى معه إبراهيم وسعد وباقى الاربعين من بنو إسماعيل فحاصروا الليث الشديد ونادى زرقش الله اكبر وتبعوه الفداوية وسمع السلطان فقال الخيل وركب وكبس بالعساكر على السويدية وما زال السيف يعمل فى جنبات البلد حتى افنوا من النصارى العدد وبعد ذلك أمر السلطان أن يحرقوا السويدية فوضعوا الاخشاب فى أزقتها وأضرموا النار فيها حتى حرقوها وكان السلطان سال عن أصفوط فقيل له فى اسكندرونة فقال لابد من خرابها وكذلك كل بلد تاوى ذلك الملعون إلا أخربها وأقتل أهلها وسار

[قال الراوى] السلطان وحط على اسكندرونة وكان أصفوط لما دخل اسكندرونة أوصى ملكها على المكر والخداع ورحل من عنده وكان ملك اسكندرونة من أهل الخداع والاحتيال فجمع ماله وأخذه قدامه وظلع من البلد وسار حتى وقف قدام السلطان فلما رآه السلطان قال إمسك فقال تمسكنى لاى شىء يا مولانا السلطان وأنا ما أتيت إلا ادخل دين الاسلام فقال السلطان إن أسلمت يحرم قتلك فعندها أسلم مكراً وخداع ودخل السلطان اسكندرونة بالعساكر وطلب من أهل البلد الاسلام فلم يسلم أحد فوضع السيف حتى أخربها ونهب ما فيها ولم ينفذ منها غير الملك وكان

اسمه منيرد فقال يا ملك الاسلام انا اعلمك بأن طرطوس عمرت وأصفوط فيها وقائمة العصيان فقام السلطان عليها ورحل بالعساكر إلى طرطوس فرآها محصنه فكتب كتابا وأراد يعطيه لابراهيم فقال منيرد انا اروح بالكتاب وأجيب رد الجواب فقال له روح فأخذ الكتاب ودخل على عبد الصليب ملك طرطوس فلما رآه عرفه فقال له إيش الخبر فقال له انا اسلمت خداع وأنيك بالكتاب حتى ادبر أنا وأنت حيلة على المسلمين فخذ الكتاب إقراه وردلى الكتاب بالحرب وتأنينى ليلا حتى اعمل حيلة على المسلمين كما علمنى أبى اصفوط

فقال عبد الصليب وأنا اصغرط أتانى وقال لى طاوع منيرد ملك إسكندرونة فقرأ عبد الصليب الكتاب وجد المضمون انك تقبض على اصفوط وتقدمه إلى عندى وإلا أخرب بلدك وأهلك عسكرك وأجنادك فكتب له رد الجواب ما عندى غير الحرب وعاد برد الجواب منيرد فقراه السلطان ولما أقبل الليل تنكر عبد الصليب وجاء عند منيرد فقبضه وأخذ قدمه للسلطان وقال يا مولانا هذا جاء يغرينى على العودة للكفر والنفاق فقبضته وأتيتك به

فقال الملك حطوه فى الحديد وجعلوا عليه الغفراء وأما منيرد إختلى بنفسه ليلا وكتب كتاب إلى ملك طرابلس يقول له تحضر إلى عندى حتى اتحايل على ملك المسلمين وأقبضه وأسلمه اليك فركب البرترملك طرابلس وأتى إلى أرطنطوس فعلم به السلطان عند دخوله ومعه عسكره فقال لمنيرد من هذا قال له البرترملك طرابلس فقال السلطان لابد ما أخرب بلده إن شاء الله تعالى فقال منيرد يا مولانا السلطان إعطينى عشرين مقدم وأنا أجيب لك البرتر من قلب طرطوس وتصليه مع عبد الصليب فى يوم واحد

فقال السلطان روح وأعطاه عشرين مقدم أولهم حسن النمر وآخرهم صوان بن الاقمى فاخذهم وساربهم إلى طرطوس ودخل ليلا وكان البرتر واضع منقد ملآن لحم وفيه قرص بنج فدخل منيرد بالفداويه فشموا جميعا انقلبوا فكتفوهم ووضعوا كل اثنين على حصان وأخذهم البرتر وساربهم إلى طرابلس الشام وقعد فى ديوانه وأمر باحضار الفداويه فلما حضروا قال لهم أتيتم تقبضونى وتودونى لملك الاسلام يقتلنى وانطلت عليكم حيلة منيرد ثم إنه أرماهم فى نطعة الدم وأمر بقطع رؤوسهم وإذا بالمقدم شجاع الدين مقبل وكان فى طرابلس ولما رآهم جذب سيفه

وقال الله اكبر وضرب السياف أرمى رقبته فاطبقت النصارى عليه فقاتل حتى استشهد رحمة الله عليه وفى هذه الساعة اقلت عشر مراكب فى البحر بان ملك اللاظ وعساكره وطلعوا على المينه العساكر فلما علم البرتر جرج للقاء ملك اللاظ فاستقبله فلما بقوا فى

البلد صاح الله اكبر وكان هذا زرقش الطيار وعساكر الحبشة فسار القتال وسبب الفداوية وضربوا بالسيف حتى أهلكوا الكفار وحرقوا أماكنها بالنار وهرب البرتر فقتلوا ابنه وعاد الملك الظاهر طالب طرطوس فسبقه ابراهيم وسعد وباقى سعاة الركاب هجموا على طرطوس مسكوا البرتر قطعوا رأسه وخربوا البلد وقبضوا منيرد واركبوه جمل وحرقوه بشعل القطران وارتحل السلطان من على ارطنطوس الى قلعة الحبيش وكان بلغه ان اسفوط فيها فسلط المدافع على القلعة فحاربوه بالمدافع من على الاصوار فبقوا عليها حتى هدم أصوارها ونهبها وقتل ملكها وخربها ورحل بالعساكر طالب جرة أسفوط الى صور الساحل نزل عليها كتب لملكها بطلت الجزية والعداد والقبض على اسفوط ان كنت طايع وان لم تفعل ذلك فالقتال فرد الجراب له بالحرب وقفل البلد وقام الحصار وكان هذا تدبير أسفوط فقال له انى اسفوط انا ماأفرط فيك ولا أسلمك للمسلمين لكن أنا مالى طاقة على حرب ملك المسلمين واريد منك المعاونة فقام اسفوط وكتب كتاب وأرسله مع البرتقش الى بحيرة يغرة الى فداوى عايق اسمه المقدم سلط بن شريحة البرملى انه يحضر فقام البرتقش وأتى به فقال له اريد منك المساعدة على قتال المسلمين فنزل الميدان وكان جبار فنزل له أيضا البهلوان عاد من قدامه مجروح نزل من بعده على الدين اسمه بشتك والجلاوى أخذ خمسين امارة وخرج أربعة وفرغ النهار وعند مادخل الليل لبس ملابس اسلام ونزل من الصور وراح الى عرضى الملك ومادام يتلصص حتى بقى قدام السلطان وكان ابراهيم قاعد مع سعد ونظره وعرفوه فصبر عليه ابراهيم حتى قرب وهو نايم وأراد ان يخطيه فمسكه من رجليه ورفعه لفوق وخبطه فى الارض لخبط عظمه وكتفه وقال له من أين أنت يا معرص فانتبه السلطان وقال هاته يا ابراهيم ولما بقى قدام السلطان أمر بكتفيه على الأرض ويدور جثته بالنار والايحكى بصحيح الاخبار

فقال أنا اسمى المقدم سلط بن البرملى وأتى أبى أسفوط وحكى له على الذى جرى له فضربه ابراهيم قسمه نصفين فأخذ ملابسه ناصر الدين بن سعد وقال انا أدخل مكانه وافتح لكم أبواب صور الساحل وسار حتى وصل الى الصور وأرمى مفرده وطلع وهو على صفة المقدم سلط ووصل السراية واراد الدخول فخاف من اسفوط يعرفه فنزل الى باب البلد وقال للبوابين افتحوا لى أنا المقدم سلط وأرسلنى البترك اسفوط فى أشغال ففتحوا له الباب فلما رأى الباب انفتح صهب البواب على عنقه اطاح رأسه وصاح الله أكبر فادركه أبوه ومحمد الغندور وعلى ابن المناوى وحسان أبو الدرايب

وتتابعت بنوا اسماعيل وكسروا قلعة حرر الساحل وغنى الحسام وانفاق الهام وهشمت العظام هلكت اللئام ونصر الله الاسلام وملكوا البلد واهلكوا كل من فيها وملا ها هرب فى كنيسة تحت الأرض يدوروا عليه لا لقوه قال السلطان اسألوا عليه من الحريم فقبضوا الحريم وضربوهم فقالوا البب صوردق فى الكنيس الذى تحت القلعة وساروا معهم دلوهم عليه فاطلقوه ووقفوه قدام السلطان قال له اين الامراء قال اخذهم اسفوط وراح على بيروت فامر السلطان بشقفه على باب البلد وركب السلطان حتى وصل بيروت كان اسفوط حقيقه دخل على ملك بيروت وشكى له فعل الاسلام فقال يا أبى أنا نايب من تحت يد المقدم على بن يازدغان فقال اسفوط لاتخاف اصحا وأنا ملكك بيروت وغيرها ولا عليك من على ابن برد غدان وعلمه مكريات وخيانة فلما قدم السلطان على القلعة فقام ملك بيروت وسار للمقدم على بن بردغان وقال له ياسيدى أنت الذى بعدتنى على بيروت وأنا ما حصل منى ذنب الا دخول اسفوط عندى باسارة المسلمين وأنا يا سيدى أريد تأخذ لى من السلطان أمان وأنا اطلق الاسرى وأقبض على اسفوط مع البرتقش وايد معهم بين يدى السلطان فقام المقدم على معه وسار إلى السلطان واعلمه بما قال نايب بيروت عبد المسيح فقال السلطان أنا حالف كل من قيل اسفوط لابد عن قتله الا أن يسلم وكان عبد المسيح واقف وسمع فقال أنا اسلم أحسن من الموت واسلم على يد السلطان فقال السلطان ان كان اسلامك صحيح روح بيروت اطلق الاسلام واقبض على اسفوط فقال سمعا وطاعة وعاد إلى بيروت قبض اسفوط واطلق الاسلام واتى للسلطان وقال يامالك الاسلام أن ملك عكة أتانى فى هذه الليله وقال لى اخص على ملك الاسلام وأنا أساعدك فان اعطيتنى عشرين مقدم فانا اقبضه وأقدمه إلى بين يديك فاعطى له عشرين فداوى من جملتهم الملك ابو وطير بن معروف واخوه الملك الطوفيرتى فسار معه للبلد فادخلهم فى برج وفيه منافذ مهالك لها لوالب فلما دخلوا برم اللوالب انطبق ذلك البرج عليهم وقال لهم هذا قبركم وعند الصباح نزل الميدان وقال أنا قتلت المسلمين الذى أخذتهم فان اطلقتم اسفوط والا دونكم والقتال فاتم كلامه الاوخيال هجم عليه أخذ منه واعطاه وتعلق فى جلباب درعه أخذه اسيرا سلمه للاسلام وساق حصانه على بيروت وقال هاترا هذا الملعون ودخل بيروت وضرب بالسيف وكان هذا على بن برتقان فصاحت أهل بيروت الامان نحن طايعين وهذا الذى هو البايب أنت الذى ملكته فدونك واياه فاحضره وقال له أين الاسلام يا ملعون فقال ما اقول عنهم حتى تعطينى الامان فقال

على ايش يكون الامان بعد اسلامك وكفرك ومال بالضرب حتى اعلمه بالبرج الذى فيه الاسلام فاطلقهم وشنق نايب بيروت على البرج المذكور وطلع قبل يد السلطان وقال له يامولانا ما أغرى هذا الملعون الاملك عكة وأما اسلامه فالاول على يديك فهو باطل فقال السلطان هاتوا اسفوط فقال له اسفوط هرب يامولانا فقال على برقتان إن كان اسفوط هرب فهو فى عكة ولافاتها وكان قوله حق لان الذى أطلق اسفوط البرتقش وقال له اسفوط اعلم أن الوقت قرب فسر بنا نقعد فى بحيرة يغره ونخفى الدما والا قطعوك المسلمين كما قطعوا ابيك من قبلك فقال اسفوط ودنى لا ارجع عن المسلمين حتى اهلكهم اجمعين وسار إلى عكة وأمر ملكها بالعصيان وارسل إلى جبل الدروز أحضر فداوى كافر يقال له كفرطون المجنون وقال له أنت تجمع طايفة الدروز وتنزل من على الجبل تحارب هذه المسلمين فاذا التقوا معك اطلع منهم الحيل لعلهم يتبعوك وأنا بعسكرى اجيهم من خلفهم وانت من بين ايديهم فنأخذهم مواسطة فاعتمدوا على ذلك التدبير

[قال الراوى] وأما ملك الاسلام فانه ارتحل بالعسكر حتى وصل عكة ونصب بعساكره فما يشعر الا والدروز نزلوا عليه مثل الجراد وكفر طون قدامهم فصادرتهم ووقع بينهم الضرب بالحسام وكانت وقعة شديدة الانتقام فما كنت ترى الادماغ طايره ودماء فايره وجواد بصاحبه غابر وتفرقت المراير كانت واقعة تحلى عليها الملك القادر القاهر ودام القتال إلى آخر النهار وانفصلوا عن القتال [ياساده] وكان ملك عكة طلع عسكره من البلد وكبس عرضى الاسلام ونهب جانب من الخيام والناس مشتغلة فى قتال الدروز فاغتنم الفرصة فى غفلة الاسلام ونهب كرر السلطان ومتاع الامراء وأخذ شىء كثير من خيل وسلاح وعاد إلى عكة دخل وقفل أبوابها وعاد السلطان من الحرب والقتال كان الملعون كفرط ز طلع الجبل هارب لما ضاقت عليه المذاهب فادركه نصر الدين الطيار وضربه بخجر فى احشاه طلع امعاه ورجعوا الاسلام فرجدو اما جرى على العرضى فانغاظ السلطان وحلف الايقوم على عكة حتى يهلك من فيها ولما كان عند الصباح واصطفت الصفوف واشتهرت الرماح والسيوف وانتصب الميدان وظهر كل فارس عرمان فانفتحت ابواب عكة وخرجت العساكرى واصطفت قدام الاسلام فاراد السلطان أن يامر الامير ايدمر أن يفتح باب لحرب

تم الجزء السابع والاربعون ويليه الجزء الثامن والاربعون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثامن والاربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] واذا باسفوط هز الشفار وقلع البرنيطة من على راسه وصاح الجهاديا امة المسيح هنالك رجعت الكفار وتلقتها المسلمون فقال السلطان يابنو اسماعيل يقف منكم عشرون مقدم فى الخيام ربما تنزل الدروز من خلفها ويفعلوا كما فعل هذا الملعون الدهار ملك عكة بالامس فى عراصيا فتأخر من الفداوية عشرين مقدم والباقى طلبوا الحرب والصدام وغنى الحسام الصمصام وفاق الهمام وانهشم العظام وانعقد الغبار والقتام وقاتل كل فارس همام وتزلزلت الاقدام وانقطع الكلام واشتد الخصام ودام السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى آخر النهار وانفصلوا عن درب البتار وعادوا إلى الخيام وانفصلوا واضرموا النيران وتحارسوا الفريقا وباتوا إلى الصباح واصطفت الصفوف وبرز ملك عكة الدهار على ظهر جواده ومال وحال ونادى وقال يامسلمين انا ملك عكة الذى بينى وبينكم الحروب مشتبكة وها انا نزلت إلى الميدان ومقام البراز فابرزوا إلى فارس لفارس ان كان عندكم انصاف ولا ايش ذنب العساكر الذى يموتوا بيننا فى القتال فما تم كلامه حتى برز اليه الامير ايدمر البهلوان وقابله ساعة زمانيه فاسره ونزل من بعده على الدين اليسرى كذلك اسره واسر بعده خمسة من الامراء وأخذ من الفداوية اثنين ووفرغ النهار واندق طبل الانفصال ولما كان ثانى يوم برز المقدم عيسى الجاهرى وتقاتل معه إلى آخر النهار وانطبق الانفصال وافترقوا عن القتال وعند عودة المقدم عيسى صاح عليه المقدم ملك عكة فالتفت اليه المقدم عيسى كان بيد الملعون حربة فحزتها اليه فبالقدر حكمت فى مشعره وعاد الملعون ودخل فى بلده فهجمت الاسلام اخذوا المقدم عيسى واوصلوه لابيه فما وصل الا ميتا لان الحربة فى بيت السودة فصعب موت عيسى على الاسلام وكذلك السلطان وكل الامراء والفداوية وأمر السلطان بتصبيره وأرسله إلى مصر ليدفن بها واما ملك عكة فانه التفت إلى اسفوط وقال له أنت الذى شبكتنى مع المسلمين فدبر والا اقبض عليك أنت والبرتقش واسلمك اليهم فقال له اسفوط يابب اعلم

كان فى جبل المناولة رجل حكيم كهين يقال له الكهين مرموت فارسل له كتاب من عندك اله ياتى اليك وينجدك وأنت تعرفه حق المعرفة قال صدقت أنا أكتب له كتاب وانت تكون النجاب فكتب ملك عكة كتاب وأخذه اسفوط وسار للكهين حتى وصل اليه واعلمه بالاسلام وما فعلوا فى سواحل البحار وأخيرا مدينة عكة عليها الحصار فقال الكهين أنا ما علمت ذلك إلا فى النهار فقال أسفوط وقد احتجنا اليك ولا بقى نصرة الكرستيان الا على يديك فعند ذلك قام الكهين مرموت ودخل بيت رصده وغاب فيه مقدار ساعة وطلع قعد على سريره وأخذ اسفوط معه وسار إلى وسط عرضى النصارى وقال لاسفوط اقعد بجانبي وسمى لى كبار المسلمين الذى عليهم المعتمد

[قال الراوى] فقعد الملعون يسميهم واحدا بعد واحد وكلما يقول على اسم واحد يسهل عون جان يخطفه ويوضعه بين يديه فيوضع الحديد فى رقبته حتى أخذ أربعين من أبطال الاسلام أولهم الملك الظاهر وآخرهم سيحة وأراد أن يضرب رقابهم وإذا با لدنيا اظلمت وطلع شرار ونار وصراخ وهدير وقايل يقول ارجع يا عدو الله وكانت هذه جميلة الملك بنت ملك الحبش وسبب مجيئها إلى ذلك المكان وهى أنها ضربت تخت رمل لتنظر ولدها زرقش فى أى مكان وكذلك زوجها فانها ما نظرته لمدة ولا دخل عندها فرأت شيحة مقبوض فى ذلك النهار مع هذا الكهين الجبار فركبت على سريرها واقبلت مسرعة كما ذكرنا وصاحت على الكهين فعلم المقصود وقام اليها وحاربها بابواب السحر ودام بينها وبينه السحر حتى أوقعها ولما علم بتقصيرها ضربها بحربة مرصودة وقعت فى صدرها فماتت من وقتها ونظر طود البحر إلى ذلك الكهين وأراد ان يحاربه فضربه بحسام مرصود فقسمه نصفين ونظر المقدم زرقش ما جرى على أمه وأخيه

فقال توكلت على الله وأتى من خلف ذلك الكهين وتوكل على رب العالمين ووضع يده على سيف امضى من القضاء والقدر وكان الكهين يعاتب الملك الظاهر وشيحة ويوبخهم با لكلام الذى يغيظ الانفس فما يشعر الا ولطش وقع على وريديه اطاح رأسه من على كتفيه والضاب له زرقش الطيار وقاموا ابطال الاسلام واقفين ولسيوفهم جاذبين وصاحوا الله اكبر وسمعت بقية الاسلام نداء السلطان والمقادم فصار كل منهم على الحرب قادم وأما أعوان جوان توابع الكهين تصايحوا سلم الله يمينك يامقدم زرقش واراحك الله من العذاب المهين كما ارحت قلوبنا من خدمة هذا اللعين فقال زرقش اذا كنت ارحتكم من الضرر والنكد فساعدونى على هذا البلد فقال

كبيرهم وكان اسمه العساف ادخل يا مقدم زرقش البلد ولا تخاف فقد أطلقنا أصحابك من الكتاف وسلمنا اليهم الحروب والاسياف وأبواب عكة مفتوحين فادخلوها أجمعين فدخل المقدم زرقش فالتقاه الملك عكة الملعون دمهار فلما رآه ضربه بالحسام البتار وإذا رأسه عن بدنه طار وحمت الاسلام الأبرار والقى الله خمدة على الكفار ودام القتال إلى آخر النهار حتى لا بقى من الكفرة ديار ولا نافخ الاما بين قتيل أو أسير وهرب من فى أجله تأخير ونصر الله الاسلام وأهلك الكفرة اللئام قال السلطان هيا على حيل الدور والمتارلة وكان الامر كذلك نزلوا على الذى فيهم واهلكوهم عن آخر ولا هرب إلا من فى أجله تأخير ورجعوا على عكة نهبوها واخربها الملك الظاهر بالمدافع وهدم أسوارها لأنه صعب عليه عيسى الجاهرى وأما شيحة قال ابنى كان يتعاطى الاسحار وما قتل إلا بسببها ولم يكن أحسن من التوكل على الله ولو كان بعدى تولى سلطنة القلاع والحصون كان يفعل بالرجال أفعال الجبين والحمد لله على موته على دين الاسلام لأن السحر فتنة وفعله حقيقة حرام وفتشوا على اسفوط فلم يجدوه فقال زرقش أنا رأيت تبعا أعلمنى ان اسفوط داخل قيسرية عتلية وهى من صفة السواحل قال الملك ان اسفوط راح قيسرية عتلية وقبله ملكها فلا بد من خرابها وقتل أصحابها وركب السلطان ودخل بالعساكر وحط على قيسرية عتلية فكتب كتاب وسلمه إلى ناصر الدين الطيار أخذه ودخل به إلى البلد وقال قاصد ورسول فقال اسفوط هات كتابك فقال ناصر الدين وأنت مالك يالملعون والتفت إلى ملك القيسرية وقال له قوم على حيلك خذ كتاب السلطان فقام وأخذه يلتقى مضمونه إما تقبض على اسفوط والا دونك والقتال فشرمط الكتاب أرماه فى وجه ناصر الدين فحط يده ناصر الدين على شاكريته فقال اسفوط دا لى يا أبناء الروم فحملت الكفار على المقدم ناصر الدين فقاتلهم طول النهار حتى كلت مناكبه وبعد ذلك استشهد رحمة الله عليه فلما رأوه النصارى قتل ارموا جثته من فوق السور فراح سعد جاب جثة ابنه وقال عوضك الله يا ولدى الجنة فامر السلطان بدفنه لأنه شطب ما يحمل البصتير ولا السفر وكان فى قيسرية عتلية فداوى نصرانى يقال له عملاق وهو كافر فاجر فقال للبب غادر بن يابب لا تفعل ولا تحاضر أنا احارب المسلمين محبة فى أبى اسفوط حتى تزيدنى بركاته قوة وعافية وشطارة فقال له اسفوط أنا معك وبركات الحواريون تساعدك فنزل الملعون عملاك وقاتل قتال مر المذاق من حين طلعت الشمس بالاشراق حتى أقبل الليـــل بظلام الاغساق أخذ من الامراء

أربعة ومن الفداوية مثلهم وثانى يوم كذلك وهكذا أربعة أيام حتى انه أسر من الفداوية خمسة وعشرين ومن الامراء خمسة وثلاثين وكل ما يأمر أحد بسجنه تحت يده فقال له اسفرط كل أسير تأسره يكون بسنة زيادة فى عمرك فقال له رضيت أنا بذلك

[ياسادة] ثم ان السجان الذى واقف على حبس المأسورين فهو المقدم شيحة ولما علم أنه بقى عنده ستين بطل وكان عملاق قال للبيب اعلم ان ابطال المسلمين عندك محبوسين ولا بقى إلا ملكهم والذى معه جماعة عيانين فاطلع وصفف عساكرك قدامهم واحمل عليهم حملة واحدة حتى يحمل الارض منهم خامدة فقال له اسفرط صدقت فى هذا المقال وتجعلها واقعة الافتصال فعند ذلك خرج ملك القيسرية إلى قدام عسكر السلطان واصطفت عساكره حول الميدان وركب العملاق على ظهر الحصان فخرج اليه المقدم إبراهيم بن حسن مقدم حوران وقد هجم عليه هجمة الأسد الغضبان وقام فى ركابيه وتمطأ فى بداديه وضربه بذو الحيات على وريديه أطاح رأسه من على كتفيه ونظر اسفوط وملك القيسرية اليه وقد وقع فانذهل كلا منهم وانصرع وهز اسفوط الشنيار فحملت الكفار فتلقتهم الاسلام الابرار كانها الجن أو النهار وحمل ملك الاسلام وهاج كما تهيج أسد الآجام وزاد على الكفار العدد وكل منهم الحيل والجلد وأرادوا الدخول إلى البلد وإذا بأهل البلد خارجين وغالبهم مجرحين وأعلموهم أن البلد ملكت والناس الذين فى البلد من العسكر أطلق شيحة المأسورين وخرجوا من الحبس فازعين دهسوا البلد باقدامهم والذى لحق الابواب هرب والذى بقى شرب العطب ودام الحرب عمال حق مجوا النصارى على وجوههم فى الجبال ونصر الله الاسلام ودخل السلطان قيسرية عنوة وجلس على الكرسى وطلب ملكها فلم يجده وكذلك اسفوط هرب فقال السلطان ابن راحوا ياشيحة قال شيحة ما بقى لهم ملجأ الا يافة يا مولانا السلطان فقال السلطان الرحيل هيا على يافة أو حط على يافة وكان زمن الصيف فقام الوزير مع السلطان

وأما احمد سكندرون بن الوزير فانه غاب فى الأسواق فوجد بطيخة فاخذها بنصف درهم فضة وحملها لأحد الخدامين إلى خيمة أبيه وكان ذلك الوقت وقت الغدا فأكل الوزير وولده من البطيخة فكانت البطيخة مسمومة والذى باعه لابن الوزير كان اسفوط فلما أكلوا الاثنين سرى فيهم السم فامر السلطان باحضار حكيم فلما حضر الحكيم أطعمهم أعشاب ضد لذلك السم وقال للسلطان الوزير يطيب وأما ابنه يعدم فارسلهم السلطان إلى مصر فركب السلطان على يافة وهى بلد صغيرة فضرب فيها المدافع هدم أبراجها وأسوارها

وأطلق فيها النار وأما ملكها هرب وأما ملك عناية قتله المقدم سعد فانه لما كبس السلطان يافة ركب ملك عناية ليهرب فرآه سعد وعرفه فضرب حصانه بنبلة نشب وأرماه فما لحق ان يتور حتى ركب سعد على صدره ونحره من أذنيه وأما السلطان رحل من يافة ووصل إلى مصر وقلبه مشغول على الوزير وابنه وأول ما دخل مصر سال عنهم فاعلموه ان الوزير شفا وولده مات إلى رحمة الله ودفن فى الحسينية فسأل السلطان عن شيحة فحضر بين يديه فقال له طالب لنا التعب ولا بلغنا من اسفوط ارب فقال له شيحة ما أنا أروح لا أرجع عنه حتى الحقه بأبيه ثم انه جمع أولاده وقال لهم كل من أتانى باسفرط فهو خليفتى على سلطنة القلاع والحصون فسمعوا أولاده بذلك فطلعوا طالبين جرة اسفوط

[قال الراوى] وأما اسفوط لما هرب من يافة فراح إلى مصر ودخل بيت شيحة الذى فيه أخته رومة وهو متنكر فى صفة امرأة فاستقبلته أخته ولا تعرفه وأعلمها أن حريم الوزير يدور على شيحة وكان معه البرتقش مثله فحيتهم وأكرمتهم فطلع اسفوط من جيبه منديل وأخذ بالعذر محل الخلوة والفراش وعرف المنديل الذى لقضاء الحاجة ومزجه بجانب من السم الخارق ودعك به المنديل وتركه مكانه وبعد ذلك قال لها يارومة أنا أخوك اسفوط وهذا شيحة الذى قتل أبيك فانه صار زوجك أما تعملى حيلة على قتله [ياسادة] وكانت رومة عاقلة فقالت له ياأخى أنا إيش بيدى ومن أين للحرمة مقدرة أن تفعل شيئا ولا لى قلب بجسرتى وإنما لما يجى هنا اتقى اتبعه وافعل جهدك معه . فقال لها متى يكون حضوره فى بيتك فقالت يا أخى له ميعاد وإنما أوعدنى أنت على مكان اذا حضر عندى أرسل أعلمك تحضر ومتى له تصطفل فقال لها الخواجة يقال له الارملى بحارة الروم خياط إذا كتبت ورقة بصورة الذى تريدينه اجعلتها فى يافة ذيلك من ملبوسك وأرسليه له مع احد الجوار تقول له خيط هذا لسيدتى رومة حريم ملك الحصون ويبات عنده وتصبح تاخذ منه يكون فيه رد الجواب لك وهذا الخياط يكون الواسطة بينى وبينك فقالت له سمعا وطاعة وقد نزل اسفوط من عندها ولم تعلم ما فعل اسفوط بالمنديل وبالامر المقدم أتى شيحة تلك الليلة إلى عند رومة وجامعها فناولته المنديل لينشف نفسه فكان المنديل مسموم وهذا بقضاء الحى القيوم فصرخ شيحة ووقع فكان نورد ولده حضر تلك الساعة فمن شفقته على أبيه لما رأى ذلك سأل رومة فاعلمته وقالت له هذا بعد الجماع وكان نورد يعلم بذلك من أبيه بانه يصاب بالسم فى ذكره ولا دواء له الا الذى يمص الاحليل بفمه على ذكر أبيه وصار يمص ويبلع حتى وقع ميتا وشيحة افاق وهو

قد نجى من ذلك السم فعلم ان هذه مكايد اسفوط واما اسفوط لما طلع من عند اخته قال للبرتقش سربنا الى جهة بلاد الروم فان المسلمين اذا خرجوا من يافة يروحوا على مصر تكون بلاد الروم خالية منهم نفعل احنا على قدر ماتريد فاخذه وسار حتى قاربوا رأس الوادى واحكى اسفوط للبرتقش على الوعد الذى صار بينه وبين رومة اخته فلما سمع البرتقش ذلك قال له والله ياسفوط ان كانت اختك تساعدنا فما يكون هلاك شيحة على يدها وأنت أوصيت الارملى يكون واسطة بينى وبينك لاجل اذا أرسلت مكاتبة لها يعرفها منا فقال اسفوط ما اعلمته ولكن ماهو محتاج وصفية فقال البرتقش الصواب عودتنا حتى لانكون ضيعنا الحرم فعاد اسفوط والبرتقش على عقبهم وبالقضاء والقدر حكمت عودتهم من الخانكة فاتفق أنهم صادفوا محمد السابق وهو قادم من مصر وسبب قدومه لما سمع من أبيه حيث قال كل من أوقع لى اسفوط والبرتقش يكون خليفتى على سلطنة القلاع فكلا من أولاده انفرد بنفسه للتفتيش وأما السابق من ذكاوته طلب هذه الطريق لشدة ادراكه وان البرتقش واسفوط ساروا معه ونظره صحيح ولكن تهم الهمم ويسعى القدم لعمر دنا اولرزق قسم وقال بعض العارفين فى مثل ذلك الاتفاق

اذا لم تأت المنية بلادنا سعينا ورحنا للمنية بلادها

[قال الراوى] فلما نظر السابق اليهم عرفهم وهم أيضا عرفوه ولكن زاغوا منه فيتركهم للسابق يسيرون وقاطع عليهم وطلبهم ويده على خنجره وقال لهم سيروا معى يا ملاعين حتى أقدمكم بين أيادى أبى شيحة فتعرض له البرتقش وقال له نحن دراويش وأنت ايش قصدك باخذنا وعودتنا فقال له السابق يا برتقش اترك المحال يا مسكين فانا محمد السابق

فما تم كلامه حتى بادره اسفوط بخنجره وضربه به فى ظهره خرج ذباب الخنجر من صدره فوقع السابق قتيل اسفوط وأراد ان يقطع رأسه ليأخذها ويعود الى بلاد الروم ليعلم ملوك النصارى انه أخذ ثار أبيه من المسلمين واذا بالغبار انعقد وبان عن خيل كانها الغزلان عليها فرسان كانهم العقبان وهم ضاربين على وجوههم اللثام ومقبلين كانهم أسود الآجام فلما رآهم اسفوط والبرتقش علموا أنهم مسلمين فولوا هاربين والى النجاة طالبين وكانوا هؤلاء أولياء الله الصالحين الشهداء المجاهدين والاقطاب المعدودين علموا ان ذلك قضاء نافذ واجتهدوا فى منع هذا الكافر عن أخذ رأس المؤمن وشهرتها فى بلاد الكافرين [قال الراوى] ثم ان الملك الظاهر رأى تلك المنام وهو ان السابق

يقول له ادركنى يا ملك الاسلام فان اسفوط قتلنى على سطح الخانكة وأراد بعد قتلى أخذ رأسى من على جثتى فمنعوه الصالحين وها أنا مطروح فى الارض قتيل فادركنى وادفنى انا على سطح المنير فلا تتوانى عنى أحسن الوحوش تأكلنى [قال الراوى] ومثل ما رأى الملك رأى شيحة وصبح شيحة طلع الديوان فتلقاه الملك وأعلمه بما رأى فقال شيحة وأنا رأيت ذلك فى هذه الليلة فما تم كلامه الا وشيخ العرب ابراهيم شراره أقبل ومعه جماعة حاملين تابوت وفيه السابق وقال يا ملك الاسلام ان هذا المقدم محمد السابق ابن شيحة رأيته على سطح المنير فحملته على تابوت وأتيت به كما ترى فقال له السلطان جزاك الله خيرا يا شيخ العرب بما فعلت من الاحسان وكفنوه ودفنوه بجوار البيدق رحمة الله عليه وبعدما فرغوا من دفن السابق ونوبر دصاح شيحة يبكى على أولاده ويتحسر على أفعال اسفوط وكياده فسار الى رومة ودخل عليها وهو باكى على أولاده فضحكت رومة على كلامه وقالت له أنت قتلت أبوه وهاهو قتل ولدك فهو فى ذلك معذور لان الأب يحرق الولد فقال لها شيحة يا رومة الله اعلم ان اسلامك مختل وماهو صحيح واما لو كان اسلامك صحيح كنت تعزينى فى ولدى الذى قتله اخوك واحرق عليه كبدى ولكن أنا اقسم برب الارض والسماء وهو الله لا اله الا هو رب الارض والسماء لا ادخل عليك فى مكان ولا أفعل معك ما تفعل الرجال بالنسا الا بعد قتل أخيك واراحة قلبى من هذا الاسى ونزل شيحة من عندها وسلاها بعد ما كان متولع فى هواها

فلما علمت رومة منه ذلك لبست أبزارها ونزلت من بيتها وراحت سراية السلطان ووقعت فى عرض الملكة تاج بخت وأقامت عندها الى آخر النهار حتى طلع السلطان وتقدمت وقبلت اتكه وأحلت له على ما قال لها سلطان الحصون وكيف طلع من عندها مغبون فقال السلطان يا رومة انت أخطأتى فيما فعلت حتى تسببت فى قتل رجل مجاهد فى دين الاسلام وأصل الرواح كان لزوجك وتقدم ولده وطلع أخرك من عندك قتل ابنه الثانى فقالت والله يا مولانا ماتسببت ولا لى فى ذلك علم أبدا وانما هذه من القضاء والقدر الذى ما للعبد منها مهرب ولا مفر فاوعدها السلطان ان يصلح شيحة معه أو ثانى الايام أحضره وقال له لابد من دخولك اليها لانك اذا هجرتها ربما ان الشيطان يغريها للكفر أو تعود كما كانت واذا فعلت ذلك يجب قتلها أو يسرقها أخوها من عندك وهذا اشاعة فى عرضك

فقال شيحة صدقت يا ملك الاسلام لكن انا حلفت يا ملك الملام فامر الملك ان يعيد

الحديث على المعز بن عبد السلام فقال الاستاذ اذا كان يمينه على دخوله البيت التى هى فيه فيدخل من باب آخر خلاف الباب الاول وكان ظهر البيت ناحية قنطرة سنقر فامر المهندس ان يحدث فيه باب آخر فاحضر الخدامين وخرقوا الحيط على قدر الباب ودوروا البناء فطلع عليهم من ذلك المكان ازرق فلما رأوه ارباب البناء هربوا لانه ثعبان هائل الصورة وكان عند شيحة عبد يقال له سعيد وهو من اولياء الله فقام إلى ذلك الثعبان وقال له هذا يومى ويومك وبهذا قدر الله الكريم المتعال ثم انه تقدم اليه ومد يده له وهو يكرر فى الشهادتين فمسك الثعبان بيده وطبق الثعبان بفمه فى يده فقرص العبد على رقبة الثعبان خنقة وسرى سم الثعبان فى بدن العبد قتله ماتوا الاثنين سوى باذن من على العرش استوى فامر شيحة فدفنهم هذا جرى واتم الباب ودخل منه المقدم جمال الدين وهو يعتقد ان هذا ماهو قصده باليمين وما قصده إلا هجر زوجته لفعل اخيها الفعال المذمومة وعلمت ايضا رومة بذلك فخافت على نفسها وعلى افساد اسلامها وايضا ان شيحة يغدر بها وعقل النساء ضعيف فاتت يوم وتفكرت فى نفسها وعلمت ان اخيها نقمة على الاسلام وهو عدو الله الملك العلام فعند ذلك كتبت كتابا إلى اخيها اسفوط تقول له فيه اعلم يا اخى ان السابق مات واخبرنى إذا حضر شيحة عندى ارسل اعلمك حتى نجتهد فى اخذ ثار ابيك جوان وشيحة صار عندى وكان غضب منى لما قتلت انت السابق وفعلت ما فعلت فى المنديل وكان القضاء على ولده الثانى ولو كنت انت اعطيتنى السم كنت ادغرته له فى الطعام فان كنت ياأخى تركتنى اعلمنى وانا اسير حتى ينقذنى ربى منه وان كنت كما اوعدتنى فاحضر الى عندى حتى تهلك شيحة وتنتقم منه ووضعت الكتاب فى ياقة ذيلك من ملبوسها واحضرت عجوزة تعرفها وقالت لها خذى هذا اليك وروحى للخواجه الخياط بحارة الروم وقولى له ياسيدى رومة تسلم عليك وتقول لك اضبط ياقة هذا الملك فانها ماهى على قدر رقبتها وسعها لها فراحت العجوز كما امرتها الى الخياط وكانت تعرفه سابقا وكان اسفوط اوصاه واقام عنده هو والبرتقش هذه المدة الطويلة . فلما مسك الخياط اليك عرفت المعنى وقال لها تعال بكرة خذيه فراحت العجوز واما الخياط اخذ الكتاب وسار إلى اسفوط فقرأه اسفوط وكتب رد الجواب يا اختى اذا اردت ارسل اك حق سم حتى تدغريه له فى طعام او شراب واعطاه للخياط فاخذه وصبر لما جاءت العجوز فاعطاه لها فراحت العجوز واعطت اليك لرومة

فلما طلعت الكتاب قرأته وكتبت كتاب ثانى تقول ياأخى اعلم ان شيحة معاذور على نفسه

منى لا يأكل منى طعام ولا يشرب من يدى الماء ولا من يقى مطلقا فما قصدى إلا حضورك أنت والبرتقش فاذا كنتم عندى نصبر عليه حتى يدخل محل نومه ونتقاوا عليه ونذبحه أو نخنقه العجل العجل قبل طول الامل واعطته للعجوز فسلمته للخياط فقال لها اقفى حتى اخيطه وخديه فوقفت وقام ودخل به إلى أسفوط فقرأه وكتب لها يقول ان تعلمى أن بيتك محصن بالرجال ولا فيه محل خالى من حين ماجينا فى النوبة الاولى قد لينا على مكان نجس منه ثم وضع الكتاب فى اليلك وسلموه للعجوز فراحت به ودخلت على رومة فلما قرأته كتبت له تقول نعم يا أخى قولك صادق ولكن بركة الشقيقانية نزلت المياه عن بورها فيكون مجيئكم منها فى الليل . أذا أعلق قنديل فى شباك المقعد يدلكم على محل تدخلون منه والبركة ما عليها غفر بطريق المياه فاذا بقيتم تحت القنديل تجدوا السرياق معلق اطلعوا عليه ولا يبقى لكم عائة عن هلاك شيحة واخاه ذاك الرجة وارسلته مع العجوز باليلك وقالت لها اولى له ثبت نباته فان هذه الخياطة شلالة فاخذته العجوز اعطته للخياط اخذ الكتاب منها ودخل به على أسفوط فكتب بعد ماقرأه يقول لها فى هذه الليلة انتظرينى أنا والبرتقش وهى آخر ليـــالى شيحة من الدنيا وعادت العجوز إلى رومة واعطتها اليلك قرأت الكتاب وعرفت المقصود فقامت إلى شباك من جهة البركة وهو من الحديد فاجتهدت حتى خلعته من مكانه وردته محل بغير مسامير وارخت منه سرياق بمفرد إسلام من بقوع زوجها شيحة وعلقت قنديل فيه ولما امسى المساء أوقدت ذلك القنديل هذا جرى وأقبل أسفوط والبرتقش ليلا فراى القنديل فسار حتى وصله وجد الشباك فالتقوا السرياق فطلعوا عليه بلا تعب ولا مشقة وكانت قاعدة لهم فى الانتظار فلما طلعوا اتلقتهم وسلمت عليهم وادخلتهم فى مخدع وسألوها عن رق زوجها فقالت لهم هذه الليلة ماهو عندى والليلة القابلة ليلتى وادخلتهم فى خزنة عقد بالحجر وعليها خشب غرجاج مصفح بالحديد وقفلت الباب عليهم وقالت لهم اجلسوا هنا حتى يأتى شيحة اطلعكم فجلسوا ينتظرون قدوم شيحة حتى أقبل الله بالصباح فاقبل اليها شيحة وهو منغاظ منها على مافى قلبه فقالت له ياسلطان الحصون أنا اشتهى عليك تسامحنى أولا وتعفو عنى وتترك الغيظ الذى فى باطنـــك منى وثانيا تجمع لى عشرة فقهاء من أهل القرآن يقرأوا له ختمة أوهبها للسيدة زينب لان ياسيدى فى قلبى تولع بحبها وثالثا أريد منك أن تحضر الملك الظاهر لاجل أن يشرف مكانى ويكون صحبته سعادة ركابه وأكابر دولته وعلماء الاسلام

ومفتى الاسلام وهذه تمنيتى عليك وان لم تقضها لى فانا مالى حكم عليك فقال لها شيحة سمعا وطاعة قالت له بشرط أن يكون فى هذا اليوم فاجابها إلى ما أرادت وطلع للسلطان وأخبره ولا جاء وقت الضحى إلا وكلما طلبته رومة حضر وكذلك طلع شيحة وعزم السلطان فنزل الملك الظاهر وأرباب دولته حتى بقى بيت رومة ممتلئ والفقهاء يقرأون القرآن فتلفلفت رومة وخرجت إلى وسط المجلس قدام السلطان وقالت مظلومة يامالك الاسلام وأنا كما تعلم رومة بنت جوان والذى ظلمنى شيحة وأنا فى عرضك منه فقال السلطان وما ظلومتك فقالت قوم يامقدم ابراهيم افتح ذلك المكان وطلعوا أعداءكم واعداء الله وريحوا منهم أنفسكم حتى اسمع صدق المقدم جمال الدين بما أوعد أولاده بقوله كلما أتانى أسفوط والبرتقش يكون خليفتى على سلطنة الحصون فدخل ابراهيم المخدع فوجد أسفوط والبرتقش قاعدين وهم يتذكروا ما فعلوا فى شيحة وكيف يقتلوه قال أسفوط أنا ما أرتاح إلا إذا أخذته واركبته على عربة وداروا به بلاد الروم كلها وكل مدينة ارمى فيها عضو من أعضائه فقال البرتقش بلا تعب قلب إذا قتلته خذ دماغه معك وفرج عليها ملوك الروم وأما ايش اخذه يأتى أحد يتسبب له الخلاص منك فقال أيضا وان خلص منى لابد ان يقع ثانى ولابد من تقطيعه فقال البرتقش والله يا أسفوط ان مقلى ما يطاوعنى ان شيحة يتقطع لان كتاب اليونان يدل على أن شيحة يقطع جوان وابن شيحة يقطع ابن جوان فقال أسفوط كتاب اليونان بطال فما تم كلامه إلا وابراهيم بن حسن داخل عليهم وقال لهم قوموا يا أعداء الله فقال البرتقش ماقلت لك يا أسفوط كتاب اليونان لم ينخزم أبدا والتفت البرتقش لابراهيم وقال له يا أبو خليل ترفق على أنا ما بقيت بعد هذا اليوم ارقانك ولا اقيم إلا معك وأقول على يديك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال ابراهيم اسلامك صحيح وان رضيت بالاقامة معى اجعلك باش كواخى عندى فقال البرتقش وارضى باقل من ذلك والاسم الاعظم لم انتزعه من خدمتك أبدا وأما المقدم زرقش الطيار فانه تسلم أسفوط وأمر رجاله أن يحضر نجارين وأوصاهم أن يصنعوا عربة مثل الذى انقطع عليها جوان وكان الامر كذلك ولا تم اليوم إلا وهى متممة وعند الصباح تزينت مصر وركب أسفوط على العربة ودار به زرقش بموكب عظيم وقطعه وجعله رمايم وحرقه وافرح القاعد والقايم وبعد ذلك احضر السلطان ولده محمد السعيد وقال له أنا بقيت رجل كبير اجلس على الكرسى انت خليفتى فى مجلس السعيد وبايعوه الوزراء والنواب والولاة واندقت

السكة على اسمه ولما علم المقدم شيحة بذلك جمع الرجال وقال لهم أنا بقيت رجل كبير ومرادى ان أجعل ولدى زرقش هذا يكون عليكم سلطان وقام واجلسه وأمر الرجال أن يطيعوه فطاعوه جميعا إلى المقدم صوان بن الافعى لارضى أن يطيع وقام من وسط الرجال غضبان طلب قلعته له كلام

[قال الراوى] وكان زرقش أخذ ابراهيم وسعد معه وركبوا طالبين القلاع والحصون لهم كلام وأما الملك الظاهر اخذ شيحة نديمه وقال له يا أخى كفانا ما تعبنا خلى أولادنا يتعبون كما تعبنا وأقاموا مدة أيام إلى ليلة رأى السلطان فى المنام أن سيدى عبد الله المغاورى أتاه وقال له اعلم ان البطرنى مراده ان يسافر سفرا بعيدا وانت ياظاهر كنت جاعله خديمك فلا بد أن تودعه وها أنا فى اسكندرية مقيم حتى تأتى واروح معك لوداعه وهات شيحة معك فلما كان عند الصباح جلس الملك الظاهر يتفكر فيما رأى وإذا بشيحة طالع عليه فلما تعداحكى الظاهر المنام الذى رآه فقال شيحة وأنا رأيت مثلك ولاشك أن البطرنى قد أصابه عارض فقوم بنا يامولانا نروح اسكندرية لننظر ما يكون وركب السلطان وشيحة وراحوا إلى اسكندرية فالتقاهم المغاورى وقال لهم أنا منتظر قدومكم حتى تودعون صاحبكم هيا انزلوا معى فى السفورة فنزلوا وقال بسم الله بجراها على اللاذقة مرساها فسارت إلى اللاذقية فوجدوا البطرنى توفى على فراشه فدفنوه وصعب على السلطان الظاهر وقال اللهم الحقنا به على الايمان وأقام باللاذقية حتى أخذ العز ونزل السلطان وشيحة مع المغاورى وأرادوا أن يتوجهوا إلى مصر فقال المغاورى لما تودعون سيروا معى إلى محل سفرى فساروا معه إلى الجزيرة الخضرة وقال أنا مرادى أن تدفنى يامالك الاسلام فى هذا المكان ثم ان المغاورى جلس فى وسط الجزيرة واضطجع وأحسن الشهادتين وهو يشير بأصبعه إلى السماء متجها إلى القبلة وخرجت روحه كنسيم الرياح قام شيحة غسله بيده وكان له مشهد عظيم واندفن محل طلبه فى الجزيرة الخضرة وبنى السلطان له جامعا فى الجزيرة وكتب له أوقاف تقوم بكفايته وعاد السلطان إلى مصر وأقام منعزل عن المملكة وأما الملك السعيد فانه أقام يتعاطى الاحكام مدة أيام إلى يوم أتى له كتاب من حلب مع سيار فاخذه وقرأه وجد فيه أن القان شرجيل بن القان ابره بن هلاوون أرسل الخزنة التى عليه شنوى والذين أتوا بها مارين على قلعة الطيرة وعكار فاعترضهم المقدم الفهد بن المقدم نصير النمر أخذ الخزنة وقال للاعجام أنا الذى صرت شاطان وكل ملك غيرى فانه معزول وكل من تكلم منكم

فعلت به هذه الفعال وضرب كبيرهم أرمى رأسه وقال للاعجام سيروا فساروا الى حلب واعلموا باشة حلب فارسل الكتاب للسلطان . فلما قرأ السعيد الكتاب فقال هذا فداوى والذى يحكم عليه زرقش وكتب كتاب وارسله إلى زرقش وكان زرقش مقيم فى حصر صهيون عند المقدم عماد الدين حاقم فلما وصل اليه الكتاب وعرف مضمونه كتب كتاب من عنده إلى المقدم الفهد وأرسله له مع المقدم ركن الدين بن عماد فاخذه ودخل به الى الفهد بن نصير التمر حله وقرأه بجد فيه من حضرة المقدم زرقش الطيار الى المقدم فهد حال وصول كتابى اليك تجيب الخزنة التى أخذتها وتاتى سريعا خاضعا اكتب اسمى على سلاحك مثل غيرك وتحضر أوال السلطان وتعتذر من هذا الذنب الذى فعلته فان فعلت ما قلت لك عليه كان والا أعرفك مقامك واعجل انتقامك واجعل هذه الايام آخر أيامك

فلما قرأ الكتاب قطعه وأرماه ثم التفت إلى ركن الدين وقال يافداوى ما أنا ممن يطيع زرقش ولا غيره عود اليه واعلمه بما رأيت فلا تكون ظالمته ولا تعديت وإن كنت تريد غير ذلك افعله فقال ركن الدين أنا لا أفعل شيئا إلا باذن الملوك ونزل من قدامه وعاد إلى زرقش واعلمه بما جرى فقال المقدم زرقش هذا شىء قريب واخذ الرجال وساروا الى قلعة الطيرة وعكار . فلما نظر الفهد امر بفتح القلعة وركب وخرج الى الميدان ونادى ميدان يا ابن القصير دونك اما لى عليك ثار لان أباك قتل ابى وأتى فى هذا النهار ابلغ أربى ومطلى فما تم كلامه حتى ركب المقدم زرقش واراد ان يخرج الى الميدان وإذا بغبرة انعقدت والى الجو تعلقت وانكشفت عن عشرة ابطال يقدمهم المقدم معروف ابو طبر بن عرنوس فانتظروه لما نزل فسلم عليه المقدم زرقش بعد السلام قال معروف لزرقش ياسلطان الحصون انا بلغنى ركبتك على قلعة الطيره فاتيت اساعدك على الفهد لكن يا اخى كان الواجب تعلمنى ان هذا الرجل ابوه المقدم نصير التمر قتيل لابى وابيك وانا اتيت اليك قصدى احق الدماء فان اردت ان تقاتل الفهد كانك تقاتلنى ومرادى منك ان تاخذ الرجال وانا التزم بالخزنة واطاعة المقدم فهد اليك فقال زرقش يا اخى هذا هو الراد ورحل زرقش بالرجال جميعا واما الملك معروف ارسل للمقدم فهد يقول له يا فهد اعلم انى انا ضمنت اطاعتك وامول السلطان ترد اليه فان كنت انت ماتنزل من قلعتك والا جيتك انا فعند ذلك ركب الفهد وانا الى معروف وقال له يا ملك معروف ما انا عاصى عليك ومن حيث انك الى

هاهنا فهذه خزنة السلطان اديها له وجيتك على الرأس والعين قال معروف لكن تلزم قلعتك وتجلس بادب واترك يا أخى الفتنة بين الاسلام

فقال سمعا وطاعة وعاد إلى قلعته وأما الملك معروف أبو طبر أخذ المال وسافر إلى مصر ودخل على السعيد وسلم الخزنة إليه واعلمه وكان معروف قبل مسيره أرسل لزرقش بانه خلص الخزنة ورائح بها إلى مصر فقال إلهم حيث أن معروف ابن خالى راح إلى مصر تروح نلحقه فى مصر ونسلم عليه ويخبرنا بالفهد أطاع أم عاصى وسار الفداوية والمقدم زرقش ووصلوا إلى مصر ودخلوا على السعيد فقام اليه وأجلسه بجانبه وكان معروف لما دخل ماقام له فانفاظ معروف

فقال والله يا ملك الاسلام ما كان ظنى أن يكون عندك أعز منى لأعلم انك هكذا ولكن الحق على الذى أتيت عندك وقام معروف من الديوان واخذ عساكره وسار إلى مدينة الرخام له كلام

[قال الراوى] وأما المقدم زرقش فانه قام ودخل على السلطان الظاهر وأعلمه بما حصل من معروف أبو طبر قدام السعيد فى وسط الديوان فقال السلطان يا زرقش معروف يجب علينا إكرامه لأجل الملك عرنوس والده وأنت يا زرقش وصيتك بالسعيد على قدر اجتهادك لانى ما أوصيك إلا عليه فقال يا مولاى ما أنا إلا عبد له وتحت أمره وأقام فى مصر ثلاثة أيام وأخذ رجاله وسار إلى حصن صهيون له كلام

وأما الملك الظاهر فانه رأى فى منامه أنه واقف فى الميدان الاخضر ووجد الناس مجتمعين على رجل واحد وذلك الرجل ضعيف والناس حوله ينظرونه والملك الصالح من جملة العالم فتقدم الظاهر وقبل يد سيده الصالح وقال له ياسيدى من هذا وإيش هذه الخلائق فقال له هؤلاء أولياء الله الصالحين وهذا الرجل فهو صديقك شيحة وانتبه السلطان ولما طلع النهار أتى إلى الديوان فقام له كل من كان جالس فقال لهم وهو واقف هل تعلموا شيحة فى أى مكان وإذا بشخص ظهر قدامه وقال له هو فى دمياط ياسيدى إلحقه فى المرج الاخضر فانه منتظر اليك وغطس الشخص ما بان فنزل السلطان وطلب الحصان ركب وسار حتى وصل إلى دمياط وهو مختفى ولا أحد يعلمه بنفسه فادخل حصانه فى خان وطلع إلى السرق وجد الناس يهرعون إلى الميدان الاخضر فسار معهم وجد مكان والناس يدخلون فدخل وجد شيحة ضعيف راقد ملتف فى دلق من شعر الدب فجلس على رأسه ونظر اليه وتذكر أيامه التى مضت وقال له سلامتك يا مقدم جمال الدين ففتح عينيه إلى الظاهر وقال الحمد لله يا أحى الذى أرسلك الله لى وأنا لى زمان أنتظرك ولما أعيانى الامر ارسلت لك ابنى وهو الذى اخبرك بانى فى دمياط فيا ملك الاسلام

إصبر حتى تخرج روحى على الايمان وادفنى فى هذا الميدان الاخضر وسمينى جمال الدين العجمى وادفنى فى موضعى هذا ثم إنه أحسن الشهادتين وانعدل إلى القبلة وفرق فهقة واحدة خرجت روحه فعندها قام الملك أرسل رجل من الناس الواقفين بتذكرة بلباشة دمياط فحضر واشتهر السلطان وتنابعته أعيان دمياط لما علموا بأن هذا شيخة وهذا السلطان فامر السلطان باحضار أرباب التجهيز والبناتين وبنى له مقام ودفنه ورسم عليه ترسخانة سلاح وعمل على الباب خشبة حتى ان الداخل الزيارة يفعل به كما فعلت الرجال حال حياته ولا يمنع عنه حدود السلطنة وأقام الملك الظاهر مدة أيام وهو مركب ذكر وعتاقات وقرآن وبعد ذلك ركب وسار إلى مصر له كلام

[باسادة] وكان البرتقش له ولد اسمه الارقش وهو مقيم فى بحيرة بغره عند جده فبلغه أن أباه البرتقش أسلم فكفر وقال هذه مصيبة ما كانت فى حسابنا يكون أبى سيف الروم يدخل فى دين الاسلام فأنا ما أصبر على ذلك أبدا والتفت إلى جده وكان اسمه منقردوس فقال يا أرقش لا تطمع فى المسلمين فما أنت قياسهم قال الارقش لا أرجع أبدا وداد يتوقع على ملوك النصارى حتى جمع ملوك بكثرة وأتى إلى القسطنطينية ودخل ميخائيل وقال له يا بب البرتقش من خوفه من المسلمين لا يفعلوا به كما فعلوا بجوان أسلم وها نحن جمعنا ملوك الروم نريد أن نرده إلى ما كان عليه قال ميخائيل أنا حالف مع المسلمين ولا بقيت أنقض العهد لانى كلما خالفت وقعت فى أيديهم فقالوا الملوك يجرى علينا مثل ما جرى عليك لما أنك أكبرنا ولا لك رغبة فى الجهاد فاتفق معهم واجتمع على القسطنطينية وكان السلطان السعيد مقيم وإذا بتبع من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص أقبل

وقال يا ملك الاسلام إنى قصاص جرة من اتباع المقدم موسى ومريت على القسطنطينية فرايت ابن البرتقش جمع ملوك الروم وأغراهم على الركوب على بلاد الاسلام وها أنا أتيت أعلمتك لتأخذ الحذر فلما سمع السعيد ذلك الكلام أمر بتجهيز العساكر للرحيل إلى القسطنطينية وبرز إلى الريدانية وانخيم العرضى وسار الملك السعيد يقطع الارض حتى وصل إلى القسطنطينية فنظر الملك ميخائيل والتفت إلى الملوك المقيمين عنده من ملوك الروم وقال ها قد جاءتكم المسلمون الذين أنتم لهم طالبون ونحن قد اجتمعنا على حربكم بأمر الارقش فافتحوا الحرب والميدان

فقال الارقش أول من يحارب المسلمين أنا ولا تبارز المسلمين إلا بعدى قال ميخائيل دونك وما تريد فيات وأصبح نزل الميدان وكان من الفرسان المشهورة فنزلت اليه الامراء وكان أول ما نزل أيدمر لان مرتبته أن يكون مفتاح الحرب من

أيام الملك الظاهر فالتقى ذلك اليوم الحرب إلى آخر النهار مثل عادته وثانى الايام نزل المقدم حسن النسر بن عجبور وهكذا يوم على الامراء ويوم على بنى اسماعيل عشرة ايام هلكوا من النصارى خلق كثير حتى أن النصارى ضجت وقالوا للارقش ما نابك من موت النصارى فانه ما أحد نزل إلى الميدان ورجع أبدا الا كل من نزل مات والمسلمين مامات منهم أحد وأبوك البرتقش الذى تذكر عنه انه كان اسلم قاعد عند المسلمين لا حارب ولا ضارب فقال لهم أنا بكرة انزل الميدان ولما كان بعد ذلك نزل الارقش ولطم ايدمر البهلوان وضايقه ولاصقه وتعلق فى جلباب درعه اخذه اسير وبعده علاى الدين وبشتك والخطيرى والجاولى وأخذ من الامرخمسة واندق طبل الانفصال وثانى يوم قاتلوه الفداوية فاخذ منهم خمسة وثالث يوم كذلك مدة عشرين يوما حتى انه أخذ خلق كثير اسارى واخر ما نزل له معروف ابوطير وكان هذا معروف من ابطال ابيه وجده فى الحرب والارقش ما هو من رجاله ولا يعد من اشكاله فقاتله قتال مدافعه عن نفسه حتى قضى النهار واندق طبل الانفصال وعاد الارقش وهو يعرف انه ما هو قياس الملك معروف فدخل على الملوك وقال لهم أنا قصدى اسير فى هذه الليلة واجب لكم كم عايق من عياق يعاونونى فى براز المسلمين وسار طالب بلاد النصارى وترك الدنيا على الحال فلما قال ذلك الكلام وسار كان المقدم سقر اللوالى فاقبل مختفى بين النصارى وسامع الكلام فاقبل على الملوك وقال لهم انا ارسلنى ارقش اقاتل معكم فقالوا له مرحبا بك ودونك والميدان فنزل ليحارب فلطمه معروف ابوطير فعرف سقر أن هذا معروف بن عرنوس وهو فى الشجاعة بمكان عظيم فتقاتلوا ساعة زمانية واجتهد معروف أن يأسر سقر فقال له يا مقدم معروف أنا سقر اللوالى وسبب نزولى اليك مرادى ان احتال فى خلاص الاسلام واملك الملك السعيد هـــذه البلاد فقال معروف وايش الذى تريد ان تفعله فقال له افاتك للمسا واعود او تسلمنى نفسك فقال وانما اقاتلك للمسا واعود وفى غد ارسل لك من تأسرهم وقاتله لاخر النهار وعاد وعند عود سقر اللوالى كان عاد الارقش بغير بجدة قالوا له ملوك النصارى اين النجدة التى اتيتنا بها حتى تساعد على المسلمين فقال انا خايف اغيب عنكم يملكوكم المسلمين لان هذا الذى عندكم مسلم فقالوا له انت الذى ارسله لنا فقال ولا رأيته فلما عاد سقر اللوالى صادفه المعلون الارقش ومسكه من خناقه وقال دالى يا ابناء النصارى فمالوا عليه قبضوه وقال الارقش اقطعوا رؤس هؤلاء المسلمين حتى نرتاح منهم فعند ذلك احضر والمأسورين وكان بالجملة سقر اللوالى وارموهم بقطع الرؤس [باسادة]

وأعجب ماوقع ان الملك معروف أبوطير لماعاد من قدام سنقر الموالى جمع عشر مقادم وقال لهم اما تبيعوا أرواحكم فى سبيل الله فقالوا له بعناها يا سيدى فقال لهم غيروا زيكم وتنكروا معى ففعلوا ما امرهم ودخلهم خلف العرضى وتخلصوا مع النصارى وهم منكرين والاسلام فى نطعة الدم فلما وصلوا ورأوا الاسلام فى نطعة الدم فهجم معروف وضرب السياف أرمى عاتقه وصاحوا الله اكبر وفكروا الاسلام ومالوا على الكفرة اللئام ووقع الضرب بالحسام حتى شتتوا الاسلام ومالوا على الملوك قوة واقتدار ونصر الله الاسلام الأبرار وجلس الملك محمد السعيد وتقدم معروف وقدم الملوك بين يديه فعاتبهم على فعلهم ووبخهم على جهلهم وبعد ذلك ضربوا قبلهم والبب ميخائيل بالجملة فقال ا راهيم يامالك أبوك ما كان كل من وقع فى يده يضيعه بل كان يطول اله عليهم فقال السعيد اسكت يا ابراهيم واهمال أبى هو الذى طمع النصارى فى الاسلام وكان لميخائيل ولد يقال له قسطين فامر الملك السعيد بحضوره بالامان فخاف ان يحضر وكان وزيره المقدم على الطريرد بن شيحة فشاوره مقابلة السلطان حيث ارسل يطلبه بالامان فقال له المسلمون اذا أعطوا لاحد امان فلا يخفروا وعادتهم الصدق وانا يا بب اروح معك فعند ذلك طلع وقابل الملك السعيد فلما بقى بين يديه قال له يامالك قسطين انا مرادى ان أسلمك بلاد أبوك تحكم فيها وتورد الخارج سنوى وان حصل منك خلاف يجرى عليك كما جرى على أبيك فقال سمعا وطاعة يامالك الاسلام فاخلع عليه قسطان الرضا وسأله عن الارقش بن البرتقش الذى تسبب هذه الفتنة فقال هرب فقال الملك سعيد ان رأيته اقبضه وارسله الى فى الحديد فقال سمعا وطاعة وبعدها أمر السلطان العسكر بالرحيل ورحل هو طالب مصر ورحل معروف الى مدينة الرخام والفداوية طلبوا قلاعهم يقع لهم كلام

[قال الراوى] واما الملك الظاهر اشتاق الى الحج وجهز نفسه فقال له الوزير قلاوون يامالك الاسلام وانا ايضا مشتاق الى الحج فقال له جهز نفسك وكان الامر كذلك ولما كان فى أول الحج طلع السلطان وقلاوون وقال ياوزير اذا كان فى الاجل تأخير بارادة الله يكون رجوعنا على الشان فعلم قلاوون مضمون السلطان فارسل الى الامير سنقر نائب الشام حتى يـ وأرسل كتاب يقول فيه ان الملك الظاهر عند عودته من مكة نازل على الشام فاجتهد ان ترضع هذا الحق فى مرتبان مربه عسى يأكل منه ويموت فان صح ذلك العمل أخدت أنا السلطنة بعده وأعطيك الهام وتكون عليها ملكا مطلقا بغير خراج وانا يكفينى مصر وحامل الاحرف ارمى رقبته والسلام فاعتمد سنقر على كلام قلاوون

واما السلطان سار الى مكة قضى الحج وهو الفرض الذى عليه وعاد مع الركب الشامى حتى وصل المدينة وأقاموا فيها حتى بلغوا زيارة الرسول وشالوا من المدينة بعد ما تحالفوا على مقام الرسول ان قلاوون لم يخون ولم يغدر قط باولاد الملك الظاهر ولما سافر الملك الظاهر وهو طالب بلد الشام حتى بقى عند مدائن صالح جاءت له الهدايات من باشة الشام وكان قلاوون جاءه الرموز بأن السم فى اشيـ الفلانى فادغره على السلطان وحان العيد والايمان ونفذ القضاء بالرغم لا بالرضى وأكل السلطان من المربات المشغولة بالسم فضعف السلطان ودخل عليه المرض وبلغ زرقش الطيار قدوم السلطان فركب وركبت بنو اسماعيل فقال ابراهيم بن حسن يا مقدم زرقش يا حذرى ان كان قلاوون سم السلطان فقال له يا آبو خلل اتق الله ولما دخلوا على السلطان قال ابراهيم هذا مسموم والذى سمه قلاوون فقال له السلطان وكان صاحى على نفسه لا تظلمه يا ابراهيم فانه حالف معى على مقام الرسول فقال قلاوون يا مؤمنين والله العظيم لا أعلم ولا عندى خبران كان السلطان مسموم أو غير مسموم والعلم لله الحى القيوم فقال ابراهيم يا قلاوون الباغى له صـ ع والقضاء نافذ ولا احد يقدر يرد القضاء

[قال الراوى] وبعد سبعة أيام مات السلطان دفنوه فى دار العقيق بالشام وبلغ الخبر للملك محمد السعيد فركب هو واخوته وأتوا الى الشام وعمل عزاء أبيه وارتحل باخوته طالب مصر وارتحل زرقش الطيار طالب جهة الحصوة له كلام [ياسادة] واما السعيد لما دخل الى مصر جلس على الكرسى واطلق من فى الحبوس وأبطل المظالم وخلع القفاطين فتمرضت عنه الرعية الى يوم دخل السراية فرأى بقنا جالسة على كرسى فلما أقبل قامت باست يده فسال امه عنها من هى فقالت له هذه زوجتك بنت قلاوون وكان السبب فى طلوعها السراية لما رجع قلاوون من السفر تقدمت باست يده وقالت له يا أبى فى غيبتك أرسلت هدية للملك تاج بخت وأردت ان أدخل عليها حتى تطلعنى السراية وتجمع بينى وبين محمد السعيد فوعدتنى وقالت لى اذا جاء أبوك من السفر خذى بخاطره وخليه طلعك بيده السراية وها أنت جيت وسكت فقال قلاوون يكون خير وسكت وكانت هذه البنت بكر وانسرقت ايام الظاهر وانهم فيها نصير النمر أو عصى وركب عليه الملك الظاهر فى عين حياته وجاء خبرها أنها فى برشونة وخلصوا البنت وقتلوا الذى سرقها وضطبها نصير النمر وأوعدهم قلاوون برواجها فى مصر لما تحكمت فى الدلة الفتنة وقع قلاوون فى عرض ابراهيم وأعطى له عشرة آلاف دينار فأخذ ابراهيم البنت من اسكندرية ودخل بها مصر وعقد عقدها على السعيد وليلة الدخلة اقبل

على بهاء الدين فلما بقى به قدام ابراهيم قال له يا بهاء الدين كيف تقتل المقدم على وهو مؤمن ابن مؤمن فقال له بامر السلطان فقال ابراهيم بقى يجب علينا نروح مصر ونتظر هذه القضية وركبوا على الخيل وساروا إلى مصر وبهاء الدين معهم فلما بقوا قدام السعيد قال ابراهيم يا دولتلى إيش ذنب على باذرغان حتى تقتله فقال السعيد ما أمرت بقتله قال ابراهيم هذا فرمانك وهذا العجمى وهو الذى أتى به فانغاظ السعيد وأمر أن يحفر قبر ويدفن فيه بهاء الدين العجمى حتى يذوق حرارة الموت فاندفن بهاء الدين بالحياة ونام الملك السعيد فى تلك الليلة فاتاه أبوه منامًا وقال له بهاء الدين مظلوم فاصبح السعيد طلعه من الحد فرأى فيه الروح فرشوا على وجهه الماء حتى أفاق فانعم عليه السعيد وقال له يا أمير أنى اعلمنى أنك مظلوم وأنا أريد منك المسامحه واجعل لك انعام زايد يقوم مقام ما فعلت معك وازيد فقال له يا ملك أنا والله ما مت هذه الليلة فى الدنيا ولا نمت الا فى الجنة وان اعطيتنى ملك الدنيا كلها ما بقيت وأشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله وفهق فهقة طلعت روحه فعند ذلك أمر السلطان أن يدفن فى المكان الذى كان فيه لكن بعد ما غسلوه وكفنوه ووالوه التراب وأما قلاوون فانه طلب الامير خالد الحاجرى وقال له يا أمير خالد أنا قصدى أجعلك صديقى وارد لك جاكيك وأجعلك باشا على الاسكندرية ويعلو قدرك على جميع الامراء كلهم ولكن تكون معى على ما أريد وهو أنى أعطى لك حق سم وتجتهد أن توضعه لابراهيم بن حسن فى شراب أو طعام فقال خالد على الرأس والعين وأنا الضامن لك على ان أقتله وأقتل زرقش الطيار معه ثم انه أخذ حق سم منه وسار ظالب صهيون كان خالد الحاجرى هذا طرده السعيد من الديوان بعد وفاة أبيه وقصع منه جاكيه وأمر له أن يلزم بيته بعد ما كان أراد قتله لانه أراد أن يتداخل بينه وبين أخوته بالفتنة فلما أخذ الحق السم وسار حتى دخل حصن صهيون ودخل على المقدم ابراهيم بن حسن وقبل يده وقبل يد المقدم زرقش ثم قال لهم يا مقادم انا بكم مستجير لان كما تعلموا أن الملك السعيد قطع ديوانى والزمنى ان أقعد فى بيتى وضاقت حياتى واريد منكم أن تسألوه العفو عنى ويردنى كما كنت فقال له إبراهيم مرحبا بك على قطع رأسك وأرسلها إلى قلاوون الذى بعثك هات الحق السم الذى أعطاه لك قلاوون تدغره لنا حتى تقتلنا

فقال خالد يا ابو خليل سم أيش فقال إبراهيم الذى معك ثم أن إبراهيم قبضه وقتله وطلع الحق السم من جيبه وقال له يا كلب بأى وجه لك حظ فى الاسلام إذا كنت تتعرض لقتل نفس حرم الله قتلها وكان إبراهيم له جراسيس فى بيت قلاوون يأتوه بجميع ما يجرى

السلطان ومنعه عنها وأرسلها بيت أبيها وهى بكر فصار السعيد يرسل لها سرا من وراء أبيها جميع ما تحتاج اليه فعلمت من ذلك ان السعيد يحبها فلما سمعت ان السلطان مات أرسلت وقعت على الملكة تاج بخت ان تدخلها على زوجها فقالت لها لما يجى السعيد اعلمى أبوك ان رضى أدخلك السراية وادخله عليك فلما جاء أبوها اعلمته ففرح قلاوون وقال لها يا بنى أنا قصدى أعطيك حق سم تقتلى السعيد واخرته إذا تمكنت من السراية فان فعلت ذلك اتسلطن وتبقى أنت ملكة مثل الملكة تاج بخت واكثر فقالت هات يا أبى وأنا أفعل كما قلت لى عليه فاعطاها حق سم وطلعها السراية ففرحت بها الملكة تاج بخت واجلستها وأرسلت خلف ولدها فطلع إلى السراية فقامت باست يده فسال أمه عنها فقالت له هذه زوجتك بنت قلاوون هذا كان سبب طلوعها السراية فلما علم السعيد دخل بها تلك الليلة وازال بكارتها ولما كان عند الصباح وتكامل الديوان طلب السعيد بقنطان اخلعه على قلاوون وقال له أنت وزير ميمنة الكرسى وأما الوزير شاهين بق كبير يلزم بيته فقال الاغا شاهين أنا يا ملك قصدى أقيم فى الشام فانى بقيت كبير واجعل لى تكية بأمر مولانا السلطان فادن له برواح الشام لاجل لا يغيروا على الوزير قلاوون وسافر الوزير شاهين إلى الشام وأقام بها وبنى تكية وسماها الافرمية وأقام بها له كلام وأما قلاوون فان جميع النواب والامراء ساروا يهادوه الا على بادغان فانه لا هداه ولا اعتناه فكتب كتاب على لسان السعيد وختمه السعيد على غفلة مع بعض ورق واحضر بهاء الدين العجمى وقال له تروح بيروت وخذ هذا الكتاب معك واخفيه وسر بعسكرك وإذا تمكنت من بيروت اقبض على بن بادغان واقتله وان أحد عارضك قل له هذا أمر السلطان فسار حتى وصل بيروت ودخل بعسكره وعلى لم يعلم المقصود وما يشعر حتى قبض عليه وأراد قتله بعد ما اورد العساكر الفرمان فقالوا العسكر اصبر علينا حتى نكاتب الملك السعيد ونسأله عن الذنب الذى أوجب قتله ثم وضعوه فى الحبس وكان للمقدم على ام وهى فداوية فركبت على حجرة وراحت إلى صهيون ودخلت على ابراهيم ابن حسن والمقدم زرقش الطيار واحكمت لهم وقالت لهم يا مقادم إيش ذنب ولدى حتى يرسل السلطان على قتله بفرمان مع بهاء الدين العجمى فقال إبراهيم لاتخافى وكان الامير منصور البرقشى حاضر فقال المقدم ابراهيم خذ معك يعقوب الصين ومائتين تبع وادخلوا بيروت اقبضوا على بهاء الدين وسيبوا على وهاتوا بهاء الدين حتى أنظر ايش هذه القضية فراح البرقشى كما أمره ابراهيم وسيب على وقبض

ولما جرى ذلك الكلام بين قلاوون وخالد كان الجاسوس سامع فما صبر الا سبق خالد ودخل على المقدم ابراهيم ليلا وأعلمه وأيضا المقدم ابراهيم كما ذكر عنه ان الخضر لما كحله وقال له انظر ماتشاء نظرك صحيح ولما جرى ذلك قطع رأس خالد والتفت الى البرتقش وقال له اريد منك ان تأخذ هذا الرأس تعلقها فرق راس قلاوون وهذا الكتاب تعلقه فى رقبته فقال سمعا وطاعة فكتب له المقدم ابراهيم كتاب أخذه منصور البرتقش وأخذ الرأس وسار حتى دخل مصر الى بيت قلاوون وأرمى مفرده وطلع حتى تمكن من المكان الذى نايم فيه قلاوون ووضع الراس فرق رأسه والكتاب علقه فى رقبته وصبح طلع الديران لينظر مايجرى واما قلاوون فانه عند الصباح أفاق من منامه لقى الكتاب فى رقبته ولراس بجانب رأسه فأخذهم وطلع الديوان وصبر حتى ظهر الملك السعيد ووقف على رخامة الطلب وقال يا بعض شاه انا قمت من نومى ورأيت فرق رأسى هذا الكتاب وهذه الرأس ولم أعلم ماهم وماسبب قدومهم فقال البرتقش انا الذى أتيت بهم ووضعتهم ولو كان أمرنى المقدم ابراهيم بغير ذلك لكنت فعلت لان الخاين يستحق القتل فقال السعيد اقرأوا الكتاب واذا فيه من حضرة كيخية الحصون الى الوزير قلاوون ياخاين ايش الذنب الذى بدا منى فى حقك حتى أرسلت الى خالد بحق سم والزمته بقتلى وقتل المقدم زرقش وأنت أذل وأحقر من ان تبلغ منى ما تريد وهاأنا بعدماقر خالد بما هو عازم عليه الذى ضمنه لك قطعت راسه واخذت منه الحق السم وأرسلت لك رأسه وانا أقسم بالله العلى العظيم يافلاوون انى اذا أردت قتلك فما أقتلك غيبة بل يكون قتلك على رؤوس الاشهاد بعدما أثبت عليك انك تستحق بسبب أنك تحلف وتكذب وتدعى الامانة وأنت خاين فقال الملك السعيد أنت يازير قلاوون اذا كنت فعلت ذلك فالحق بيد المقدم ابراهيم قل قلاوون يابعض شاه وحياة راسك وراس أبوك لااعلم ولاأرسلت خالد ولا اعلم بشىء من ذلك ويمكن يامالك ان خالدا أغراه الشيطان على فعل هذه الاذية ولما مسكه المقدم ابراهيم فالقى له خلاص الاانه اتهمنى بهذه القضية فقال السعيد يامقدم منصور اعلم خالى المقدم ابراهيم بمارأيت وان الذى امسك بالسم فهاهو جزاء قتله وأما قلاوون ماعليه حجة ونعوذ بالله من الفتنة والسلام فعند ذلك عاد المقدم منصور الى الحصن واعلم المقدمين بما جرى فقال ابراهيم مسير الداير يقع هذا جرى هنا هنا [يا سادة] وأما ما كان الارقش بن البرتقش فانه لما هرب من القسطنطينية فسار الى جزاير الانكليز وبها ملك يقال له البب كتلان فدخل عليه الارقش وبكى بين يديه وقال له ان

المسلمين قطعوا جوان وقطعوا اسقرط ابنه وأخذوا بنته رومة للجناقة والبرتقش من خوفه منهم أسلم وأقام عندهم وهذا عيب فى ملة المسيح وأنا داير على ملوك الروم فلم يحاربوا لى وقلت لهم إن الجهاد فى دين المسيح مفروض عليكم فقالوا لى عجزنا فأتيت يامالك اليك بعد ما أمرنى السعيد الحى على لسان الحوارى مهلسون وقال لى لاتنتقل من مكان إلى مكان حتى تدخل على البب كيتلان وتأمره أن يركب على المسلمين لأجل أرضى عليه وأجعله تابى على ملة المسيح وهذا قول صحيح لافيه شك ولاتلويح فقال كيتلان وانا رضيت بما قال المسيح واركب معك على المسلمين واقاتلهم أجمعين وأخرب بلادهم وأهلك عساكرهم وأجنادهم وكان عدة جرايد عساكره مائتى الف خلاف ما يتبعه من الخدم فترك خمسين الف لحفظ الجزاير وأخذ مائة وخمسين ألف شىء فى البحر وشىء فى البر وسافر مدة شهرين كاملين حتى وصل إلى السويدية خيامه وأركز أعلامه فاتفق ان المقدم موسى بن حسن القصاص كان زار البيت المقدس ومر على السويدية فسمع الأخبار ورأى عساكر الكفار واجتماعهم فى الاودية مع أنه لم يعلم السلطان بذلك فعاد إلى قلعته وكتب كتاب بيده بصورة الواقعة وأرسله للملك السعيد

ولما وصل الكتاب وقرأه السعيد أحضر ابن عمه الملك أحمد العزيز وعين له الطوفرين وكل واحد معه خمسين الف وقال لهم سيروا على السويدية فساروا حتى وصلوا إلى السويدية ولما وصلوا نصبوا الخيام على اليمنى وترك عسكر الكفار على اليسرى وبات وأصبح العزيز أن يكتب كتاب ويرسله للكيتلان وإذا بعوض الكفار خرج منه خيال على جواد ومال وجال على أربعة أركان المجال وقال ميدان يامسلمين فبرز اليه بطل من أبطال الاسلام وكان من عساكر الطوفرين ولطم الكافر وضايقه ولاصقه وقام فى ركابيه وضربه بالسيف على وريديه أطاح رأسه من على كتفيه برز اليه الثانى والثالث وهكذا قتل عشرين من الكفار واندق طابل الانفصال وتانى الايام قال العزيز للطوفرين يا أخى أنت عليك يوم فقال الطوفرين لا يا أخى أنت ابن عم السلطان مقامك من مقامه وانا ابن ايدمر البهلوان فما تعالى عليك فقال له والسلطان ما هو خالك لابد ان الحرب بيننا فهم الكلام وإذا بالكفار زحفت تريد القتال هنالك حمل الملك الطرفرين وتبعه أبطال الموحدين واستغاثوا برب العالمين ووقع القتال وغنى الحسام الفصال وحمت أنفسها الابطال وبطل كل قيل وقال ودام الأمر على ذلك الحال إلى آخر النهار عاد كل من الطائفتين إلى خيامهم واجتمع

العزيز وابن عمته الطوفرين فقال له يا أخى أتعبت نفسك قال العزيز يا أخى لا تدخل على قلبى غرور أنا والله قصدى أن أموت فى الجهاد فى طاعة رب العباد قال الطوفرين وأنا كذلك إن شاء الله يا أخى نكون إخوان فى الجنة ثم انهم ركبوا الحرص وثالث يوم انزل الارقش وطلب البراز رسأل الانجاز فنزل اليه من الامراء الذى مترتبين مع أحمد العزيز والطوفرين فأسر منهم اثنى عشر واندق طبل الانفصال وجرح سبعة وقتل اثنين واليوم الرابع كذلك وخامس الأيام أقبل الملك معروف من مدينة الرخام ومعه أبطال الاسلام . فلما نظره الارقش عاد من الميدان ودخل على البب الكيتلان وقال له يا بب قبل الحرب والقتال أقتل الأسرى خلينا نرتاح منهم ونطلب غيرهم فقال دونك وما تريد فعندها قدموهم إلى قدام الكيتلان وداروا بهم عبادة الصلبان وأرادوا أن يقطعوا رؤوسهم وإذا ببترك كنيسة الذهب قادم ومعه أربعين راهب كانهم الكواكب فلما نظر الارقش اليهم صاح دا لى هؤلاء مسلمون وهج على وجهه فى الهرب وكان هذا المقدم زرقش الطيار والرهبان الذى معه فهم أبطال الحصون وبنو إسماعيل أولهم إبراهيم بن حسن وآخرهم سعد فتقدم إبراهيم قبض على خناق الكيتلان وبده على ذو الحيات وضربه على هامه أطاح رأسه قدامه وسعد أطلق الأسرى من الاعتقال وضربوا السيف الفصال وسمع الملك احمد العزيز والطوفرين فصاحوا الخيل ومالوا على الاعداء كل الميل وأسقوهم شراب الويل وكالوهم كيل وأى كيل وآخر النهار انهزمت الكفار ووقع بينهم المخاف والدمار وملكوا السويدية وانفصلت الواقعة وجمعوا مخلفات الكفار من خيام وسلاح وخيل وعدد وذخائر ومثل ذلك وقعدوا للراحة فى ذلك الارض فقال المقدم زرقش للمقدم معروف يا معروف ما أنت من رجالى حتى أكتب اسمى على سلاحك فقال معروف اخص عليك أنا أطيعك يا قرن وهى السلطنة لابى وجدى من أبى وأبى وأمى الله يا زرقش لولا انك من أهل الجهاد لطاعة رب العباد لقسميك نصفين فانتظر زرقش فقال العزيز يا مقدم احنا بقينا اخوان ولا يجوز أن يكون مثلكم يتطاول على قدر ذلك بالكلام مع الذى أقل منكم لم يجسروا على هذه الافعال وكذلك قال للمقدم إبراهيم ومنعوهم من بعضهم وقال ابراهيم لو علمتم ما كان بين الملك عرنوس والمقدم شيحة من المحبة والوداد فلابد لكم أن تكونوا كآبائكم وما زالوا حتى أصلحوا الحال بينهم وبعد ما تصافحوا أركب أحمد العزيز والطوفرين وطلبوا مصر وكذلك معروف طلب مدينة الرخام والمقدم

زرقش طلب قلعة صهيون ولما دخل أحمد العزيز إلى مصر سلم على الملك السعيد وأعطى له السلب والنهب وجميع مخلفات الكفار فاخرج منه الخمس لبيت مال المسلمين والاربعة الاقسام جعلها ستة أقسام قسمين لاحمد العزيز والطوفرين وقسم لزرقش والفدارية وقسم لمعروف ورجاله وقسمين للخزنة تحت جماكى العساكر وانتهى الامر وقام الملك السعيد على تخت مصر يتعاطى الاحكام وأما المقدم معروف بن عرنوس لما سافر من مصر طالب مدينة الرخام ففات على قلعة المقدم مرعش وكان وقت الظهر فعبر على القلعة وكانت المياسة بنت المقدم مرعش قادمة من الصيد والقنص وداخلة القلعة فنظرها معروف نظرة أعقبته الف حسرة مع انها ما كلمته بل راكبة على حجرتها وقادمة وكان معها من جملة الصيد نمر قاصته من رقبته بيدها وهو يتفلفص منها مسك فى برقع الزرد فازاحه عن وجهها فانقاظت من النمر وشالته بيدها وضربته فى الارض فاوهنته ونزلت من على حجرتها اليه وقالت له يا قليل الادب ما تستحى وضربته بالشاكرية قسمته نصفين وتركته مرمى ودخلت القلعة فسأل عنها معروف الواقفين فقالوا له يا مولانا هذه بنت المقدم مرعش فكتم حاله حتى وصل إلى مدينة الرخام وقال لاخيه دورى يا أخى أنا وقعت فى شرك الحب والغرام وأحكى له فقال له أنا أخطبها لك من أبيها ولا يصعب عليك يا أخى وركب الملك دورى وسار إلى قلعة مرعش ودخل عليه وقال له يا مقدم مرعش أتاجيتك خاطب بذلك لأخى معروف وأنت تعلم انه ماهو خارج عنكم لان أبوه الملك عرنوس وأمه بنت سلطان البقاع حسن بن حيثم فعليك انك تقول وجب وأنا أثاقلها لك بالذهب فما تقول فقال المقدم مرعش يا مقدم دورى أنا ما أقول على نفسى إلا من بعض رجال أبيكم وأجدادكم ملوكنا ولكن يا سيدى البنت بالغ وكم طلبوها منى خطاب فما قبلت الزواج وأنا أقوم اسألها قال دورى نعم فقال وهو كذلك وسار اليها وسألها فقالت أنا ما أتزوج ولا أنا ربة ستر وحجاب أنا خيالة فعاد واعتذر للملك دورى وقال له يا سيدى ان تزوجت غير أخيك فيكون دمها لكم حلال فقال الملك دورى انت معذور وركب وعاد إلى مدينة الرخام واحكى لمعروف على ماجرى بينه وبين المقدم مرعش فقال معروف ايش هذا الكلام والاسم الاعظم لا بد لى من قتل مرعش وخراب قلعته وأخذ بنته غصبا بالحسام وصاح فى مدينة الرخام فى الحال وركب وركبت الرجال وساروا إلى قلعة مرعش كان مرعش عالم بقدومهم لانه كان له جراسيس جهة مدينة الرخام من خوفه من اولاد الملك عرنوس فلما علم بالخبر ركب حجرته

وطلب حصن صهيون ليشكى للمقدم زرقش ويقرأ عذره كون ان ابنته مارضيت بالزواج وأن المقدم معروف يروم أخذها غصبا وهذا لايجوز فى دين الاسلام وبعد وكوبه أقبلت عساكر مدينة الرخام يقدمهم معروف أبوطير ونظرت المقدمة مياسة غبارهم فقالت هذا معروف ولاقصده إلا انا يأخذنى غصبا وركبت حجرتها وطلبت البر فلما أقبل معروف إلى قلعة المقدم مرعش فما وجد أحدا فيها ووقف فى وجهه فدخل إلى القلعة نهبها وفتش على البنت فلم يجدها فاغاظ من ذلك وأخذ كلما كان فى القلعة وطلب مدينة الرخام وأما مرعش وصل إلى حصن صهيون فما وجد زرقش فيها بل قيل إنه وصل إلى القلاع يطرف عليها ويعود فعاد المقدم مرعش إلى قلعته فوجدها منهوبة والذى نهبها المقدم معروف فلما رأى ذلك قال والله ما بقى لى إلا أروح مصر واشتكى للسعيد يخلص لى مالى وبقى وكانت بنته المقدمة مياسة لما ركبت سارت طالبة مصر وما زالت سايرة إلى قلعة العريش فتجنبت القلعة وسارت إلى جهة البحر وجاءت شاطىء البحر وأكلت شيئا من الطعام فنامت بجانب البحر فاتفق أن قبطان مقبل من جزاير الغلف وهو قرصان فى البحر ورد على ذلك المكان وطلع وز البر فرأى ذلك البنت نايمة فبنجها ونزلها فى الغليون وسار بها إلى جزاير الغلف فلما طلع حضر قدام ملك الغلف وقال له هل جاء معك أسارى فقال يابب معى بنت مسلمة كنت وجدتها فى العريش فأمره باحضارها فلما نظرها الملك اعجبته اعرض عليها الدخول فى دين النصارى فلعنته وقالت له ياملعون أنا لو أكون على ظهر حجرتى كان بعيد على مثلك أن يراني بين يديه ولكن هذا بقضاء الله تعالى وأنا الذى أوقعت نفسى فى المحذور فانغاظ الملك منها لأنه تولع بحبها وأيضا لاعرف مقالها وكان له بنت يقال لها كترونه فأمر أن يودوها عند بنته فأدخلوها عندها فقالت لها كترونة يا أختى لا يصعب عليك من أبى وانما كان مراده يعملك جناقة لاجل أن تخلى له فليون لانه ما عنده فلابين وكان قصده يأخذ بنته ويعلمها جناقة فقال البترك هذا حرام فقالت مياسة الله يلعن البترك فانه كافر بالله ولو كان له عقل لآمن بالله تعالى وأنت ياكترونة انظرى حسنك وجمالك هذا وكيف تصبرى على الكفر حتى تصيرى من أهل النار ولو كنت تسلمى كنت تبقى من أهل الجنة فاعجب كترونة كلام مياسة وصارت تستفيد منها حديثها فاهداها الله تعالى للايمان وأسلمت على يديها وكتبوا اسلامهم وأقامت مياسة عند كترونة مدة أيام وهى تعلمها الصلاة والعبادة إلى يوم أخذتها وقالت لها سيرى معى حتى افرجك

على شوارع البلد فسارت معها من سوق الى سوق فنظر غلاما من أتباع المقدم موسى ابن حسن القصاص يقال له ناصر الدين أبو الرؤوس بن علاء الدين وكانت تعرفه سابقا لانه كان يمر على قلعة أبيها فلما رأته وكانت لابسة ملبوس النصارى فكلمته بالعربية فسمع كلامها وقال لها بالعربية أنت من تكونى فقالت له أنا مياسة بنت المقدم مرعش اقيم الليلة هنا فى البلد حتى اعطيك كتاب توصله للملك السعيد فبات فى البلد وقال هذه بنت مقدم ولا يصح ان اتركها وعند الصباح أعطته كتاب وأعلمت كترونة بفت الملك فقالت لها ان فرج الله بالخلاص خذينى معك وتحالفوا على ذلك وسار ناصر الدين بالكتاب طالب مصر

(قال الراوى) أما ما كان من المقدم مرعش فانه دخل على الملك السعيد وأعلمه بما فعل المقدم معروف كرنه نهب قلعته وأخذ بنته وهذا ما يجوز فى بلاد الاسلام فقال السلطان ايش أصل العداوة التى بينك وبينه فاحكى له أصل خطبة بنته وكون البنت مارضيت فركب على قلعتى وانا غايب نهبها وأخذ بنتى وهذه حكايتى فكتب للسلطان كتاب للمقدم زرقش يامره ان يروح الى مدينة الرخام ويأتيه بمعروف حالا وسريعا حتى انه يقيم عليه الاحكام وأعطى الكتاب الى سيار فأخذه وسار حتى دخل على المقدم زرقش الطيار وناوله كتاب السلطان فقام على حيله أخذ الكتاب وقراه وسمعوه الحاضرون وقال المقدم زرقش للرجال تحضروا حتى أنى أروح بكم مدينة الرخام وأجيب معروف كما أمر السلطان فقال له المقدم ابراهيم ما يحتاج جلبة أنا وحدى أروح مدينة الرخام وأحضر معروف طايعا الى السلطان

فقال المقدم زرقش دونك واياه فركب المقدم ابراهيم على حجرته وسار الى مدينة الرخام فوجدوه أولاد الملك عرنوس وقالوا له انزل فالتفت الى معروف وقال يامعروف أنت مطلوب للملك وأنا مأمور بحضورك بين يديه أنت تروح معى طايع اما مثل ما أوديك أرجعك فقال معروف سمعا وطاعة وقام على حيله وركب على حصانه وسار مع المقدم ابراهيم حتى وصلوا الى مصر ولما طلع الى قلعة الجبل قال ابراهيم يامعروف هذا الملك السلام هذا معروف الذى طالبه حضر فقال السعيد يا معروف أنت نهبت قلعة المقدم مرعش وأخذت بنته قال معروف اما القلعة نهبتها حقيقة لكونى أرسلت خطبت بنته فما رضى فتجاريت على قلعته ونهبتها ولو لقيت بنته كنت أخذتها ولكن ما لقيتها فى القلعة وان تعاصت قتلتها ولو جدت مرعش فى القلعة كنت قتلته فقال السلطان كان ما بقيت خايف حتى ولا من الله ايضا لما أنك تتجارى على ظلم العباد واظهار الفساد امسكه يا ابراهيم

فتقدم ابراهيم قبض معروف فامتثل معروف ولم يتمايل حتى بقى فى قطعة الدم وقال يامالك الاسلام أنا ممتثل للاحكام لانى لو علمت هكذا كنت طاوعت المقدم ابراهيم قال ابراهيم اخرص يامعروف الجاهل الذى مثلك يستحق أكثر من ذلك فهو كذلك واذا بناصر الدين طالع يقول نعم يامالك الاسلام قال الملك أين قلل من جزائر الغلف أنا أتيت بجواب من المقدمة مياسة بنت المقدم مرخص هذا هى مأسورة فى الجزائر ولما رأتنى أعطتنى هذا المكتوب فاخذ ابراهيم الكتاب وقدمه للسلطان نحله يلتقى يامالك الاسلام أنا خطبنى الملك معروف من أبى وانا امتنعت ولما أراد معروف يغور على قلعة أبى فهربت أنا لكونى ان أبى غايب فجرى وعد الله وانا بقيت أسيرة فى جزائر الغلف ولما رأيت نصر الدين والرؤوس أعطيته هذا الكتاب التمس من مولانا فبكى من الاسر على يديك وهذه حكايتى واطلب من الله ومن ملك الاسلام ازالة كربتى والسلام على النبى البدر التمام فلما تم القارىء قراءة الكتاب قال السلطان بقى كان معروف ماأخذ بنتك يامرعش انما هو من اغاظته منك نهب قلعتك فالذى نهبه يرده اليك وأنت دور على بنتك مابقى لك عند معروف الا الذى راح من قلعتك ان عدم لك خيط فى ابره على أنا واطلق معروف يامقدم ابراهيم فنزحزح له السعد وأجلسه بجانبه بينه وبين زرقش ملك القلاع فقال زرقش يامولانا معروف خطب مياسة ومن أجلها نهب قلعة أبيها وهى هربت ووقعت فى المحذور حتى بقت أسيرة فالشاطر الذى يسعى فى خلاصها ويأتى بها الى بلاد الاسلام يبقى يستحق ان تكون ضجيعة ولقوله سامعة مطيعة فقال معروف وأنا وحياة رأس أبى الملك هرنوس ماأقوم من هنا الا فى طلبها ولو اعدم مهجتى بسببها فقال زرقش وأيضا أقول وحياة رأس أبى المقدم جمال الدين لم أتخل عنك وأبذل مهجتى دون مهجتك حتى تقضى حاجتك وتبلغ امنيتك فقال معروف ولم يلتفت الى كلام زرقش ولا اعتنى به وركب على ظهر جواده وسار يقطع الأراضى والاودية أيام وليالى حتى وصلوا الى جزائر الغلف وكان أخذ معه ناصر الدين فلما دخل أوراء الكنيسة فدخل اليها وهو فى صفة راهب وأقام ينتظر حتى رأى المقدمة مياسة مع بنت الملك فاتى الى عندهم وجلس يسمع مقالهم فقالت كسرونة لمياسة يا اختى أنت قلت ان ملك المسلمين غير على اليسيرة التى مثلك ويجتهد فى خلاصها وقد مضت لنا ايام ماأحد سال هل ترى خاف من دخوله الى هذه البلد أو عاجز من عدم العساكر والاجناد فقالت مياسة والله ياأختى أنا أعرف انى اخطأت فى ارسالى للسلطان ولو كنت أرسلت الى الملك معروف ماكان قعد عن خلاصى ولكن الامر لله تعالى فقال معروف يا بنت أنا

معروف واتيت اخلصك ففرحت مياسة واحكت لبنت الملك ففرحوا الاثنين او قالت بنت الملك يا سيدى هل عندك مركب تاخذنا فيها قال لها باذن الله تحضر المركب ما هى بعيدة [ياساده] واعجب ما وقع واغرب ما اتفق فى هذا الديوان من الاتفاق العجب المقدم زرقش قام من الديوان قاصدا يتبع جرة معروف فوصل الاسكندرية ونزل فى الغراب العظمى وقال لعلى بوجى ودينى بلاد الغلف فسار حتى قرب منها فقال ارمينى على البر وقف أنت فى البحر اصفح وصالح حتى إترى انى ارفع راية فميل على البر خذنى فقال سمعا وطاعة وطلع زرقش الطيار إلى أن دخل إلى البلد ودخل إلى الكنيسة ورآى معروف يتكلم مع البنات فقالت بنت الملك لمعروف سر معنا إلى السراية وبات عندنا وانزل بكرة دور على مركب وتعال خذنا فسار معهم إلى السراية وأما زرقش فانه تركهم ودخل على ملك الغلف وقال له يابب انا حوراى وأنا ارسلنى اليك المسيح بامرك أن تقوم تدخل على بنتك تجد عندها بنت مسلمة ورجل مسلم اقبضهم سواء وأوضعهم فى السجن حتى يأتيك الحورانى الثانى يخبرك بالذى يليق لهم تفعله فيهم فقام الملك ودخل ياتق البنات الاثنين ومعروف معهم فقبض عليهم قبضا باليد كما أمره الحورانى ووضعهم فى السجن وقعد ينتظر حتى ياتى اليه الحورانى هذا جرى وأما المقدم زرقش فانه اقبل للسجان ووصاه بالحفظ على البنات والمسلم الذى معه واتاه بكاسة شراب لتعينه على السهر فشربها وترك السهر ونام فذبحه زرقش واطلق معروف والبنات وقال له قوم معى فاناز رقش الطيار انبعنى حتى اسفرك عن هذه الأرض والديار و أخذه إلى جهة البحر واشار لعلى بوجى فاقبل بالغراب ونزلوا فيه وفردوا القلوع وطال لهم الهوى باذن من على العرش استوى وكانت ايام قليلة حتى وصلوا إلى الاسكندرية فالتقى غليون السلطان فارسل يسأل عن الخبر فقبل له اقبل سلطان الحصون المقدم زرقش ومعه معروف فطلع إلى لقاهم بالسلامة هنا هم وطلعوا من البحر وهم فى افراح واخذوا الراحة يومين وساروا إلى مصر وطلع زرقش ومعروف قدام السلطان واحكى له المقدم زرقش بالذى جرى وقال فى آخر كلامه يامالك الاسلام وانا سايق لك على اخى المقدم معروف أن يزوجنى الملكة كسرونة بنت ملك الغلف فقال السلطان يامالك معروف ايش تقول فقال معروف يامالك الاسلام البنتين بطلوا السراية والذى يستره ضرتزوجوه فقال السلطان كذا مناسب وأنا اكون وكيلا والفرح من عندى بشرط أن تزيلوا الاحقاد وتقدموا الصفا والوداد ويكون زواجكم على يدى وافراحكم كلفها أنا من عندى وكان الامر كذلك وعمل لهم الملك فرحا

سبعة أيام رتع فيهم الخاص والعام ودخل معروف على المقدمة مايسة ودخل زرقش على المقدمة كتروفة وأقاموا فى مصر سبعة أيام وبعدها أخذ معروف زوجته وراح مدينة الرخام وزرقش طلب الحصون له كلام

وأما ملك الغلف فانه لما أصبح فلم يجد بنته ولا الذى محبوسين معها فزاغ بصره وحار فى أمره ولق تذكرة موضوعة مكانهم أنا الذى اخذت فانها السلمت وأخذت بنتنا التى كانت عندك وأخذت معروف من عندك فان قعدت فى بلدك فى ادبك كان خيرا وإن خالفت وحركت ساكن سوف ترى مايحل بك من المقدم إذا زل بك القدم مع انى لاقاسيت عليك ولانهبت لك مال ولاقتلت لك رجال ولكن إذا حصل منك أدنى خلل ترى مايحل بك من العمل فلما رأى تلك الكتابة قنصر وسلت على مضض وبعد أيام قلائل أتاه الارقش بن البرتقش وشكى له من إسلام أبيه وطلب منه المعاونة فأحكى له الملك على فعل زرقش وإسلام بنته

قال له انا اخلص لك بنتك من عند المسلمين فقال له انا اركب معك لكن اخاف من زرقش لايقتلنى قال له انا اضمن لك قتل المسلمين جميعا وكان ارقش له اثنين إخوة أحدهم إسمه الارقط والثانى عجلون فلما كان فى هذه النوبة أرسل احضرهم

وقال لهم أبوكم إسلم وأنا احضرتكم تساعدونى على قتله أو يعود لدين النصارى فقالوا له ونحن معك وعلى ماأردت نتبعك فدخل بهم على ملك الغلف وقال له هانحن الثلاثة نقاتل جميع المسلمين فقام الملك وجمع ملوك الجزائر وأمرهم ان يجمعوا عساكرهم للجهاد فاجتمعوا فى تسعين الف مقاتل فقسمهم قسمين جعل قسم ارسلهم على انطاكية وقدم عليهم ملك من جزيرة الغلف يقال له البب صليون الاغلف وأخذ القسم الثانى وسار على السويدية وأخذ معه الارقش والارقط وعجلون اولاد البرتقش وما دام سايرا حتى حط على السويدية وأقام العصيان وتسامعت البلاد بالركتين وارسل المقدم موسى بن حسن القصاص تبع من عنده يعلم السلطان السعيد ولما بلغ السلطان ذلك الخبر أحضر احمد العزيز بن طقطمر وأمره أن يأخذ فرقة من العسكر ويروح على انطاكية وأرسل كتاب على انطاكية أن يدرك العزيز على غزو الكفار اللئام وأحضر الطرفين وأحمد سلامش اخوه على السويدية وقلاوون يكون معهم على السويدية وكتب كتاب إلى زرقش الطيار يأمره ان يدرك اخوه على السويدية ولما جرى ذلك وسار قلاوون على السويدية فاوصل إلى بهادر المجنون وإلى الامير ركن الدين الصالحى وقال انا متوجه على السويدية وانتم مقيمون فى حصر والسعيد يأمن لكم فاجتهدوا على أن توضعوا له السم فى طعام أو فى شراب

فاذا فعلتم ذلك اجعلكم وزراء يمينى ويسارى فاذا مات السعيد اتولى أنا تخت مصر وأبلغكم مرادكم وهذا حق سم توضعوه إما فى طعام أو فى شراب

فقال سمعا وطاعة وركب قلاوون وارتحل مع العسكر حتى وصل السويدية ووقع الحرب بين احمد سلامش ومن معه وساروا ينزلون اولاد البرتقش كل يوم فنزل واحد يقاتل ابطال المسلمين وأقاموا ثلاثة ايام والرابع نزل الطرفرين إلى الميدان فتلقاه الارقط وتقاتل معه حتى انعقد عليهما الغبار ونظر الارقش فرأى الطرفرين فايق على اخيه خاف على اخيه فاخذ عود نشاب وأوتره فى القوس وضربه فجاء فى صدر الجواد فشب الجواد ووقع به اراد ان يقوم فضربه الارقط على رأسه بالحسام وأتى عليه الارقش فالحق على نفسه حتى لحق ومات وراح إلى رحمة مولاه وفى تلك الساعة اشرف زرقش ومعه الفداوية ورأوا تلك الغارة فعندذلك صاح وحمل وتبعه من الفداوية كل فارس بطل فانهزمت الكفرة اللئام والتجأوا إلى الخيام فاخذ الاسلام الطرفرين قتيل دفنوه وكتب زرقش كتاب ارسله إلى مصر صحبة نجاب يعلم السلطان بقتل الطرفرين والتفت إبراهيم بن حسن لمنصور البرتقش

وقال له إيش مزية إسلامك يامنصور كونك تنظر اولادك يفعلوا هذا الفعل وأنت قاعد وساكت عنهم فان كان قلبك مال إلى الكفر فان الاسلام غنى عنك ولا هو محتاج اليك فما تقيم معنا إلا أن تجيب اولادك نقتلهم وإلا روح انت اليهم فما نحن محتاجين اليك فقال منصور والله يابو خليل افعالهم ماهى على خاطرى وفى هذه الليلة يفعل الله مايشاء وصبر إلى الليل ودخل أعرضى الكفار وهو منتظر حتى وصل إلى محل الاسارى يفكهم ومال إلى خيمة الملك فالتقاه بسكر وأولاده الثلاثة معه فاختفى بجانب الخيمة حتى تمكن ورمى عليهم تعفينة بنج فرقدوا فتقدم إلى اولاده ذبحهم وذبح ملك الغلف وطلع فيه زرقش والعزيز وامرهم بالحمل ليلا على الكفار فركبوا الاسلام وضربوا بالحسام فى الكفار اللئام وما طلع النهار إلا وأخلى الله الدنيا من الكفار وهم بين قتيل واسير ولا هرب إلا من له جواد سابق وفى اجله تاخير وجمعوا سلب القتلى فقال زرقش الرحيل على إنطاكية ناخذ إخواننا الاسلام وركبوا طالبين الطريق على انطاكية لهم كلام [يا سادة] وأما الملك محمد السعيد لما دخل عليه الخبر بقتل الطرفرين فصعب عليه لكونه ابن عمه وتمرض مدة وانقطع عن الديوان فدخلوا عليه الاصدقاء يطلون عليه وبالجملة بهادر المجنون وركن الدين الصالحى وقعدوا عنده فقال الامير بهادر يا ملك الاسلام الانسان إذا كان عيان ماله طاقة على القيام فى الفراش فاذا طلعت إلى الفيحة والعرمرح تشم الهوى ينتج لك

الشقاء قال السعيد ياعمى صدقت وأنا قصدى أن اطلع لمقام بهادر وأحضر له بغلة وفرش
له وركب ومشى هو وركن الدين الكردى فى ركابه حتى ادخلوه بستان الفيحة واجلسوه
على شط الفسقية وطلعوا له كاسات خشاف ليشرب فادغروا فيها السم فشرب وبعد ذلك
عادوا به الى سرايته فاستحس السعيد بالسم فاحضر والدته الملكة تاج بخت وقال لها
أنا كنت فى الفيحة وكان معى ركن الدين وبهادر وكانهم دغروا لى فى الشراب بنج
أوسم وأنا من عيايا ماوعيت الى بعد شربى وهذا بقضاء الله تعالى ومرادى ان أسير
الى الشام لاجل تبديل الهوى ان طبت جيت وان مت ادفن جنب أبى وأحضر الخضر
الصغير وأجلسه مكانه على التخت وسافر قاصد بلاد الشام فلما قارب الشام علم بقدومه
الاغاشاهين فطلع أبيه وتلقاه وادخله عنده وأحضر له الحكماء والاطباء وأمرهم ان
يجتهدوا فى مداواته وأرغبهم بالمال وتوكل هو بخدمته يقع لهم كلام

[قال الراوى] وأما أحمد العزيز لما حط على انطاكية فلما رأوه الكفار ماتركوه ان ينصب
خيامة بل حملوا عليه فتلقاهم وطبقت معه الامراء وهم شبان العساكر وقاتلوهم الى آخر
النهار وانفصلوا وثانى الايام كذلك وداموا عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر
وقع البراز فتارة الاسلام يقاتلوا بالمبارزة فارس لفارس عشرة أيام آخر وفى اليوم
الواحد والعشرين وصل زرقش بالفداوية واحتاطوا بالكفار وداروا بهم وحطوا فيهم
الحسام البتار ويوم اثنين وعشرين كان الملك معروف أبو طبرانى ومعه اخوته وفرقة من
العسكر ودخلوا أنطاكية فى صفة نصارى ملكوا الابواب وكانت النصارى ملتهية فى الحرب
مايشعروا الا والاسلام ملكوا البلد وهلكوا كل من فى انطاكية ودام السيف يعمل
حتى كنسوا البلد من النصارى وكذلك العزيز أحمد وزرقش ومن معه أهلكوا كل
من معهم من الكفار ولا نجى الامن كان جواده سابق أو فى أجله تاخير وملكوا
البلد وأخربوا الاصوار وجمعوا السلب والنهب وماتركوه الكفار وأرادوا العودة
فبلغهم ان السعيد فى الشام ضعيف فسار الى الشام ودخلوا على السعيد ونظر اليه
ابراهيم وقال هذا مسموم والذى دبر عليه قلاوون والتفت الى السعيد وقال له كنت
مع من يا سعيد فقال السعيد المعاد الله وتلجلج لسانه عن الكلام ومات لوقته
وساعته فدفنوه عند أبيه وقال لابراهيم مابقى يصلح الا الملك أحمد سلامش وقاموا
من الشام وصلوا الى مصر وطلعوا جميعا الى قلعة الجبل وأحضر علماء الاسلام وبايعوه
على السلطنة وأخذوا عليه العهد بانه يحكم على الرعية بالعدل والانصاف وترك الجور
والاسراف وغمروا عيونه وادخلوه أودة السلاح فاخذ نمشة أبيه وهو نمشة ابن الحاكم

وتقلد بها وطلع وجلس على الكرسى ووقعت فى خدمته أرباب الدولة خلع القفاطين
على الولاة وأقام يتعاطى الاحكام وأرسل المكاتبات الى جميع ملوك الروم والعجم
وطلب الجزية المعتادة عليهم فادوها ولا حصل تقصير من أحد لانه مابقى أحد يمين أحد
على العصيان وترتبت قواعد المملكة لاحمد سلامش وأطاعوه جميع الخلائق الى يوم
دخل السراية عند والدته يزورها فرأى نساء السعيد مقيمين عندها وهم يبكون فقال
لهم اما تعلموا ان الدنيا كلها زايلة ولا دايم الا الله تعالى ويعنى أخى سعيد أغلى من أبيه
فقالت امه ياولدى المرت كل منا مصيره اليه وأما السعيد أخوك فان الذى قتله بهادر
المجنون وركن الدين الصالحى فانهم أشاروا عليه ان يشم الهوى فى الفيحة وساروا
معه ولما اختلوا به سمره والله ياولدى اما اعلمنى الا السعيد أخيك من لسانه قبل رواحه
الى الشام فلما كان ثانى الايام وكان دخل الديوان فاحضر الملك أحمد سلامش بهادر
المجنون وقال له يا أمير بهادر أنا بلغنى أنك سميت أخى الملك السعيد والذى أخبرنى
ركن الدين الصالحى وقال لى عنك أنت الذى ادغرت له السم لما كنتم معه فى الفيحة
لما أشرتم عليه ان يشم الهوى هل ترى أنت الذى سميته رحدك والا ركن الدين هو
الذى أشار عليك بذلك فقال بهادر يا ملك الاسلام هذا الذى جرى كان قلاوون
الوزير هو الذى أمرنا والذى أدغر السم هو ركن الدين فامر بحبسه والتحفظ عليه
وأحضر ركن الدين الصالحى وقال له يا كلب الاكراد ان لم تعلمنى بالصحيح والا
قطعت أعضاءك عضوا عضوا واطعمهم اليك فاصدق فى المقال من الذى أدغر السم
لاخى السعيد أنت ام بهادر المجنون فقال ركن الدين يامولانا أنا واياه سوا والذى
غرنا على ذلك الوزير قلاوون فقال السلطان هل أحد غيركم يعلم ان قلاوون أغركم
حتى نقيم عليه البينة فقال يا ملك ماكان أحد حاضرا عندها قطع رؤوس الاثنين
ووضعهم على صفية وأرسلهم الى قلاوون مع سيار فدخل عليه وقال له خذ رؤوس الذى
وصيتهم على قتل الملك السعيد وعن قريب تكون مثلهم وتركه وعاد الى الديوان
فلما سمع قلاوون ذلك أرسل أحضر علماء الاسلام وقال لهم يا أسياد عاملونى بالشرع
بينى وبين السلطان فانه اتهمنى بقتل أخيه وهو مات فى الشام وأنا ماكنت حاضرا
فركبوا العلماء وطلعوا الديوان وقالوا يا ملك الاسلام تكون ظالما فان الظلم حرام فقال
لهم وأنا ظلمت من فقالوا له ان قلاوون يشتكى أنك اتهمته بقتل أخيك الملك السعيد
فان كان عندك عليه بينة فهو يقتل شرعا وان لم يكن عندك دليل العفو يامولانا
السلطان والله تعالى يعلم الظالم ويجازيه على ظلمه قال السلطان اما قتل أخى فهو

حق قتله واغريها در وركن الدين حتى سموه وانا قتلتهم من امس بعد ما قووا على يدى وان كان هذا الفعل فعله فكيف اتركه يقيم فى مصر وانما من اجل خاطركم اتركه بلا قتل لكن يطلع من تحت حكمى ويرتحل من هذه البلاد فعندها قالوا العلماء يا قلاوون خذ بيتك واهلك وارحل من هذه الارض فقال سمعا وطاعة ونزل حالا اخذ عياله وحمل وطلع من مصر يروح الكرى له كلام واما الملك احمد سلامش فانه اجلس ايدمر البهلوان وجعله وزيرا

[قال الراوى] واما قلاوون فانه انفاظ من السلطان وقال يبقى مثل ذلك ولد ينفينى انا من مصر وانا كنت وزيرا ولكن لابد ما ادير على هلاكه واحرمه ان يشرب من مصر شربة وقد يتفكر تذكر ان المقدم صوان بن الافعى مقطوعة جامكيته فكتب له كتاب يطلبه فلما حضر عنده قال له يامقدم صوان انا اعرف انت اذهبت مالك فى هذه المدة وانا والله قلبى عليك فقال له وكيف العمل يا دولتلى لما ولد مثل زرقش صار سلطان فتركته ومضيت وها انا الى الآن اضيع من مالى حتى فرغ كل مالى فقال له ان وافقتنى جعلتك سلطان الحصون ولا يبقى لك خصم ابدا فقال له اعلمو ايش مرادك حتى اوافقك فقال له تروح وتجتهد وتسرق احمد سلامش وتعمل على قتله وانا آخذ سلطنة مصر بعده وأجعلك انت سلطان الحصون فقال صوان هذا امر هين وسافر صوان الى مصر وكان صوان من ايام ما تولى زرقش الطيار على سلطنة الحصون وهو منقطع فى تكية وتارك قلعته لم يدخلها الا نادرا فما صدق أن ينفتح هذا الباب اجتهد وقام من عند قلاوون وسار الى مصر ووضع حجرته فى خان السبيل وصبر الى الليل ونزل على الملك احمد سلامش بنجه ولفه فى ثيابه وحمله واتى الخان واخذ حجرته وصفطه فوقها وطلع طالب البر وسافر طول الليل الى طلوع الشمس نزل فيقه وعانبه كونه بقى مدة ايام بلا جامكية فقال الملك احمد يا مقدم صوان ايام تسلطان زرقش الطيار ما كنت انا سلطان وانما سيبنى وانا ارد لك جامكيك واجعلك عندى فى اعلى منزلة مثل ما كنت عند ابى فقال صوان والله يامولك احمد ما بقيت اخليك تعيش على الدنيا ابدا فقال الملك وحياة راسى ان خلصت لاجعل موتك عبرة لمن اعتبر فقال له ابقى اشنقنى فقال له وحياة راسى اشنقك فأخذه بعد ما بنجه وسار يقطع الارض الى ان وصل الى العريش وجاء به الى جانب البحر وفيقه واطعمه واسقاه وبنجه ونام الفداوى وكان آخر النهار فنام طول الليل وما افاق الا وجد نفسه فى مركب مسافر وهو مع السلطان فى الحديد وقد وجد حوله بطارقة وعمالقة فقال الملك كذا ياصوان ضيعتنى وضيعت

نفسك فقال صوان مايعرف الذى جرى [قال الراوى] وكانت المركب من الافلاق اصحابها يقرنصوا فى البحر يأخذوا الأسارى يبيعوهم للكفار وقبطانها اسمه درمنوك الغدار فاخذهم وسار بهم حتى وصل الى الافلاق ودخل ابن الانجبرت وقال يا بب أنا مريت على العريش فوجدت أسيرين نائمين أخذتهم وجدتهم ملك المسلمين والتانى سراق فلما رآهم ملك الافلاق عرفهم وقال منتار فاروهم نطعة الدم وأراد قتلهم وكان فى الافلاق واحد فداوى متنكر مع الرهبان وهو مسلم يقال له ناصر الدين أبو شنب فسمع الخبر فطلع الى الديوان . فلما رآهم عرفهم فحط يده على الشاكرية وضرب السياف أرمى عنقه وصاح الله أكبر وانطبقت البطارقة عليه وكان هذا الفداوى من الابطال المذكورة فقاتل على رأس السلطان طول النهار ولكن خاف أن يموت بالكثرة ولا يمكنه أن يخلص السلطان وصوان والصواب أن أروح الى بلد الاسلام واعلم الدولة حتى باتوا الى مدينة الافلاق ان لقوهم طيبين يخلصوهم وإن لقوهم ميتين يأخذوا ثارهم وانسل فى الظلام وطلب بلد الاسلام فلما كان عند الصباح نقشر النصارى على الفداوى فلم يجدوه فرضوا السلطان وصوان فى الحبس وحلف السلطان ما يقتلهم إلا بعد مجىء ذلك الفدارى ويقتل أولهم وأمر الخيل أن تلحق الفداوى من جميع الطرقات فركبت الخيالة وطردوا خيولهم طالبين ناصر الدين وغابوا يفتشوا فما وجدوه وعادوا بالخيبة [قال الراوى] وأما فى مصر لما طلع النهار فلم يجدوا السلطان انغمت الناس المحبين والمبغضين فرحوا وأرسلوا إلى قلاوون أعلموه ففرح بذلك وقال إلى جهنم وأنا الذى أعمل سلطان لما يجى رجل متاعى صوان وأنا أنظر ان كان الولد احمد يموت أنا أبقى سلطان بدلا عنه ودام الامر وهم منتظرين الا والفداوى وهو داخل عليهم وقال لهم يا معاشر الاسلام اعلموا ان السلطان ومعه المقدم صوان فى مدينة الافلاق أدركوهم فعند ذلك قال الملك الخضر أنا ما اقعد وكتب الى زرقش الطيار والفداوية وقلاوون فلما اجتمعوا كان الاجتماع على الشام وساروا الى الافلاق ونصبوا العرضى وكتب الملك خضر كتاب أراد يرسله واذا الابواب انفتحت من كل الجهات ركبت الاسلام والتقتهم الكفار أولاد اللئام وغنى الحسام بينهم ودام الحرب والصدام حتى ولى النهار وأقبل الليل بالظلام وعادت الاسلام الى الخيام فلم يجدوا زرقش الطيار فانفاظت الرجال على غيابه وفتشوا عليه فى القتلى فما وجدوه وكان زرقش تنكر ودخل مع النصارى البلد وقد صبروا الى الليل واندمر على ملك الافلاق بنجه وأطلق الملك أحمد سلامش وأخذ صوان ونبه العسكر وهجموا على

البلد فما طلع النهار إلا والاسلام فى قلب المدينة واهلكوا كل من فيها واحتووا على الذخائر والاموال وصلبوا ملك البلد على بابها ونزل أحمد سلامش فى البحر وأخذ صوان معه فى الحديد وحلف لابد من شنقه فعندها التفت صوان إلى قلاوون فقال له بالاشارة لا تخاف انا اخلصك فى مصر بالسيف ولا يصيبك ضرر وداموا كذلك إلى اسكندرية إلى العادلية وليلة العادلية ارسل السلطان شنق صوان بن الافعى فى الرميلة وصبح ركب فى الموكب الى الرميلة ونظروا الفداوية الى المقدم صوان فصعب عليهم وصاحوا على السلطان وقالوا له أبوك ماشنق واحدمنا وانت ليه فعلت كذا فقال لهم انتم تعلموا مافعل فقالوا له وجثته ماتدفنها فقال لهم ادفنوها وطلع السلطان إلى القلعة وجلس يتعاطى الاحكام (قال الراوى) وأما ما كان من المقدم رزقش الطيار فانه سار إلى الى الحصون فلقوه الرجال وقالوا له ياخوند ان المقدم الفهد بن المقدم نصير النمر اجتمعت عليه جميع العصاة فامر رزقش بديه ان تجتمع فيه جميع الفداوية فلما اجتمعوا قال لهم يارجال الفهد عاصى وأنا مرادى أن تسلموا معى حتى اسلخه فقام المقدم يعقوب الصينى ابن ابراهيم وركن الدين ابن عماد الدين علقم وقالوا له هذا منا والينا وان كنت انت تريد تحاربه فاحنا معه ولا نطيع الاهر وركبوا خيولهم وساروا إلى الحصن الازرق فعلم الفهد بقدومهم فركب إلى لقائهم وأكرم مثواهم واقاموا عنده وهم عاصين وقالوا له يافهد لا تخاف هانحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فشكرهم على فعالهم وأقاموا عنده ايام قلايل حتى اتى المقدم زرقش ومعه الرجال وحط قدام الحصن الازرق فقام يعقوب الصينى وركن الدين اتفقوا مع بعض وبنجروا الفهد وصفطوه على حجرته ونزلوا به ليسلا ودخلوا به على زرقش وقالوا له خذا هذا خصمك فقال لهم شكر الله فضلكم فقالوا له بغير ذلك كان يطول الحال ولا كنا نمسكه قال زرقش صدقتم ثم انه فيق الفهد وقال له ايش قولك فى دين الاسلام والاطاعة فقال له فشرت يا ابن تسع ماية مطبلة ثم ان الفهد نفض خنجره من حزامه وقام ذبابه إلى فوق وانكفى عليه بصدره نفذ من ظهره وقال ها أنا قتلت نفسى بيدى وخرجت روحه فسلخه زرقش بعد موته وأخذ الجلد حشاه بوبر واوقفه قدام صيوانه فنظروا اليه العصاة فتشتتوا على وجوههم فى الجبال وبقى الحصن خالى لافيه أحد فعلق الجلد عليه زرقش وكتب عليه تذكرة هذا جزاء من يعارض السلطان ويتقاوى بالعصيان ويتبع نفسه ويطاوع الشيطان ورجع المقدم زرقش طالب قلعة صهيون فالتقاه باهل قلعة بارة فقالوا له ادرك المقدم اسماعيل أبو السباع فانه فى القبلة فرجع زرقش والرجال

صحبته حتى دخلوا إلى قلعة بارة على المقدم اسماعيل رأوه فى مرض الموت فقال له المقدم إبراهيم سلامتك ياعم فقال اسماعيل يارجال القرا بالكم من ولدى فانا مالى عندكم وصية غيره فقال إبراهيم ومن هو ولدك فقال له هذا الوقت ياتيكم وانتم قاعدين فهم فى الكلام وإذا بالغبار غبر وانكشف عن الفين فداوى ويقدمهم شلام اشيه البرايا بالمقدم اسماعيل فى حال صباه فلما رواه الرجال سألوه عن حالة فقال يارجال انا اسمى جمر العبوس وابى اسمه المقدم اسماعيل ابو السباع [قال الراوى] وكان هذا الولد ابن الفدارية التى تزوجها اسماعيل وعصى من تحت راسها فى حلب وكانوا اخوتها افسرقوا وهى حامل ووضعت هذا الولد وسمته جمر لاجل ماتعلم أن جده اسمه جمر كما عرفها المقدم اسماعيل واعطاها نسبته فلما بلغ مبالغ الرجال سأل امه عن نسبه وابيه فاعلمته أن اباد فداوى وهو فى الحصون واسمه المقدم اسماعيل ابو السباع فلما سمع بذلك جمع الفين فارس من قبيلته واتى بهم إلى زاوية باره ودخل نظر ابيه كان ابوه على غاية خروج الروح ففهق وخرجت روحه رحمة الله عليه فقام معروف اوطبر وتولى تجهيز عمه وواروه التراب وعملوا عزاه وبعد ذلك أخذوا المقدم جمر وساروا به إلى مصر دخلوا على الملك أحمد سلامش وقال معروف يا ملك الاسلام هذا ابن عمى ابى فقال السلطان أهلا وسهلا فقال المقدم جمر يا ملك أنا قصدى الاقامة فى مصر فقال السلطان مرحبا بك وكتبه امير مقدم على الف واخلى له بيتا بحارة السباعين قام فيه وبنى له جامع وحمام وهم باقين الى هذه الايام ورجع معروف إلى مدينة الرخام لحضر هدية جسيمة لها قدر وقيمة وهى اربع فصوص جوهر كل جوهرة قدر بيضة الدجاجة اصلهم من بحر الظلمات جابوهم سواحين البلاد فاراد أن يهادى بهم السلطان وأربع خيول اصلهم من اولاد خيول البحر واربع دروع زرد مقموسين بالذهب واربع سيوف صواعق امضى من القضاء وصندوقين من العنبر الخام والمسك والطيب الذى يصلح لكل حبيب وسلم الجميع إلى كيخية من كواخيه وكتب له كتاب تمجيد للسلطان ويسأله فى قبول الهدية فسار الكيخية من مدينة الرخام وقاصد مصر لما قرب من حلب فطلع عليه حسين الهوارى فى الطريق وقال للكيخية اعطنى هذا المال فقال له هذا المال مال السلطان فقال له يا مجنون أين السلطان واين أنت وصرخ على الكيخية واطبق عليه بالعرب وكانوا اخلق كثير نهب الهدية ونظر الكيخية انه مال طاقة فهرب الكيخية وتبعوة العرب فما لقى له ملجأ الا دخوله حلب وسأل عن باشة حلب فاعلموه بالامير قراغول الكردى فدخل عليه قال له يا دولتلى أنا

كيخية من كواخى الملك معروف ابو طير ومرسول بهدية إلى السلطان فطلعوا
على عرب نهبوا الهدية وقتلوا جماعة من الذى معى وهذه فى بلدك فقال له الامير
قراغرل لا باس عليك أنا أجيب العرب واخلص مال السلطان واجازيهم على فعلهم
ثم اخلى له محلا فى سرايته وامر له بالاقامة وجمع من الاكراد اربعة الاف كردى
وسأل اميرهم عن ذلك المكان الذى يقفوا فيه العرب فاعلموه فقال لهم كل الف
تأتى من ناحية وحمل قراغرل النصاديق على عشرة اغوال وسار هو فى اصفة تاجر
حتى وصل إلى محل العرب فطلع عليه حسين الهوارى واراد نهب ما معه فصار
يخادعه حتى اقلبت الاكراد وهجموا على العرب ونهب بجمعهم واهلكهم عن
آخرهم وخلص كلما أخذوه وجاب حسين الهوارى وشنقه فى حلب وسلم الاموال
للكيخية وقال له سافر بها للسلطان والا أنا أرسلها من طرفى فقال الكيخية ارسلها
أنت وانا اقيم عندك حتى يأتينى جواب السلطان بوصولها فارسل الهدية الامير
قراغرل بكتاب من طرفه للسلطان واقام الكيخية فى السراية على حاله وكان ذلك
الكيخية اسمه المقدم زاهر وسبب عدم سفره بالهدية أن عند قراغول محضية
تولعت بزاهر فسارت تتردد عليه وجرى بينهم الجارى فى علم الله تعالى فاتفق أن
قراغول عبر ليلة على زاهر ليتحدث معه فراى محضيته عنده فما أبدى جواب
ولاخطاب الاضربه بالسيف على وريديه اطاح رأسه وذبح الجاريه وضعهم فى
صندوق وكتب لمعروف علمه بكل ما وقع من نهب الهدية وخلاصها واقامة الكيخية
وما فعل وهاهم ارسلتهم اليك حتى يثبت عندك انى صادق فلما قرا الكتاب انغاظ
معروف وقال كان الواجب عدم قتل الكيخية فانه مايستحق الا ادبه وأنا كنت
ادفع له ثمن الجارية اواعطيه احسن منها ولا كان يقتل رجلى ثم انه أخذ جانب
عسكر جسيم وسار إلى حلب دهل على قراغول وقال له يا كلب على شان جارية
تقتل كيخيتى فقال له كيخيتك يستحق القتل لانه خاين قليل الادب فما تم هذه
الكلمة حتى ضربه معروف بالطبر جعله قسمين ومال على الاكراد اخلقهم من
حلب وجلس معروف على كرسى حلب فارسلوا اهل حلب كتاب اعلموا
السلطان فلما علم السلطان بموت قراغول احضر الامير لاشين العزيز وقال له أنت
نايب حلب اقتل معروف واجلس مكان قراغول فسار حتى وصل إلى حلب فعلم
معروف بقدومه فارسل يقول إن اقمت إلى بكره قاتلتك وإن مسكتك قطعت
راسك فلم يمتنع وبات واصبح خرج معروف وكبس على عسكر لاشين العزيز
واهلك عساكره واما لاشين فانه هرب وكان جواده هو الذى نجاه وطول الاجل

وأما لو وقع فى يد معروف فما كان أبقى عليه ودام فى هزيمته حتى وصل إلى مصر
واعلم السلطان فانغاظ من معروف كونه كسر لاشين العزيز واحتوى على حلب
غصبا فكتب السلطان كتاب وأرسله إلى زرقش الطيار يقول له ان معروف أبو طير
تجارى على حلب وأخذها وجلس فيها كانه معارضنى فى السلطنة وهذا مما يدل على
افتراه فحال وصول جوابى هذا اليك تركب على معروف وتأتى به فلما وصل الكتاب
إلى زرقش الطيار التفت الى إبراهيم وقال له انظر أفعال معروف والسلطان قال أحاربه
فقال ابراهيم هذا لا يوافق لا أحد يرضى الفتنة أنا أروح الى معروف واخليه يطلع من حلب
ويروح مدينة الرخام من غير حرب ولا خصام وركب ابراهيم حجرته وسار الى
حلب ودخل على معروف وقال يا ولدى أنا ما أرضى لك أن تكون عاصى وتجلب
الفتنة فى بلاد الاسلام أوتحوح السلطان للحرب والخصام قوم اركب أوروح إلى
مدينة الرخام فقال معروف سمعا وطاعة وركب وطاب مدينة الرخام وكان الامير لاشين
حاضر فسلمه إبراهيم بن حسن كرسى حلب وكتب المقدم ابراهيم كتاب للسلطان
بما جرى فلما وصل الكتاب للسلطان سكت وكان قلاوون حاضرا فكتب كتاب عن
لسان احمد الى زرقش يقول فيه ان معروف أبو طير خاين ومتعدى على السلطنة
فحال وصول جوابى اليك تركب عليه وتكاثر عليه وان قدرت عليه أقطع رأسه
ولا ترحمه ولا ترحم ناسه فلما وصل الكتاب إلى زرقش أعرضه على المقدم ابراهيم فقال
ابراهيم هذا ماهو كتاب السلطان وان كان السلطان كتبه فما نعتمده اتركه ولا تسأل
عليه ولا تسلم فى معروف لأحد ولو طارت رؤوسنا عن الجسد فكن عاقلا ياسلطان
الحصون ولا تتبع الجهل تبقى مجنون فقال له صدقت ياعمى ولا قلت إلا الصواب
ورأيك قط لا يعاب هذا جرى هنا [باسادة] واتفق ان صليب الروم صاحب رومة
المداين الكبرى أحضر الملوك الذى على بلاده واختار عشر ملوك وجمع لهم مايه الف
بطريق وقال لهم مرادى قتلكم أو تطاوعونى فقالوا له يامالك نحن ما عصيناك حتى
تقتلنا ولو أمرتنا بخوض للبحار نخوضها بين يديك فقال لهم مرادى أركب على
المسلمين فقالوا له نحن بين يديك فوضبهم وأتى بوزيره وعلمه على مكيده يفعلها فسار
الوزير وكان اسمه عبد المسيح فوصل الغمامة بزورها وبعد الزيارة سار الى مصر
وطلع الى قلعة الجبل وقال للبوابين أنا معى نصيحة للسلطان فدخلوا البوابين اعلموا
الملك فأمر باحضاره فلما حضر بين يديه اسلم وقال يامالك الاسلام ان الملك صليب
الروم راكب عليك ومعه عشر ملوك فخف حذرك منه وأنا يامالك الزمان أتيت

بحريمي وعيالي ومالي وأسلمت وتصدى أن أعيش تحت حكمك وأكون من رعيتك
فقال السلطان مرحبا بك وأمر له ببيت فى قلعة الكبش ورتب له كلما يحتاج وسماه
عيد الله وبقى مقيم مدة أيام إلى يوم احضر زوجته وقال لها مرادى أن تدخلى على
حريم السلطان وتختلطى مع الخدم والجوار لعلك يجرى لك فرصة وتأخذى حق
سم فان امكنك ارضعيه فى الطعام او فى الشراب فقالت له أما تخاف على نفسك من
نقمة الله تعالى فانهم ما فعلوا بك شيئا يستحقوا عليه ذلك وأكرمونا وانزلونا عندهم
واحسنوا الينا قال لها أنا لابد لى من ذلك وإن تطاوعينى انزلت بك المهالك قالت اطاوعك
وعلى فعالك اتبعك فاعطاها حق السم فاخذته وسارت حتى دخلت إلى السراية
ودخلت على الملكة تاج بخت وباست يدها وقالت ياسيدتى انا زوجى نصرانى كافر
ولما حضرنا عندمولانا السلطان فاكرمنا واخيرا زوجى اعطانى هذا السم وأمرنى ان
اقعد معكم حتى اوضعه له فى شراب او طعام وانا ياملكة قلبى ترلع بالاسلام فأتيت
اعلمك بالسلام فارسلت لاغا ريحان احضر لها الملك وقدمت زوجة الوزير واسمها
ناصية واحكت للملك كما احكت للملكة فقال لها الملك رافت اسلمت صحيح
قالت له نعم ولا اعود للكفر ابدا فنزل الملك وجلس على الكرسى واحضر العلماء
والقاضى وطلب الوزير عبد المسيح وقال يا ملعون ايش ذنبى معك حتى تدبر على
قتلى قال حاشا لله يا ملك فقال له وهذا السم ما ارسلته مع زوجتك قال لا فاحضر
زوجته شهدت عليه فقال هذه كافرة واما انا مسلم ولايجوز شهادة الكافر على المسلم
فقالت العلماء صدقت ان كنت من اهل الايمان وفى تلك الساعة حضر زرقش
وكان مقبل باموال الحصون يوردها الى خزنة السلطان . فلما طلع ونظر القصة
فالتفت للمقدم إبراهيم وقال له ما تقول وكان ابراهيم حضر معه فقال ابراهيم
هذا كافر ابن كافر وحط يده على ذو الحيات وضربه ارمى عنقه واذا بعثمان طالع
يقول هذه العروسة عروستى وانا ياجدعان اتزوج بها لان المنقرش الذى كان
معها تبقبق وانا احق بها من غيرى قال الملك احمد سلامش تسناهلها وانما اسألوها
فسألوها فرضيت وتزوج بها عثمان وبنى لها قصرا وسماها قصر الشوك ثم بنى جامع
بجانب القصر واقام منقطع بعبد الله فيه له كلام [ياسادة] واما ما كان من صليب
الروم ركب وحط على انطاكية فعلم لاشين العزيز ارسل كتاب من حلب يعلم الملك
وكان الملك فى علمه ان هذا الملعون راكب عليه فاحضر اخيه الخضر واجلسه على
الكرسى واوصاه بالعدل وركب السلطان وسار الى انطاكية وكان ارسل قلاوون
قدامه حط على انطاكية ونظروا ملوك الرور فما خلوه ينصب خيامه بل حملوا عليه

وضايقوه شدة الضيق ولا أدركه السلطان إلا وهو فى شدة الكرب ولما حضر
السلطان وقع الحرب وزاد الكرب ودام إلى آخر النهار واندق طبل الانفصال وثانى
الأيام كذلك وثالث يوم أقبل معروف وزرقش الطيار فوجدوا الحرب بين الكفار
والاسلام فقال زرقش لمعروف خذ يمينى برجالك وأنا برجالى يسار فقال له معروف
مرحبا وحمل معروف يمين وزرقش يسار ووقع ضرب البتار ومادام حتى أهلكوا
الكفار والذى سلم تشتت فى البرارى والقفار وأما الملوك العشرة قتل منها ستة وقبضوا
ثلاثة وهرب واحد فقتلوا الباقين وكذلك قتلوا ملوك انطاكية وأخربوها وحلف
السلطان لا يرجع حتى يخرب رومة المداين أراد قلاوون أن يمنعه نفر فيه وسار
بالعسكر والفداوية وكل كنيسة عبروا عليها يهدموها أو دير يهدموه حتى وصل إلى
رومة المداين قام ملكها نزل اليه وسيفه فى رقبته وهو ماشى على قدميه حتى بقى قدام
السلطان وقال له يا ملك الاسلام ايش ذنبى حتى تاتى إلى بلدى وتريد تحاربنى وأنا
طايع وكل عام أدفع الجزية بقى ايش يجب على وأنت ملك عظيم لا تأخذ البارى
بالسقيم فقال السلطان أنا طالب جزية بلدى حالا فقال نعم ووزن له الجزية حالا وقال
له يا ملك ان تأخرت عن دفع الجزية سيفك أولى بى فقال الملك وأين الملك الذى هرب
من العشر ملوك قال ما أعرفه ولا لى معه علاقة ولا نسب فقال السلطان ركبنى نكلمت
مخزبنين فان أردت أن أعود عنك فاطلبهم منك فاورد ولم يخالف واخذ احمد سلامش
الاموال وعاد إلى مصر فى هناء وسرور وأخلع القفاطين وقال للمقدم ابراهيم وسعد اقعدوا
عندى فانى ما استغنى عنكم فقالوا له حبا وكرامة وأمر معروف أن يروح إلى مدينة الرحام
ويحفظ جانبها وكذلك زرقش توجه الى القلاع وبعده سأل عن أخيه الخضر فلم يجد سأل عنه
فقالوا له انه تخفى اليوم وأخذ معه عشر مماليك فلم يرجع وقتنا هذا فانغاظ على أخيه فقال
ابراهيم يا ملك احمد لو كان ديوانك نظيف ما يجرى على اخيك شىء . وانما انا قلبى
يحدثنى ان الامير بيبرس الجرف هو الذى قتل أخيك فتوهم السلطان ونفض المنديل
ودخل قاعة الجلوس وأرسل احضر بيبرس الجرف وقال له أريد منك ان تصدقنى
بالصحيح على أخى وإن قلت لى على الصدق عفوت عنك ايه عملت فى أخى قال
يا ملك اخوك مختفى ونزل على بيتى عزمته . ولما دخل عندى قتلته وقتلت معه عشر
مماليك والذى أمرنى بذلك قلاوون ودفنته فى دارى فارسل السلطان جمع أرباب
الدولة والعلماء وعمل ديوان وجلس على الكرسى فطلع الامير قلاوون باس
الأرض وقال يا ملك الاسلام ها أنا بين يديك فقال السلطان انت يا قلاوون دبرت
على قتل أخى قال قلاوون استغفر الله وإنما بيبرس هذا قتل أخيك ومعه عشر

عمالیك ومراده يتسلطان فاتاني واعلني فاتيت احكيت لك قال هذا اتهمه فيك
قال قلاوون استغفر الله يامالك اساله هل فين دفن اخرك فلماسأله قال فى دارى فامر
السلطان بشنقه واحضر الخانوتيه وامرهم ان يخرجوا اخو ودفنه فى القرافة
وعمل له معزى وكان هذا بدبير قلاوون [قال الراوى] وارد الملك احمد سلامش ان
ينتقم من قلاوون ويخرب بيته وفى تلك الايام اتى اليه كتاب من رومة المداين
على لسان البب صليب الروم فحله يجد فيه ان ملوك الروم اجتمعوا فرقة منهم
على خراب بلادك وقصدهم يحاربوك وانا ارسلت اعلمتك لحاذرهم ليكون فى علمك
ولا تغضب على بذنب غيرى فاغاظ السلطان فقال له المقدم سعد بن دبل انا يامالك
الاسلام اكفيك شرهم وانت مرتاح بلا حرب ولاقتال قال له السلطان ايش تعمل
قال اجيب لك رؤوسهم ونزل سعد سافر إلى روميه المداين فلم يجد احدا فسال عن
ملوك الروم فقيل له فى بلاد اللاظ لان ملك رومة المداين قال لهم ابعدوا عن بلادى واصطفلوا
مع المسلمين فسار سعد حتى وصل الى بلاد اللاظ فرأى الملوك مجتمعين فسار حتى
دخل العرضى ليلا وجعل نفسه ضعيف وارتمى فى وسط الخيام حتى بقى فى الثلث
الاخير وجميع الملوك نيام فسبح على الملوك ليلا ذبحهم وكلما كان عندهم من وزراء
ومدبرين واخذ راوس الملوك وساريجرى فى البركا لهجين العشارى وثالث يوم دخل
من باب النصر ثلث الليل الاول والبوابات مقفولين فطلع من الصور ونزل من الجانب
الجوانى فوقع فى زاوية الساعى وعند وقوعه صاح قاصد ولم يتم الكلمة حتى تلجلج
وادركته الحمى فاتوا اهل الجمالية فعرفوه ولما طلع النهار اعلموا المقدم ابراهيم وابراهيم اعلم
السلطان فنزل ومعه ابراهيم حتى وصلوا الزاوية فرأى سعد ضعيف والرؤس معه فاعطاهم
الرؤوس واحكى لهم على مافعل ، قال اسقونى فسقوه فتشهدوا مات فدفنوه موضع
ماميت فيه وهو فى باب النصر قدام جامع الحاكم وعملوا له مقام وسموه القاصد واما
ابراهيم اخذ بئر اسماعيل وسافر إلى الحصون يعمل عزى سعد بن خاليه يقع له
كلام واما احمد سلامش جلس على كرسيه فى هناء وسرور له كلام .

[قال الراوى] واما زرقش الطيار دايربشق الحصون وكان معروف اتى إلى صهيون فوجد
زرقش فقال له إيش ادخلك هنا انت لك مدينة الرخام فقال له مدينه الرخام فتحها لي
بالسيف وصهيون اصلها بلاد جدى وانت لالك بلاد ولاقلاع وزاد الكلام
بينهم حتى ان زرقش ضرب معروف بالسيف حكم عانقة ومعروف ضرب زرقش

بالطبر حكم فى حزامه قطعه نصفين وماتوا الاثنين وفى تلك الساعة أقبل ابراهيم
ونظرهم فقال ياالها من مصيبة وشماتة الاعداء لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
دفنوا الاثنين فى قلبه الوهنى وعمل لهم العزى واجتمعوا بنو إسماعيل وقالوا
فسلطن إبراهيم بن حسن فقال ابراهيم ان كان تريدوا ان أكون سلطان عليكم
فلا يشيلوا الجامات الا المقدمين فقالوا رضيتا بذلك فتسلطن عليهم بذلك الشرط
واما عماد الدين علقم فانه جمع قرابته وراح حصن صهيون قتل خلق كثير من
أتباع زرقش فهربوا جماعة منهم راحوا لابراهيم بن حسن فاتى المقدم إبراهيم
حصن صهيون فبلغ عماد الدين بقدومه فهرب وراح إلى مصر فعبر حارة السقايين
فرجد شيخ راقد يطالع فى الروح والناس مجتمعين عليه وبدنه كله جروح
والدود منه يتناطر ولا أحد يتقدم اليه فتقدم عماد الدين وجرعه الماء وأسقاه ففتح
عينه وقال له يا عماد الدين أوهبتك طافيتى ولبدتى والله تعالى أوهبك مرتبتين ثم
إنه أحسن الشهادتين ومات فعاجل عماد الدين على لبدته وجبته وطاقته ولبسهم
فالبسه الله الولاية واعتقدته الناس ودفنوا الاستاذ السفار وبقى عماد الدين له كرامات
ظاهرة وبلغ السلطان خبره فنزل اليه وزاره وبنى له جامع وعمل له أوقاف ومولد
وختومات وأقام عماد الدين هكذا له كلام

تم الجزء الثامن والاربعون ويليه التاسع والاربعون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء التاسع والاربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] واما يعقوب الصينى فانه ركب وشق الحصون فرأى تبع من اتباع ستر الحايم حامل حرمدان فقبضه وقال له من الذى امرك بحمل الحرمدان بعد الشرط الذى وقع من ابى ان لايحمل الحرمدان الا المقدمين ومانت مقدم فقال له وانت ايش عامل ياقرن وسحب شاكريته على يعقوب فزاع يعقوب عن ضربته وضربه يعقوب ارمى عنقه وكان معه جماعة فلا احد تكلم بل راحوا للمقدم ستر واعلموه بأن المقدم يعقوب قتل تبعه فركب حجرته واتى إلى قلعة حوران فلم يجد يعقوب فعاد إلى الحصون فالتقى يعقوب مقبل يعوق السهم فى كبد القوس وضرب يعقوب الصينى فحكم السهم فى عينة خرج من قفاه وصاح على توابعه فانهزموا وعادو إلى ابراهيم اعلموه فركب حجرته وسار إلى قلعة الكهف ودخل برجاله وجد الستر جالس قال له ياقرن انت قاتل والدى والنفس بالنفس وحط يده على ذوا الحيات وضربه ارماه قطعتين ونزل من القلعة وهو يقول والاسم الاعظم كل من تحرك لابد من قتله فباغ الخبر لمنصور العقاب ان ابراهيم قتل ولده فبكى وبسط يديه وهو محروق القلب وقال الهى وسيدى ورجائى ان تذيق ابرهيم بن حسن مرارة العمى فقبل الله تعالى دعاءه وبال ابراهيم مفتح وصبح اعمى فعند ذلك جاهى البرتقش مكانه قايم مقام ورضوا الرجال به وراح ابراهيم إلى الشام ودخل جامع الملك الظاهر وقعد للعبادة بجانب قبر السلطان وانقطع لخدمته على بن الشباح يقع له كلام [قال الراوى] واما السلطان فانه اتاه تبع واعلمه ان الملاعين كافر وكفرون عمروا عزقلان وصنعوا لهما صوار عالية البنيان واناروا بها العصيان فقال السلطان ياأمير قلاوون اركب واهلك هؤلاء الملاعين فركب بعشرين امير من الامراء وسار إلى عزقلان فركبوا الاثنين كافر وكفرون ومن عندهم من العسكر ومالوا على قلاوون ومن معه حتى استشهد خلق بكثرة وثانى يوم كذلك وهكذا مدة خمسة ايام واليوم السادس اقبل السلطان بعسكر الاسلام وادرك قلاوون فى الحرب والصدم فرجعت عليهم

الكفار واشتد ضرب السيف البتار وتضايق السلطان وقتل احمد العزيز وانجرح احمد سلامش وأشرف على التلاف فبينما هم كذلك وإذا بمنصور والبرتقش اقبل بالقداوية وهجم على الكفار وضرب فيهم ضربا مثل شعل النار ونصر الله الاسلام وأهلك الكفرة اللئام ونهبوا عزقلان وقتلوا كافر وكفرون ولما الاسلاب ودخل البرتقش على السلطان وهناه بالسلامة وطيب له جروحاته وركبوا خطوا على الشام ودخلوا يزوروا الملك الظاهر وجدوا إبراهيم أعمى فسلم عليه

وقال له سلامتك ياابو خليل ياركن الاسلام فقال إبراهيم يادولتلى الله يعوضنى فى نظرى الجنة وأما قلاوون فرح بعمى إبراهيم وركب الملك احمد سلامس ودخل مصر وهو بغير موكب [وعلمت الملكة مريم الحقى بموت ولدها فبكت حتى مرضت ايام ومانت ودفنوها بالقرافة وسمره مدفن الملكة بجانب سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه

[قال الراوى] وأما قلاوون ارسل بلاد النصارى جانب معلمين بناين ونجارين وحدادين وأرباب الهندسة وأعلمهم بطلبه وبنواله سبع قاعات واحد من داخل واحد إلى عند السابعة داخلين بعضهم ودهنوا الدهانين بدهن ضى مثل لمعان الجواهر واصطنعوا فى القاعة الاخيرة كراسى للجلوس بسفافيت حديد والحيطان بابات بولادوهم من الحديد إذا داروا اللوالب يطبة واعلى بعضهم الحيطان وإذا كان بينهم شىء يهرسوه ولوكان زلط أو رخام فضلا عن بنى آدم وجعلوا تلك القاعة أجوبة وحيطانها بالجوهر وهو جوهر الدهان وخلف كل جوهر سفوت وعملوا تخت مثل تخت السلطان الذى يجلس عليه فى الديوان وبعدما وضب ذلك التوضيب اطعم المسلمين السم هلكوا لوقتهم وساعتهم وبعد ذلك اخذ هدية وهى صينية من الذهب ودايرها فصوص من الجوهر ووضع فيها شاورة متوجة ذهب بحبايك اللؤلؤ الكبار وباس الارض قدام السلطان

وقال ياملك الاسلام أنا معى ولد وضعته حريمى من ايام كنت فى الكرك وهذه الايام قصدى أطاهره وأرجو اتشرف بأقدام السلطان تدوس فى ديار المملوك فان الله ماخلق احسن من جبر الخواطر فقال الملك أى ليلة نكون عندك

فقال ليلة الجمعة ابرك الليالى قال السلطان وهو كذلك ولما كانت ليلة الجمعة نزل السلطان من القلعة ومعه عشرين امير وبجملتهم ايدمر البهلوان ودخلوا إلى بيت قلاوون فرح بهم ووقف فى خدمتهم وطلع بهم إلى القاعة التى قدمنا ذكرها وأجلسهم وطلب الطعام وأكل معهم وبعد ذلك قال ياملك أما هى قاعة طيبة فقال الملك احمد والله ياأمير

قلاوون انك كانت كلفة زائدة فقال قوم افرجك على غيرها فادخله القاعة الثانية وإذا هى احسن من الاولى وكذلك الثالثة وهم يتعجبوا حتى فرجه على الخامسة

فقال قلاوون يا ملك السابعة تكلفت قدر الستة لانها اعجب من الجميع

فقال السلطان حتى تتفرج عليها فقام معه حتى ادخله هو والاماره إلا أيدمر فانه داخله الفزع من هذا الفعل وقال فى باله أنا ما آمن مكر قلاوون فانه مكار ومحتال وأما احمد سلامش لما قعد على الكرسى قال قلاوون بلوا شرابات وقام على انه يأتى بشرابات وأرخى البايات الذى هو عارفهم فرجمت الحيطان على بعضهم وبقى الملك احمد سلامش والامارة بينهم ورشقوهم السفافيت البرلاد فزقوا لحمهم وعظمهم هذا وقلاوون يقول ياسلامش كانك نسيت مافعلت معى لما ففيتنى إلى الكرد سابقا وبقيت انت ملك تحكم على وعلى غيرى وكانك نسيت مافعل ابوك من قبلك معى وهذا قبرك انت ومن معك ولا يبقى لك شىء ينفعك وعلى ماقال هذا الكلام كان السلطان من معه اهرسوا لحما وعظما وبعدها فتح المكان كما كان فرآهم كان شىء ما كان وفرزهم فلم يجد ايدمر البهلوان قدور عليه فلم يجده وكان ايدمر لحظ ذلك الفعال

وقال للبرنقس قوم بنا فان قلاوون ماعزم السلطان إلا لقتله وإن قمدنا يقتلنا فقاموا إلى بيوتهم وطلع قلاوون فما لقاهم وعلم انهم هربوا فقال مايبالى أنا لهم والزمان طويل

[ياسادة] وكان قلاوون جمع العربان وهم قبائل خضر البحرى الذى كان قتله الظاهر وهو مملوك وكذلك قبيلة نجم البحرى وأكنتهم فى شوارع مصر وأزقتها وكذلك فى قلعة الجبل حتى عرف نفسه انه بقى له ظهر قوى وجرى ما جرى والجميع لابسين صفة غز واتراك وهذا كله سرا لم يعلم به احد إلا رفاقته وبعد ذلك ظهر قلاوون وطلع إلى قلعة الجبل وجلس على كرسى القلعة ونادى منادى من قبله بالامان على جميع الرعايا فتعجبوا الناس ولم يعلموا ما جرى على السلطان حتى ركب قلاوون بالموكب وشافوه الناس فتضاحكوا وقالوا لبعضهم من عمل هـــذا ملك وكان لما طلع القلعة قبل جلوسه على الكرسى منعوه الفيحية فضربوا فيهم العرب الذى فى القلعة وقالوا لهم إيش ادخلكم فى المملكة انتم خدامين لكل ملك جلس وهـــذا السلطان قلاوون اخذ السلطنة قهرا من ابن الملك الظاهر وقتله فالبعض من الفيجية قتل والبعض هرب والبعض خدم عند السلطان قلاوون برضاه ولما ركب فى مصر ورأوه اولاد البلد وتضاحكوا عليه فانفاظ منهم رعاد إلى القلعة ثانيا وجلس وأرسل احضر علماء الاسلام وعمل لهم ديوانى وقال لهم ياسادتنا ياعلماء الاسلام على ترضو

ان يكون مثلى ملك مصر خادم الحرمين الشريفين ورعا يجعلونه مسخرة ويستهزئون به ويسبوه يسمع مسبتهم له باذنه هذا يجوز فى دين اسلام فقالوا العلماء لايجوز فقال السلطان والذى يقل ذلك ايه جزاؤهم فقالوا جزاؤهم ضرب السيف لأنهم عاصين فقال لهم اكتبوا لى بذلك أمر منكم واوضعوا خطوطكم عليه فقالوا له سمعا وطاعة وكتبوا له فتوة حكم طلعه ووضعوا خطوطهم عليها فلما أخذها أمر العساكر أن يأخذوا شوارع مصر بالسيف وكل من اقوه ضربوه فعمل ذلك ثلاثة ايام فلما علم شيخ الاسلام وهو العز الفاضل وكان فى الاول لم يحضر طلع الديوان وجلس وقال يا ملك بأى شىء تسجل دماء الاسلام فقال أنا أخذت خطوط العلماء فقال له هذه الفتوة على قدر سؤالك وانما كان الواجب عليك تنذرهم وتامرهم بالاطاعة ولا كنت تسجل دماء المسلمين فاخذ بخاطره وقال له يا سيدى انا أخطأت فنزل الاستاذ غضبان وقال له أنت ظلمت المؤمنين ولا خفت من رب العالمين والله تعالى سريع الانتقام وبعد ما نزل من عنده وأقام السلطان قلاوون على تخت مصر وجعل شغله ائتلاف دولة الظاهر وجعلهم نصيب عينه بالمداوة فمنهم من قتل على يد قلاوون ومنهم من هرب وبعد ذلك طلب ان يأخذ الملكة تاج بخت زوجة الملك الظاهر وقام ليهجم على سرايتها فعلمت الملكة مقصوده فاخذت نساء أولادها ونزلت من باب السراية وطلعت من السراية على عرب اليسار وحريمات أولادها معها فلقيت بابا مفتوحا فى وجهها فدخلت وكان فى ذلك البيت امرأة فقيرة قاعدة فتلقتها وقالت لها اهلا وسهلا فقالت لها انا زوجة الملك الظاهر وهر بانة من قلاوون فهل لك يامستورة ان تسترى على وعلى من معى فقالت يا سيدتى أنا معى سبع بنات ونحن فقراء فقالت لها الله تعالى يغنى الجميع فقالت ياسيدتى بسم الله واقامت الملكة عند هذه الحرمة يقع لها كلام

[يا سادة] واما قلاوون فانه كبس على سراية الملكة فلم يجدها فسأل الجوارى عنها فقالوا له خرجت من السراية ولا نعلم بها اين راحت فانفاظ وأرسل منادى فى شوارع مصر يقول كل من لقى الملكة تاج بخت ومن معها واعلم عنها السلطان واحضرها بين يديه يكون له تمنية كل ما أراد من السلطان وبعد ذلك ختم على سراية الملكة ووضع يده عن ارزاقها وأقام كذلك الى ليلة من الليالى رأى منامًا أنه شرب ثلثى البحر الحو ولا روى من الظمأ فلما افاق احضر العلماء ليفسروا له منامه لانه أصبح مرعوبا منه فقالوا له كانك شربت ثلثين وما خلق الله تعالى لانك ظلمت وتعديت على رعيتك الاسلام فقال لهم ما تعرفون شيئا يكفر عنى هذه الذنوب فقالوا له افعل خيرات

فان الحسنات يذهبن السيئات والصواب أنك تبنى مرستان للضعفاء وغيرهم وترتب لهم حرايات تقوم بهم وترتب حكماء يداوون جرحات القراء وأمراضهم إذا كان لهم أجل فى الدنيا وكذلك محلات للمجانين واوقاف يكون اجرتها بمقام كلفتها فاجتهد فى ذلك أول ما بنى مرستان فى الرميله وإذا دخل فيه مريض لايشفى فسأل الحكماء عن ذلك فقالوا له لا يصح المرستان الا فى مكان معتدل الهواء فقال لهم واى مكان يصلح قصر السيدة فاطمة شجرة الدر فارسل احضر السيد خاتون معتوقها وقال لها اعطينى قصرك وخذى عوضه قصرى نصف الدنيا فقالت أنا ما أعطى قصرى لأحد فامر برمى حوايجها منه فانتقلت منه إلى مكان آخر وقالت صنعته المهلة وأما قلاوون فانه هدم قصر الذهب فوجد فيه أموال شتى ومن جملة مالقى صندوق فتحه فرأى فيه ثمانية وأربعين جوهرة ورأى شيئا كثيرا فمشى بنفسه إلى السيدة خاتون وقال لها تعال انقلى مالك فى قصرك فانى اقيته فقالت له اذا كنت تبنيه كما قلت مرستان فانا أوهبت مالى لك تستعين به على ماتفعل من الخيرات حتى يبقالى ثواب فيه فقال لها وهو كذلك فبنى مرستان ورتب اوقاف ومرتبات تقوم بما يكفى الخدامين والفقهاء والربعة واجر الحكماء ومن جمله مرتباته لثور الساقية اردب قول يومى فقالوا له بعض الجلساء يا ملك هذا كثير فقال يمكن يمر عليه ايام لم ينو به فيها قدح ورتب للمرستان أربع حكماء للاربع طبايع وأربع مكحلاتيه يصنعوا اكحل على الاربع طبايع وجعل للمرستان ارصاد صنعوها م ناس اخيار مغاربة من بلاد الغرب للامراض الذى اصلها من العوارض الريحانية والجنون وملبوسين الجان حتى تكامل ذلك المرستان وتكاملت ارصاده وجعل فيه مرايات يصلح النظر فيها الصحة البصر ولعها يبرأ من اسقام الاسلال وبعد ماتم ذلك

فقال للحكماء مرادى أيضا ان أصنع السم الخارق لأجل اذا غضبت على انسان واردت قتله با لحيلة فقالوا له الحكماء نحن نصنع لك كلما تريد وصنعوا له قدرة صيني وملؤها له بقنطار سم وقالوا له هذا اذا وزنت منه قمحة واحدة ووضعتها فى سماط تهلك من يأكل من وقته فقال لهم حتى اجر به فقالوا له هات من يستحق القتل وكان عنده رجل محبوس واصل حبسه كان متعلق بمحضنة من محاضن السلطان وهى لا تعلم فاشتهر عليه الطواشى فوضعه فى السجن وسمع ما قالت الحكماء فقال السجان عندنا رجل يستحق القتل يا ملك لأنه كان نظر الى أحد المحاضى فوقف تحت الكشك وتكلم بكلام أهل البدع وأنا سمعته فاخذته ووضعته فى السجن حتى اعلمك به

واحضره بين يديك فقال السلطان حضروه فلما حضر قال الملك له أى محضية انت تحبها حتى احضرها بين يديك فقدم الحكيم وملا له كأسا من الشراب وهو مسموم فشربه ولم يؤثر فيه السم فالتفت السلطان للحكماء وقال لهم كيف ذلك فقالوا هذا عاشق والعاشق لا يصيبه السم إلا عند بلوغ امله فعند ذلك قال السلطان وايش عندكم رأى فقالوا له حضر المحضية التى هو متعلق بها وتقول اوهبتك اياها فسأله السلطان عن محبوبته وقال له من هى فقال يا ملك ما اعرف اسمها بل هى صاحبة هذا الشباك فانى نظرتها منه فامر السلطان باحضارها فلما حضرت قال له السلطان خذها وهبتها لك فوضع يده على كتفها ونزل ميتا فانفجعت الجارية وطار عقلها واعتراها الجنون فقال للحكماء داووها فقالوا له اصنع مرستان للمجانين ويكون محلات للنساء وحدهم واجعل قدامهم آلات وأنغام وسماع مطرب فهو الذى يرطب العقول فقال لهم افعلوا ففعلوا محلات للنساء مخصوصين وللرجال مخصوصين ووضعوا بينهم الآلات المطربات واجتمعت أربعة وعشرون قطعة وهى طبول وزمور وكمنجة وقانون وعود ورباب وطنبورة وساجات ورق ونقارات وطبول شتى واشتغلت تلك الآلات وسمعتها الجارية فعادت لعقلها ففرح السلطان وكتب عليه هذا وقف للاسلام فقط ولا يدخله كافر مطلقا لا نصرانى ولا يهودى وأقام على ذلك الحال مدة أيام وليالى

[قال الرواى] إلى يوم من الايام الملك جالس على الكرسى وإذا بديار ومعه كتاب من أهل ترابلس الشام وكذلك عكة ملكوها الكفار ونايب الشام قتل فلما قرأه الكتاب وعرف مضمونه فمين ابنه خليل على ترابلس الشام وجهزه بالعساكر هو والبرقش وركب السلطان على عكة بعساكر مصر وسافر وزحفت النصارى عليه وعلى عسكره وضايقوه وتكاثر على الاسلام العدد وزاد المدد واشرف فلاوون وعسكره على الانهزام فبينما هم على هذا العيار وإذا بغبار انكشف عن عشرة آلاف تبع يقدمهم الغضبان بن المقدم سعد الرصافى ولما اقبل ورأى الحرب قايم حمل وفعلت اتباعه مثله وسقوا الكفار كأس الحمام ومسكوا الملوك وفتحوا عكة وكبسوا على أهلها فطلبوا الامان من السلطان فقال لا أمان إلا لمن يسلم فمن أسلم سلم ولا أقبل الليل وانقلبت عكة اسلام وتقدم الغضبان وسلم على السلطان فقال له يا بنى انت من تكون فقال أنا ابن المقدم سعد الدين الرصافى وأمى حسنة بنت علاء الدين البيسرى فقال له يا ولدى ان أباك كان أعز الناس عندى هو وجدك أبو

والدتك وأنا مرادى منك أن تسير معى إلى مصر وتكون من اكابر الدولة فقال أنا تحت النظر وأنا ما اقيم إلا فى الحصون وتودع منه وسار قلاوون وحط على الشام وبات ليلته وأصبح وإذا بخليل ابنه أقبل بعساكره ومعه رؤوس ملوك ترابلس فقال أبيه له ما جرى فقال انفتحت طرابلس اسلام فقال له الملك ياولدى مرادى أجعلك انت باشة الشام ولكن ان عرفت انك تتفق مع احد من دولة الملك الظاهر تعرف انت على ما تقدم فقال له سمعا وطاعة فعند ذلك ولاه باشة على الشام وركب قلاوون وجاء إلى مصر له كلام

[قال الراوى] وأما ما كان من الملكة تاج بخت فانها كانت دائما تزور السيدة نفيسة وهى فى حال عزها ولما جرى ما جرى وبقت عند أم البنات جلست مدة مستطيلة لم تخرج إلى يوم تذكرت انها تزور السيدة قالت لها ياسيدتى يراك قلاوون فقالت يحمينى منه المولى عز وجل ولبست ثياب حرمة فقيرة وخرجت وحدها زارت السيدة نفيسة وعادت فتاهت عن الطريق فسارت إلى قلعة الكبش فرأت زاوية وعلى بابها رجل يسعى الناس فطلبت منه شربة فأسقاها فلما شربت أرادت أن تعطيه صدقة فلم تجد معها شيئا فخلعت فردة من محرقات يدها وناولتها للسقا فلما رآها عرفها وقال آه ما هذه الاسورة شغل يدى وانا خدام عند صاحبة هذه فقالت له لملك ايدمر البهلوان فقال نعم ياسيدتى وأنت من تكونى قالت أنا تاج بخت فقال لها ادخلى هنا وبكى حتى جرح الدمع جفونه واحكت له على ما فعل قلاوون وكان مراده قتلى بعد قتل أولادى واحتوى على سرايتى وما فيها ولو ملكنى كان قتلنى فقالت له وانت يا أمير ايدمر ما تقدر تروح الى المقدم ابراهيم بن حسن فقال لها اكتبى لى كتاب فكتبت له مكتوب بما جرى لها وأخيرا ياتو خليل انت خلصتنى فى زمان صبايا من ملك العريش ولك الجايل وبينى وبينك مقام الاخوة فلا تتخلى عنى لقلاوون يا أخى يتفكه فيا فانه اهلك أولادى وأخذ ارزاقى وسرايتى وتركنى هربانة فى كل بيت أبيت ليلة وبايتة وصبحة خائفة على عمرى من قلاوون يقتلنى كما قتل اولادى ادركنى يا اخى كما عودتنى منك الاحسان وختمت الكتاب وسار ايدمر بعد ما دلها على بيت أم البنات وعرف مكانها وسار ايدمر ليالى وايام حتى اشرف على الشام فدخل على ابراهيم فى مقام الظاهر والبرغلى ومنصور اعطاه الكتاب فقال ابراهيم يا اخى انا ما انا شايف اقرأ، احكى لى يا أيدمر انت فاحكى له أيدمر وقرأ له الكتاب

فقال ابراهيم أنا ما بقيت ارجع عن قلاوون الا بقطع رقبته أو أموت على يديه والحق أولاد السلطان فاتم كلامه الا وخليل بن قلاوون أقبل على ابراهيم وسلم عليه فالتقى أيدمر سلم عليه فقال ابراهيم خليل ايش جابك فقال له ياكبيرى أبى تعدى وظلم على دولة الملك الظاهر ومن حذره انى انا أعرض الدولة الظاهر تفانى على الشام وجعلنى عليها نائب وأنا ياعم اكره الظلم والاسراف والملك الظاهر ما فعل معنا ضرر حتى يجازيه أبى يقتل أولاده وأنا أتيت أشور عليك تدبرنى قبل أبى مايعثر يباقى حريمات أولاد السلطان قال ابراهيم خذ عسكرك وروح الى مصر وانا قدامك سابقك على هناك وركب حجرته ابراهيم واركب أيدمر البهلوان ومنصور والبرتقش وماداموا حتى وصلوا مصر ودخلوا الى النحاسين وكان السلطان قلاوون فى جامع المرستان فقال ابراهيم يامقدم منصور ساعدنى اذا رأيت السلطان بقى قدامى اعلمنى فقال له منصور على الراس فهو كذلك وقلاورن طالع من الجامع فلما نظره البرتقش اعلم ابراهيم فصاح ابراهيم لين اكلب ياخائن ياغدار قتلت أولاد السلطان ومرادك تعيش بعدهم اما تعلم ان الله ينتقم منك بعدله يا كلب فلما نظر الملك قلاوون الى ابراهيم قال له أنت عايش للآن فى الدنيا ياكلب وضربه بالدبوس فى جبهته حكم فى عرق الغشاوة فارتفعت من على عينيه ففتح ابراهيم يده على ذر الخيات وضرب السلطان قلاوون حكم اللطش على وريديه أطاح رأسه من على كتفيه وصاح تروونى ابراهيم ابن حسن والاسم الاعظم كل من تحرك مكانه لاجعله مثل هذا قتيل لانه قتل أولاد الظاهر فهو كذلك واذا بالامير خليل مقبل

قال ابراهيم اركب مكان أبيك وسر معى طلع لى ابن السلطان حتى ادفنه الذى قتله أبوك والاسم الاعظم لم يندفن قلاوون حتى يندفن ابن الملك الظاهر روح يا أيدمر هات اختى تشوف قلاوون وتأخذ ولدها من السبع قاعات من بيته فراح أيدمر البهلوان أحضر الملكة تاج بخت من بيت ام البنات فحضرت ونظرت قلاوون وقالت الحمد لله الذى أورانى مصرعة كما حرق قلبى على أولادى لاجرم ان الله جازاه على فعله وأرسل له أخى المقدم ابراهيم قتله

فقال المقدم ابراهيم للملكة عودى الى سرايتك وراح ابراهيم بن حسن خليل بن قلاوون فتحوا السبع قاعات وطلعوا أحمد سلامش أودفنوه بجانب الصالح الصغير ودفنوا قلاوون فى جامع الموستان الذى بناه وطلع المقدم ابراهيم القلعة واجلس خليل بن قلاورن وسماه الاشرف وحضرت العلماء وبايعوه على السلطنة وجعل أيدمر

البهلوان ووزيره وولى اقش البرغلى على الشام وأوصاه ابراهيم بالعدل وعدم الجور فى الاحكام وسكنت الملكة تاج بخت فى بيت تقطمر أخو الملك الظاهر وأرسلت أحضرت حريمات أولادها عندها وأحضرت أم البنات السبعة وأنعمت عليها وجهزت بناتها جهاز مليح وزوجتهم على يدها من توابع أيدمر البهلوان وأقامت لها كلام وأقام ابراهيم يشق فى مصر حتى دخل حارة الدمقايين فرأى عماد الدين علقم ضعيف أقام عنده حتى مات ودفنه وبنى جامع ومدفن ورتب له مرتبات وبعد ذلك رجع ابراهيم طالب الحصون واجتمعوا عليه الرجال وعقدوا له الموكب وانفردت الشطفة على رأسه بعدما أعلمهم بما فعل فى مصر فقالوا اسم الله عليك يا أبو خليل يا ركن الاسلام وأقام مدة أيام الى يوم سائر فرأى رجل مغربى أهل فهم فى علم القلم فقال له يا مغربى اريدك تجيء حوران ترصد لى سبع مطامير ذهب لا يبانوا الا على وجهى أنا فقط فخاف منه ان يطمع ويأخذ ماله منه فرصدهم على وجهه ووجهه غيره لا يبانوا الا فى كل عام مرة وتركه المغربى وراح واما ابراهيم أنعم على ما فعل ومن شدة عينه ادركته النشاوة ثانيا على عينيه فبات وأصبح يجد نفسه اعمى فعاد الى الشام وأقام أيام فاذا بغيرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبانت عن الف خيال ويقدمهم شاب شباب وكان هذا المقدم حسن ابو شنب ابن مريم الطباخة الذى كان تزوجها ابراهيم فى بلاد العجم أيام ظهور مريم الحمقى بنت الملك عرنوس وسبب مجيئه انه فى هذه الايام كان مقيم فى بلاد العجم ولكن ارتقى حتى ملك مدينة اصفهان واتفق انه تحدث مع والدته وقال لها هل تعلمى أبى فقالت له يا ولدى اعلم ان أباك احسن الناس فى الفروسية وهذه نسبته واعلمته باصل زواجها به وأعطته النسبة فقرأها واعلم ان أباه المقدم ابراهيم فى بلاد العرب ساعى ميمنة السلطان فركب فى هذه الالف فارس توابعه ولكن نقاهم من كل خودة رداح ومن كل سلطنة مفتاح

فلما أقبل على أبيه ففرح به لما عرفه فاحضر ابراهيم الرجال وبايعوا حسن أبو شنب على السلطنة وأعطاه أبوه ذو الحيات وأقام مدة أيام فى حوران واتفق ان المقدم ابراهيم أخذه الى بيسان ليشق على عيال المقدم سعد وكانت هيشة البشية خلفت من سعد بنتا اسمها الفيدا وهى جميلة فقدمت الطعام لعمها وابن عمها فنظرها ابن عمها حسن ابو شنب تولع بها فاعلم ابوه بها فكتب كتابه وادخله عليها لان ابراهيم يده دائرة على مكان سعد ابن خالته مثل أولاده وعياله وسار ابراهيم للشام فرأى الاغا شاهين عيان فاقام

عنده حتى مات ودفنه فى تكيته الافرامية وبعد ذلك انقطع عند الملك الظاهر واما خليل ابن قلاوون أقام على تخت مصر فجاءه فى المنام عثمان بن الحبلة وقال له الحقنى يا جدع وابن لى جامعا اندفن فيه فصبح وركب وراح المراغة والقبر الطويل فلم يجده فسأل عنه فقالوا له فى جامعه الذى بناه فى قصر الشوق فراح الى عنده فرأى المقدم على بن الشباح قاعد عنده والاثنين ضعفا فلما رأوه دعى له عثمان وقال له ابقى ادفن عند نجم الدين البندقدارى حتى يبقى صاحبى هنا رهناك وعلى بن الشباح معى فقعد عندهم حتى ماتوا بيومهم ودفنهم بباب النصر حكم طاب عثمان ورجع الى القلعة فأتى الاغا جر وقال له يا سيدى الملكة تاج بخت توفيت فقام اليها ووقف على تجهيزها وكانت بنت تكية جنب سيدى عمر بن الفارض وعمل لها مدفن عظيم رحمة الله عليهم أجمعين

[قال الراوى] وأعجب ما وقع ان علاء الدين لما نظر فعل الملك خليل بعد أبيه وكيف انه مال لدولة الملك الظاهر وكان بينه وبين البب طاجرين ملك قبرص لحقه من قديم فكتب له كتاب وارسله مع مملوك قبرص فسار المملوك حتى وصل قبرص ودخل على البب طاجرين وأعطاه كتاب علاء الدين يجد فيه اعلم يا بب طاجرين ان الملك خليل بن قلاوون تولى سلطنة بلاد الاسلام بعدما قتل أبوه ومال الى دولة الظاهر وأنا أرسلت لك هذا الكتاب تجمع عسكرك وتاتى على الاسكندرية وأنا أمسك مصر وتقتل خليل وتاخذ بلاده وأما حامل الاحرف أرمى رقبته والسلام فقتل المملوك وأحضر عاتق من عنده كافر اسمه شاجر القبرصى وطلب منه سرقة الملك خليل سلطان المسلمين

فقال سمعا وطاعة عى متجرا وأنا يا ملك ما أعود الى هـــذه البلد الا وملك المسلمين معى فى الاغلال والاصفاد فعى له متجرا ونزل فى صفة تاجر حتى طلع على الاسكندرية وأخذ له خان على ذمته وجلس فيه أول ما فعل من الفعايل قتل بواب الخان ووراه تحت الليل وسار يسال عنه الناس ويقول ان البواب سلمته من عندى صندوق مليان بضاعة فاخذه ولا عاد ولم اعلم به ابن مضى فقالوا له جيران الخان يا خواجة هذا رجل غريب ولا هو من هذه البلاد فتشاكل مع الناس وقال أنا لو اعلم ان البرابين هكذا ما كنت نزلت عندهم بمالى وطلع لباشة الاسكندرية وقال ان براب الخان أخذ مالى وهرب فصار الباشة يحبس على ذلك البراب فلم يعلم له خبر واتفق ان السلطان خليل بن قلاوون اراد ان يطرف البلاد متنكر واجلس

تاييا مكانه ايدمر البهلوان وطاف القرى والبلدان يجدها أمان واطمأن فاتفق انه دخل الى اسكندرية وهو متنكر فسمع حديث أن الناس يقولون إن ابن الشاطوري اخذ صندوق جل خواجات وطفش من اسكندرية فاقتضى عقل السلطان انه يحقق هذه القضية فدخل الخان مثل الغريب فقال له المقدم شاجر القبرصلي ياشيخ ان هذا الخان ماله بواب تاجر ماأنا بواب فقال له أبات ياسيدى ليلة وأصبح أسير فعلم شاجر ان هذا غريب لكن أخذ بالقرز ان هذا السلطان فتركه إلى الليل وقعد يبكي فقال له أحمد لاى شيء تبكي ياشيخ فقال وعدى ياسيدى أنا كنت تاجر من أرض قبرص وفى العام الماضى غرقت مركب بمائة الف دوقانه شيء مالى وشيء مال التجار ولما كان لى عمر مديده ونجيت من الغرق ووصلت إلى بلادى قعدت حتى انى لا أملك القوت فوقعت على ملك قبرص وطلبت منه أن يمدنى بتجر حتى اتسبب به فقال لى اخاف ان تغرق مالى فقلت له أنا مثل التجار فمد لى هذا الغليون بمائة ألف دينار وقال لى توجه على الشرق فقلت ان اسكندرية أمان لما انها فى حكم ملك المسلمين فطلعت ابيع قعدت حتى بعت ثلثين متجرى وجمعته دراقيت ووضعته فى صندوق وسلمته للبواب يحفظه لى خوفا لا يسقط على أحدا فأخذ الصندوق ولا أعلم به أين مضى وأنا بقيت خائفا أرلا كنت غرقت عندى مقبول وهذه النوبة ما أحد يسمع كلامى إذا قلت إن البواب أخذ مالى وان رحت قبرص يقطع رأس البب طاجربن وأنا كنت أريد من يوصل خبرى إلى ملك المسلمين ان كان يقدر على حمايتى من البب طاجربن ويمنعه عنى لايقتلنى وأنا اهاديه بهدية لا رأى نظيرها فى مملكته ولا فى غيرها

فقال له وايش الهدية التى عندك لملك المسلمين فقال له ياشيخ هذه أسرار ما يطلع عليها إلا الملوك فقال الملك أحمد فى باله أربما يكون نفع للاسلام فقال له وانت الذى سرقه منك البواب قدر كم فقال له ستين ألف دوقانة وانا لو كانوا مالى كنت أقول بخاطره فقال له الملك أحمد أعلمنى بالهدية التى تهادى بها السلطان ايش تكون حتى اجمع بينك وبين السلطان واعطيك منى الامان ويحميك من طاجربن وغيره وكل من يعبد الصلبان فقال شاجر ودينى أقدر أملك ملك المسلمين كل مدينة قبرص وجزايرها فان على شاطىء البحر من خلف المينة مغار فيه باب مسدود بالحجر إذا طلعه أحد فما يطلع إلا من وسط قلعة قبرص فى وسط مخزن السلاح ومن جانبه الرساية والخزنة إذا كان ملك الاسلام يبقى فى هذا المكان ملك السراية والقلعة

وما فيها وان مديد قبرص فيها معدن الحديد والظهر ومعدن الفضة الحجر إذا ملكها ملك الاسلام فهى أنفع له من كل البلاد فقال له الملك خليل أنا احيك من طاجربن وأنا هو ملك الاسلام فقام الملعون قائما على قدميه وقبل الارض اجلالا لقدر السلطان وقال له ياملك لا تؤاخذنى وأطلق فى النار الدخنة ثم انقلب نزله فى الليل الغليون وسار تحت ليله ولم يخل فى الخان إلا آثار ما فعل ثم انه فرد القلاع وقبرص قرية من اسكندرية مسافة قليلة فدخل بالسلطان فى الليل وقدمه للبب طاجربن وهو مبنج وكان طاجربن لم يعرف خليل بن قلاوون فلما رآه قال له ياشاجر هذا هو ملك الاسلام وانت من أين اتيت به فاعلمه بكلما فعل وما قال فعند ذلك فيقوا الملك خليل وقال له طاجربن انت ملك المسلمين فقال له خليل ملك المسلمين فى مصر وايش يجيبه اليكم فقال طاجربن وانت ايش اسمك فقال له أنا رجل غريب وعبرت على اسكندرية فرايت هذا الرجل دخلت عنده فقال لى أنا لو اعرف ملك المسلمين كنت اعلمه على كل ما يأخذ قبرص من مغار بجانب البحر ينفذ على السراية فقلت له أنا ملك المسلمين فبنجنى وأتى بى إلى هذا المكان فلما سمع البب طاجربن ذلك الكلام ضرب شاجر بالسيف على ويديه اطاح رأسه وأراد أن يقتل خليل وإذا بنته اقبلت اليه وقالت له يا أبى اعطنى هذا الاسير اجعله خديم لى وحدى فقال لها خذيه فأخذته وجعلته عندها طباخ وألبسته لبس الاسارى وأقام ايام قلائل الى يوم من الايام قعدت فى ساعة وقالت ياخليل انت مالك اهل فى بلاد المسلمين فقال كان لى أب ومات ولم يبق له احد مطلقا فقالت له أنا كرهت بلاد النصارى ولى مدة ايام اكون نائمة يأتينى هاتف يقول لى اسلمى وزوجك مقيم عندك وهو ملك الاسلام خليل بن قلاوون وانت من السعداء فلما فقت من النوم فما وجدت احداً عندى وانا من ذلك متفكرة سألتك بدينك وما تعتقده ان تصدقنى فيما اسالك انت السلطان على المسلمين خليل بن قلاوون فقال لها انا بذاتى فاسلمت على يديه اسلاما صادقا وقالت له ايش بقى يخرجنى انا وانت من هنا ويوصلنا إلى بلاد المسلمين حتى تبلغ مرادك واروح معك إلى بلادك فقال خليل ينجينا الذى نجى موسى من الغرق واغرق فرعون واكتمى هذا الامر فقالت له انا أعمل معك طريقة فانا عندى مراية الانقلاب اجيبها لك انظر فيها وقول اكون صفة البب طاجربن فتنقلب على صفته والبس بدلته واجلس فى مكانه وبعده لنا طريقة ثانية فقال لها هذا رأى جديد فأتت له بالمراية فنظر فيها وقال اكون

على صفة طاجر بن فصار مثله وراحت البنت ليلا الى محل أبيها تجده نايم بجانب أمها فادغرت عليه البنج وأخذته من فراشه سلمته للملك خليل ووضعه فى صندوق وصبح جلس على كرسى قبرص ولا أحد ينكر عليه وأقام إلى آخر النهار وعاد إلى بنت الملك وقال لها أخبريني انا ايه ذنبي مع أبيك حتى اراد قتلى فقالت له هذا من علاء الدين وجابت له الكتاب الذى كان ارسله علاء الدين لأبيها فقراه فكتب كتاب واحضر واحد أسير وكتب له ورقة عتقه وأعطى له الف دينار وخيط له الكتاب فى جبته وقال أنت معتوق من الاسر وهذه ورقة عتقك معك تروح من هنا للشام تدخل جامع الملك الظاهر وتعطى هذا الكتاب لابراهيم بن حسن فقال سمعا وطاعة وسافر الأسير حتى سلم الكتاب لابراهيم فقال له من أعطاك هذا قال له ملك قبرص وكان المقدم حسن أبو شنب عنده أتاه زايرا فأخذ الكتاب قراه على أبيه بحذفيه كلما جرى لخليل وأصل هذا علاء الدين فقال ابراهيم للمقدم حسن خذ منصور البرتقش اقبض على علاء الدين وادرك السلطان فى قبرص فقام المقدم حسن قاصد مصر ولما وصل دخل فوجد ايدمر البهلوان جالس مكان السلطان فسأل عن الملك خليل فقال له انه تخفى ونزل وعاد إلى الآن .

قال حسن أنا أجيبه قوم يا أمير علاء الدين كلم أبي المقدم ابراهيم فى قاعة الحورانة فقام معه فحبسه فى القاعة ووكل عليه جماعة من رجاله وأمر العساكر بالرحيل إلى الاسكندرية وكتب كتاب لعلى برجى يلقاه بالمراكب وينزل العساكر وسار الى قبرص ودخلوا المينة فدخلوا النصارى على الملك خليل وقالوا يا بب طاجرين المسلمين أخذوا المينة فقال لهم لا أحد يسألهم فانهم طالبيني انا ثم قام على حيله وراح للمينة وقال يا مسلمين انتم إيش جابكم هل تروا محاربين أم واردين ان كنتم محاربين فانا طابع ما انا عاصى حتى تحاربونى فاستلقى حبسه المقدم ابراهيم وقال يا بب طاجرين احنا قاصدين الافلاق وأما انت فما عليك باس فعادوا وأمرهم بالاقامات والعلوفات وطابع لهم وحياهم وأكرم مثواهم واطمأنوا أهل البلد لما علموا ان ملك المسلمين صديق ملكهم وآخر النهار حلف على المقدم حسن وعمل له الضيافة وأدخله للديوان هو والقداوية جماعته وباتوا فى البلد وثانى الايام دخلت الامراء حتى بقى الديوان مليان بالمقادم والبلد كلها امتلات وعرضى لا بقى فيه ولا احد الا وهم داخل البلد وبعده قام الملك خليل على حيله وقال يا أهل قبرص انا ملك المسلمين وهؤلاء رجالى وبلدكم صارت فى يدى فالذى يريد ان يقيم فيها والكافر يطلع منها

وها أنا قلت لكم بلا جور ولا خوف وإن جادلتم وضعنا فيكم السيف فاول من أسلم الوزراء والامراء وأرباب الدولة وشاع الخبر فى البلد فأسلم خلق كثير والذى لم يسلم استأذن وأخذ عياله فقط وطلع من البلد ولا مضى ذلك اليوم إلا والبلد كلها إسلام وجمع السلطان الأموال والغنايم وأشهر طاجرين وأراد ان يقطع رأسه فأسلم إسلام صحيح وتزوج السلطان خليل بنته وبعدما ساروا إلى الاسكندرية وسار الى مصر وشيد فى بناء جامع الاشرف يكلفه بالمال الذى من مدينة قبرص وطاب له الوقت وصنع لعلى الدين مصلبة حديد وأمر باحضاره ليصلبه عليه فوجده مات فى الحبس فلبس جماعته اطراق حديد وجعلهم يشتغلوا فى بناية الجامع ودام حتى تم الجامع ورتب له أوقاف وخيرات تقوم بكلفته وزيادة وبعد ذلك حضر طاجرين ملك قبرص ودخل على بنته وأراد يقربها على الكفر فاعلمت به السلطان فاحضره وقطع رأسه على باب الجامع وبعد أيام طلع السلطان للصيد والقنص ونصب على الفيحة خيامه ونصيد ذلك اليوم وعند عودته فاتوا عليه اثنين دراويش وقبلوا الارض بين يديه وناولوه كتاب فقراه وإذا فيه من المقدم ابراهيم بن حسن لما ان هذين الدرويشين رهم سعيد ومساعد كانوا كواخى عندى والآن صاروا دراويش فاراد أن تفوز لك تكية للصواب ونجلهم يقيموا فيها يتعبدون والسلام

[قال الراوى] وكان السلطان بعد فتح مدينة قبرص قال للمقدم إبراهيم يا كبير سر معى إلى مصر اعمل تكية أحسن من تكية الوزير شاهين فقال انا ما أحب إلا أرض الشام وراح مع ابن المقدم حسن أبو شنب بعدما اخذ حقه وحق رجاله من غنايم مدينة قبرص ويعلم الملك خليل ان المقدم إبراهيم فى الشام ولما رأى ذلك الكتاب فأكرم ذلك الدراويش وفضلوا عنده فى صيوانه لما يعلم انهم من عند المقدم ابراهيم فلما جن الليل ونام السلطان قاموا عليه وهو نايم ذبحوه فصلوا عليه العسكر فكان نفذ فيه القضاء والقدر فقطعوا الاثنين العساكر وشالوا خليل مذبوح ووصلوا إلى بيته جزوه ودفنوه فى الجامع الذى بناه وقام ايدمر نائب على الديوان وأرسل كتاب للمقدم إبراهيم بما جرى وكان الذى قتله خليل بن ملاوون كواخى علاء الدين اليسرى من جملة من كانوا يشيلوا التراب فى بناية الجامع والحجر ولما أتم بناء الجامع عادوا بعد ما عفى عنهم وتنكروا على خليل وقتلوه وماتوا كما ذكرنا وكان لخليل بنت من زوجته صفا الورد أخت الملك الظاهر كتبت مصحف بيدها وأوقفته بالجامع على روح الملك خليل

[قال الراوى] ولما وصل الخبر للمقدم إبراهيم احضر ولده وأتى إلى مصر كان لخليل ولد اسمه صلاح الدين فقال إبراهيم هذا يكون محل ابيه وبايعوه وأجلسوه على الكرسى وأقام إبراهيم يومين واليوم الثالث انقطع ايدمر عن الديوان سأل عنه فقيل له ضعيف فقام إبراهيم يلزم زيارته ونزل لبيت أيدمر فتلقاه فى الطلب فصبر عنده حتى توفى ودفنه بحارة الجعيدية وعمل له زاوية ورتب له خيرات على قدر حال الزاوية وركب إبراهيم طلب بلد الشام وأما السلطان صلاح الدين كان نائم لا يشعر إلا والذى راكب على صدره وقال له يادولتلى اعلم أنى انا يقال لى الغضبان ابن المقدم سعد الدين الرصافى وأن ابوك قتل جدى علاء الدين البيسرى ابو والدتى وأنا قتلك عوضا عنه وانكاً عليه بحد وكتب تذكرة ووضعها على صدره انه ما عمل ذلك إلا الغضبان فى ثار جده علاء الدين فلما اصبحوا الدولة لقوا صلاح الدين مقتول فدفنوه وواروه التراب واتفقوا انهم يسلطوا الامير منطاش فقالوا الدولة كيف يتسلطن عليها واحد مهتار طيل وبعدها قالوا جماعة ماعندنا غيره لأنه بن الملك خليل بن قلاوون وهو من جارية كان واقعها خليل فحملت منه بهذا الولد فاتفقوا أن يجعلوه سلطان ويبايعوه لما انهم سمعوا من الملك خليل انه ولده فاعتمدوا كلامه وسلطنوا الملك منطاش وجلس على كرسى قلعة الجبل فاتبع الفسق واللواط بالمماليك والفساد وعلمت ارباب الدولة أن الملك منطاش اهل

فقالوا لبعضهم ماهر كثير عليه اما هو ابن زنا إوان دام اتلف مملكة بلاد الاسلام فقال رجل منهم يقال له حسين وهو من امراء الظاهر وكان له ألفة بالسلطان قلاوون اعلموا ان السلطان قلاوون لما كان فى الكرك خلف ولد اسمه محمد الناصر وهو الآن بقى فارس وحاكم الكرك فأرسلوا له وطلبوه فلما وا الدولة بعضهم ودخلوا بيت حسين وكتبوا كتاب وأرسلوه مع سيار مخصوص إلى الكرك إلى محمد الناصر بن قلاوون طلبه ان يكون سلطان على مصر فلما وصل السيار اليه وقرا الكتاب فركب وسار للشام ودخل على المقدم إبراهيم وقرأ عليه الكتاب فقال له المقدم حسن ابو شنب روح ما لها إلا انت فقال إبراهيم يا مقدم حسن ياولدى خذ معك ابناء الحصون وسر مع الناصر وملكه تخت مصر وهو وصيتك فقال المقدم حسن سمعا وطاعة وجمع الرجال وسافر إلى جهة مصر

[قال الراوى] ووصل منطاش بأن محمد الناصر قادم من الكرك يأخذ مملكة مصر فجمع ارباب الدولة وقال لهم ازيدكم تكونوا معه على حرب الناصر

فقالوا له مرحبا بك اطلع بنا إلى لقاه ولا تخاف منه ولا تخشاه فأمر بتبريز عسكره إلى الربدانية وطلع فى صيوانه فقاموا عليه وقبضوه هو والذى معه من اهل الفساد والذى مانع قتلوه وأقبل الملك حمد الناصر فسلموه اليه وعقدوا للملك محمد الناصر ومشى منطاش قدام حصانه وهو فى الحديد حتى وصل إلى قلعة الجبل وادخلوه على خزنة السلاح بعد ما غمروا على عينيه فأخذ نمشة بحد مكتوب عليها باسم الملك محمد الناصر لدين الله تعالى وكان ملك مسعود ومدحوه الادباء وقالوا فيه وافتخروا فيه وقالوا

من الكسرى جانا الناصر وجاب معه اسد الغابة
ودوليك يا أمير منطاش ما كانت إلا كذابة

وكان الذى مدحه القيم خلف الغبارى فلما سمع منه الناصر هذه الاشعار فقال له اتمنى على فقال له يامملك اتمنى عليك ان تبنى لى جامع فى باب الوزير وقتل منطاش وجرده اجمعين لانهم كانوا قوما فاسقين وجلس على تخت مصر واقام العدل فى دولته وحفظ رعيته وانقطع عنده اربعة ابطال من اولاد اسماعيل وهم المقدم بدر بن عباس والنمر بن حسان وعلى الفار وخليل بن البيطار وجعل اثنين على يمينه واثنين على يساره وبنى لهم قاعات ورتب لهم الجرايات والعلوفات وجعل اتباعهم عن وصف الديوان امرا وزعر بين كل اثنين زعر امير وكل امير بين يديهم زعر وحكم بالعدل والانصاف كما امر النبى جد الاشراف وقد اطاعوه نياب البلاد ردعوا له على المنابر ونادى المنادى بالأمن والامان وحفظ الرعية وقلة الاذية

[وأما] مدينة الرخام فكان بها الملك دورى بن عرتوس واخوته وتناسلوا منهم ابطال باذن الملك المتعال وبقى بينهم وبين محمد الناصر مصادقة وود ووفى المقدم إبراهيم بن حسن ودفنه ابنه فى قلعة حوران وكل من على الديران فان ولا يبقى إلا الملك الديان وحكم الناصر محمد على تخت مصر واحد وخمسين عام حتى اتاه هادم اللذات ومفرق جميع الجماعات وأدركه الحمام وكاس المنات وسبحان الحى الباقى على الدوام وهو الله الملك العلام

[قال الراوى] فلما ان انى هازم اللذات ومبيد الجماعات ومفرق الاصحاب والاحباب الملك محمد بدر الدين ابن الملك الناصر بن الملك محمد قلاوون

(ياسادة) يا كرام خلا ربع الملك من سلطان العصر والزمان والوقت والاوان واحتاجت الناس ان يولوا عليهم من يصدر لهم الاحكام ويجلس على اريكة السلطنة

والاوان ويقيم منار العدل والانصاف ويرفع راية الظلم والاعساف عن البلاد وحصل عندهم اضطراب وهيجان على من يولونه عليهم ويحكمونه فى رقابهم وأموالهم وعيالهم فلم يتفق رأيهم إلا على أخو الملك محمد بدر الدين المتوفى وكان اسمه الملك المنصور صلاح الدين فبايعوه الخلافة وخطبوا له على المنابر فى الجوامع وجلس على تخت الملك وصار يقضى بين الظالم والمظلوم ويأخذ للقوى من الضعيف ويحافظ على حقوق اليتامى والمساكين ويواسى الارامل والبائسين

الملك له لبس الملك للملك ولو ترع دست الملك فى الفلك
كم من مليك أتى بالأسد صاغرة فما مضى اليوم حتى بات فى الشرك

وكان يوم جلوسه يوم الاثنين من ربيع الثانى سنة ٧٦٢ من سبعمائة واثنين وستين من هجرة أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وكانت الممالك لا تزال تتوالى الاجتماعات الليلية وتأسس العصابات السرية للهيجان وانتشار الثورات فى البلاد تحت رئاسة احد الضباط فاجتمعوا أمام قلعة السلطان صلاح الدين الايوبى وصفوا العساكر صفوف وجعلوا محمود بكباشة قائدا لهم وحاصروا القلعة من جميع جهاتها فأشرف الملك من الديوان ورأى الجنود والمماليك متظاهرين بالعيان وشاهرين البنادق والسيوف فقال

يبيت المرء مسرورا يامن وآخر قد أعـــد له الشباكا
ودبم لوازة تهدى اليه وقد دسوا له فيها الهلاك

أخبرنى يا وزيرى إبراهيم ما الذى جرى فى البلد حتى أنت العساكر إلى هنا وما هى طلباتهم واعراضهم فقال الوزير إبراهيم جمال الدين بعد أن قبل الارض بين يدى الملك وأظهر كل خضوع واحترام أنا لا أدرى يا مولاى سبب وجودهم ولا قصدهم من هذا الاجتماع والظاهر أنها فتنة من الأوغاد اللئام صعاليك المماليك وأنهم ينوون الشر للبلاد والعباد وسيدبرون أى منقلب ينقلبون إذ لا يسلم الباغى الن عواقب غيه فيقع فى ضرر على حد قول الشاعر

فى جبهة الدهر سطار خطه قلم احرف واضحات غير ملتبسه
لو كان يدرى حليف البغى مصرعه لما تقلد سيف البغى البسه

فقال الملك وماهى التدابير التى اتخذها حتى نرد كيدهم فى نحرهم ونتقم منهم ومن فعالهم فقال الوزير الرأى عندى أيها الملك المنصان صاحب الهمم والفضل والاحسان أن نرسل لهم شهاب الدين حاجب الرحاب وخادم الاعتاب نسالهم

عن اغراضهم وسبب مجيئهم ومحاصرتهم القلعة بدون اسباب فيكشف لنا الخبر ويعود بالاثر

[قال الراوى] فاغتم غما لامزيد عليه وقال وحق القرآن ونبينا المصطفى صفوة العرفان ودين الاسلام لآخذ بالثار وانتقم من هؤلاء اللئام الانتقام الذى يسوقهم إلى الحمام اذهب ياشهاب الدين واسأل منهم عن الاسباب التى دعت لحضورهم من غير أسباب وإذا رأيتهم مصرين على العناد ومازالوا على نية الفساد فاذكر لهم بطشى وحذرهم من غضبى وهددهم بالخراب والويل والعذاب

ان اللئام واهل النقص ان ملكوا ما بين هذا الورى غرتهم النعم
حتى إذا اسرفوا فى نيل غايتهم منها وطابت لهم ارحتهم التخم

وان انتصحوا وقبلوا الكلام فاخبرهم انى اصفح عنهم واعطيهم الامان وفقط يجب ان يحضروا أمامى ويطلبوا العفو عنهم باللسان نقبل الحاجب شهاب الدين الاعتاب وخرج بجرى كالبرق الخاطف حتى وقف امامهم وطلب محادثة قائد زعمائهم فنزل اليه وقابله مقابلة الاعداء للاعداء بعدم ترحاب وازدراء وقال له لماذا أتيت ياشهاب الدين وماغرضك من المحادثة يامهين أتريد أن تنقل الكلام للسلطان واتيت لتكشف له الكرب والاحزان فقال الحاجب شهاب الدين اسمع يا أمير بكتاش من الكلام وخذ منى النصيحة فان النصيحة من الايمان ومن استمع للناصحين الامناء والمشيرين العقلاء

سرائر الخلق أغراض منوعة وكل ذى غاية يسعى لغايته
فكم نصوح يريد النصح ظاهره وباطن الامر مسعاه لحاجته

حضرت على الخصوص لمقابلتك ومحادثتك فى موضوع غريب وخاطرى ان تصغى إلى بالاذان حتى لايضيع منا الوقت الثمين بلا فائدة فان الوقت أثمن من المال وأنت تعلم أن حولات السلطان المنصور ملكا أبا عن جد وأخذ الخلافة بالميراث وانه من يوم جلس للحكم على الرعية لم يظلم احداً وعامل الكل بما تقتضيه الشريعة المحمدية والدين القويم ولم نشاهد فى اعماله ولا أفعاله أى شىء يجحف بحقوقنا أو يهضم لحقوقنا وانه سالك مسلك الملوك والسلاطين العـــادلين فكيف يحق لنا المؤامرة على خلعه وبأى وجه يكون هذا الغضب والعصيان المذموم ولو كان السلطان حقيقة من الملوك المتساهلين التاركين الرعية والبلاد الساعين فى بحور ملذاتهم وحظوظهم لكنت أنا أول من يجمع العصابات ويحرض الناس على خلعه مهما

كانت الحالات ولكن السلطان يا أمير رجل طيب وقلبه ابيض وسليم النية ومخلص للرعية ولا يصح أن نأتيه بادنى ضرر اونمسه باذى والرأى عندى انك تجمع العساكر والفرسان وتنادى عليهم بالعودة إلى دار السلاح وتتقدم بنفسك نحو السلطان وتطلب منه الصفح والامان وتكرن عنده من المقربين المستحقين للترقيات على توالى الازمان فقال النائب بكتاش بعد ان سمع كل ما قاله الحاجب شهاب الدين من الكلام اذهب ايها الحاجب الطائش وعد إلى مقر السلطان وبلغه اصرار الجنود على العصيان وإن بقاءه على تخت الملك صار من المستحيلات فاذا سلم نفسه بمفرده إلى أمرنا فازبالامان وكان فى غاية الاطمئنان على روحه وحياته وان عصى واستكبر واستعلى وتنمرد فبشره بالخراب العاجل والموت السريع الآجل وانت تعلم قوتنا وشجاعتنا وفروسيتنا فى الحروب ومهارتنا

هبوب الريح يسبقه حصانى وكاس الموت يبقى من سنانى
وذكرى شائع فى كل أرض على ضرب المثالث والمثانى

قال فلما سمع الحاجب شهاب الدين ذلك الكلام من الامير بكتاش تكدر خاطره وادركته الشفقة على غرور الامير بنفسه وادعائه العظمة واراد أن يتلطف له فى الكلام وينصحه فقال له ايها الامير ما عهدناك سيء التدبير من ذى قبل ولا كان العشم فيك ان تركب مطية الغرور وتتبع خطوات الشيطان وتسويلاته الكاذبة وتطلق لنفسك عنان الشرور ولا كان المنظور انك تنضم مع الاعداء وتتفق على خلع السلطان الا تذكر شفقته واحسانه ورائته وصدقاته فارجع عن غيك وعد إلى صوابك ولا تجعل قلب السلطان يتغير عليك فلم يسمع الملعون كلامه ولا ارعوى لنصائحه وما كان منه إلا أن دفع السيف وضربه به على رأسه فشجها ومات لوقته وساعته وعجل الله بروحه من دار البوار إلى دار الخيار وكتب فى اللوح المحفوظ من الشهداء الابرار ثم ان السلطان المنصور لما عاين هذه الفعال من شباك القلعة قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم مات الحاجب شهاب الدين ولله الامر وصعب عليه وفاته ونظر إلى وزيره ابراهيم نظرة الاسف والتحسر فقال الوزير لاتتكدر يامالك السعادة ولا تحزن فاماشهاب الدين فقد صار ذخيرة عند الله وأما هؤلاء اللئام فلابد من أن تدور عليهم الدائرة ويشر الظلم بالخراب ولو بعد حين واسمع قول الشاعر الذى يقول

دع الاقدار تفعل ما تشاء وطب نفسا بما فعل القضاء

ولا تفرح ولا تحزن بشيء فان الشيء ليس له بقاء

والرأى الصواب يامولاى أن ترسل لهم المقدام علام فهو الفارس الصنديد والبطل الهمام الذى يشفى لنا الغليل ويبدد شملهم فأقر السلطان على ذلك واستدعى المذكور وأعطاه فرمان الحرب ولبسه التاج وقلده بالسيف والدرع وأمره بالمسير اليهم وقطع دابرهم عن آخرهم فركب جواده الأدهم وخرج من عند السلطان إلى ساحة الميدان وهو يترنم فى الطريق ويقول

قد جاء وقت فراركم والآن تسقون كاس حمامكم
فتجمعوا لتشربوه سوية وتكونوا من الهالكين بجمعكم

ومازال يفشد الاشعار ويطرى الفيافى والقفار حتى قرب الامير بكتاش وحاربه حتى هزمه وأرجعه مقهورا مكسورا وعاد الى السلطان فى القلعة ظافرا منصورا انتهى والنهار على هذه الأخبار فلما كانت الليلة الثانية والعشرين من شهر جمادى الثانى توفى السلطان وما أصبح الصباح إلا وبايعت الناس

الملك الاشرف زين شعبان الدين

وسبحان الحى الباقى مغير الزمان والمكان وكان جلوسه فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور سنة سبعمائة وأربعة وستين وكانت مدة خلافة والده الملك المنصور سنتان على ما يعلم التحقيق . فلما جلس وجه أفكاره وإلى عصابات الجراكسة وصرف عنايته الاهتمام بشأنهم وقطع دابرهم من البلاد حتى تستريح العباد فارسل فى طلب الامين محمود بكتاش أصل الدسائس والعصابات فى المدينة فلم يقف له على أثر ولم يصل له من يأتيه بالخبر اذ كان المذكور لما علم بخلافة السلطان الملك الاشرف زين الدين هرب إلى بلاد السودان خيفة باس قوته وصولته وعلم أنه لو بقى فى المدينة ربما يعثر عليه فيقتله أشر قتلة وكان الملك الاشرف جبارا عنيدا لا يخشى بأس الشراكسة ولا بهابهم كان يقتل كل من وقعت عليه يده منهم فلما كان الشهر السابع من جلوسه على اريكة الخلافة ظهرت عصابة شركسية وتمادت فى الطغيان وجاهرت بالعصيان فقام السلطان وشمر عن ساعد الجد والاهتمام وأوفد اليهم المقدام علام بطل الجيوش وحامى الاوطان فصار برفقة أورطة عسكرية مؤلفة من أربعة آلاف حاشيا وخمسمائة من السوارى حتى دهموا الاعداء فى الظلام بالقرب من ساحة الشيخ البغال بجانب جبل الجيوشى بمصر المحمية . وكان المقدم علام الدين يترنم على جواده بالاشعار ويهددهم بالخراب فى ذلك النهار

اليوم يعرف كل خصم خصمه عند البراز اذا التقى الجمعان
اليوم تختلف القنا عند القا وتخرص فيه الخيل كالعقبان

وما زال يحمل ويصول على الاعداء حتى أسر الامير بكتاش ووضعه فى القيود والاغلال وأرسله الى الديوان فى القلعة لجلالة مولانا السلطان فامر الملك بالقاه فى بيت الدم لحين الصباح ويشنقوه على أبواب المدينة لتعبير الناس وبات الامير بكتاش طول اليل فى سجن القلعة أسيرا يئن ويبكى ويتحسر ويتزمر والموكلون به والحراس يضربونه بالاصوات ويعذبونه العذاب الاكبر وهو يستغيث فلا يغاث وكان للملعون صاحب اسمه بكير مشهور بالحيل والخداع وحسن التدبير فلما رأى صاحبه أشرف على الاعدام لبس امرأة وحلق ذقنه وشواربه وتدهن بالاعطار والروائح وتحلى بالخواتم والاساور وخرج كالبنت البكر يلوح عليه الحسن والجمال والدلع والدلال حتى جاء الى باب السجون وكان السجان يتعاطى بنت الحان وسايح فى الشرب والحظرظ فلما أبصر هذه المرأة طار عقله وليه واشتغل بمغازلتها ومداعبتها حتى تمكن الملعون بكتاش من الفرار ولما اشرق الصباح بنوره الوضاح اجتمعت الخلائق فى الميدان لبروا شنق الامير بكتاش وأرسل السلطان الى القلعة يطلبه فعاد الرسول وأخبر الملك به وبه وهرب السجان فتكدر الملك وصار يرسل الجواسيس والرقباء فى كل محل ومكان ولكن القضاء لم يمهله حتى يدرك المطلوب بل مات مكمودا مغمورا فقام بعده بالخلافة

الملك المنصور علاء الدين

سنة سبعمائة وثمانية وسبعين وبايعه الناس بالخلافة غير أنه لم يحكم طويلا وكانت مدته كلها ثورات وهيجان ولم يمكث غير خمس سنين ومات ثم تولى بعده

الملك الصالح زين الدين

فبذل جهده فى استتباب الامن وراحة العباد وصار يجد فى البحث عن الامير بكتاش ويرسل وراءه الجواسيس فى البلاد حتى عثر عليه وأتى به من ديار بغداد مكبلا فى قيود الذل والهوان وحبسه جملة سنين اذاقه فيها العذاب الوانا وأشكالا وصار يبحث عن عصابات السراكسة ويضيق عليهم الخناق وقتل منهم من يقعون فى يديه حتى قتل عددا كثيرا منهم وشنق الامير بكتاش على باب المدينة بحضور الخلائق وبعض السراكسة حتى انه غاظهم وانتقم منهم فلما رأوا ذلك منه صاروا يتحزبون فى البيوت حتى قام من بينهم الامير الظاهر برقوق وعمل كل التدابير حتى قتله فى السراى وهو نائم

يانائما بطول الليل مسرورا ان الحوادث تطرق أهلها سحرا
لاتغدرون بليل طاب أوله فعند آخره قد يوجد الشررا
تنام ليلك لا تأمن عوائله ستعلم الليل فيه عف الكدرا
كم نائم علته الاكدار أجمعها بطارق الشر فيه الليل قد عدرا

فقام بالامر الملك الظاهر برقوق الشركسى

وبايعوه الخلافة وكان أول ملوك الشراكسة ومؤسس دولتهم فى الديار المصرية فلما جلس على كرسى السلطنة فرحت به الشراكسة وعملوا جملة ليالى كلها افراح لم يعلم فيها الصباح من المساء وكان يوم توليته أول شعبان سنة سبعمائة وثلاثة وثمانين من هجرة نبينا أشرف المرسلين وفى مدته خرج الشام من طاعته فجهز الاساطيل المصرية ورتب الجيش والقواد وجعل المقدم علام اميرا لهم وساروا الاخضاع السوريين فى نحو سبعة آلاف جند والف فارس وحملوا الذخائر والمؤون حتى وصلوا الاسكندرية وركبوا البحر المالح وقصدوا بلاد القدس ودمشق وحلب وكانوا يقطعون البرارى والقفار ويسيرون طول الليل والنهار حتى فرغ الزاد منهم وساروا يأكلون الحشائش ونبات الارض ثم الخيول ثم بعضهم بالقرعة لعدم وجود الزاد وتوفره لديهم وحل بهم البلاء واحتاطهم الغم والكرب ثم رجعوا مكسورين وأمر السلطان الظاهر برقوق بتجنيد آلات اخرى والاستعداد لحرب السوريين وفتح بلادهم تحت قيادة عبد العزيز برقوق أحد أولاده فسار المذكور الى بر الشام وفى أثناء الحرب والقتال بلغه موت والده فعاد سريعا ليتولى الملك ويكون هو الخليفة

فنفسك فزيها ان خفت ضيما وخلى الدار تبغى من بناها
فانك واجد أرضا بارض ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بارض ذل وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بارض فليس يموت بارض سواها
وما خلقت رقاب الاسد حتى بانفسها تولت ما عناها

فلما كانت سنة ثمانمائة وواحدة تولى الخلافة

الملك الناصر أبى السعادات

وبويع له مالها فوقعت الغيرة فى قلب أخيه عبد العزيز السابق الذكر وعزم على معاكسته وخلعه من الخلافة وقتله باى حالة كانت فصار يعطى الدراهم للاشقياء

وبعض الامراء ومعاونهم على أخيه ويدبر له المكايد من تحت لتحت حتى ذات يوم جمع أصحابه ورفقاءه والمؤامرون على قتل أخيه واحاطوا سراى السلطان وهو فى لذيذ المنام فقام مذعورا وقال ما الخبر فقالت الحراس ان الامير عبد العزيز محتاط بالسراى ويريد قتل مولانا السلطان فارتاع الملك وادركه الخوف ونظر الى أخيه المذكور وقال له بلطف وحنانة ادخل يا عبد العزيز السراى ودع أصحابك واخوانك يذهبون الى بيوتهم واصرفهم اذ من العيب الكبير ان تقتل أخاك لاجل الخلافة وتلوث سمعتك بين الملوك والامراء فما عمرها جرت فى تواريخ الناس فلم يرجع عبد العزيز ولم تؤثر فيه كلمات اخوه فاخطر السلطان ان يقبض عليه ويسجنه اكفاء شروره وقد كان ثم ان السلطان المذكور اعتزل فانتهز الفرصة أخوه

الملك المنصور عبد العزيز

وجلس على كرسى المملكة واخذ يأمر وينهى والكل سامع ومطيع بعد أن عمل كل السياسة فى خلع أخيه السابق الذكر وطرده الى بر الشام من البلاد المصرية فذهب الملك الناصر أبى السعادات وصار يستعد لحرب أخيه وقتله ويحرض عليه الناس ويهيجهم ضده حتى قتلوه وعاد هو الى الخلافة ثانيا فتولى

الملك الظاهر أبى السعادات

المذكور المملكة من جديد وخلا له الجو بموت أخيه وصار يعطى الهدايا ويفرق الجوائز والتحف الى من كانوا السبب فى قتله من الوزراء والامراء والكبراء ونظم الجيش وسن القوانين للرعية وأمر بتشييد الجوامع وهدم الكنائس وصار يحكم فى الرعية حتى مات ثم تولى بعده

الملك المؤيد أبو النصر

وبويع له بالخلافة وجلس على اريكة السلطنة وحصل فى أيامه ان بر الشام كثرت فيه الثورات والقلاقل وزادت التعديات والشكايات بين الصارى والمسلمين فارسل قوة عسكرية من طرفه لاخماد الثورة ولكنها ما كادت تصل الى دمشق حتى أهلكت السوريين نصفها بالقرب من مدينة بيروت وصارت فى احتياج الى فرقة أخرى تساعدها فارسل الملك المؤيد فرقة أخرى مكونة من نحو سبعة آلاف عسكرى والفين فارس تحت قيادة ولده المظفر وكان المذكور شجاعا فارسا فسار فى فرقته وعساكره وسار وهو يترنم بالاشعار وهو يقول

حسامى ثقيل تحمل الاعادى اذا لم تكن تحمل الخيل كرتى

وردت على الخيل أول مرة فرددتها على أعقابها مستمرة
وما زلت افنيهم بقوة ساعدى ونفسى قد اطمأنتها فاطمأنت
صرت كأنى للرماح رهينة ادب عن الدين القراسم بقوتى
فكم فارسا ارميت من بعد فارس ولم ابق من جيش العداة من بقية

ثم انه أخمدها وعاد إلى الارطان منصورا ظافرا وهناه والده بالسلامة والعود الى الديار بالصحة والعافية ثم مرض ابوه ولم ينفع فى تطبيبه دواء فعز الكفاء ومات فقام

الملك المظفر بن المؤيد

بالامر وبايعته الخلافة الناس وكان يوم جلوسه أول محرم سنة ثمانمائة واربعة وعشرين من هجرة اشرف الخلق اجمعين ولم تطل مدة حكمه لكثرة ما وقع فى زمنه من الفتن والمحن والثورات الخارجية الداخلية فلم يمكث عن سنة واحدة قضاها فى جهاد وتعب ولم يعرف للراحة قيمة فتولى بعد مماته

الملك الظاهر سيف الدين

سنة ثمانمائة واربعة وعشرين أيضا ولم يمكث كثير بل مات على الاثر بعد أن وقعت البلاد فى ارتباكات والعباد فى مشاحنات يطول شرحها نسبة للهيجان الذى حصل فى ازمان الملوك المتقدمة وبينما كان ذات ليلة متعمقا فى لذيذ النوم اذ رأى فى احلامه منامات مخيفة جدا فجمع فى الصباح حوله المنجمين والمفسرين وقص عليه ما رآه فى المنام من أن اسدا ابيض ما بين الطول والقصر هجم عليه فى الفلوات وأكل نصف جسمه فحافت المنجمون والمفسرون وحاروا وقال احدهم يخاطب السلطان

أدام الله عزك فى سرور وحولك الاله بما حباك
وزادك ربنا عزا ومجدا وايدك القدير على هداك

[قال الراوى] ثم أن المنجم وهو كبير الطائفة اخبر السلطان هذه وساوس الشيطان وانها اضغاث احلام وانه لا يجب أن افتكر فيها فلما كانت الليلة الثانية توضأ الملك وصلى ركعتين لله ونام طاهرا مطهرا من كل دنس فرأى الرؤيا عينا فاغتم غما لا مزيد عليه وجمع المنجمين والمعبرين ثانيا وقال لهم أزلم تخبرونى بالصحيح وتعبروا لى هذه الرؤيا التى اذهلتنى وحيرتنى فانى اقتلكم واحد بعد واحد فقال شيخ المنجمين امهلنا يا ملك ثلاثة أيام حتى ننظر فى كتاب ابو معشر والحكيم لقمان ونقرأ التفاسير وما تيسر من القرآن عسى نهتدى على تفسير فقال الملك اذهبوا

ولكم مدة ثلاثة ايام تنظروا فيها حياتكم ام شرب كاس الحمام فخرجت المنجمين وقالوا لشيخهم لماذا لم تقل للملك على الحقيقة وتريحنا من التعب والمشغولية فقال الشيخ لا تحزنوا على فساطلع بعد الثلاثة ايام اليه فى الديوان واخبره بتفسير رؤياه فانها تدل ياخواني على قرب زوال نعمته وخلعه أو ميته فقالت المنجمين صدقت يامولانا الشيخ وقد كان لم يمض ثاني يوم من ميعاد الامهال حتى انتشرت الاخبار بان السلطان انخلع ونزل مكانه

الملك الصالح ابو النصر

ولكل زمن دولة ورجال والاقدار تلعب بالناس كما تشاء

احسنت ظنك بالايام اذاحسنت ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ويموت الملك الظاهر سيف الدين استراحت المنجمون من العناد والتعب واطمانوا على ارواحهم فلما جلس الملك الصالح ابو النصر لم يمكنه ان يقاوم الطامعين فى المملكة والاعداء المحتاطين به من كل ناحية ومكان بل انه ترك المملكة على عاهى ولم يلتفت لها بالتمام ولذلك لم يمكث على كرسيها كثيرا بل مات فى نفس السنة التى تولى فيها سنه ستماية واربعة وعشرين من الهجرة فقام بعده بالحكم على البلاد

الملك الاشرف برسباى

وحكم على البلاد والحكم لله الواحد القهار وكان شديد القوة جبارا عنيدا يحب ان يسفك الدماء ويميل إلى القتال فلما جلس على كرسى المملكة شرع فى ان يخضع بر الشام فارسل الامير جمال الدين بتجنيده الى دمشق فلما وصلت العساكر والتقى الصفان فى ساحة القتال

ولما التقى الجمعان فى حومة الوغا والخيل فى غاية الهجوم
برون قرما اذا لبثوا الحديد ترهموا جمعا على الاعداء هجوم

ثم انطلق على بعضهما الاثنان وتضاربوا بالسيوف حتى تقصفت الرماح فى ايديهم وتقصفت والخيول من تحتهم قد هلكوا وانكشفت الوقعة عن خسارة عسكر الملك الاشرف وانزامهم فلما وصلت الاخبار ضرب المرسال بالسيف على رأسه فقتله قائلا ياشر المراسيل كيف جئت لى بهذه الاخبار المشئومة ولكون هذا الملك العنيد كان لايرأف على عباد الله ولاتاخذه الشفقة عليها لم ينصر الله جنوده ومات باصعب الامراض فتولى بعده

الملك العزيز جمال الدين

ستة ثمانمائة وثمانية واربعين وصار يحارب الشوام ويرسل العساكر والقواد تجريدة بعد تجريدة حتى اذلهم واخضعهم ثم ذات يوم حضر اليه رسول من بلاد السودان واخبره بالاستعداد لحرب الملك مرجان حاكم بلاد النوبة ودار فور والسودان وكان السبب فى ذلك ان جماعة من العبيد اخبروا سلطانهم المذكور فان التجار المصريين يأتون الحروب ويخطفون الاولاد والبنات من اهلهم ويأتون إلى مصر المحمية فيبيعونهم فى اسواق الرقيق للناس ويتاجرون فيهم فلما جاء الرسول إلى الملك العزيز واستعد للحرب وكتب للملك مرجان جواب انذار وتهديد كالقطران وصار يحاربه حتى ملك منه معظم البلاد وفى الآخر عملوا الصلح والاتفاق واعتذر الملك مرجان حاكم بلاد السودان الى السلطان العزيز ملك ملوك ذاك الزمان ثم تولى بعده الملك المذكور بسنة واحدة

الملك الظاهر جقمق

سنة ثمانمائة واثنين واربعين وحكم بين العباد وصان الملك والبلاد وباعوه الخلافة وكان عادلا رؤوفا على الخلق ولا يؤذى احدا فلما جلس على المملكة وصار من ذلك الوقت خليفة فتح الخزائن وخلع واهدى الهدايا ورقى الامراء الى وزراء والوزراء إلى حكام على الولايات والمستعمرات التى له والقواد إلى امراء والضباط إلى قواد والعساكر ضباط واطلق من كان فى الحبوس وانتشر الامن والراحة فى البلاد ثم دعا قائدة الجيوش وتوجه بالتاج وامره أن يسير إلى تحية طرابلس الغرب ويخضع ثورتها صحبة العساكر والجنود فلبس القائد التاج وركع للملك تحية وشكرا وقال .

توجتنى شرفا ياذا العلا كرما فزدتنى نعما اعظم بها نعما
والكلب اضحى اسير العرب لاعجب ان عاد منك بما يرجوه مغتنما
ولا ازال وفى العهد ممتثلا امر الاميرارى كلبى له خدما
ياسيدى سترى منى بجيشك ما يسر نفسك من جدقد انتظما
حتى اذا جاء حومات الحروب فقد اضحى عدوكم بالسيف منهزما
بفضل جدك ياموالاى ان له نصرا عزيزا فوزا منك مرتسما
مادمت فينا الاب المفضال قد بلغت انباك المجد والاسعاد والغنما

لازلت بيت قصيدى دائما أبدا ولا برحت سنى القدر محتكما

ثم سار القائد حتى وصل بلاد طرابلس الغرب واخضع الثورة وعاد ظافرا منصورا وكان اثناء ذلك قضى نحبه فتولى بعده

الملك المنصور عثمان

سنة ثمانمائة وسبعة وخمسين من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ولكن نسبة هيجان الخلق والفتن الكثيرة التى حصلت بين الوزراء والامراء لم يمكث هذا السلطان على تخت الملك كثيرا إذا كانت المطامع والاغراض الذاتية بالغة اقصى منتهاها والملوك الاجانب تحوم حول المملكة من بعيد لبعيد وتدس فى ارجائها الدسائس المهيجة وكثر القتل والنهب والسلب والمسالب حتى ضجت العباد واضطربت البلاد فسقط الملك المذكور بعده

الملك الاشرف اينال

فى نفس السنة التى تولى فيها الملك السابق الذكر فلما جلس مسلك العادلين المنصفين واراح الناس من ضرر الفوضة ونير المظالم ورتب المملكة وعمل اصطلاحات كثيرة ونظم الجندرمة وجهز جملة اساطيل ومراكب بحرية وحفظ اموال المسلمين وصار يصرف منها على قدر اللزوم بالحكمة والاقتصاد وفى مدته هاجت بلاد اليمن فارسل اليها قائد الجيش بعسكره جراده فقتلته اليمانيون وهزموا الجيش اشر هزيمة فلما بلغ الخبر مسامع السلطان صعب لديه وجمع الوزراء وهو متكدر فقال الصدر الاعظم هون عليك يا ملك الزمان فكل عسير لا بد از يكون بعده اليسرى على حد قول الشاعر

يامن تضيق الدنيا بما رحبت هون عليك فان الامر تقدير

واصبر فالصبر يأكل كل ذى امل حسن الرجا وبعده العسر تيسير

فالدهر شيمته العدوان لا عجب أن جاء بعد صفاء لامس تكدير

فثق بربك ذى اللطف الخفى فان فوق تدبيرنا لله تدبير

والرأى عندى أن تجرد لهم تجريدة من نحو تسعة الاف فارس وجندى وتسير إلى قتالهم لجدة اخوانهم فاستحسن السلطان ذلك الكلام وارسل التجريدة المذكورة وكان الله معها وعادت ظافرة منصورة ثم تولى بعده

الملك المؤيد ابن اينال

أى ولده وكان قد تدرب دلى القتال وعرف ابواب الحرب والنزال وصار فارسا معدودا وبطلا مشهورا فلما جلس على سرير الملك سنة ثمانمائة وخمسة وستين

طمع لفتح بلاد العراق بعد أن حارب اليمن واخضعهم ولكنه لم ينتصر عليهم لوقوع المشاحنات بينه وبين اكابر الدولة فحكم بعده

الملك الظاهر خوش قدم

فى ذات السنة المذكورة وقاتل أهل العراق حتى اخضعهم ودخل مدينة بغداد التى يقول فيها الشاعر

بلد لقد حازت لكل فضيلة سكانها آل الرشيد تفاخره

بغداد كرسى للخلافة دائما فيها الملوك على الرعايا ساهره

منها الرشيد اخا المكارم والهدى وتتابعت منها الملوك الزاهره

وحاصرها حتى خضعت له وتملكها ثم سار بجيشه العرمرم حتى وصل بلاد طرابلس الغرب وفتحها ووصل إلى الشام واليمن وحارب أهلها وسبا نساءها وغنم منها الذخائر والاموال الطائلة وصار يحارب ويقاتل حتى اغراه الموت فتولى بعده

الملك الظاهر يلباى

سنة ثمانمائة واثنين وسبعين من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ولكرثه سمى التدبير والتصرف ولم يمكنه أن يحسن سياسة الملك تغلبت عليه الوزراء والامراء وصاروا لا يسمعون قولا ولا كلمة وضاقت مهابته وعظمته وصارت البلاد والعباد فى عدم امن وراحة حتى تولى

الملك الظاهر

قمر بغما وكانت توليته الخلافة فى ذات السنة المذكور أى عام ثمانمائة واثنين وسبعين من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان الملك المذكور كسابقه سيء التصرف ولا يعرف من التدبير شيئا فلما جلس على سرير الملك طغى وتمرد واستعلى فاغتاظت منه الوزراء والامراء واكابر الدولة واجمعوا على عزله من الخلافة مهما كانت الحالة فتولى بعده

الملك الاشرف قايتباى

فى نفس السنة المذكور فقام بالخلافة خير قيام ولم يظلم أحدا وحقق دعاء الرعية وصان أموالهم ونشر الامن والامان واستراحت العباد والبلاد من الظلم والمظالم ومساوى الملوك الذين تقدموا ولم يحصل على يديه الا كل خير وصفاء ثم حصل عنده مرض شديد ألزمه الفراش فمات على الامن بالغا من العمر السبعين سنة تقريبا قضاها كلها فى الصلاح والتقوى والعدل والاصلاحات والحسنات داخل وخارج المملكة ثم حكم

الملك الناصر

ابن قايتباى سنة تسعمائة وواحد بعد الهجرة ولم يمكث فى الخلافة غير ثلاث سنوات بنى فيها القلاع والحصون وغير ذلك من الآثار النفيسة ومن آثاره الباقية بنى اليوم طابية قايتباى فى الاسكندرية على شاطىء البحر وهى طابية جميلة محضة كانت فيها المدافع المصرية والاستعدادات الحربية لمقاومة الاجانب وغيرهم ممن يريدون الدخول إلى بر مصر ولكنها تهدمت وتخربت ايام دخول الانجليز فى مصر كما ضربوا الاسكندرية بالمدافع وصارت الآن مهملة عاطلة ثم تولى بعد هذا الملك وجلس على كرسى الخلافة

الملك الظاهر قانصوه الاشرف

سنة تسعمائة وأربعة من هجرة نبينا عليه افضل الصلاة واتم التسليم ولكنه لم يحكم غير سنة واحدة وتوفى بعده

الملك أبو النصر جانبلاط

سنة تسعمائة وخمسة من الهجرة وجلس على عرش الخلافة ولم يحكم غير سنة واحدة مثل السابق فى الفتن والقلاقل وحدوث الثورات فى الولايات والهيجان فى البلاد ثم تولى بعده .

الملك العادل طومان باى

وجلس على اريكة السلطنة ولم يحكم هو الآخر الاجزاء يسيرا من سنة تسعمائة وسنة من الهجرة ولم تتوطد أقدامه ثم جلس

الملك الاشرف قانصوة الغورى

فى نفس السنة المذكورة وبقى على عرش الخلافة حتى حكم

الملك طومان باى الغورى

آخر ملوك دولة الشراكسة سنة تسعماية واثنين وعشرين من الهجرة واليك جدولا مفيدا

أسماء ولاة مصر من الهجرة الى الآن

سنة هجرية		سنة هجرية	
٢٦	ولاية عبد الله بن سعد	٩٩	ولاية أيوب بن شرحبيل
٣٦	ولاية قيس بن سعد	١٠١	ولاية بشر بن صفوان
٣٧	ولاية محمد بن أبى بكر	١٠٢	ولاية حنظلة بن صفوان

سنة هجرية		سنة هجرية	
٤٣	ولاية عتبة	١٠٥	ولاية محمد بن عبد الملك
٤٥	« عقبة بن عامر الجهنى	١٠٥	« الحر بن يوسف
٤٧	« مسلمة بن مخلد	١٠٨	« حفص بن الوليد
٦٢	« سعيد بن يزيد	١٠٩	« عبد الملك بن رفاعة
٦٤	« عبد الله بن جحدم	١٠٩	« الوليد بن رفاعة
٦٥	عبد العزيز بن مروان	١١٧	عبد الرحمن بن خالد
٨٦	عبد الله بن عبد الملك	١١٨	حنظلة بن صفوان (ثانيا)
٩٠	قرة بن شريك	١٢٣	حفص بن الوليد (ثانيا)
١٢٧	حسان بن عتاهية	١٦٩	على بن سليمان
١٢٧	حفص بن الوليد (ثالثا)	١٧١	موسى بن عيسى
١٢٨	خوثرة بن سهيل	١٧٢	مسلمة بن يحيى
١٣١	المغيرة بن عبد الله	١٧٣	محمد بن زهير
١٣٢	عبد الملك بن مروان	١٧٤	داود بن يزيد
١٣٣	صالح بن على (أول وال من بنى العباس)	١٧٥	موسى بن عيسى (ثانيا)
		١٧٦	ابراهيم بن صالح (ثانيا)
١٣٧	أبى عون	١٧٦	عبد الله بن المسيب
١٤١	موسى بن كعب	١٧٧	اسحق بن سليمان
١٤١	محمد بن الاشعث	١٧٨	هرثمة بن أعين
١٤٣	حميد بن قحطبة	١٧٨	عبد الملك بن صالح
١٤٤	يزيد بن حاتم	١٧٩	عبيد الله بن المهدى
١٥٢	عبد الله بن عبد الرحمن	١٧٩	موسى بن عيسى (ثالثا)
١٥٥	محمد بن عبد الرحمن	١٨٠	عبيد الله (ثانيا)
١٥٥	موسى بن على	١٨١	اسماعيل بن صالح
١٩١	عيسى بن لقمان	١٨٢	اسماعيل بن موسى
١٦٢	واضح المنصورى	١٨٢	الليث بن فضل
١٦٢	منصور بن يزيد	١٨٧	احمد بن اسماعيل
١٦٢	يحيى بن داود	١٨٩	عبد الله بن محمد العباسى
١٦٤	سالم بن سوادة	١٩٠	الحسين بن جميل

سنة هجرية		سنة هجرية
١٦٥	ولاية ابراهيم بن صالح	١٩٢ ولاية مالك بن دلهم
١٦٨	« موسى بن مصعب	١٩٣ « الحسن بن البحياح
١٦٨	اسامة بن عمر	١٩٤ حاتم بن هرثمة
١٦٩	الفضل بن صالح	١٩٥ جابر بن الاشعث
١٩٦	عباد بن محمد	٢٤٢ يزيد بن عبد الله
١٩٧	المطلب بن عبد الله	٢٥٣ مزاحم بن خاقان
١٩٨	العباس بن موسى	٢٥٤ أحمد بن مزاحم
١٩٩	المطلب بن عبد الله (ثانيا)	٢٥٠ ارخوز بن اولوغ طرخان
٢٠٠	السرى بن الحكم	٢٥٤ أحمد بن طولون
٢٠١	سليمان بن غالب	٢٧٠ خمارويه بن أحمد بن طولون
٢٠١	السرى بن الحكم (ثانيا)	٢٨٥ أبي العساكر بن خمارويه
٢٠٥	محمد بن السرى	٢٨٧ هارون بن خمارويه
٢٠٦	عبيد الله بن السرى	٢٩٢ شيبان بن أحمد بن طولون
٢١١	عبد الله بن طاهر	٢٩٢ عيسى بن محمد النوشرى
٢١٣	المعتصم بن الرشيد	٢٩٢ محمد بن الخلنجى
٢١٥	عبدويه	٢٩٣ عيسى بن محمد النوشرى ثانيا
٢١٦	عيسى بن منصور	٢٩٧ تكين الخزرى أبي منصور
٢١٧	نصر بن عبد الله	٣٠٣ ذكاء الرومى الاعور
٢١٩	موسى بن العباس	٣٠٧ تكين الخزرى (ثانيا)
٢٢٤	مالك بن كيدر	٣٠٩ هلال بن بدر
٢٢٦	على بن يحيى	٣١١ أحمد بن كيغلغ
٢٢٩	عيسى بن منصور (ثانيا)	٣١١ تكين الخزرى (ثالثا)
٢٣٣	هرثمة بن نصر	٣٢١ ابن تكين الخزرى
٢٣٤	حاتم بن هريمة	٣٢١ أحمد بن كيغلغ (ثانيا)
٢٣٤	على بن يحيى (ثانيا)	٣٢٢ أبو بكر محمد بن طغيج الملقب بالاخشيد
٢٣٥	اسحق بن يحيى	
٢٣٦	عبد الواحد بن يحيى	٣٣٤ انجور بن محمد بن طغيج

سنة هجرية		سنة هجرية	
٢٣٨	ولاية عنبسة بن اسحق	٣٤٩	ولاية أبي الحسن محمد الاخشيد ابن الكامل
٣٥٥	« كافور الاخشيدى	٦٣٨	« الملك الصالح نجم الدين أخيه
٣٥٧	أبي الفوارس بن أبي الحسن	٦٤٨	الملك توران شاه (أوبه انتهاء الدولة الايوبية)
٣٦٢	خلافة المعز لدين الله أبو تميم (أول الفاطميين)	٦٤٨	الملك المعز الدين ايبك (اول المماليك البحرية)
٣٦٥	خلافة العزيز بالله نزار بن معد	٦٥٥	الملك المنصور نور الدين
٣٨٦	الحاكم بأمر الله	٤٨٨	المستعلى بالله
٤١١	الظاهر لاعزاز دين الله	٥٢٤	الحافظ لدين الله
٤٢٧	المستنصر بالله	٦٥٧	الملك المظفر سيف الدين
٤٩٥	الآمر باحكام الله	٦٦٨	الظاهر بيبرس
٥٤٤	الظافر بامر الله	٦٧٦	السعيد ناصر الدين
٥٤٩	الفائز بنصر الله	٦٧٨	العادل سلامش
٥٥٥	العاضد لدين الله (وبه انتهاء الفاطميين)	٦٧٨	المنصور قلاوون
٥٦٧	السلطان يوسف صلاح الدين أول الدولة الايوبية	٦٨٩	الاشرف بن قلاوون
٥٨٩	ابنه الملك العزيز عماد الدين	٦٩٣	الناصر بن قلاوون
٥٩٥	ولاية ابنه الملك المنصور ناصر الدين	٦٩٤	العادل كتبغا
٥٩٦	الملك الافضل عم المنصور	٦٩٦	الملك المنصور لاجين
٦١٥	الكامن بن الافضل	٦٩٨	الناصر بن قلاوون
٦٣٥	العادل سيف الدين	٧٠٨	المظفر بيبرس
٧٤٢	الاشرف علاء الدين	٧٠٩	الناصر بن قلاوون
٧٤٢	الناصر شهاب الدين	٧٤١	المنصور سيف الدين (١)
٧٤٣	الصالح عماد الدين	٨٠٨	الملك الناصر أبي السعادات
٧٤٦	الكامل سيف الدين	٨١٥	المؤيد أبو النصر
		٨٢٤	المظفر بن المؤيد
		٨٢٤	الظاهر سيف الدين

(١) ان هذا الملك والسبعة بعدهم ابناء الملك الناصر بن قلاوون

سنة هجرية		سنة هجرية	
٧٤٧	ولاية المظفر حاجى	٨٢٤	ولاية الصالح أبو النصر
٧٤٨	» الناصر بدر الدين	٨٢٥	» الاشرف برسباى
	حسن	٨٤١	العزيز جمال الدين
٧٥٢	الملك الصالح صلاح الدين	٨٤٢	الظاهر جقمق
٧٥٥	الناصر بدر الدين	٨٥٧	المنصور عثمان
٧٦٢	الملك المنصور صلاح الدين	٨٥٧	الاشرف اينال
	ابن حاجى	٨٦٥	المؤيد بن اينال
٧٦٤	الملك الاشرف زين الدين	٨٦٥	الظاهر حوش قدم
	شعبان	٨٧٢	الظاهر يلباى
٧٧٨	الملك المنصور علاء الدين	٨٧٢	الظاهر تمربغا
٧٨٣	الصالح زين الدين	٨٧٢	الاشرف قايتباى
	(وبه انتهت دولة المماليك	٩٠١	الناصر قايتباى
	البحرية	٩٠٤	الظاهر قانصوه الاشرفى
٧٨٣	الملك الظاهر برقوق (أول	٩٠٥	الملك أبو النصر جانبلاط
	دولة المماليك الجراكسة	٩٠٦	الملك العادل طومان باى
٨٠١	الملك الناصر ابى السعادات	٩٠٦	الاشرف قانصوه الغورى
٨٠٨	المنصور عبد العزيز	٩٢٢	الملك طومان باى الغورى

[قال الراوى] فلما مات الملك طومان باى الغورى تولى من بعده

السلطان سليم الاول ملك العثمانية

وعلى ذلك انقرضت دولة الشراكسة ودخلت مصر تحت حكم آل عثمان الكرام فلما آل تولى السلطان المذكور وجعل ابنه سليمان حاكما للاستانة العلية ثم حارب أخويه وابنا عمه فى آسيا فقتلهم جميعا ولم يبق له منهم منازع واشغل نيران الحرب بينه وبين أهل ولاية شروان والعراق الغربى وخراسان وديار بكر وبغداد وفارستان واذربيجان حتى امتدت مملكته من الخليج الفارسى إلى بحر الخزر ثم انه سافر إلى القاهرة بعد موت الغورى وشنوقا بباب زويله وزار المساجد والجوامع واسدى النعم على العلماء والاعيان وحضر احتفالى الخليج والمحمل وأرسل الصرة معه وابلغها خمسة وعشرون الف دوكه وتنازل محمد المتوكل آخر الخلفاء العباسيين بمصر للسلطان عن الخلافة وسلمه الآثار النبوية الشريفة البيرق والسيف والردة وكذلك مفاتيح الحرمين ومن هذا العهد صارت الخلافة فى آل

عثمان ثم سافر السلطان إلى استامبول ثم قصد ادرنه واثناء اقامته بها جاء سفير من اسبانيا للمخابرة فى زيارة المسيحيين للقدس مقابلة دفع المبلغ الذى كان يدفع المماليك مصر حينما كان تابعا لهم فقبل وتبعه سفير آخر من جمهورية البندقية لدفع خراج سنتين وبينما هو يستعد لاستئناف كرة الهجوم على المجم من جهة وللاستيلاء على جزيرة رودس من جهة اخرى داهمته المنون سنة تسعماية وستة وعشرين فتولى بعده ابنه

السلطان سليمان الاول القانونى

ولد غرة شعبان ٩٠٠ه ٢٧ ابريل ١٤٩٤ وفتح اعماله بتعيين مربية قاسم باشا مستشارا خاصا وابلاغ توليته إلى كافة الولاة بخطابات مستهلة بابة (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم)

ولما بلغ خبر توليته حاكم الشام الغزالى نزع إلى الثورة وحرض عليها إلى مصر وكتب له فى ذلك فجاوبه بانه لا يشترك معه إلا اذا استولى على حلب ثم بعث خطابه إلى السلطان الذى انفذ الى الغزالى جيشا ادركه وهو محاصر لها فقطع راسه وبعث بها إلى الاستانة . وفى هذا الحين بعث السلطان إلى ملك المجر فى طلب الجزية او الحرب فقتل الملك الرسول فسير السلطان جيشا فتح مدينة شابتس فى ٢ شعبان ٩٢٧ فبلغ ارداجلى المجر بين عنها فى ٢٥ رمضان ٩٢٧ ودخلها السلطان وصلى الجمعة فى احدى كنائسها ثم عاد إلى الآستانة فبعث قيصر الروس ورئيسا جمهوريتى البندقية وراجوزة فى تهنئته . وفى محرم ٩٢٨ ابرمت مع جمهورية البنادقة معاهدة ذات أهمية عظمى لانها أساس الامتيازات القنصلية فى بلاد الدولة

ولما شرع فى فتح رودس عرض على رئيس الرهبنة الانسحاب منها مع المسيحيين الذين يبغون المهاجرة فابى فارسل اليها دونمة حاصرتها فدافع الرهبان عنها دفاع الابطال وكانت تساعدهم النساء بالد الاحجار وصب الزيوت الحارة على المحاصرين ولكنهم لم يستطيعوا البقاء على الدفاع فقبل رئيسهم (دوليل آدم) الانسحاب وحظى بلقاء السلطان ١٣ صفر ٩٢٩ه ١ يناير ١٥٢٣ فنال منه كل التفات واكرام وقصد معهم جزيرة مالطة التى تنازل لهم عنها شارل الكان وبقيت فى حوزتهم حتى اخرجها نابليون من يدهم سنة ١٢١٣ه ١٧٩٨ م . وسعى فرنسوا الاول ملك فرنسا المحالفة لدولة استنجادا بها على شارل لكان ملك اسبانيا والنمسا وهولانده والمانيا وبعث سفيرا قابله ٦ ديسمبر ١٥٢٥ لعرض الامر عليه فوعده بالمساعدة وكتب لملك فرنسا بذلك كتابا فى ربيع الاول ٩٣٢ ووفاء بهذا

الوعد خرج لمحاربة المجر فى ١٠٠ الف جندى و٣٠٠ مدفع و٨٠٠ سفينة على نهر الطونا فلما وصل إلى وادى موهكس فى ٢٠ القعده وقعت بين جنوده والمجر واقعة افضت إلى هزيمة هؤلاء وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته وارسل أهل بوادا مفاتيح مدينتهم فدخلها السلطان ٣ الحجة ٩٣٢ هـ ١٠ سبتمبر ١٥٢٦ ثم عاد منها بعد أن عين ملكا عليها جارزابولى ملك ترنسلفانيا . وفى ١٥٢٧ سار فرد بنند ملك النمسا لمحاربة زابولى طمعا فى ملكه فاستنجد بالسلطان الذى زحف على بودا فى ٢٥٠ الفا من جنوده و٣٠٠ مدفع وكان فرد ينند قد احتلها فلما دنا الجيش العثمانى فر الى فيينا وسلم جنوده المدينة بغير قتال وبعد استقرار زابولى على كرسى الملك استصحبه السلطان إلى فيينا لفتحها تاركا حامية من العثمانيين فى بردا وفى ٢٧ سبتمبر صلى السلطان بجيوشه أمام فيينا ثم سلط المدافع على اسوارها فهدم جزءا منها الا ان الجنود لم تقو على الدخول لاشتداد البرد وفقاد المؤن فتكن عنها راجعا مارا ببوردا وبلغراد وفى ١٥٣١ حاصر ملك النمسا بودا فصد عنها وسار سليمان لفتح فيينا ثانيا فى ٢٠٠ الف جندى الا انه رجع عنها لما شاهد من استعداد شارلكان ولاقتراب الشتاء وأتت اثناء ذلك عمارة بحرية من سفن شارلكان والبابا لمحاربة العثمانيين فاحتل أميرها اندره دوريا تغرى كورون وبتراس فى موره وفى ١٥٣٣ طلب فرديند الصلح فابى السلطان الا المهادنة مؤقتا حتى إذا سلمت اليه مدينة جران جلعت المهادنة مصالحة وفى ٢٧ يونيو عقدت معاهدة الصلح على أن لا يرد العثمانيون شيئا مما فتحوه من المجر وأما ما تتفق النمسا عليه مع المجر لا ينفذ الا بتصديق من السلطان فى هـــذه الاثناء ايجاز شريف بك خان بد ليس إلى مملكة العجم وبعث السلطان جيشا لفتح تبريز ففتحها غرة محرم الحرام ٩٤١ هـ وجعل بها حامية عثمانية وفى ١٦ صفر وصل سليمان اليها فخضع له مظفر خان وكثيرا من امراء الفرس ثم احتل بغداد الذى كان حاكمها قد فر بجنوده وعاد بعد ذلك إلى الآستانة فوصلها ١٤ رجب ٩٤٢ هـ وفى شعبان ابرمت بين الباب العالى ومسيو لا فورى سفير فرانسا معاهدة بمنح امتيازات نزلاء الفرنسين وهى المعاهدة التى كان سببا لتداخل فرنسا ودول أوروبا فى شؤون الدولة الداخلية لا سيما فى العهد الاخير . وفى ١٥٣٥ وصل خير الدين باشا بالعمارة العثمانية إلى تونس فاحتلها وعزل سلطانها مولاى حسن آخر سلالة بنى حفص وولى مكانه أخاه حسن الرشيد فلم يجد معارضة من الاهالى الذين كانوا ناقمين عليه لميله إلى شارلكان ولما بلغ الخبر

إلى هذه الامبراطور جهز اسطولا قويا وحاصر تونس حتى فتحها ١٤ يوليو ١٥٣٥ واستباحها لجنوده وفى ٨ أغسطس أعيد مولاى حسن للملك وأبرم شارلكان معاهدة معه تجيز للمسيحيين استيطان تونس شهرا والحرية فى شعائر الدين . وبعد عودة خير الدين أنفذه السلطان لغزو البنادقة فى ألف سفينة ففتح جزائر بحر الروم ومنها كريد وفى عودته قابل ١٧٠ سفينة بامرة اندره دوريا أمير ال شارلكان فانتصر عليها فى ٢٥ سبتمبر ١٥٣٨ . وأراد السلطان الاستيلاء على ايطاليا فاغار عليها شرقا بيما كان يهاجمها خير الدين جنوبا وملك فرانسا غربا ولكن لم يتم هذا المشروع لتهارش فرانسا بعد ذلك مع شارلكان فى نيس . وفى ١٥٤٠ مات زابولى ملك المجر فحاصر النمسويون بودا . فلما بلغ هذا الخبر مسامع السلطان قصد بنفسه بلاد المجر فرفع النمسويون الحصار عنها واحتلها الانكشارية ثم دخل السلطان وجعل المجر ولاية عثمانية وحول أكبر كنائسها مسجدا وبعد انقضاء الهدنة بين فرنسوا وشارلكان استنجد فرنسوا بسليمان فتردد فى قبول استنجاده أولا ثم رضى بناء على الحاح السفير فزحف بجيوشه على المجر من جهة وانفذ خير الدين بالاسطول إلى مرسيليا من جهة اخرى بعد أن غزا فى طريقه صقلية وسار منها مع السفن الفرنسوية الى ثغر نيس ففتحها فى ٢١ جمادى الاولى ٩٥٠ ثم رفض فرنسوا مساعدة العثمانيين له وأبرم مع شارلكان معاهدة كريسى (١٥٤٤ م) فعاد خير الدين وتوفى ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م وبعد حروب طويلة بين الدولة والنمسا تم الصلح بينهما على أن تدفع النمسا جزية سنوية وتبقى المجر لابن زابولى بوصاية أمه ايزابلا وتحت رعاية الدولة . وفى ١٥٣٧ استنصر بالسلطان بعض أمراء الهند ضد البرتغاليين الذين احتلوا ثغورها فأمر والى مصر بتجهيز عمارة من السويس لفتح عدن واليمن فجهزت من ٧٠ سفينة تقل ٢٠ الف جندى وفتحت عدن ومسقط وأخذت حصون البرتغاليين ولكنها لم تقو على أخذ ثغر (دبو) فعادت من حيث أتت وحدث فى النمسا أن راهبا يدعى مارتنرز صالح بين ايزابلا وفرديند فتنازلت له عن ترنسلفانيا وتمسفار لكن ما بلغ هذا الخبر مسامع سليمان حتى أنفذ ٨٠ الف مقاتل تقهقر النمسويون أمامهم بلا حرب واظهر الراهب الميل للدولة طمعا فى ترليته على ترنسلفانيا فقتله فرديند فى ديسمبر ١٥٥١ وفى غرة فبراير ١٥٥٣ ابرمت بين الدولة وهنرى الثانى ملك فرانسا ابن فرنسوا الاول معاهدة لغزو قورسقة فسارت سفن الدولتين اليها وفتحها ولكن وقع الشقاق بين الامارتين فعادت الامارة العثمانية الى الآستانة . وكان للسلطان حظية

روسيه الاصل تدعى روكسلان فاتهمت ولده الاكبر مصطفى بالسعى لانتزاع الملك من يده فاستقدمه اليه بحجة تقليده قيادة بعض الجيش الزاحف لمحاربه العجم وقتله خنقا ثم قبلت روكسلان ابنه الثانى ليستأثر ابنها بالملك بعد أبيه

وفى ١٥٦٥ أرسلت عمارة مؤلفة من ٢٠٠ سفينة لفتح مالطة لأهمية مركزها فى البحر المتوسط فاستمر الحصار أربعة شهور حيث عادت السفن عنها فى ١١ سبتمبر ١٥٦٥ وكان داء النقرس اشتد على السلطان فتوفى ٢٠ صفر ٩٧٤ هـ ٥ سبتمبر ١٥٦٦

السلطان سليم الثانى

ولد ٦ رجب ٩٣٠ هـ ١٠ مايو ١٥٣٣ وأبى توزيع الهدايا المعتادة على الجنود فتمردو واحتقروا ضباطهم فاسرع باجابه مطالبهم ولم تتوفر فى سليم الصفات التى تؤهله لتوسيع نطاق ممالكه أو صيانتها من التبديد الذى كان يخشى منه عليها ولا دراية ودارية وزيره محمد صقللى باشا الذى من أعماله معاهدة الصلح التى بها تعهدت النمسا أن تدفع الجزية المقررة فى المعاهدات السابقة وتعترف بتبعية ترنسلفانيا والافلاق والبغدان للدولة وصارت بولونيا تحت حماية الدولة وزادت الامتيازات القنصلية لفرانسا فارسلت البعثات الدينية إلى الولايات الموجودبها مسيحيون لتربية أولادهم على محبتها فكان من أهم أسباب ضعف الدولة فيما بعد . وفى ١٥٧٠ قمعت الدولة ثورة اليمن التى كان سلطانها مطر بن شرف الدين وألزمته الاعتراف بسيادة الباب العالى على بلاده وفتحت قبرص البرالتى كانت تابعة للبنادقة فى ١٠ ربيع الاول مائة تسعة وسبعين ولبثت تابعة للدوله حتى احتلها الانكليز سنه ١٨٧٨ وغزت العمارة العثمانية كريد وزنطه واحتلت مدينتى دلسنيور وأنتبارى فاتحد البنادقة والاسبانيون والبابا على محاربه العثمانيين بحرا فقصدت سنهم وعددها ٢٣ تحت امرة دون جوان بن شارلكان فقابلتها الدوله العثمانية مؤلفة من ٣٠٠ سفينه فى ١٧ جمادى الاولى ٩٧٩ بالقرب من ليبانته وانجلى القتال عن انتصار الدونمه المسيحيه الى غنمت ١٣٠ سفينه و ٣٠٠ مدفع واحرقت واغرقت ٩٤ وأسرت ٣٠٠٠٠ إلا أن هذا الفشل لم يقعد همه العثمانيين فانهم جهزوا دوله مؤلفه من ٢٢٠ سفينة خشيت جمهوريه البنادقه أمرها فعرضت الصلح الذى انتهى بتنازلها عن قبرص ودفعها ٣٠٠٠ الف دوكا غرامه حربيه .

أما دون جوان فاحتل بعد انتصاره تونس ولكن سنان باشا استرجعها

للدوله فى ١٥٧٥ وتوفى سليم الثانى فى ٢٧ شبان تسعمائة اثنين وثمانين هـ ١٢ ديسمبر ١٥٧٤ بالغا ٥٢ عاما

السلطان مراد خان الثالث

هو ثالث أبناء سليم الثانى ولد ٥ جمادى ١٩٥٣ هـ ٤ يوليوا ١٥٤٦ وفتح أعماله بمنع شرب الخمر الذى أفرط فيه الجنود فثار الانكشارية واضطروه لاباحته بقدر لا يترتب عليه ذهول العقل ثم قتل اخوته الخمسة ليأمن مطالبتهم إياه بالملك ووضع حمايته على نولنيا عند انتخاب بانورى أمير ترسانيا ملكا عليها وفى ١٥٧٦ أبرمت هدنة ٨ سنوات بين الدولة والنمسا بين فيها أن بولونيا خاضعة لسيادة الدوله .

وفى عهده جددت الامتيازات القنصلية والتجارية لفرنسا والبنادقة ونالت ملكة الانكليز ايزابلا امتياز رفع سفنها العلم البريطانى حيث كانت كل السفن ترفع فى المياه العثمانية العلم الفرنسارى بمقتضى المعاهدات التى أبرمت مع سليمان الثانى

وفى الف وخمسمائة وثمانية وسبعون استنجد سلطان مراكش بالدولة على زعيم استعان بالبرتغاليين فاوعزت إلى والى طرابلس أن ينجده والتقى الترك والبرتغال فى جهة [القصر الكبير] فدارت عليهم الدائرة وقتل الزعيم واصبحت مراكش داخلة مع شمال افريقية فى النفوذ العثمانى . وحدثت حروب طويلة مع العجم انتهت بفتح بلاد الجركس وتنازلها عنها وعن أقاليم شروان ولورستان واذربيجان وتبريز واتحدت النمسا والمجر ففتحتا عدة قلاع عثمانية استردها سنان باشا الصدر الأعظم سنة ١٥٩٥ ثم تحالفت البغدان والافلاق وترنسلفانيا مع النمسا والمانيا على مقاتلة الدولة فسار اليهم سنان باشا فاحتل بخارست ولكن انتصر عليه أمير الافلاق ميخائيل فتقهقر العثمانيون إلى ما يلى الدانوب فتبعهم ميخائيل وانتصر عليهم ثانيا وفى هذه الاثناء أصيب السلطان بداء عياء فتوفى فى جمادى الأولى ١٠٠٣ هـ ٢٠ يناير الف وخمسمائة ستة وتسعين بالغا ٥٠ عاما

السلطان محمد خان الثالث

ولد ٧ القعدة ٩٧٤ هـ ١٦ مايو ١٥٦٦ وكان له ١٩ أخا فخنقهم قبل دفن أبيه ثم ترك زمام الامور لوزرائه الذين أكثروا من الفساد حتى انهزمت الجنود العثمانية أمام الافلاق والنمسويين وانسلخت بعض الاقاليم ولكنه هب من غفلته فتولى قيادة الجند بنفسه ففتح قلعة اولو التى عجز السلطان سليمان عن فتحها فى ١٥٥٦ ومزق جند المجر والنمسا فى ٢٦ اكتوبر ١٥٩٦ ثم حدثت فتنة فى

الاناضول سببها ان احدى الفرق المحكمة كانت ولت الادبار فى هذه الواقعة فنفيت الى آسيا واطلق عليها اسم (فرارى) تحقيرا فأدعى رئيسها قره يازيجى ان النبى صلى الله عليه وسلم وعده بأخذ آسيا من آل عثمان فدخل عينتاب ولكنه حوصر عين بعد رفع الحصار واليا لاماسيا فلم يلبث ان ثار ثانيا مع أخيه (دلى حسن) والى بغداد فداهمتهما الجنود العثمانية التى قتلت قره يازيجى ولم تستطع النفاث على دالى حسن الذى هزمها وقتل قائدها هل أسوار طوقات وهزم ولاة ديار بكر وحلب ودمشق ولما استفحل أمره عرضت عليه الدولة ولاية بوسنة فنزح اليها وحارب الافرنج مع قومه حتى بادروا عن آخرهم

وحدثت ثورة أخرى فى الآستانة سببها ان جنود الخيالة طلبوا عوضا عما فقدوه من الاقطاعات فى آسيا بسبب ثورة يازيجى فلما لم يجابوا الى طلبهم هجموا على المساجد من التحف ولكن اخضعتهم الانكشارية وتوفى السلطان فى ١٢ رجب ١٠١٢ هـ ١٦٠٣ ديسمبر ١٦٠٣ بالغا ٢٧ عاما

سلطان أحمد خان الاول

ولد ١٢ جماد الثانى ٩٩٨ هـ ١٨ ابريل ١٥٩٠ وولى الملك بعد وفاة أبيه بالغا ١٤ عاما من عمره وكانت دعائم الدولة غير وطيدة شرقا وغربا ولكن قيض لها الوزير مراد باشا قوبوجى الذى اخمى على الثوار حاولوا الاستقلال كجان بولاد الكردى وفخر الدين الدرزى والتمس جان العفو فعفى عنه وعين واليا لنمسوار وكان الشاه عباس صاحب فارس اغتنم فرصة ذلك الضعف فاسترجع العراق العجمى ووان وتبريز فتم الصلح مع الدولة على ان ترد لفارس ما فتحته من بلدانها وحصونها من عهد السلطان سليمان القانونى بما فيها بغداد

وفى اثناء ذلك اضطهد النمسويون المجر فطلبت من الدولة حمايتها منهم وكانت انتخبت بوسكاى ملكا عليها (١٦٠٥) فاعتمدت الدولة انتخابه وساعدته بجيوشها على فتح جملة حصون وبين سنتى ١٦١١ و١٦١٤ حصلت محاربات بين سفن الدولة وسفن رهبان مالطة واسبانيا كان الفوز فيها لهذه وعلى أثر ذلك ازدادت العلائق السياسية مع دول أوروبا مما افضى الى تجديد العهود القديمة مع زيادات عليها وفى ١٦١٢ تحصلت الفلمنك على امتيازات تجارية تشبه امتيازات فرنسا وانكلترا وبواسطة الفلمنك شارع تدخين التبغ فلما افتى المفتى بمنعه هاج العسكر وانتهى الامر باباحته وفى ٢٣ القعدة ١٢٠٦ ٢٣ نوفمبر ١٦١٧ توفى أحمد الاول بالغا ٢٨ عاما وأوصى بالحكم لاخيه

السلطان مصطفى خان الاول

ولد ١٠٠١ هـ ولم يمارس عملا لقضائه عمره فى الحرم وفى ابان توليته كادت تقوم الحرب بين تركيا وفرنسا لان كاتم سر السفارة الفرنسوية ساعد أحد أشراف بولونيا المسجونين بالآستانة على الفرار فسجن كاتم السر المترجم والسفير وبعد ثلاثة شهور من ولايته تآمر على عزله المفتى واغا السراى والانكشارية وكان ذلك فى غرة ربيع أول ١٠٢٧ هـ ٢٦ فبراير ١٦٨١

السلطان عثمان خان الثانى

هو ابن أحمد الاول امر باطلاق السفير وكاتبه ومترجمه وارسل خطابا اعتذار الى ملك فرنسا عن سجنهم وتداخلت بولونيا فى شؤون البغداديين فاتخذ السلطان هذا التداخل سببا لاشهار الحرب عليها لجعلها فاصلا بين املاكه والروسيا فهاجم العثمانيون معاقلهم بلا نتيجة فطلب الانكشارية الكف عن القتال ولكن قائد البولونيين كان قتلوا فطلبوا الصلح الذى ابرم ٦ اكتوبر ١٦٢٠ وعقب ذلك أراد السلطان الانتقام من الانكشارية لامتناعهم عن الحرب فنظم جيشا فى آسيا ودبر به على القتل لافنائهم به ولكنهم احسوا بنو اياه فتمردوا عليه وعزلوه فى ٢٩ رجب ١٠٣١ وأهانوه ثم قتلوه بالغا ١٨ حولا وأعادوا مكانه مصطفى الاول فاصبحت الحكومة العربة بايديهم يولون ويعزلون واتصلت بالولاة أثناء تلك الحوادث فاستقل ولاة طرابلس وأرضروم وسيواس وليثت الاضطربات ١٧ شهرا عين بعدها على باشا صدر أعظم فأشار بعزل السلطان فعزل فى ١٥ القعدة ١١٥١٠٣٢ سبتمبر الف وستمائة وثلاثة وعشرين ثم توفى الف وتسعة وأربعين وولى مكانه

السلطان مراد خان الرابع

هو ابن أحمد الاول ولد ثمانية وعشرين جمادى الاولى الف وماتة وثمانية هـ تسعة عشر اغسطس الف وستمائة وتسعة وفى أوائل حكمه سقطت بغداد فى أيدى عباس شاه فارس فصار الصدر الاعظم حافظ باشا لاسترجاعها وحاصرها ولكن الانكشارية تذمروا من طول الحصار بما اضطره الى الرجوع عنها للوصول وديار بكر

ثم توفى الشاه عباس وخلفه ابنه الفتى شاه مرزا فدخل العثمانيين الامل فى الفوز عليه فسار خسرو باشا الصدر الاعظم الى بغداد وحاصرها فى سبتمبر الف

ستمائة وثلاثين الآن المحصورين صدوا العثمانيين عنها فى أربعة عشر نوفمبر فرجعوا عنها للوصل

ولما أراد خسرو باشا استئناف كرة الهجوم لم تمتثل الجنود لا وامره فتقهقر بهم الى حلب

وعقب ذلك عزل خسرو باشا فافهم الجند ان عزله كان بسبب دفاعه عنهم فثاروا على السلطان وطلبوا منه ارجاع خسرو باشا ولكن سلط عليه من قتله وعين فى الصدارة بيروم محمد

فاستقامت الاحوال وقمع الثائرون وسار السلطان بنفسه الى العجم لاسترجاع فتوحات سليمان الاول ففتح اريوان خمسة وعشرين صفر وتبريز ثمانية وعشرين ربيع أول الف وخمسة وأربعين ثم عاد الى الاستانة فتغلب العجم على العثمانيين وبلغ الخبر مرادا فسار فى جيش ضخم الى بغداد فحاصرها ثمانية رجب الف وثمانية وأربعين

وكان يشتغل بنفسه فى اعمال الحصار تنشيطا للجنود الذين دخلوها بعد قتال لبث ثمانين وأربعين ساعة متوالية وعندئذ عرض الشاه الصلح فدامت المخابرات فيه عشرة أشهر على ان تردار يوان للفرس وتكون بغداد للدولة وتم فى ثمانية وعشرين جماد الاولى الف وتسعة واربعين وتوفى مراد عن غير عقب ستة عشر شوال الف وتسعة وأربعين بالغا واحد وثلاثين عاما

السلطان إبراهيم خان الاول

هو ابن أحمد الاول ولد اثنى عشر شوال الف وأربعة وعشرين هـ أربعة نوفمبر الف وستمائة وخمسة عشر او نز لامبرتر لسلفانيا بكف العدوان عن النمسا ففرغا لاخضاع قوازق القرم وفتح كريد التى كانت لجمهورية البندقة لتوسطها بين الآستانة وولاية الغرب واهمية مركزها الجغرافى بارخبيل يونان

وقد سيرت لفتحها دونتمة تحت أمرة يوسف باشا فوصلت الى خانيا اهم ثغور الجزيرة فى تسعة وعشرين ربيع الآخر الف وخمسة وخمسين هـ أربعة وعشرون يونيو الف وستمائة وخمسة واربعين فاستولت عليها بلا قتال لان دونتمة البندقية لم تصل فى الوقت المناسب للدفاع عنها واكتفت باحراق ثغور بتراس وكورون ومودرن من مورة ويروى ان السلطان اراد الانتقام منها بقتل كافة المسيحيين لولا معارضة المفتى اسعد زاده . وفى السنة التالية تم فتح بقية الجزيرة

ولكن لم تؤخذ مدينة قنديا لعصيان الجنود بالآستانة وبيان هذا العصيان ان السلطان رام الفتك بالانكشارية ليلة زفاف ابنته على ابن الصدر الاعظم لتداخلهم فى شؤون الدولة فتآمروا على عزله وتولية ابنه محمد الرابع ونم لهم ذلك ثمانية عشر رجب الف وثمانية وخمسين هـ ثمانية اغسطس الف وستمائة وثمانية واربعين ولكن جنود الفرسان لم تلبث ان طلبت اعادة والده فأسرع رؤساء الحزب الذى عزله بقتله خنقا فات بالغا من العمر اربعة وثلاثين عاما

تم الجزء التاسع والاربعون ويليه الجزء الخمسون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الخمسون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

السلطان محمد خان الرابع

ولد تسعة وعشرين رمضان الف وواحد وخمسة ١٥ يناير الف وستمائة واثنين واربعين وولى ثمانيه عشر رجب الف وثمانية وخمسين غير بالغ تمام السابعة بفتنة الانكشارية ولذا سارت القوضى حتى اضطر السر عسكر حسين باشا إلى رفع الحصار عن قنديا وانهزمت الدولة العثمانية امام مدينة فرقه (فوسية القريبة من ازمير) وثار آسيا الصغرى قاطرجى اوغلى وكورجى بنى وزحفا باشيا عهما على الاستانة وتغلبت مراكب البنادقة على سفن الدولة عند مضيق عند الدردنيل واحتلت تندوس ولمنوس واعترضت السفن الحاملة للمأكولات برسم الاستانه حتى علت فيها اصناف الاغذية وظلت هكذا حتى تولى الصدارة سنة الف وسبعة وسنين الوزير محمد باشا كوبريلى فانه ارغم انوف الانكشارية وشنق بطريرك الاروام لتداخله فى الفتنة واسترد من البنادقة ما احتلوه من الثغور والجزائر وكانت الحرب قائمة بين السويد وبولونيا فطلبت الاولى من الدولة مساعدتها على الثانية مقابلة الاعتراف بحمايتها عليها فامتنعت الا ان امبرتر تسلفا نيا اجاب طلب السويد مع اميرى الافلاق والبغدان فعزلتهما الدولة فتمرد فساقت اليه الجنود وطردته وعينت آخر مكانه . وماتم لها ذلك حتى ثار امير الافلاق واضطهد المسلمين فقهره الوزير محمد باشا وعزله وعين امير البغدان مكانه ثم احتل والى بودا العثمانى مدينة (جروس واردن) النمسويه فاعتبرت النمسا هذا الحادث اعلانا للحرب عليها. امافرا نسا فضعف نفوذها حيث طرد اليسوعيون من الاستانة بمساعى انكلترا وهو لانده البر وتستانتيين واستائر اليونان بخدمه بيت المقدس بعد ان كانت للكاثوليك وسببه اشتغال فرانسا بمحاربة النمسا ومساعدتها البنادقة سراً على الدفاع عن كريد وفى ١٠٧٢هـ ١٦٦١م توفى الوزير محمد فخلفه ابنه احمد فتتبع خطوات ابيه فى اعادة مجد الدولة حيث اخذ بنفسه

قلعة نوهزل النمسوية وكانت منيعة واهتزت اوربا لهذا الخبر والتمس ملك النمسا بواسطة البابا اسكندر السابع ملك فرنسا فساعده بستة آلاف انضم اليهم ٣٠ الفا من الالمانيين فانتصر الوزير كوبريلى عليهم فى ٨ محرم ١٠٧٥ الا انه لم يتقدم للامان وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار وبعدها بايام ابرمت معاهدة تجعل ترنسلفانيا تحت سيادة الدولة العلية وتقسم المجر بحيث يكون للنمسا ٣ ولايات منها والدولة أربع مع بقاء الحصون المفتوحة فى قبضتها وفى الاثناء حاولت فرنسا اعادة الصلات الوداية بينها والدولة فلم تفلح حيث رفض الصدر تجديد امتيازات فرنسا وإمرار بضائعها برسم الهند من مصر ومنح جمهورية جنوة امتيازات كانكلترا ولهذا ساعد الفرنسيون كانديا حتى فتحها الصدر الاعظم بنفسه فى ٢٩ ربيع الاول ١٠٨٠ بعد ان استمر الحصار والقتال عامين وأمضى مع البندقية معاهدة تعترف فيها بامتلاك الدولة للجزيرة ماعدا قرى سودا وقره بوزا وسبينا لونجا وفى ١٦٧٠ ارسل ملك فرنسا سفيرا آخر لاعادة الصلات يعززه اسطول قصد به ارهاب الدولة فرجع من مهمته كما عاد الاول وأراد لويس الرابع عشر لذلك محاربتها ولكن وزيره كولبر استعمل دهاءه فى تسكينه وتوصل باللطف واللين الى تجديد المعاهدات القديمة ومنها حق حماية المقدس وفى ٢٤ رمضان ١٠٨٧ هـ توفى الصدر كوبرتلى احمد فخلفه قره مصطفى زوج اخته الذى حاصر فيينا سنة ١٦٨٣ واستولى على تلاعها الامامية وذلك اسوارها وكان البابا قد استنجد بملوك النصرانية فلما كاد يتم الفتح جاء سوبسكى ملك بولونيا وغيره فهجموا على العثمانيين فى ١٠ رمضان ١٠٩٤ وهزموهم فبعث السلطان بمن أتى برأس قره مصطفى

وبعد هذه الواقعة تحالفت النمسا وبولونيا والبندقية ورهبانة مالطه والبابا والروسيا على محاربة الدولة محاربة دينية ولذا وصف هذا التحالف بالمقدس فزحفت جيوش وبيسكى على البغدان وسارت اساطيل البنادقة والبابا والرهبة الى سواحل اليونان فاحتل البنادقة موانئها حتى كورنثة وأثينا وأخذ النمسيون مدينة بست وحاصروا بودا وكادوا ياخذونها لولا مدافعة حاميتها ثم احتلوا نوهزل وغيرها ولما تعاقب الفشل عزل الصدر ابراهيم وعين مكانه السر عسكر سليمان الذى بادر بامداد حامية بواد التى يحاصرها ٩٠ لف نمسوى ولكن الدوق دى لورين قائد هذا الجيش دخلها عنوة ١٣ شوال لف سبعة وتسعين هـ اثنين وستمير الف ستمائة ستة وثمانين وقتل حاكمها عبدى باشا وكان بهذا الاستيلاء

ضياعها حتى الآن . وفى ٣ شوال الف ثمانية وتسعين التقى الصدر وجيشه المؤلف من ٦٠ الف مقاتل ، ٧٠ مدفعا بجنود الاعداء فانهزم وغنم هؤلاء ما كان معه من أسلحة وذخائر ولما ترامت أنباء هذا الفشل إلى الآستانة هاج الناس والعساكر وطلبوا من السلطان أن يقتل الصدر فقتلهم إلا انهم لم تخمد فتنتهم إلا بعزله فى اثنين محرم الف تسعة وتسعين وتوفى الف ومائة وأربعة بالغا ثلاثة وخمسين عاما

السلطان سليمان خان الثانى

هو أخو السابق ولد خمسة عشر محرم الف اثنين وخمسين هـ خمسة عشر ابريل الف وستمائة واثنين وأربعين واستمرت فتنة الجيش الذى قتل قواده وفتك بالصدر الجديد سياوس باشا فاحتل النمسويون جملة قلاع ومدن عثمانية فى الصرب والبنادقة بعض ثغار اليونان فعزله السلطان الصدر مصطفى باشا وعين بدله مصطفى باشا ابن كوبريلى فبحث روح النظام فى الجند وأباح للمسيحيين بناء ما تهدم من كنائسهم وعاقب من تعرض لهم فى إقامة شعائر دينهم ولذا ثار أهل مورة على البنادقة فطاردوهم لاجبارهم اياهم على اعتناق الكاثوليكية . ولما استتب الامن وساد النظام استرد بنفسه مدائن نيش وسمندرية وودين وبلغراد التى كانت فقدت (١٦٩٠) وأخضع سليم كراى خان القرم ثوار الصرب وتيكلى المجرى اقليم ترسلفانيا وفى ٢٦ رمضان ١١٠٢ توفى سليمان الثانى عن غير عقب بالغا ٥٩ عاما

السلطان احمد خان الثانى

هو أخو السابق ولد ٦ الحجة ١٠٥٢ هـ ٢٥ فبراير ١٦٤٣ وفى ابان حكمه توفى الصدر اثناء مقاتلة النمسويين فكان موته ضربة على الدولة لعدم كفاءة خلفه عربة جى باشا ولم يحصل بعد ذلك شىء يذكر غير البنادقة احتلوا صافر ثم توفى السلطان ٢٢ جمادى الثانية ١١٠٦ هـ ٦ فبراير ١٦٩٥ بالغا ٥٤ عاما

السلطان مصطفى خان الثانى

هو ابن السلطان محمد الرابع ولد ٨ القعدة ١٠٧٤ هـ ٢٥ يوليو ١٦٦٣ وكان على الهمة فانتصر على البولونيين واضطر الروس لرفع الحصارة عن ازاق (القرم) التى كان يريد بطرس الاكبر اتخاذها ثغرا لبلاده على البحر الاسود ثم على المجر ففتح حصن لبا وهزم القائد فنرانى وقتل من عساكره ٦٠٠٠ وفى سنة ١٦٩٦ فاز على أمير ساكس وكان أوجين دى سافو قد تقلد قيادة الجيش النمسوى فدهم العثمانيين اثناء عبورهم فقتل كثيرين من بينهم الصدر الاعظم الماس محمد باشا وغرق الاكثر

وأثناء اشتغال السلطان بالمجر فتح بطرس الاكبر آزاق وهى لا تزال تابعة الروسيا إلى الآن ثم تمكن الصدر الجديد كوبريلى حسين باشا من صدر البرنس اوجين والزامه باخلاء البوسنة التى كان احتلها عقب تلك الواقعة واسترد الاميرال العثمانى جزيرة ضاقز من البنادقة . وبعد مخابرات طويلة امضيت بين الدولة والنمسا والروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتش فى ٢٢ رجب ١١١٠ هـ ٢٦ يناير ١٦٩٩ فتخلت الدولة بمقتضاها عن المجر وترنسلفانيا للنمسا وازاق الروسيا وكامنتك وبودوليا واوكروين لبولونيا والمورة واقليم دلماسيا للبندقية ومن هذا العهد ظهرت سياسة التعصب ضد الدولة لاقتسام املاكها . وفى ربيع ١١١٤ استقال الصدر بعد أن تفرغ مدة لاصلاح الشئون الداخلية فعين مكانه دال طيان مصطفى وكان ميالا للحرب فاراد نقض معاهدة كارلوفتش فاقاله السلطان فى رمضان باشا وعين مكانه رامى محمد باشا الذى اقتفى أثر كوبريلى حسين فى التنظيم والتنديق إلا أن الانكشارية طلبوا من السلطان عزله فبعث فرقة من الجند لتأديبهم فانضمت اليهم وعزل السلطان فى ٢ ربيع آخر ١١١٥ هـ ١٥ اغسطس ١٧٠٣ وتوفى ٢٢ شعبان التالى بالغا ٤٠ عاما

السلطان احمد خان الثالث

ابن محمد الرابع ولد ٣ رمضان ١٠٨٣ هـ ٢٣ ديسمبر ١٦٧٣ اغدق على الانكشارية العطاء وصرح لهم بقتل المفتى ولكنه لم يلبث ان انقلب عليهم فقتل زعماءهم وعزل الصدر نشانجى أحمد باشا الذى كانوا انتخبوه وعين بدله داماد حسن باشا ولكنهم تمكنوا من عزله . ولما ولى الصدارة بلطه جى محمد باشا حارب الروسيا بمائة ألف جندى فحاصر القيصر بطرس الاكبر وخايلته كاترينا التى أرشته بما كان معها من الجواهر والحلى فرفع الحصار عنهما وامضى القيصر على معاهدة فلكزن (٢٥ يوليو ١٧١١) التى قضت عليه باخلاء مدينة ازاق ولما علمت خيانة الصدر استبعده السلطان إلى جزيرة لمنوس وعين بدله يوسف باشا فعقد مع الروسيا معاهدة بعد المحاربة ٢٥ عاما ولكن لم تمض شهور حتى شبت الحرب فتداخلت انكلترا وهولانده فى منعها وأبرمت معاهدة ادرنه (١٨ يوليو ١٧١٣) القاضية بتنازل الروسيا عن كافة ماملها من البلاد على البحر الاسود . ولما ولى الصدر على باشا اماد استرد مورة من البنادقة وأخذ ما كان لهم من القرى فى كريد فاستنجدت البندقية بالنمسا التى ابلغت الباب العالى بأنه إذا لم يرد لها ما أخذه منها اعتبر الرفض اعلان

حرب ففضلت الدوكة الحرب فانتصر البرنس اوجين دى سافوا عليها فى ٥ اغسطس ١٧١٦ وقتل الصدر الأعظم وفتح تمسوار بعد حصار ٤٤ يوما ودخل بلغراد ١٩ اغسطس ١٧١٧ بعد تغلبه على الصدر الجديد خليل باشا وتم الصلح ٢١ يوليو ١٧١٨ على أخذ النمسا مافتحته مع شطر كبير من الصرب والافلاق وأن تبقى شواطىء دلماسيا للبندقة وتسمى هذه المعاهدة بمعاهدة باسروفتش ٥ وفى ٣ شوال ١١٣٦ هـ ٢٤ يوليو ١٧٢٤ عقدت معاهدة بين الدولة والروسيا باقتسام بلاد العجم التى طلب ملكها طهماسب فيما بعد من الدولة اعادة ما اخذته من بلاده فلما لم تجبه إلى طلبه زحف عليها ولرغبة السلطان فى الصلح عزلوه ١٥ ربيع الاول (١١٤٣) وبقى معزولا حتى توفى (الف مائة تسع واربعين) وفى عهده أسست دار الطباعة بالاستانة وصدرت الفتوى بعدم طبع القرآن الشريف خوفا من التحريف

السلطان محمود خان الاول

ابن مصطفى الثانى ولد أربع محرم ألف مائة وثمانية ه اثنين اغسطس ألف وستمائة وتسعين وفى عهده قهر العثمانيون العجم فطلب الشاه طهماسب الصلح الذى تم اثنى عشر رجب ألف مائة أربعة وأربعين ه عشر يناير ألف وسبعمائة واثنين وثلاثين على أن يبقى للدولة مافتحته عدا أقليم لورستان ولكن نادرخان أكبر ولاة الدولة الفارسية لم يرق فى نظره هذه المعاهدة فعزل الشاه وولى مكانه ابنه عباس الثالث تحت وصايته ثم تغلب على جنود الدولة فى وقائع أفضت إلى عقد صلح اعترفت فيه بنادر ملكا على العجم وتعهدت برد كل ما أخذته منها اليه ٥ وخلال هذه الحوادث اتفقت الروسيا والنمسا والبروسيا سرا على منع بولونيا من انتخاب ملك وطنى لها ذريعة لبث الثورة فيها وتحقيقا لسياسة بطرس الاكبر القاضية بالسعى لاضعاف السويد وبولونيا والدولة العلية فلما انتخب الاهالى ستانسلاس ملكا عليهم أعلنت الروسيا والنمسا الحرب على بولونيا وناداتا باغوست الثالث ملكا ولو لم ينتخبه الاهالى واحتلت جنودهما أرجاء بولونيا وكانت فرانسا اثناء ذلك تجتهد فى استمالة الدولة إلى محالفتها فلما أحست النمسا بذلك تأهبت لمشاركة الروسيا فى قتال الدولة العلية وفى مارس ألف وسبعمائة وسبعة وعشرين أغارت الرسيا على القرم واحتلت ثغر آزاق وغيره مما اضطر الدولة إلى التعجل فى ابرام الصلح مع العجم على المثال السابق ٥ وكان الروسيون من جهة أخرى قد احتلوا البغدان وأغار النمسويون أيضا على البوسنة والصرب فاتيح للجنود العثمانية بحسن

تدبير الصدر الاعظم الحاج محمد باشا الانتصار عليهم هنا وهناك فقهر النمسويون الى مابلى الدانوب النمسوا بواسطة سفير فرنسا المسيو فيلنوب الصلح الذى تم على تنازلهم للدولة على بلغراد وما أعطى لهم من الصرب والافلاق بمقتضى معاهدة يسار وفتش وتعهدت الروسيا من جهة ثانية ان تهدم قلاع آزاق وان لا تسير فى البحر الاسود سفنا حربية ولا تجارية بل تنقل تجارتها على السفن الاجنبية وعلى أثر ذلك أى سنة ١٧٤٠ تحالف الدولة مع السويد تحالف هجوم ودفاع ضد الروسيا فيما لو تعدت هذه احداهما ولها وليت ما رى تبريز مملكة النمسا بعد وفاة أبيها شارل السادس (اكتوبر ١٧٤٠) ابتدأت بين هذه المملكة وفرنسا الحرب المعروفة فى التاريخ بحرب (أرث النمسا) فعرضت فرنسا على الدولة استرجاع المجر بحيث تعود مملكتها الى ماكانت عليه من الاتساع فى عهد سليمان القانونى وأبانت لها فوائد ذلك فى المستقبل من صد مطامع الروسيا عنها فلم تصغ الى هذه النصيحة حبا فى السلم وهى غلطة سياسية ضاعفتها بنزع السيادة والحكم من أيدى الاشراف فى الافلاق والبغدان لتعهد بهما الى خليط من الاروام الذين اساءوا التصرف وساروا بين الاهالى سيرا اضطرهم لتوجيه انظارهم نحو الروسيا واعتبارهم اها المنقذة لهم فى المستقبل من مخالب الظلم والاستبداد وفى ٢٧ صفر ١١٦٨ هـ ١٣ ديسمبر ١٧٥٤ توفى السلطان محمود الاول بالغا ستين عاما

السلطان عثمان خان الثالث

ولد مائة احدى عشر ه الف ستمائة وتسعين وعين نشانجى على باشا صدرا أعظم فسار بين الناس بالظلم وكان من عادة السلطان ان يطوف الشوارع والازقة متنكرا فسمع ذم الناس له وتحدثهم بمظالمه فامر بقتله ووضع رأسه فى صحفة من الفضة امام باب السراى وعين مكانه مصطفى باشا ثم استبدله براغب باشا الشهير بمعارفه ومؤلفاته الجليلة (التى منها سفينة الراغب المطبوعة فى بولاق) وتوفى السلطان ستة عشر صفر الف ومائة واحد وسبعين ه ثلاثين اكتوبر الف سبعمائة سبعة وخمسين بالغا ستين عاما ولم يحدث فى عهده شأن خطير

السلطان مصطفى خان الثالث

ابن أحمد الثالث ولد الف ومائة وتسعة وثلاثين سعى وزيره راغب باشا فى انشاء المستشفيات وتسهيل المواصلات ومن مشروعاته فى ذلك ايصال نهر الدجلة بالاستانة بواسطة المجارى الطبيعية بينها ولكنه توفى أربعة وعشرين رمضان

الف ومائة وستة وسبعين بدون ان ينفذ مشروعه وبعد وفاته استمرت الحرب بين الدولة والروسيا وذلك ان الدولة لما احست بالخطر بعد استيلاء الروسيا على أملاك السويد وتداخلها فى شؤون بولونيا الى حد ان الامبراطورة كاترينة الثانية جعلت عاشقها ستانسلاس بونيا توسكى ملكا عليها أشهرت الحرب الروسيا فصار الصدر فشابحى محمد امين باشا فى جمادى الآخر الف ومائة واثنين وثمانين الدفاع عن مدينة شوكريم التى حاصرها الروسيون فلم ينجح لمخالفته الاوامر العسكريه السلطانيه فامر السلطان بقتله وعين بدله مولد واتى على باشا وكان شهما ومتضلعا من فنون الحرب ولكنه اتفق انه بينما كان يجتاز نهر دينستر على جسر من المراكب فاضت مياهه بغتة فغرقت المراكب ومات ستة آلاف جندى غرقا وقتل الآخرون بالمقذوفات

[سبعة عشر جمادى الاولى الف ومائة ثلاث وثمانين ه ثمانية عشر سبتمبر الف وسبعمائه وتسعة وستين] وعلى اثر هذا الحادث احتل الروسيون الافلاق والبغدان ووصل فى الاثناء اسطول روسى الى مورة لاثارة اهلها ثم حاز فانتصرت الدولة العثمانيه عليه فى المضيق الذى بين هذه الجزيرة وشطوط آسيا وبينما كان العثمانيون عائدين تبعتهم خرافتان روسيتان فظنوا أنهما تريدان التسليم فلم يغارضوهم فى دخول ميناء [جشمه] ولكنهما صبتا النار على السفن العثمانيه حتى احرقتاها عن آخرها وسار الاميرال الروسى قاصدا الاستانه ولكنه اكتفى باحتلال جزيرة لمنوس وكان السلطان قد عهد الى البارون دى توت المجرى تحصين الدردنيل وتحويل السفن التجاريه الى حربيه وترتيب الطوبجيه وانشاء مدرسه لتخريج الضباط وكانت نتيجة هذه النهضه ان تترد القبطان حسن بك جزيرة لمنوس ولم يفتح الروسيون فى الاستيلاء على طرابزون وانما احتلوا القوم وفصلوها عن الدولة وعينوا جاهين كراى خانا عليها تحت حمايتهم ثم طلبوا من السلطان الموافقه على تسليم حصون القرم وحرية الملاحه فى البحر الاسود وبحر الارخبيل وحق حماية المسيحين الارتوذكسيين فى الممالك العثمانية فجاوبهم باستئناف القتال والتنكيل بهم امام مدينه سلستره ورستجق وفى الوقت نفسه كان على بك شيخ البلد استقل بشؤون مصر فاستعان بالدوله الروسية على اخذ غزه ونابلس واورشليم ويافا ودمشق ولكنه لم يلبث ان ثار عليه محمد بك ابو الذهب من الممالك فلما عاد لمحاربته انهزم ففر الى عكا واتحد مع الشيخ طاهر عام لها على تخليص صيدا من الجنود العثمانية فتمكنا من ذلك بواسطة الدعمة

الروسية ثم عاد على بك الى مصر لمحاربة ابى الذهب وكان فى جيشه ٤٠٠ رومى فتلاقيا بالصالحية فدارت عليه الدائرة واصيب بجرح توفى بسببه وأسر أربعة من ضباط الروس فارسلوا مع رأسه الى الاستانة وكانت وفاة مصطفى الثالث ٧ القعدة ١١٨٧ ١٧٧٤ يناير الف سبعمائة اربعة وسبعين

السلطان عبد الحميد خان الاول

ابن السلطان احمد الثالث وأخو السابق ولد الف ومائة سبعة وثلاثين ه ١٧٢٤م لم تمض اشهر من حكمه حتى اجتاز جيش الروسيا نهر الطونة قاصدا ادرنه وقهر الجيش العثمانى الذى انقد اليه من شوملا بالقرب من فوز لبجق (أربعة عشرين ليوالف سبعمائة اربعة وسبعين) ثم قصد معسكر الصدر الذى طلب الصلح فابرمت معاهدته فى ٢١ منه بمدينة فينارجة وسمى بها وهى مؤلفه من ٢٨ ماده تتضمن اعتراف الدولة باستقلال القرم ويسارابيا واعطاء القيصر لقب بادیشاه فى المعاهدات والمحررات الرسمية ومنح حرية الملاحة فى البحرين الاسود والمتوسط وبناء كنيسة فى بيرا بالاستانة ودفع الدولة غرامه حربية قدرها خمسة عشر الف كيس ولما تم للقرم الاستقلال سعت الروسيا للاستيلاء عليها ببث الفتن حتى اذا كادت تشب فيها الحرب الاهلية احتلتها بسبعين الف جندى خلافا لما تقتضى به معاهدة فينارجة فارادت الدولة محاربتها ولكن فرنسا نصحتها بالعدول لعدم استعدادها ولما تعلمه من نوايا الروسيا نحوها فمالوا نصحها الناس فاعترفت بضم القرم للروسيا ولم تثبط همم الروس بل حصنوا سباستوبول وأنشأوا دونتمة بحرية قويه وبثوا الجواسيس لاثارة خواطر المسيحين على الدولة وفى الف وسبعمائة سبعة وثمانين طاقت الامبراطورة كاترينة بلاد القرم فاقام لها القائد الروسى اقواس نصر كتب عليها

(طريق بيزنطة) أى الاستانة فلما علمت الدولة بذلك بعثت بلاغا الى الروسيا تطلب فيه تسليم مفرو كوردانوا حاكم الافلاق الذى التجأ اليها والتنازل عن حماية الكرج وعزل القناصل المميجين الاهالى وقبول قناصل عثمانين فى البحر الاسود وتفتيش المراكب الروسيه التى تمر من الاستانه فلما رفض السفير هذه الطلبات اعلن الباب العالى الحرب وكان القائد الروسى على غير استعداد فيصح للامبراطورة باخلاء القرم الا أنها أمرته بالسير فى الحال فدخل بلدة اوزى فى ٢٠ ربيع آخر ١٢٠٣ وكانت النمسا اعلنت الحرب على الدولة لمساعدة الروسيا ورام امبراطورها يوسف الثانى أخذ بغراد

فارتد منها بالخيبة إلى تمسوار حيث تعقبه العثمانيون وبعد قليل ترقى السلطان اثناعشر رجب ألف وثلثمائة وثلاثه هـ سبعه ابريل الفا سبعمائه وتسعه وثمانون بالفا ستة وستون عاما

السلطان سليم خان الثالث

ابن مصطفى الثالث ولد الفا ومائه خمسه وسبعين هـ ألف سبعمائة اثنين وستين م وأبان ولايته اتحدت جيوش الروسيا والنمسا ضد العثمانيين فاستظهرت عليهم (واحد وثلاثون يوليو واثنين وعشرين سبتمبر) بما كانت نتيجة استيلاء الروس على مدينة بندر واحتلالهم الشطر الاكبر من الافلاق والبغدان وبساربيا ودخول النمسويين بلغراد وفتحهم الصرب واتفق فى هذه الاثناء أن توفى يوسف الثانى امبراطور النمسا (٢٠ فبراير ١٧٩٠) وخلفه ليوبولد الثانى وابرم معها معاهدة زشتوى (٤ اغسطس الف تسعمائه وسبعة عشر) التى رد اليها بمقتضاها الصرب وبلغراد وسائر فتوحاتها تقريبا هـ وبعد الصلح اصلحت الدوله شؤونها الداخلية فانشأت السفن الحربية على طراز الفرنسوية والانكليزية وصبت المدافع الضخمه وحسنت مدرستى البحريه والطوبجيه وترجمت المؤلفات الشهيرة فى الفنون العسكريه وشرع فى تنظيم فرق الجيش بعناية رجل انكليزى اعتنق الاسلام فسمى انكليزى مصطفى هـ وفى الف ومائتين وثلاثة عشر هـ الفا وسبعمايه ثمانية وتسعون م جهزت فرنسا فى طرلون جيشا مؤلفا من ٣٦ الف مقاتل وعشرة آلاف بحرى تحت قيادة نابوليون بونابارت فسار بقله ٣٠ سفينه حربيه واثنين وسبعين كورفيت وربعاته تقاله إلى جهة غير معلومه فوصل مالطه فى عشرة يونيو واحتلها ثم الاسكندريه فى ٢ يوليو فدخلها وانتهت مدة الاحتلال بتسليم القائد منو ٢٢ ربيع آخر الفين ومائتين وسته عشر هـ اثنين سبتمبر الف واحد وثمانمائة وبسفره مع جنوده من ثغر رشيد إلى فرنسا على سفن انكليزيه هـ وخلال هذه الحوادث فزع إلى العصيان على باشا ولى يانيا وهو من سلالة الاروام الذين اعتنقوا الاسلام ابان الفتح ولكنه عدل إلى مصافاة الدوله التى عينته واليا على ابيروس مسقط رأسه فساعدها على اخضاع وإلى أشقودره ودلوينو اللذين عصيا الدوله ولما احتل الفرنسويون مصر وأعلنت الدوله عليهم الحرب كان من أعماله ان احتل ثغر اوترنتو وفتح مدينه بروازة بعد أن فاز على الجنود الفرنسويه فى واقعه عنيفه ولما كوفىء برتبه الروملى التى تخول لصاحبها الحق فى قيادة الجيوش بعد للصدر الاعظم

عهدت اليه هذه المهمة فى محاربة المقدونيين الذين ساروا بتغرير الروسيا فزحف عليهم فى ثمانين الفا مقاتل وأخضعهم . ولكنه اغتر بهذا الظفر فتحصن فى ابيروس وصار كحاكم مستقل فيها هـ وتوالت بعد ذلك الفتن وفاز أصحابها على الجنود مرارا فاراد السلطان تجربة فرقة المنظمة فارسل منها فرقا لم تقو عصبات الثوار على الوقوف أمامها فسر السلطان وأمر الولاة بترتيب العسكرية على النظام الجديد فثار الانكشارية باتفاق مع العلماء والطلبة فعدل السلطان عن هذا المشروع المفيد ارضاء لهم . وكان من أهم تلك الفتن قيام الضرب لطلب الاستقلال فعرض والى اشقودرة عليهم الاستقلال الادارى مقابلة دفعهم ٦٠٠ الف فلورينز لتوزيعة على العساكر الذين أعطيت اليهم الاراضى الصربية بالتزام فقبل زعيمهم ولكن لم يقبل الباب العالى وأبى الاخضاعهم كرها عما كان سببا لانتشاب الحرب بينه وبين الروسيا وحدث بعد خروج الفرنسويين من مصر أن بونابرت بعث الجنرال سيستيانى لتجديد روابط الود مع الدولة وقد تمكن من عزل أمير الافلاق والبغدان المحاربين للروسيا فارسلت هذه جنودها لاحتلالها بدون إعلان حرب واتحدت انكلترا معها حيث أرسلت دونمتها تحت امرة الدوق وورث الدردنيل وطلبت من الدولة تسليم الاسطول العثمانى والدردنيل لها والتنازل عن الافلاق والبغدان للروسيا وطرد الجنرال سيستيانى من الاستانة وإعلان الحرب على فرانسا وإلا اضطرت الى اجتياز الدردنيل وضرب الاستانة فرفضت فاجتاز الامير البوغاز ولم يكن محصنا (اثنى عشر الحجة الف ومائتين واحدى وعشرين هـ عشرين فبراير الف ثمانمائة وسبعة) ودمر السفن العثمانية فى جاليبولى ثم وقف خارج البسفور هـ وما شاع هذا الخبر حتى هلعت القلوب وطلب السلطان من السفير الفرنسوى مبارحة الاستانة فقابله السفير وأكد له صدور أمر نابليون إلى جيوشه فى سواحل بحر الادرياتيك بالسفر لمساعدته فعندئذ رفض طلبات انكلترا وكان العساكر والاهالى ونزلاء الفرنسويين يواصلون الليل بالنهار فى تشييد القلاع وتسليحها بالمدافع ويشرف السلطان بنفسه على أعمالهم مع استمرار تحصين الدردنيل فأسرع الاميرال بالعودة إلى البحر المتوسط خوفا من انحصاره بين البوغازين ووقوعه بين نارين (عشرين الحجة الف ومائتين واحد وعشرين) وكان قد قتل من رجاله ٦٠٠ وغرقت سفينتان من سفنه هـ وأثناء اشتعال نار الحرب بين الروسيا والدولة حدثت ثورة فى الاستانة بتحريك مفتيها والقائمقام الصدر ضد التعظيمات الجديدة

وانبث الثائرون في الجيش في أرجاء المدينة لقتل معضدي هذا المشروع فقتلوهم وصفوا رؤوسهم في رحبة (آت ميدان) ولما بلغ السلطان هذا الخبر بادر بالغاء النظام الجديد ولكن خشي الثائرون ان يعود اليهم فنادوا بعزله (واحد وعشرين ربيع آخر ألف وماتتين اثنين وعشرين ه ثمانية وعشرون يونيو الف ثمانماية وسبعة وتوفي ٤ جمادى الاولى الف وماتتين ثلاثة وعشرون بالغا ثمانية وأربعين عاما

السلطان مصطفى خان الرابع

ابن عبد الحميد الاول ولد الف وماتة وثلاثة وتسعون ه الف وسبعماتة تسعة وسبعين م وكان واضحا لمبغضي النظام الجديد فسار على أهوائهم ولما نمى خبرهم إلى انكشارية الجيش المحارب للروس قتلوا قائدهم الصدر حلبي إبراهيم باشا وأقاموا مكانه جلبي مصطفى باشا فسار الحرج في الجيش ولولا اشتغال الجنود الروسية في ألمانيا بمحاربة نابليون وخذلانها امامه في واقعة فردلاند لحاقت الاضرار بالعثمانيين ولكنها رجعت عن البغدان من غير حرب

[قال الراوي] ولما تم الصلح مع فرانسا والروسيا على ان تكون الاولى الوسيط بين الثانية والباب العالي في الصلح وإلا اتحدت معها على سلخ أملاك الدولة فيأخذ الفرنسويون البوسنة واليانيا وابيروس واليونان ومقدونيا والوشيوف الافلاق والبغدان وبلغاريا وتراسة ه وفي ٣ جمادى الاولى أبلغت المعاهدة للروسيا وتركيا فقبلناها وأمضينا عليها في تسعة عشر جمادى الثانية ولكن الروسيا أخلت بشروطها حيث لم تنجل عن الافلاق والبغدان ثم حدثت فتنة وهي أن مصطفى باشا البيرقدار حاكم وسنجق ومن أنصار سليم الثالث وبرمكيدة لعزل السلطان مصطفى فلما وقف على سرها قتل سليمان ورمى بجثته إلى الثائرين الذين ازدادوا هياجا وعزلوه ثم قتلوه سيأتي

السلطان محمود خان الثاني

ابن عبد الحميد الاول ولد ثلاثة عشر رمضان الف وماتة تسعة وتسعين وقد عهد بالصدارة الى البيرقدار وكلفه بتنظيم الانكشارية وتقليدهم الاسلحة الحديثة فلما شرع في تنفيذ هذه الارادة تولاهم الغيظ ونزعوا إلى العصيان في قلبية فانفذ اليهم اثني عشر الف مقاتل من جيوشه ولم يبق معه سوى أربعة آلاف فاغتنم الانكشارية هذه الفرصة وأرادوا في ٢٧ رمضان ١٢٢٣ه ارجاع السلطان مصطفى فاعترضهم البيرقدار. ولما أحس بضعف جنوده وخشي من فوزهم عليه

قتل السلطان مصطفى والقى جثته اليهم فأضرموا النار في السراي المالوكية ليضطروا البيرقدار إلى الفرار ولكنه فضل البقاء حتى مات محروقا وأثناء ذلك كان رامز باشا أمير البحر قد أتى بثلاث سفن عند عمر البسفور وأمرها بالقاء القنابل على تكنات الانكشارية ثم نزل مع البحرية إلى البر لمقاتلتهم وشاركه في ذلك عبد الرحمن باشا فقهرهم معه ثم رأى هذه أحسن فرصة لابادتهم فسارت الجنود في اليوم التالي تنصب عليهم القذائف حتى إذا رأوا ان لا مناص لهم من الهلاك أضرموا النار في جوانب المدينة فاذعن السلطان لمطاليهم صرنا لها عن الدمار ه وبعد هذه الفتنة عقد الباب العالي الصلح مع انكلترا في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٢٤ ٦ يناير ١٨٠٩ واستونفت الحرب مع الروسيا فانهزم الصدر يوسف ضياء باشا واستولى الروس مدائن اسماعيل وسلستره وبازار حق ورستجق وويكوبولي ولذا عزل وعين مكانه أحمد باشا الذي انتصر عليهم (سنة الف وثمانماية واحد عشر وألزمهم باخلاء رستجق إلا أنهم عادوا فاحتلوها وكانت العلائق وقتئذ في فتورين الروسيا وفرنسا والحرب بينهما منتظرة الوقوع فعقدت الروسيا مع الدولة معاهدة بخارست (١٦ جمادى ١٢٢٧ ٢٨ مايو الف وثمانماية واثني عشر على أن تبقى الافلاق والبغدان للدولة وكذلك الضرب مع بعض امتيازات لا أهمية لها وبذلك تفرغت لمحاربة نابليون وقهقرته بعد احراقه مدينة موسكو ولما بلغ خبر هذه المعاهدة إلى زعماء ثورة الصرب آثروا التفاني في الدفاع من استقلالهم فأخضعتهم الدولة جهرا وعينت ميلوش أوبرينوفتش منها شيخا لاحدى القرى بما تظاهر به من الولاء. فكلف على ثارة الخواطر حتى إذا أقبل عيد الفصح سنة الف وسبعماية وخمسة عشر رفع لواء العصيان وظل القتال بينه وبين الجنود عامين أذعن بعدهما على أن تدير الصرب شؤونها الداخلية بنفسها فقبل الباب العالي وعين واليا عنها مرعشلي باشا وأمرته بالرفق في معاملة أهلها وفي عهد السلطان محمود ظهرت فتنة الوهابية ببلاد العرب فوكل إلى والي مصر محمد علي باشا اخضاعها واسترداد مكة والمدينة منها فتم له ذلك في القعدة ١٢٣٣ وفي خلال هذه الحوادث عقد اليونانيون النية على عصيان الدولة فاغتنموا فرصة اشتغالها بمحاربة علي بك والي بانيا الذي كان اعتصم بجبال ابيروس واستبد فيها لاشعال الثورة. ولما انتهت من فتنة بقتيله في ٥ فبراير ١٨٢٢ كلف خورشيد باشا باخضاع اليونان فتغلبوا عليه في أغسطس فانتحر بالسم وكان البحرية اليونانيون أحرقوا أسطولا عثمانيا في صاقز يوم ١٨ يونيو مات ثلاثة آلاف من

وجاله ولما رأى السلطان نزول هذه الشدائد ناط بمحمد على باشا والى مصر محاربة الثوار وجعله لذلك واليا لكريد وموره يقمع الثوره فباحرت التجريدة المصرية (١٩ القعدة ١٢٣٩ = ١٦ يوليو) الى رودس تحت قيادة ابراهيم باشا الذى أمر الضابط سيف (سليمان الفرنسوى) بحمايتها من تعديات الثوار واحتل هوكريد ثم قصد موره فنزل بجنوده فى ميناء مودون وامد مدينة كورون التى كان يحاصرها الثوار بالرجال والذخائر وفتح مدينة نافارين بعد حصار شديد فى ٢٨ رمضان ١٢٤١ = ١٦ مايو ١٨٢٥ ثم كلاما تافتريبولفسا فميسوا لو بحى فى ٢٤ رمضان ١٢٤١ = ٢٣ ابريل الف ثمانية ستة وعشرين وبعدها التاريخ بعشرة شهور فتح العثمانيون اتينه بالرغم عن دفاع اللورد كرشران الذى كان عينه اليونانيون قائدا عاما لهم لاختلافهم على تعيين واحد منهم

واثناء الاستمرار على الفتح تداخلت الدول فاضطرت الروسيا الباب العالى على امضاء معاهدة آق كرمان (٢٨ صفر ١٢٤١) التى تخولها حق الملاحة فى البحر الاسود ومرور سفنها من البوغازين بدون تفتيش وتحتم على الدولة ان لا تولى ولا تعزل حاكما على الافلاق والبغدان الا باقرار منها وتعترف باستقلال الصرب مع احتلال الجنود العثمانية قلعة بلغراد وثلاث قلاع اخرى وفى ٣ الحجة ١٣٤٢ = ٦ يوليو ١٨٢٧ اتفقت فرنسوا الروسيا وانكلترا على الزام الدولة بمنح اليونان الاستقلال الادارى مقابل دفع جزية معينة فلم تعبأ بهذا الاتفاق فاجتمعت أساطيل الدول الثلاث فى نافرين وكانت بها أيضا الدرنتمتان المصرية والتركية واسبب تافه سلطت تلك الاساطيل عليهما النار حتى أحرقت سفنهما عن آخرها وفى ثمانية عشر ديسمبر من تلك السنة بعث السلطان الى كافة الولايات خطاً شريفا يوضح فيه سوء نوايا الدول نحو الدولة العلية والاسلام وحض الاهالى على القتال فاعلنت الروسيا الحرب على الدولة فى احدى عشر شوال ١٢٤٣ = ٢٦ ابريل

عندئذ أخلى ابراهيم باشا بلا دموره ماعدا مودون وكورون ونافارين فانه ترك فيها ١٢٠٠ جندى واحتلت الجنود الفرنسوية الجهات التى انجلى عنها وفى ٨ جماد الاولى ١٢٤٤ عقد مؤتمر فى لندرة لتقرير أحوال اليونان ودعيت الدولة اليه فرفضت فاقر المؤتمر على استقلال مورة وجزائر سكلادا وان يحكمها أمير مسيحى تحت حماية الدول مقابل دفعة للباب العالى جزية سنوية قدرها ٣٠٠ الف قرش فرفض هذا القرار وكان السلطان يشتغل من قبل بتنظيم الجيش على النسق

الاروبى فاعتصب الانكشارية فرفع السلطان العلم النبوى صيحة ٩ القعدة ١٢٤٠ وقصد بجنوده الطبجة ساحة (آت ميدان) حيث كان الثائرون مجتمعين وصب على رؤوسهم نار المدافع والتجأ من نجى منهم الى الثكنات التى دمرت فوق رؤوسهم وصدرت الاوامر الى كافة الولاة بتعقبهم وقتلهم ونودى بالغاء فتنهم التى كما كانت سبب انحطاط الدولة كما كانت من أسباب ارتقائها

ولما أعلنت الروسيا الحرب على الدولة احتل جيشها عاصمة البغدان بخارست قاعدة الافلاق وأخذ ماوالاهما الى نهر الطونة ثم شهد القيصر نيقولا حصار وارنه بنفسه وصار فى جيش جرار فاحتل اسكى استامبول ولكن اضطره الى رفع الحصار عنها القبودان محمد عزت باشا الذى أرسل المدد اليها بحرا بالرغم عن مرافبة السفن الروسية وكاد القيصر ييأس من فتحها لولا خيانة يوسف باشا الذى سلمها للروس فى ١ ربيع الثانى ١٢٤٤ ثم أخذ الروس من جهة آسيا قلعة قرص واجتازوا فى اوروبا نهر الطونة فاحتلوا أدرنة ودنوا من الاستانة فلم تجد الدولة بدا من الامضاء على معاهدة ادرنه خمسة وعشرين ربيع اول الف ومائتين خمسمائة وأربعين = أربعة عشر سبتمبر الف وسبعمائة وتسعمائة وعشرين) وهى تخول للروسيا حق الملاحة فى البحرين الاسود والمتوسط والمرور من البوغازين بدون تفتيش وتمنح الصرب الامتيازات المبينة فى معاهدة آق كرمان وتلزم الدولة بالنازل للروسيا عن مصبات نهر الطونة ودفع تعويض للتجار الروس ودفع خمسة ملايين جنيها انكليزيا تعويضا حربيا على عشرة أقساط سنوية ينجلى الروس بسداد القسط الاول منها عن ادرنه والقسط الاخير عن ولايتى الافلاق والبغدان وان يهاجرهما المسلمون بعد بيع مالهم من املاك ثابتة ومنقولة فى ثمانية عشر شهرا

وبعدا هذا صادق السلطان على معاهدة لوندرة المبرمة فى نوفمبر الف وثمانمائة وثمانية وعشرين قاضية باستقلال اليونان

ثم تفرغ للاصلاحات الداخلية فسلح الجنود بالسلاح الحديث والغى طائفة البكطاشيه لانتصارها للانكشاريه وجعل الزى الاروبى الزى الرسمى للعسكريه والملكيه وانشأ وسام الافتخار وطاف ممالك اروبا للوقوف على أحوالها وفى الف وثمانمائة وثلاثين استولت فرنسا على الجزائر بحجه ان الداى حسين ضرب قنصلها بمروحة فى يده وكان قد تعدى الادب فى مجلسه فنزل جيشها فى ثلاثه عشر يونيوا بالقرب من ثغر الجزائر ثم دخلها بعد مقومة شديدة وكان الباب العالى بعث الى الداى مندوبا

يابجاز من انكلترا لأمره باجابة مطالب فرنسا فلم يمكنه الفرنسويون من الوصول اليه كى ويتم مقصدهم من الفتح ه وفى والف ثمانية وواحد وثلاثين سير محمد على باشا والى مصر جيشا بقيادة إبراهيم باشا المحاربة واليها عبد الله الجزار الذى أبى ارجاع من هاجر من المصريين إلى الشام فتح غزة ويافا القدس ونابلس ثم حاصر عكا برا بينا كان الاسطول المصرى يحاصرها بحرا فلما علم الباب العالى بذلك اوعز إلى والى حلب أن يسير لمحاربته فلم يمهله إبراهيم باشا حتى يحضر بل قصده وانتصر عليه بالقرب من حمص ثم عاد الى عكا ودخلها عنوة فى سبعة وعشرين ذى الحجة الف ومائتين وسبعة واربعين ! وبعث بالجزار اسير إلى مصر عندئذ جهزت الدولة ستين الف مقاتل ساروا إلى الشام فانتصر المصريون على مقدمتهم ودخلوا حلب فى ثمانية عشر صفر الف ومائتين وثمانية واربعين فتحصن قايدهم حسين باشا ببقية الجيش فى مضايق طوريس فلحقه فيها المصريون وانتصروا عليه [غرة ربيع أول] فانفذ السلطان جيشا ثانيا بقيادة رشيد باشا فانتصروا أيضا عليه ولما تواترت هذه الانتصارات خشيت الدول أن يكون مطمح أنظار محمد على الخلافة فانزلت الروسيا ١٥٠٠ جندى على حماية الأناضول الاستانة ونصحت فرنسا وانكلترا السلطان بسرعة الاتفاق مع محمد على باشا فقبل الباب العالى وانجلت المخابرات عن ابرام عهدة كوتاهيا [٥ مايو ١٨٣٣] القاضية باخلاء المصريين الاناضول إلى ماوراء جبال طوريس واعطاء محمد على مصر مدة حياته وولايات عكا وطرابلس . وحلب ودمشق وولاية كريد واعطاء ابنه إبراهيم ولاية اطنه . وفى ثمانية يونيو عقدت الدولة معاهدة هجومية دفاعية مع الروسيا ضد المصريين وسميت معاهدة [خونكار اسكله] وقد عقدت هاتين المعاهدتين مع اعتقاد الفريقين بان لابد من الحرب ثانيا ولذا جاهر محمد على برغبته فى أن تكون له ولاولاده من بعد ولاية مصر والشام فرفض الباب العالى واوعز الى السر عسكر حافظ باشا بالتقدم إلى الشام فالتقى بالمصريين فى نصيبين يوم أحد عشر ربيع الثانى الف ومائتين خمسة وخمسين ه اربعة وعشرين يونيو الف وثمانمائة وتسعة وثلاثين فتقهقر العثمانيون تاركين مائة ستة وستين مدفعا وعشرين الف بندقية ولم يصل خبر هذه الواقعة إلى السلطان محمود لوفاته فى تسعة عشر ربيع الثانى الف ومائتين خمسة وخمسين ه واحد يوليو الف ومائتين تسعة وثلاثين

السلطان عبد المجيد خان

ولد اربعة عشر شعبان الف ومائتين وسبعاية وعشرين وكانت الاحوال فى اضطراب

بسبب انتصارات محمد على باشا وتسليم احمد باشا قبودان الدونتمة العثمانية كافة مراكبها له بالاسكندرية فى اثنين جمادى الأولى ١٢٥٥ فخشيت الدول أن تحارب الروسيا الجيش المصرى بمقتضى معاهدة خونكار اسكله سى فعرضت الباب العالى بينه وبين محمد على وتفاوض الوزراء والسفراء فقال سفير النمسا وانكلترا ارجاع الشام الى الدولة وخالفهما فى رأيهما سفير فرنسا والروسيا واجاز سفير البروسيا الى الاول فتقرر بالاغلبية . ثم تخالفت الدول فى آرائها بشأن مصر ازاء تركيا فكانت تذهب فرانسا الى وجوب بقاء فتوحات مصر تابعة لها وانكلترا إلى اعادة هذه الفتوحات للباب العالى ما عدا النصف الجنوبى من الشام والروسيا إلى وجوب احتلالها ماجاور الاستانه صونا لها من غازة المصريين وهكذا كل دولة ذهبت مذهبا حتى انهن لمادعين الى الاجتماع فى لوندره لحسم هذا الخلاف لم يتفقن على شىء ورأى بيرس وزير فرنسا بعد ذلك

[مارس الف وثمانمائة وأربعين] أن يعز مطالب محمد على بالقوة فلما علم اللورد بامرستون بذيه أسرع بعقد محالفة مع الرسيا وبروسيا والنمسا فى خمسه دشر يوليو الف وثمانمائه واربعين مقتضاها الزام محمد على بردفتوحاته للدوله مع استبقاء جنوبى الشام ما عدا عكا واعطى سفن الروسيا والنمسا وانكلترا حق الدخول فى البسفور لحفظ الاستانه الجنود المصرية وقد بلغت هذه المعاهدة إلى محمد على فاوعز الى سليمان باشا [الفرنسوى] بتحصين ثغور الشام وبعث بالامدادات اليه عن طريق البحر فوردت الاوامر إلى الاسطول الانكليزى بمحاصرة هذه الثغور

وأخذ السفن المصرية أينما وجدت واعلان الاهالى بما اتفقت الدول الاربع عليه ثم تقابل قناصل هذه الدول بمحمد على وعرضوا عليه ان تكون مصر له ولورثته وعكاله مدة حياته وامهلوه عشرة أيام للاجابة وافهموه ان فرنسا لاتستطيع انجاده فلما انقضت المهلة ولم يجب اخبروه بانه صار لاحق له الا فى مصر ثم أمهلوه عشرة أيام اخرى للاجابه فلما انقضت ولم يجب قرر الصدر الاعظم أخذ مصر والشام منه . وهنا استعد المصريون للقاء اسطول الدول المتحدة بعد يأسهم من نجدة فرنسا ففى احدى عشر سبتمبر الف وثمانمائه واربعين اطلق هذا الاسطول قذائفه على بيروت حتى أحرق معظمها وفعل مثل ذلك بالثغور الاخرى وأنزل الجنود الى البر فلم ير محمد على بدا من الاذعان لمطالبها ولذا أمر جيشه بالعودة إلى مصر [ديسبر] الف وثمانمائه واربعين ورد الدونمة العثمانية مقابلة اعتراف الباب العالى ببقاء مصر له ولذريته فى فرمان

تاريخه واحد وعشرين القعدة الف ومائتين وسته وخمسين هـ ثلاثة عشر فبراير الف وثمانمائة وواحد واربعين واهم ما جاء فيه من الشروط أن يحدد جيش مصر ثمانية عشرة الف مقاتل وقت السلم وأن لا تنشأ سفن حربية الا باذن سلطاني وبعد حسم المسالة المصرية على هذا المثال سعت فرنسا وانكلترا فى الغاء معاهدة خونكار اسكله سى التى تخول للسفن الروسية حق المرور من بوغازى البسفور والدردنيل فاجمعت الدول ومن ضمنها الروسيا فى معاهدة ثلاثة عشر يوليو الف وثمانمائة وواحد واربعين على أن لا يكون لا حدا من هذا الحق وفى الف وثمانمائة وثمانيه واربعين طمحت الافلاق والبغدان للاستقلال فثارتا على أميريهما واقامتا حكومة مؤقته فانفذت الدولة جنودها لاخضاعهما وفعلت الروسيا كذلك واحتلت البلدان فاحتج الباب العالى على هذا الاحتلال ثم دارت المفاوضات التى انجلت عن وفاة [بلطه ليمان] الذى حفظ للدولة حق تعيين امراء لالويتين قضى بان يحتلهما جيش تركى روسى مدة سبعة سنوات ريثما يستتب الامن فيها هذا وقد كانت حراسة الاماكن المقدسة بأيدى الارثوذكس فطالبت فرنسا بهذا الحق للكاثوليك فاجابها الباب العالى إلى هذا الطلب

ولما كانت الروسيا ارثوذكسية المذهب فقد اوفدت البرنس منتشيكوف إلى دار الخلافة للمخابرة فى هذا الشان ووقف اوزاء رجال الدولة الموقف الذى دل على انه يفتعل سببا لاضرام الحرب لذا بعثت فرنسا دونتمتها إلى مياه اليونان [ابريل الف وثمانمائة وثلاثة وخمسون] وانتظرت الدونتمة الانكليزية فى مالطه ولما رفض الباب طلبات منتشيكوف بعث اليه بلاغا نهائيا [خمسة مايو الف وثمانمائة وثلاثة وخمسون] ثم برح الاستانة مهددا الدوله باحتلال الافلاق والبغدان وفعلا اجتاز الروس نهر البروت الفاصل بين الدولتين فى اثنين يوليو الف وثمانمائة وثلاثة وخمسين واحتلوهما ثم أراد امبراطور النمسا حقن الدماء فاقترح عقد مؤتمر فى فيينا للتوفيق بين الروسيا وتركيا ولكنه لم يلبث أن انقض على غير طائل بحيث اعتقدت الدول سوء مقاصد الروس وشجعت الباب العالى الذى بعث بلاغا الى الروسيا فى ٤ اكتوبر الف وستمائة وثلاثة وخمسين باخلاء الولايتين فى خمسة عشر يوما والا اعلنت الحرب

ولما لم تلتفت اليه اجتاز عمر باشا النهر فقاز على الجند الروسى فوزا مبينا وفاز العثمانيون من جهة آسيا . وفى ثلاثين نوفمبر فاجات الدونتمة الروسية الاسطول

العثمانى فى سينوب فدمرته خلافا لتعهدها بعدم اتيان أى عداء فى البحر الاسود فاتفقت فرنسا وانكلترا مع الدولة بالاستانة فى أربعة عشر مارس الف وثمانمائة وأربعة وخمسين على محاربة الروسيا وتعهدت الأولى بارسال خمسين الف جندى والثانية خمسة وعشرين الفا بشرط جلائها بعد خمسة أسابيع من عقد الصلح مع الروسيا وكانت الدارعة فوريوس الانكليزية قد ذهبت إلى أودسا لاخذ القنصل والرعايا الانكليز رافعة علم السلم فاطلقت عليها القلاع القذائف فاتفقت الدونتمتان الانكليزية والفرنسوية على ضرب المدينة حتى دمرتا قلاعها وأحرقتا جانبا منها ثم أخذتا فى ضرب الثغور الروسية فاعلن القيصر الحرب فى إحدى عشر ابريل الف وثمانمائة وأربعة وخمسين وكان خمسة عشر الفا من الجنود العثمانية فى سلسترة تحت قيادة عمر باشا وبينهم كثيرون من المصريين فحصرهم الجنرال سكوفتش ستين الفا ولكنه وجد من المقاومة ما اضطره إلى رفع الحصار فطاردته العثمانيون وأرادوا احتلال البغدان والافلاق من بعد ولكن سبقت الجيوش النمسوية فاحتلتها قبلهم ثم اتفق قواد الدول المحالفة على نقل ميدان القتال إلى أراضى آسيا ففى عشرين سبتمبر قهر الفرنسويون الروسيين الذين فروا إلى سباستبول

وفى ثمانية وعشرين منه دخل المتحالفون فى مينا بلاكلافا وفى عشر أكتوبر بدىء باطلاق النار على سباستيول التى كان الروسيون تمكنوا من تحصينها وبعد جملة وقائع توفى خلالها القيصر نيقولا والقائدان الفرنسوى والانكليزى عند مؤتمر نفيينا فى فبراير ألف وثمانمائة وخمسة وخمسين لفض الحرب بشروط تتعلق بحماية مسيحى الدولة والمرور من البوغازين وتحديد القوة البحرية الروسية فى البحر الأسود بعشر سفن فقبلتها الروسية بعد سقوط قلعة سباستيول فى سبتمبر ألف وثمانمائة وخمسة وخمسين وفى خمسة وعشرين فبراير الف وثمانمائة وستة وخمسين عقد مؤتمر باريس الذى تقرر فيه مبدأ حفظ كيان الممالك المحروسة . وما استتبت الاحوال قليلا فى أوربا حتى الق أرباب الغايات الفتنة بين الماروئيين والدروز وكثر القتل والنهب فى أنحاء الشام ففى سبعة عشر يوليو الف وثمانمائة وستين وصل الوزير فؤاد إلى بيروت ثم قصد منها دمشق فى خمسة آلاف جندى فحاكم زعماء الفتنة وأعدمهم ولكن الدول اتفقت أثناء ذلك مع فرنسا على ارسال ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثمانى فوصل هذا الجيش إلى بيروت فى عشر أغسطس انتهى الأمر بجلائه فى خمسة يوليو الف وثمانمائة وواحد وستين وباعطاء جبل

لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الباب العالى ومنح تعويض قدره خمسة وسبعين مليونا قرشا للذين أحرقت دورهم من المسيحيين . وفى خمسة وعشرين يونيو سنة عشر الحجة الف ومائتين وسبعة وسبعين توفى السلطان عبد الحميد بالغا أربعين يوما

السلطان عبد العزيز خان

أخو السابق ولد شعبان الف ومائتين وخمسة أربعين هـ فبراير الف وثمانمائة وثلاثين وقبل ولايته كان نيقولا أمير الجبل الاسود ذهب لمساعدة ثورة الهرسك فدهمته الجنود العثمانية من ثلاث جهات والتقت بداخل بلاده واضطرته للامضاء على شروط (واحد وثلاثين أغطس ألف وثمانمائة واثنين وستين منها أن لا يقيم والده فى الجبل وان تبنى الدولة قلاعا على الطريق المؤدية من اشقودره إلى الهرسك ولكن الدول تعرضت لتنفيذها فعدلت عنها . وكانت معاهدة باريس تقضى أن تكون الضرب مستقلة تحت سيادة الباب العالى وأن تكون الجنود العثمانية فى ستة من قلاعها منها قلعة بلغراد وأن لا يسكن المسلمون خارجا عنها فاتفق حدوث فتنة عقب قتل أحد الاهالى جنديا عثمانيا فاطلق القائد القنابل من الحصون على المدينة أربع ساعات متوالية بعد أن آرى اليها المسلمون وعلى أثر ذلك تداخلت الدول بما كانت نتيجته تقرير جلاء العثمانيين عن قلعتين وبقاؤها فى قلاع بلغراد وشمندرية وفتح إسلام وسبانش فقط واجبار المسلمين على بيع ممتلكاتهم والمهاجرة من البلاد مقابلة تعويض مالى يدفع اليهم . وفى خلال ذلك نزع الكريديون للثورة بدسائس اليونان فارسلت لقمعهم جيشا عززه خديوى مصر الاسبق بفرقة من جنده كان لها الفوز فى جملة وقائع لاسيما واقعه ارقادى (اركاديون) ثم بعثت اليها مندوبا لحسم النازلة بالحسنى فلم يفلح فى مأموريته فارسلت القائد عمر باشا بطل القرم لاخضاعهم وانتهى الأمر بعقد مؤتمر بباريس أسفرت مخابراته عن اصدار السلطان ارادة تاريخها ٩ سبتمبر ١٨٦٩ بمنح الجزيرة جملة امتيازات منها إسقاط سنتين من الرسوم المتأخرة عليهم واعفاؤهم من الخدمة العسكرية . وفى أربعة عشر شوال الف ومائتين وتسعة وسبعين سافر السلطان الى مصر فزار الاسكندرية والقاهرة ثم سافر فى تسعة عشر صفر ١٢٨٤ الى باريس بدعوة من الامبراطور نابليون لحضور معرضها العام . وفى ١٢٨٣ حصرت

وراثة الخديوية المصرية فى ذرية المرحوم إسماعيل باشا ثم صدر فرمان بتاريخ ١٣ ربيع آخر ١٢٩٠ هـ ٨ يونيو ١٨٧٣ شامل لامتيازات مصر وكيفية التوارث فى الخديوية . وقد كان مشروعات السلطان عبد العزيز السياسه تخالفه الروسيا على ان تختص بجميع بلاد الشرق التى يغلب فيها العنصر المسيحى وتخص الدولة بالبلاد التى يسود فيها العنصر الاسلامى فلم يرق هذا المشروع فى نظر الدول ولذا أوغرت عليه الصدور فى الاستانة فأفتى حسن افندى خير الله شيخ الاسلام بعزله وذلك بمحاصرة سرايه برا وبحرا ثم يأخذه منها إلى سراى طوب قبو وكان ذلك فى ٦ جمادى الاولى ١٨٩٣ ثم بويع من بعده للسلطان مراد

وقد اختلفت الاقوال فى أسباب وفاة السلطان عبد العزيز فقال قوم انه انتحر وذهب آخرون إلى أن المتآمرين عليه قتلوه بدسيسة خفية عزيه إلى الاحكام ولما كان راشد باشا الصدر الاعظم وعونى باشا ناظر الحربية هما رأس المؤامرة فقد قتلهما حسن بك بن أحد أعيان الجراكسة

السلطان مراد خان الخامس

ابن السلطان عبد المجيد ولد ٢٥ رجب ١٢٥٦ وبويع له بالخلافة فى ٨ جمادى الاولى ١٢٩٣ وكان محبا للسلم مهذب الاخلاق وعقب ولايته بأسبوع ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبى فاستدعى له طبيب نمسوى اختصاصى أقر بعد الاختبار الطويل باستحاله برئه فاجتمع الوزراء فى ١٠ شعبان وقرروا المبايعة لأخيه مولانا السلطان الحالى

السلطان عبد الحميد خان الثانى

لما استلم مقاليد الامور أرسل إلى الباب العالى خطابا من برنيا بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٧٧٦ أبدى فيه أمياله لتعضيد العلوم والفنون وتقويم المعوج من أحوال الدولة اداريا وماليا ثم أصدر فى نوفمبر ادارة باشاء مجلس نواب يكون مؤلفا من مجلسين تنتخب الاهالى أعضاء الاول ويسمى مجلس المبعوثان وتعين الدولة أعضاء الآخر ويسمى مجلس الاعيان وفى الحجة وجهت الصدارة إلى مدحت باشا أول القائلين بهذا الاصلاح وبعد هذا التوجيه بأيام صدر فرمان القانون الاساسى مشتملا على ١٩ مادة وقرىء فى مجمع حافل فاذا به يتضمن حريه التعليم مع جعله اجباريا وحرية المطبوعات الخ الاصلاحات والتنسيقات التى تقتضيها الهيئه النيابية ولكن لم يلبث مدحت باشا أن عزل من منصبه لوشايات فى حقه وفى ٤ ربيع الاول فتح البرلمان

العثمانى لأول مرة فى سراى باشطاش فتليت خطبه من لسان جلالته وفيها بيان الدواعى لاعلاء شأن الدولة وفى ١٨٧٥ ثابت أهالى الهرسك للثورة طلبا للاستقلال فمنحهم الدولة وامتيازات لم يذعن عقبها الثار بل طلبوا انجلاء الجنود العثمانية واستمر القتال بينهم وبين هذه الجنود التى كان يقودها الغازى مختار باشا ولما رأت النمسا الثورة قد انطفأت وعزت إلى الكونت اندراسى تحرير لائحة ارسلت لفرنسا وانكلترا فى ٣٠ ديسمبر ١٨٧٥ وعلمت الدولة مضمونها فوافقت على العمل به ولكن أهالى الهرسك ابو الاجلاء الجنود العثمانية وامتلاك ثلث الاراضى واعفائهم من الضرائب ثلاث سنوات وكان أعيان الروس قد شكلوا جمعيات لبث النفوذ الروسى وزعت السلاح على البلغار ووعدتهم بمساعدة الروسيا على نيل الاستقلال وأوهمتهم أن الدولة تريد اقطاع اراضيهم للجركس المهاجرين لبلادهم من الروسيا ففى سنة ١٨٧٦ بدأوا بايقاد النار فى مدائن ادرنه وقليبة وبازارحق وقتلوا المسلمين فلما انتهى هذا الخبر للوالى نكل بهم والزمهم الطاعة فاشاع ارباب الغايات باروبا تلك الاشاعات التى نسبوا فيها إلى الجنود ارتكاب الفظائع وهولوا فى الامر حتى قام المستر غلادستون لالقاء الخطب ونشر الرسائل فى الطعن على الدولة فهاج الرأى العام عليها فى أوروبا هموما وانكلترا خصوصا هياجا لم يسبق له مثيل ثم اوعزت الروسيا للصرب والجبل الاسود محاربة الدولة انتهاز الدخول معهما فيها فاشترتا الاسلحة والذخائر وبعثت هى اليهما بالقائد نشر نايف لقيادة جنودها وكثير من الضباط الروسيين ولما رأت الدولة ذلك استعدت باربعين الف مقاتل لصد الصربيين إذا تجاوزوا الحدود .

ولما كملت استعداداتهما طلب ميلان أن يناط به اخماد ثورة الهرسك وطلب أمير الجبل الاسود تنازل الدولة له عن جزء منها

فلما رفض الطلبات اجتاز الصربيون الحدود فى غرة يوليو سنة ١٨٧٦ وكذلك الجبليون ولكنهم لم يقووا على مصادمة الجنود العثمانية ففكر السردار عبد الكريم فى بلغراد ففتح مدينة نياشيواز يوم ٣ أغسطس ثم زحف منها اليها فالتقى بالصربيين وخذلهم خذلانا تاما ولما صار على مقربة من عاصمتهم جاء اليه أوامر سرية بايقاف الحرب وسببه أن سفراء الدول فاتحوا الباب العالى فى الصلح بناء على طلب أمير الحرب فابلغهم بقبوله اياه على شرط منها حضور الامير الاستانة لتقديم فروض العبودية للسيادة السلطانية واحتلال القلاع الاربع التى كانت للجنود العثمانية فى بلاده والغاء الرديف وعدم زيادة الجيش الصربى على عشرة آلاف

مقاتل فاجاب اللورد درپى على هذه الاقتراحات بان الدول تروم اعادة أحوال الصرب والجبل إلى ماكانت عليه مع اعطائهما ادارة مستقلة ولما اطلع الباب العالى على هذه الاجابة لم يسعه إلا الانقياد للجنود بالزحف على بلغراد فاستولت على دليجراد أولا ولما بلغت العاصمة طلبت الروسيا من الدولة منح الامارتين هدنة شهرين والا سحبت سفيرها لديها فاجابتها إلى ذلك تجنبا للمشاكل السياسية * وفى ديسمبر سنة ألف وثمانمائة ستة وسبعين عقد مؤتمر بالاستانة من مندوبى الدول للنظر فى أحوال مسيحى الدولة فابدى فيه المندوبون اقتراحات لم تقبلها الدولة بعد اعلانها القانون الاساسى الذى يسوى بين كافة العناصر واجتمع مجلس عام من الذوات والاعيان ورؤساء الدين فى سبعة عشر يناير سنة الف ثمنمائة سبعة وسبعين قرر ذلك الرفض وكان فى مقدمة الرافضين بطريرق الارمن وحاخام اليهود وبناء على ذلك سافر المندوبون اشارة لقطع العلائق وأخذت الروسيا والدولة تستعدان للقتال * وقبل اعلان الروسيا للحرب امضت مع امارة رومانيا اتفاقية سرية بتاريخ ستة عشر ابريل ألف وثمانمائة سبعة وسبعين تقضى عليها بجعل مؤنها وذخائرها تحت تصرفها وفى أربعة وعشرين منه اعلنت الحرب خلافا للمادة ٨ من معاهدة الف وثمانمائة ستة وخمسين التى تقضى بتوسيط الدول قبل اعلانها على ان الجنود الروسية اجتازت قبل الاعلان باربع وعشرين ساعة تخوم رومانيا وهى تحت سيادة الدولة التى بعثت السفن اليها لضرب سواحلها فاغتنمت هذه الفرصة لاعلان استقلالها (أربعة عشر مايو ألف وثمانمائة سبعة وسبعين) ومشاركة الروسيا فى حربها وفى اثنين وعشرين يونيو اجتاز الجنرال زمرمان نهر الطونه فاحتل ترنوه وفى وسط يوليو احتل البارون دى كرودر بلدة نيكبولى والجنرال جوركو مضائق البلقان المؤدية للاستانه بواسطة مضيق سيبكا وبالنظر لتوالى تقهقر الجنود العثمانية عزل السردار عبد الكريم وناظر الحربية وعين محمد على باشا الروسى الاصل قائد للجيوش العثمانية ونيط بالغازى عثمان باشا الدفاع عن بلفنه فاقام حولها المعاقل والحصون ولما هاجمها الروسيون فى عشرين يوليو ارتدوا عنها ثم اعادوا عليها الكرة بثلاثين ارطة من المشاة ومثلها من الفرسان ومائة ستة وثمانين مدفعا فصدوا عنها ولما عجزوا من أخذها ناطوا بالقائد توتلبن حصارها وتم ذلك فى اربع وعشرين اكتوبر الف وثمانمائة وسبعة وسبعين بحيث استحال وصول المدد اليها واستمر عثمان باشا على الدفاع عنها حتى إذا انفذت الذخيرة

حال الخروج بجنوده واختراق صفوف الاعداء فكان ذلك فى عشر ديسمبر حيث اخترقوا خطين وحينما كادوا يستولون الثالث جرح عثمان باشا برصاصة فاشيع بين الجند أنه مات فتولاهم اليأس والفشل وأرادوا الرجوع إلى المدينة التى كان الروسيون احتلوها فتعقبهم جيوش الخط الثالث فوقعوا بين نارين وبعد قتال عنيف رفعت الرايه البيضاء فانكف القتال وسلم العثمانيون أسلحتهم وقابل القيصر عثمان باشا باحترام وعاد اليه سيفه ثم أعد مكان لاقامته فى كركوف إلى نهاية الحرب وكان عـــدد جيش عثمان باشا خمسين ألف معهم سبعه وسبعين مدفعا وجيش الروس خمسة عشر ألفا معهم ٦٠٠ مدفع * هذه خلاصة الحرب باروبا أما من جهة آسيـــا فقد انتصر العثمانيون على الروس وتبعوهم فى بلادهم ولكنهم عادوا فشددوا الحصار على قلعة قرص واحتلوا بايزيد وفى اثناء ذلك وردت امدادات كثيرة للغازى مختار باشا فانتصر على الروسيين فى خمسة عشر اغسطس والزمهم برفع الحصار عن قرص والتقهقر إلى مدينة الكسندربول ثم انتصر عليهم أيضا فى ست وقائع اخرى فاستجمع الروس المدد الوافر وهجموا على قرص فسقطت فى ايديهم وبسقوطها مع بلفة اعلنت الصرب الحرب فى أربعة عشر ديسمبر على الدوله وانضمت جنودها إلى جنود الروسيا فاصدر السلطان منشورا بعزل ميلان لخيانته فلم يعبأ بهذا المنشور بل استمر فى مركزه وعلى أثر تلك الحوادث قصد الروس دار الخلافة حتى صاروا على مسافة خمسين كيلو مترا منها فارسلت الدوله وفدا إلى الغرندوق نيقولا الخابرة فى ايقاف القتال فاجلت أولا عن اتفاق بمنح الاستقلال الادارى للبلغار والسياسى لرومانيا والجبل الأسود مع تعديل حدودها واقطاعها شيئا من أملاك الدوله وتقرير غرامه حربية وكف القتال منذ ٣١ يناير الف ١٨٧٨ ولما علمت الدول بهذه الاتفاقية اقترحت النمسا عقد مؤتمر للنظر فى شروط الصلح وأرسلت انكلترا سفنها إلى الاستانه وأبرمت فى ٣ مارس عهدة سان اسطفانوس التى يكفى القارىء التأمل فيها ليعلم بان الروسيا محت تركيه اوربا من الوجود تقريبا واخذ فى آسيا قلاع قرص وباطوم وبايزيد * وفى ٧ مارس دعت النمسا الدول ثانيا لعقد مؤتمر فى برلين للنظر فى معاهدة سان اسطفانوس فبعد مخابرا طويلة كادت تقع الحرب بين انكلترا والروسيا خلالها اجتمع مندوبو الدول عشرين مرة بين ٣ يونيو و١٣ يوليو وتناقشو فى البلغار وحدود الصرب واحتلال النمسا والمجر ولايتى البوسنه والهرسك

والرملى الشرقيـة والغرامه الحربية والارمن والبوغازين وتخوم الروسيا من جهة آسيا وهى وان كانت أخف وطأة من معاهدة سان اسطفانوس ولكنها جاءت من أشد الضربات التى منى بها الاسلام على الدول لم تقف بصعتبها عليه فى شخص الدوله العليه وجلالة السلطان عند هذا الحد بل تساهلت بعد ذلك فى اعطاء تونس لفرنسا والحاق ادارة الروملى الشرقية ببلغاريا وسلخ جزيرة كريد من أملاكها عقب حرب مع اليونان سنة ألف وثمانمائة سبعه وتسعين كان الفوز فيها لها وهى لانزال تبث الدسائس فى البقية الباقيه من أملاكها بقصد انتزاعها منها وهى أحوال قريبة العهد يقرؤها الكافة فى الجرائد السيارة فلا حاجه إذا إلى الاطاله فيها هنا وقد أردنا تتمة لهذا الباب ايراد صحيفتين اخذنا بالفوتوغراف من خط يد جلالة السلطان الاعظم فى اوائل حكمه وهما عبارة عن مذكرة للصدر الاعظم هذه ترجمتهما

(وقفت على مضمون مذكرة الصدارة التى بعثتم بها فى الساعة أربعة ونصف إلى السكرتير الاول لعرضها على ذاتنا الشاهية وقد سألتم فيها التصريح بعقد مجلس فوق العادة غدا الخميس بالباب العالى للنظر فى حل المسئلة اليونانيه ومع ذلك فان قوانيننا لا تسمح باجتماع مجلس من هذا النوع فى الباب العالى وإذا سبق أن عقد مجلس فوق العادة فى سراى يلدز للبحث فى المسئلتين المعلومتين فما ذلك إلا أن من الضرورى اجتماع مجلس فى الساعه الرابعة من يوم غد كما طلبتموه بمذكرتكم فى سراى يلدز للبحث فى المسئلة اليونانية كما حصل ذلك بالنسبة للمسئلتين النمسويه والانكليزيه)

واليك جدولا باسماء السلاطين العثمانيين الذى حكموا الغاية الآن

١ — الغازى ياوز سليم خان ولده ٨٧٥ وجلس ٩١٨ وتوفى ٩٢٦ ودفن بجوار جامعه

٢ — الغازى سليمان خان ولد ٩٠٠ وجلس ٩٢٦ وتوفى ٩٧٤ ودفن قبالة جامعه

٣ — الغازى سليم خان الثانى ولد ٩٣٠ وجلس ٩٧٤ وتوفى ٩٨٣ ودفن بالقرب من جامع اياصوفية

٤ — الغازى مراد خان الثالث ولد ٩٥٣ وجلس ٩٨٢ وتوفى ١٠٠٣ ودفن بجوار اياصوفية

٥ — الغازى محمد خان الثالث ولد ٩٧٤ وجلس ١٠٠٣ وتوفى ١٠١٢ ودفن بجانب السلطان سليم الثانى

٦ — الغازى أحمد خان ولد ٩٩٨ وجلس ١٠١٢ وتوفى ١٠٢٦ ودفن بجانب جامعه

٧ - الغازى مصطفى خان ولد ١٠٠١ وجلس ثم عزل بعد ثلاثة أشهر أى فى غرة ربيع أول سنة ١٠٢٧

٨ - الغازى عثمان خان الثانى ولد ١٠١٣ وجلس ١٠٢٧ وتوفى ١٠٣١ ودفن بجوار والده السلطان أحمد خان (ثم اعيد السلطان مصطفى خان المعزول ثم عزل ثانيا فى القعدة سنة ١٠٣٢ وبقى معزولا حتى توفى فى سنة ١٠٤٩)

٩ - الغازى مرادى خان الرابع ولد ١٠١٨ وجلس ١٠٣٢ وتوفى ١٠٣٩ ودفن بجوار ولده السلطان أحمد خان

١٠ - الغازى ابراهيم خان ولد ١٠٢٣ وجلس ١٠٤٩ وتوفى ١٠٨٥ ودفن بجامع اياصوفية بتربة عمه السلطان مصطفى

١١ - الغازى محمد خان الرابع ولد ١٠٥١ وجلس ١٠٥٨ وتوفى ١٠٩٩ ودفن فى بفجه فيوسى بتربة والدته ترخان سلطان

١٢ - الغازى سليمان خان الثانى ولد ١٠٥٢ وجلس ١٠٩٩ وتوفى ١١٠٢ ودفن بتربة جده السلطان سليمان

١٣ - الغازى أحمد خان الثانى ولد ١٠٥٢ وجلس ١١٠٢ وتوفى ١١٠٦ ودفن بتربة جده السلطان سليمان

١٤ - الغازى مصطفى خان الثانى ولد ١٠٧٤ وجلس ١١٠٦ وتوفى ١١١٥ ودفن بجوار والده السلطان محمد خان الرابع

١٥ - الغازى احمد خان الثالث ولد ١٠٨٤ وجلس ١١١٥ وتوفى ١١٤٣ ودفن فى بفجه فيوسى بتربة والدته

١٦ - الغازى محمود خان ولد ١١٠٨ وجلس ١١٤٣ وتوفى ١١٦٨ ودفن بتربة ابيه السلطان مصطفى خان

١٧ - السلطان عثمان خان الثالث ولد ١١١٠ وجلس ١١٦٨ وتوفى ١١٧١ ودفن بجانب اخيه السلطان محمود

١٨ - الغازى مصطفى خان الثالث ولد ١١٢٩ وجلس ١١٧١ وتوفى ١١٨٧ ودفن بساحة جامعه

١٩ - الغازى عبد الحميد خان ولد ١١٣٧ وجلس ١١٨٧ وتوفى ١٢٠٣ ودفن بتربته ببفجه فيوسى

٢٠ - الغازى سليم خان الثالث ولد ١١٧٥ وجلس ١٢٠٣ وعزل ١٢٢٢ وتوفى فى جمادى الاولى ١٢٢٣ ودفن بتربة والده السلطان مصطفى خان

٢١ - الغازى مصطفى خان الرابع ولد ١١٩٣ وجلس ١٢٢٢ وتوفى ١٢٢٣ ودفن بتربة والده السلطان عبد الحميد خان

٢٢ - الغازى محمود خان الثانى ولد ١١٩٩ وجلس ١٢٢٣ وتوفى ١٢٥٥ ودفن بتربته فى جيزلى طاش

٢٣ - الغازى عبد المجيد خان ولد ١٢٣٧ وجلس ١٢٥٥ وتوفى ١٢٧٧ ودفن بجوار جامع السلطان سليم

٢٤ - الغازى عبد العزيز خان ولد فى ١٢٤٥ وجلس ١١٧٧ وخلع فى ١٢٩٣ وتوفى فيها واختلف فى سبب موته ان كان انتحارا أو جناية

٢٥ - السلطان مراد الخامس ولد ١٢٥٦ وجلس ١٢٩٣ وخلع فيها

٢٦ - جلالة السلطان عبد الحميد خان الثانى (انظر فصل الملوك والممالك)

محمد على باشا

[قال الراوى] ان افندينا محمد على باشا مؤسس العائلة الخديوية فى مصر نال فى عهد السلطان عبد المجيد خان فرمانا تاريخه ٢١ القعدة سنة ١٢٥٦ هجرية ببقاء مصر له ولذريته وكانت أول ولايته عليها سنة ١٢٢٠ هجريه ولما ارتقى على أريكة خديويتها أسس المدارس وبنى الجوامع واصلح الدواوين وأتى بالافرنج من بلادهم وعمل ورشا وجعلهم اساتذة يعلمون الصناع الصنائع وجلب المزروعات الافرنجيه وغرسها والتفت إلى الحربيه فاصلح ادارتها وانشأ السفن والترسخانه وغيرها وحارب الوهابيين فى مكة والمدينه وانتصر عليهم ثم توفى بعد ان ترك آثارا طيبة الذكر وتولى بعده أكبر انجاله افندينا

ابراهيم باشا الاول

وترى تمثاله الآن فى مصر القاهرة فى ميدان الاوبرا راكبا على جواد أدهم ومتقلدا سيفا أبتر ويشير بأصبعه اشارة القوة والبساله وكان المرحوم والده محمد على باشا يعتمد عليه كل الاعتماد وطالما ارسله فى جملة حروب ووقائع دمويه كان يأتى فيها صاحب الترجمه ظافرا منصورا على الدوام وفى مدته حارب الحبشة وبلاد النوبة والسودان ثم توفى وتولى بعده ابنه

عباس باشا الاول

وكان شهما شجاعا وبطلا مقداما يحب القتال ولا يخاف النزال فاصلح البلاد ونشر الأمن بين العباد وكان يحترم العلماء ويحب الادباء والشعراء وكان مجلسه على الدوام مجلس أهل الأدب والفصاحة وفى مدته حارب السودانيين واستولى على بعض بلادهم وأصلح الترع والمتناوبات والجوامع التى تخربت وغيرها حتى أصبحت مصر القاهرة ترفل فى ثياب العز والسعادة ثم تولى بعده ابنه

سعيد باشا

الذى بنى مدينة بورت سعيد التى على شاطىء البحر المالح واجرى جملة تحسينات فى البلاد ورخص للاجانب بمعاملة الاهالى والاتجار فى مصر والتفت بنوع خاص الى الصناعة والزراعة وتأسيس المدارس وترقية المعارف ثم توفى وله فى قلوب الناس أحسن ذكرى وتولى بعده الخديوى

إسماعيل باشا

وكان يحب الترف ويميل الى اللهو والطرب فاخل الموازنة المالية واركب القطر ديونا كثيرة صرفها مابين الاصلاحات الداخلية والاشياء الخصوصية وسنأتى على ذكرها فى ترجمة حياة ولده الخديوى توفيق باشا ومن آثار الخديوى المذكور انه بنى مدينة الاسماعيلية واختط ترعة قنال السويس وحفرها بواسطة المهندس الفرنساوى موسيو دى لسبس وانشأ المحاكم وبنى الكتبخانة الخديوية وجمع فيها شتيت الكتب العربية النادرة الوجود غير ان اسرافه وعدم تدبيره وكثرة الديون التى ارتكبها دعت لعزله وتولية ولده أفندينا

المرحوم محمد توفيق باشا

ساكن النعيم وكانت ولادته سنة ١٨٥٢ للميلاد وكانت ملامح النجابة والفطانة تلوح عليه منذ صغره ولما بلغ السنة التاسعة من عمره دخل صفوف الدروس فتلقى فى مدرسة النيل العلوم الابتدائية وفاق على الاقران ثم طلب العلوم العالية فادخله سمو والده المدرسة التجهيزية فتعلم اللغة العربية واتقن النحو والصرف والبيان وغيرها من علوم البلاغة والآداب ثم درس اللغة الفارسية وتعلم التركية والفرنساوية والانكليزية وبرع فى جميعها ثم درس التاريخ والجغرافيا والطبيعيات والرياضة وفى سنة ١٨٧١ عهد اليه رحمه الله برآسة المجلس الخصوصى وكان عمره وقتئذ تسعة عشرة سنة ثم وجهت اليه رتبة المشيرية الخطيرة من جانب المقام السلطانى ثم تعين ناظر النظارة الداخلية ثم عين

ناظرا للاشغال ثم ترقى رآسة مجلس النظار وكان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره فاحتفلت مصر بقرانه السعيد واقيمت الافراح وزفت اليه ربة الصيانة والعفاف وسيدة كرائم الاشراف صاحبة العصمة والدولة أمينة هانم أفندى كريمة المغفور لها الهامى باشا فرزق أكبر اشباله واكبر انجاله صاحب السمو الرفيع افندينا عباس باشا الثانى خديوينا المعظم ثم الامير محمد على باشا ثم الأميرة خديجة هانم ثم الاميرة نعمت هانم وماجاء يوم الخميس سابع شهر رجب سنة الف ومائتين ستمائة وتسعين حتى تنازل له والده اسماعيل باشا على الاريكة الخديوية ورقى اليها فاطمأنت الخواطر بعد ان كان الهياج سائرا وكان ماكان من اختلال موازنة المالية واعتلال أحوالها الداخلية وتشكيل وازرة ويلسون المعلومة العهد والشأن فى تاريخ هذه البلاد وثورة الضباط وهجومهم على نظارة المالية طالبين ان ترد اليهم طلباتهم فلما جاس المرحوم على الاريكة عمل نظاما جديدا للمالية وساح فى الوجه القبلى فركب ذهبية وسار اليه وكان له فى البلاد استقبال حافل مشهور ثم انتقل الى الوجه البحرى ورأى فيه من الظاهر السرور بقدومه مثل مارأى فى الوجه القبلى ثم عاد الى المحروسة فى ٤ مايو من ذلك العام بعد ان تجول فى بلاد الوجهين مدة ثلاثة شهور و١٢ يوما وكانت الحكومة سعت فى تسوية الدين السائر وطلبت وساطة الدول مع بيت روتشيلد لصيانة الاملاك المرهونة من الحجز والدعاوى فاجابها آل روتشيلد الى ماطلبت ثم ابتدأ دور الاصلاح المالى فاتفقت انكلتره وفرنسا على اعادة ديوان التفتيش برآسة ويلسون وان لا يكون أحد من الاوروبيين فتشكل مجلس صندوق الدين العمومى فى مصر ثم ان الفقيد الغى بعض الضرائب الدنيئة والشخصية وهى العوائد الشخصية والدفعة ورسوم القبانة والصيارفة ورسوم الارضية والرسوم المتحصلة من طائفة الحجز ورسوم بيع المواشى فى مصر والاسكندرية والسويس والاتنان فى المائة المضافان الى رسوم الاملاك المخصصات لمأمورى تحصيلها ورسوم تسجيل العرائض والضمانات والرسم المضاف الى رسوم القبانة ورسوم الدلالة ورسوم على الخبز ورسم الدخولية على الاصواف ورسم تحقيق الاختام ورسوم السمسرة ورسم دخولية الفخار ورسم الجلد فى السلخانات والرسم المتحصل من إيجار ما ابتنى فى الاراضى الخارجية والعشورية ورسم قبانة اللحوم ورسم حراثة القطن فى مديرية البحيرة ورسوم سراكى الشيالية وأصحاب الكارات فى الاسكندرية ورسم تربية الاغنام والماعز فى مصر والاسكندرية ورسم ختم دفاتر القبانه ورسم المراعيد المشحونة رملا من الرمل الى الاسكندرية ورسم كيل الحبوب فى القليوبية والبحيرة ورسم

الغيطان وبيع الفخار فى دمياط فبلغ مجموع ماتجاوزت عنه الحكومة اذذاك ستمائة الف جنيه فى السنة وبعدان الغى المرحوم تلك الضرائب الغى أوراق البيون المعروفة ببيون حليم باشا وبتعيين خمسة عشر الف جنيه راتبا له ثم خصص واردات مديرية الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وايراد السكك الحديدية للدين العمومى ثم اتفقت الحكومة مع البنك العثمانى على ان يسلفها ما يلزمها بفائدة سبعة فى المائة ومن ضمنها نصف فى المائة مقابل (كرمسيون) اما المبالغ التى للحكومة على البنك فقد تقرر ان تكون فائدتها أربعة فى المائة وبمقتضى هذا الاتفاق فتح البنك للحكومة حسابا جاريا وفى ١٩ يولية سنة ١٨٨٠ صدر قانون تصفيه الدين بقسعة وتسعين بنداو من أحكامه ان يخصص صافى ايرادات السكك الحديدية والتلغرافات ومينا الاسكندرية لتسديد فوائد الدين الممتاز واستهلاكه دون غيره والبقية اللازمة لتسديد الفوائد والاستهلاك تؤخذ قبل كل شىء من أصل الايرادات المخصصة للدين الموحد

ولكن اذا ظهرت زياده فى الايرادات المخصصة للدين الممتاز تستعمل فى استهلاك الدين الموحد وان تصرف من ايرادات الحكومة العمومية النفقات غير الاعتيادية مثل ثمن أراضى وعقارات او انشاء خطوط جديدة وثمن الادوات اللازمة لتشغيل الخطوط المذكورة أو مشترى سكك حديدية سبق اعطاء رخصة بها أو وضع خط ثانى أو انشاء أبنية جديدة كالارصفة وجسور ونحوها واما الدين الموحد فقد تخصصت تسده ايرادات الكمارك ورسوم الدخان الى القطر بعد ان يخصم من هذه النفقات ما يلزم لنفقات الادارة وتخصصت له أيضا ايرادات مديرية الغربية والمنوفيه والبحيرة واسيوط بعد ان يخصم منها سبعة فى المائة على قيمه المتحصل نظر مصاريف الادارة والتحصيل وقد دخل فى ايرادات هذه المديريات جميع الأموال والرسوم المقرره اذا زاد والتى تستجد فى المستقبل ما عدا ايراد الملح والدخان البلدى وانتهت لجنة التصفية من عملها فى مبدأ رأس التين بالاسكندرية

ثورة عرابى باشا

[قال الراوى] ولما انتهت الحكومة المصرية من عمل تصفية الدين حصلت سنة ١٨٨٢ ثورة عرابى باشا المعروفة عند العوام (بالهيجة) وتفصيل الثورة انه لما تولى مولانا الخديوى المرحوم أنعم على كثير من رجاله العسكرية والملكية بالرتب والنياشين وكان فى جملتهم عرابى باشا فاحسن اليه برتبة أمير الاى وكان عثمان باشا

رفقى ناظر الجهاديه وقتئذ فوضع قانونا للقرعه العسكريه يقضى بعدم الترقى من تحت السلاح وموجب على العسكرى أن يمكث فى الخدمة العسكريه اربع سنوات ثم يذهب إلى بلده امدادا ويستمر هكذا مدة خمس سنوات متردد على مركز المديريه شهرين فى كل عام لمباشرة التعليمات العسكرية وبعد مضى المدة المذكورة يقيم فى طلبه احتياطا تحت الطلب مدة ست سنوات فاستاء عرابى من ذلك واجتمع مع على فهمى وعبد العال وأحمد عبد الغفار وتشاوروا فى أمر هذا القانون واتفقوا على معارضته ثم هيجوا الضباط وابانوا لهم ما يترتب عليهم من الضرر وبذويهم من الاهالى واستفزوا قلوبهم من الشراكسة وحفلوهم على السيف والمصحف أن يكونوا يدا واحدة فى مساعدة امراء الالايات ثم طلبوا عزل عثمان باشا من نظارة الجهاديه فاتى بهم إلى الديوان فى قصر النيل ونزعت منهم سيوفهم وسجنوا فى سجن الديوان وكانوا قد استدركوا الأمر بما غرسوه فى قلوب الضباط فلما علموا بما حدث اجتمعوا وذهبوا لانقاذ عرابى ورفيقه من السجن فهجموا على الديوان تحت قيادة محمد عبيد وانقذوا المسجونين ثم وقف عرابى باشا وخطب فى الجيش وشكرهم على تخليصه من السجن ثم تقدم افندينا توفيق رحمه الله والتمس منه العفو عنه وعن رفيقه وارجاعهم إلى الاياتهم وخلع عثمان باشا من نظارة الجهاديه، ولما كان المرحوم من طبعه الحلم والعفو عن المسيئين عفا عنهم واستبدل عثمان باشا بمحمود باشا سامى ومن تلك الواقعة صار عرابى ورفيقه يتقون شر الحكومة ويتخذون الاحتياطات خوفا من أن ينتقم منهم وصار كل منهم إذا أراد الانصراف إلى بيته يصطحب معه الحرس الخصوصى اللازم ثم اقترح عرابى باشا ورفقاه على ديوان الجهادية ان يصرف لهم اثمان التعينات المرتبة للعساكر نقودا وهم لايشترون المآكل والمشارب بمعرفتهم وان تزاد مرتبات العساكر والضباط وان يؤخذ منهم نصف أجرة فى السكك الحديديه إلى غير ذلك مما حصلوا عليه وصاروا يطعمون العساكر لحما وخضارا وحلوا ويجهزون لهم شراب البوظه وكل ذلك بقصد استمالتهم حتى استحالوهم نحوهم وبهذا اشتد ساعد عرابى باشا ورفقاه وساعده بعض العمد والمشايخ ووجهاء البلاد ولما علم الخديوى بنوايا هم عزل محمود باشا سامى وعين بدلا منه داود باشا ناظر للجهادية وفصل أحمد باشا الدرملى وعين بدله عبد القادر باشا مأمورا بضبطية المحروسة فوقع الرعب فى قلوب الرؤساء وصدر أمر الجهادية باستبدال مراكز الالايات فقلق عرابى وظن أن فى المسأله مكيدة ونصح للضباط والعساكر بعدم اجابة الأوامر واخبرهم أن الغرض من ذلك اغرائهم قرب كربرى كفر الدوات فامتنعوا وارسل عرابى باشا إلى الخديوى

ونظارة الجهادية كتابه يقول فيها انه سيحضر بجميع الجيش إلى سراى عابدين لابداء اقتراحات متعلقة باصلاح البلاد وكتب بذلك أيضا إلى قناصل الدول مبينا لهم انه لا خوف عليهم من هذه الحركة فانها متصلة بغاية شريفة الغرض منها الاصلاح العام

فما وصلت الكتابة إلى مولانا الخديوى توفيق باشا جمع النظار ورأسهم وأخذ يستشيرهم فاستقر رأيهم على ابداء النصح لعرابى باشا وتوجه سموه إلى مركز سراى عابدين وأخذ ينصح العساكر والضباط ويقول لهم أنتم أولادى الأعزاء ولا يصح منكم أن تعملوا هذا العمل المذموم فاجابوه وقتئذ أنهم يفدون سموه بالأرواح ثم تركهم وسار مع النظار الى الى القلعة وسأل الضباط عن أسباب العصيان فانكروا وقال ابراهيم بك حيدر ان الذى دعى العساكر للاغتصاب والعصيان هو البكباشى فوده حسن فغضب من دولة رياض باشا وجذب البكباشى من طوقه وقال له بحده أمثلك يعصى أوامر الحكومة يا خائن الوطن فضرب أحد البروجية نوبة (سونكى دك) فاسرعت العساكر ووضعت السيوف فى رؤوس البنادق وأحاطوا بالخديوى والنظار صارخين . . اترك البكباشى اترك البكباشى ! ! فامر الخديوى فى الحال بتركه فتركه رياض باشا وقال الخديوى يخاطب العسكر لماذا تعصونى ألست أنا خديويكم ؟!؟ هل تأخر لأحد منكم راتبا أو عينا ؟ ؟ وكان يقول ذلك برقة وحزن شديد فقالت العساكر أنت أفندينا وخديوينا ولكن أخبرونا بان سبب سفرنا هو لتفريقنا فى هويس كفر الزيات فنظر الخديوى إلى النظار وقال ولا شك ان العساكر مخدعون ثم قصد العباسية لمقابلة عرابى باشا وتأخيره عما يريد عمله ولكنه لما وصل هناك لم يجده اذ كان قد اتجه نحو عابدين بالايه والى الطوبجية والمدافع فعاد الخديوى إلى السراى كان الجيش قد تألف من الاى السوارى الاول بقيادة أحمد عبد الغفار والاى الطوبجية مع بطاريات مدافعه والاى البيادة الاول والاى قصر النيل والمستحفظين وصارت ساحة عابدين خاصة بالاجانب والأهالى فاشرف الجناب العالى الخديوى على الجيش من سلاملك السراى وأمر عرابى بالتقدم اليه فتقدم والسيف مسلول فى يده ومن حوله فرسان من الضباط للمحافظة عليه فامره الفقيد بغماد سيفه والترجل عن ظهر جواده ففعل وعند ذلك خاطبه الخديوى بكلام رقيق قائلا له ألست أنا مولاك ألست أنا الذى رقيتك فقال عرابى نعم ولكن بعد أن رقيت زيادة عن أربعمائة ثم سأله سبب حضوره بالجيش إلى السراى فقال حضرت لأطلب اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرة

الجديد وعزل شيخ الاسلام فقال له الخديوى ان هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية فلم يجبه عرابى وكانت القناصل بجانب الخديوى فاشار عليه بالدخول اجتنابا لما عساه يقع من هذه الحادثة وقال القنصل الانكليزى لعرابى ان ماطلبته هو من خصائص مولاك الخديوى وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات الامة ولا وجه لزيادة الجيش فان البلاد فى أمن واطمئنان وفضلا عن ذلك فالمالية لا تساعد على زيادته اما التصديق على قانون العسكرية فسيتم بعد ان يطلع مجلس النظار وأما طلب عزل الشيخ الاسلام فلابد ان يكون مبينا على أسباب فاجابه عرابى انه لم يقدم على طلب ما يتعلق بالامة الا لكونه نائبا عنها وقد اقامته عنها وكيلا لينفذ مطالبها بالقوة العسكرية وانه لا يبرح من مكانه ما لم يحصل على مطالبه فقال له القنصل ان رغبتك فى تنفيذ اقتراحاتك بالقوة لا تأتيه بفائدة بل تؤول الى ضياع البلاد فتدبره فاجابه ومن يجرأ على معارضتنا فاعلم اننا سنقاومه الى ان نفنى عن آخرنا فسأله القنصل وقال له أين هذه القوة فقال اننى استطيع ان احشد مليونا فى برهة فقال القنصل وماذا تفعل اذا لم تتحصل على ماطلبت فقال لى كلمة أقولها عند اليأس ثم ان الخديوى تداول نحو الثلاث ساعات مع الوزراء والقناصل وقرروا أخيرا اجابة طلبات عرابى باشا ندريجيا فعزلوا ناظر النظار وولوا شريف باشا مكانه وسقطت الوزارة ثم انهم دعوا عرابى باشا الى ناظر الجهادية ثم الى رئيس مجلس النظار وحصل اتفاقيا خلاف بين الخديوى والنظار وسببه ان عرابى باشا حكم على اثنين وأربعين من الشراكسه بالنفى من القطر المصرى وكان فيهم عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية سابقا والاسباب لكونهم كانوا يدبرون مكيدة لعرابى باشا ثم تداخلت الدول فى الموضوع وقال المستر غلادستون وزير انجلترا أنها ترى من واجباتها ان تؤخذ الخديوى محمد توفيق الأول فى منصبه فارسلت أساطيلها الى الاسكندريه قياده الامير آل سيمود وضربوا الاسكندرية بالقنابل فهدموها وخربوها ثم ان عرابى باشا عزم على ضرب سراى الرمل بالمدافع حيث كان المرحوم الخديوى وعائلته لا يزالون فيها فاحتاطها بنحو ٤٠٠ فارس ثم سحب العسكر ليلا وتخلف منهم منيب بك عونى وفصيلته وكان عددها ٢٥٠ جنديا وتقدم للخديوى وأقسم له انه يموت بين يديه ويدافع عنه الى النفس الاخير وبعد ان حل الانكليز بالاسكندريه هرب عرابى ورفقاه الى كفر الدوار ثم تابعهم الانكليز وضيقت عليهم المسالك وتلطخت بعض انحاء الريف بدماء الابرياء وحدثت فرايح فى الاسكندرية وفى طنطا والمحلة الكبرى وسمنود ودمنهور وغيرها ثم

قصد العرابيون التل الكبير فانهزموا وانتهت الثورة القبض على زعمائها والحكم على كثيرين بالاعدام وعلى بعضهم بالنفي وعلى آخرين بالاشغال الشاقة ثم عاد الخديوى إلى القاهرة بعد واقعة التل الكبير فهنأته العلماء والمشايخ والعمد والذوات واخذ فى تنظيم الجيش من جديد واصلح المالية والرى وغير ذلك من التحسينات ومكث يحكم بالعدل والانصاف حتى توفى رحمة الله بالنزلة الصدرية فى حلوان سنة [١٩٠١] ميلاديه فحزنت عليه البلاد والعباد واليك نص تقرير الاطباء

تقرير الدكتور سالم باشا

فى يوم الجمعه أول يناير سنة ١٨٩١ غرة جمادى الاخر سنة [١٣٠٩] كنت بمصر حسب التصريح الصادر لى بذلك فبلغنى من الخارج ان الجناب الخديوى لم يؤد صلاة الجمعة بمسجد حلوان حسب عادته الشريفة فتوجهت إلى حلوان فورا لعيادة جنابه حسب العادة فوجدته داخل السراى منحرف الصحة وقد تعاطى شربة من المياه المعدنية صباحا قبل وصولى وبالبحث وجدت ان الحرارة ارتفعت اذ ذاك إلى ٣٧ درجة ونصف درجة مع سعال خفيف وسرعة خفيفة فى النبض وأخبرنى جنابه العالى انه شاعر بانحراف فى صحته منذ يومين وبالقرع والسمع على الصدر لم يوجد غير خراخر تعبة خفيفة وتلك الاعراض هى اعراض النزلة الواقدة فاشرت لجنابه العالى بتعاطى علاج معرق خفيف وهو منقوع زهر البنفسج والدئر جيدا مع المحية والتزمت ان أبيت بحلوان فى الوكندة تحت الطلب

وفى صباح يوم السبت [٢] يناير عدت جنابه الفخيم وبحثت عن حالته فوجدت ان الحرارة تزايدت اخيرا فبلغت نحو ٣٧ درجة ونصف وبعض خطوط فرتبت لجنابه العالى العلاج المعتاد ان اعطيه فى هذا المرض وهو الكينين بصفة برشان مع جرعة من بيكربونات الصودا والماتيز السائلة ثم وجدت الحرارة وقت عيادته فى المساء نحو ٣٨ درجه وبعض خطوط فاشرت بالاستمرار على ذلك العلاج

وفى صباح يوم الاحد [٣ منه] الساعة الثامنة افرنكى عدت جنابه الفخيم فوجدته مستريحا بالنسبة إلى مكان فى اليوم الماضى والحرارة ٣٧ درجه ونصف والسعال على حالته فوضعت الكينين فى برشان مثل اليوم السابق وبدل الجرعة وصفت استعمال ماء وشىء من اللبن وشراب الكوادين وهذه المعالجة هى عين المعالجة التى عولج بها منذ سنتين حين اصيب جنابه العالى بالنزلة الوافدة عينها وفى صباح يوم الاثنين [٤ منه] انحطت الاعراض بالكلية تقريبا وهبطت درجة الحرارة إلى ٣٧ وتناقص السعال أيضا حتى ان جنابه الفخيم كان قد عزم على

الخروج فى هذا اليوم فاشرت عليه بالاعتكاف تحفظا وتجنبا لحصول نكسة مع الاستمرار على تعاطى ماء وشاى واللبن وشراب الكوادين

وفى صباح يوم الثلاثاء [٥ منه] الساعة ٨ أفرنكى وجرت حين عيادتى لجنابه العالى أن الحرارة عادت فبلغت ٣٨ ونصف من فتور فى الجسم وأما السعال فلم يزدد بل ابقى على حاله وبالبحث على العلامات الطبيعية بالقرع والسمع لم يوجد إلا بعض المزخر الشعبية فتحقق لى حصول ريدان ثانى أعنى ابتداء نكسة فرتبت لجنابه العلاج الابتدائى أعنى استعمال الكينين ثانى مع ماء وشاى وشراب الكودايين واللبن والحية القوية أى تعاطى الامراق والالبان فقط وفى مساء هذا اليوم ازدادت الحرارة حتى بلغت ٣٨ ونصف وبعض خطوط واستمرت المعالجة السابق ذكرها وفى صباح يوم الاربعاء [٦ منه] عدت جنابه كالعادة فوجدت حالته مثل ما كانت فى صباح يوم الثلاثاء ودرجة حرارته ٣٧ ونصف ومعه امساك وآلام فى الرأس فأشرت باستعمال شراب دواء لطيف وبعد تأثيره يسير على المعالجة السابقة وفى مساء يوم الاربعاء المذكور الساعة السادسة أفرنكى أى بعد الغروب بنصف ساعة تقريبا عدت جنابه الفخيم فأخبرنى أن السدلس سهل معه أربع مرات وأنه داوم على المعالجة وأن الم الراس زال تقريبا وكان جنابه يخاطبنى وقتئذ وهو مضطجع على سريره متمتعا بجميع قواه العقلية وبالبحث بالقرع والسمع وجدت بعض خراخر شعبية وأما التنفس الرئوى كان على حالته الطبيعية من أمام الصدر والخلف بلا ادنى صحة ولا آلام ووجدت درجه الحرارة عما كانت صباحا أى انها بلغت ٣٨ درجه ونصف وبعض خطوط وأما السعال فكما كان فأشرت على جنابه بالاستمرار على المعالجه السابقه ثم انه فى اليوم عينه الساعه الثامنه افرنكى مساء عدت لاخبر اغا الحرم النوبتجى أنى سأبيت بمنزل ولدى بحلوان وليس بالمكان كائدة مثل الليالى السابقه ليكون ذلك معلوما وكذا للعيادة جنابه الفخيم فدخل الاغا ثم عاد بعد برهه

وقال لى ان جنابه دخل الفراش للنوم وهو مستريح ولا لزوم لدخولى الآن إلى جنابه فتوجهت إلى منزل والدى فى الجهة الشرقيه فى حلوان وبقيت هناك تحت الطلب وفى الساعه الرابعه تقريبا بعد نصف الليل أتانى احد الجاويشيه المراسلة يدعونى إلى السراى حسب الامر فلما أتيت باب السراى أمرت بالانتظار بواسطه أغا الحريم النوبتجى فمكثت مع حضرة على بك اجزاجى باشافى أودته فانتظرت ساعه تقريبا ولما استفهمت عن سبب استحضارى أخبرت أن صحه الجناب العالى متغيرة جدا وقيل لى انه قد ارسل قطار مخصوص لاستحضار كل من الطبيبين الدكتور توماتوس والدكتور

هيس من المحروسة وعند الساعة الخامسة افرنكى تقريبا رقبيل حضور الطبيبين المذكورين
أمرت بالدخول لمعاينة حال الجناب العالى فاندهشت عندرؤية سيدى وولى نعمتى من
الحالة التى وجدته فيها حيث ظهر لى بالبحث انه فى حالة تخدر زائد وضيق فى التنفس
وانحطاط كلى فى القوى وخواطر صدرية وكانت الحرارة تبلغ ٤٠ درجة فاستفهمت
من سعادة عيسى باشا الذى كان مقيما عند جنابه فى هذا الوقت وكان يعالجه بمعرفته
فاخبرنى انه استعمل له الحقن تحت الجلد بالمرفين لاجل تسكين الالم الجنبى وان
هذه الحاله طرأت فى الساعة التاسعة افرنكى بعد الظهر وانه أجرى جميع ما فى جهده
من المعالجات والمسكنات وغيرها فسألته عن ذلك عن حال البول فاخبرنى أنه ليس
هناك شىء مخالف وقيل لى من داخل السراى أنه لما ثقلت عليه الحالة واشتد الامر
اقتضت الحال طلبى مع الطبيبين المذكورين آنفا وحيث كان قد تحقق لى بالبحث طرو
مضاعفة شديده خطرة لحالة المرض وهى الالتهاب الشعبى الرئوى سيما فى الجهة اليسرى
اتفقت مع سعادة عيسى باشا بالاسراع أولا فى الحجامة الجافة على قاعدة الصدر مع استعمال
الادوية المقوية للقلب وبالفعل شرع فى اجراء الحجامة بيده فى حضورى وفى تلك
الاثناء حضر الدكتور هيس والدكتور تومانوس بعد دخولى بنحو ثلاث ساعات
ثم بحثنا عن الحالة بعد أن أخبرتهما عن سير المرض وبعد ذلك انتقلنا نحن الاربعة
إلى أوردة أخرى لاعمل التروى واعطاء اللازم وقد أخبرتهم بسير المرض وما جربته
من المعالجه من ابتداء حدوثه إلى غايه الساعه السادسه من الليلة التى كان فيها وأخبرتهما
أيضا بحضور عيسى باشا بما كان قد أخبرنى به من المعالجات والمسكنات التى أجراها
هو من وقت طرو هـــذه المضاعف الخطرة من ابتداء الساعه التاسعة افرنكى
مساء وحينئذ قررأينا جميعا على تشخيص الالتهاب الشعبى الرئوى خصوصا فى الجهة
اليسرى لما كنا قد شخصنا من قبل مع ارتفاع زائد فى درجة الحرارة وانحطاط فى
قوى القلب وان هـذه الحاله خطرة وتحتاج إلى اجراء معالجة محوله على الصدر
بالحجامة الجافة القوية بواسطة أحد المتمرنين فى ذلك وهو المسيو ملربا باستعمال
الكافيين بصفة جرع من الباطن لتقوية ضربات القلب مع وضع حراقة عريضة على
الجهة الخلفية اليسرى من الصدر ولما عرضت على المجلس الطبى [القفسلتوا] الذى
كان فيه استعمال بيكلورور الكينين بصفة حقن تحت الجلد ترجع استعمال
الكافيين والحراقة على الصدر وقد كان واستحضرت جرعه الكافيين واستعملت
مع بقض المنبهات الاخرى كالاثير بالحقن تحت الجلد ووضعت حراقة عريضه
على الصدر من الجهه اليسرى الخلفيه وتقرر أيضا الاخبار رسميا بحالة الخطر فى

هذا الوقت وإعاده المجلس الطبى ثانيا وقت الظهر بعد احضار المسيو ملنر إلى حلوان
وإجراء الحجامة الجافة بالطريقة التى تقررت ولازمت جنابه العالى ومع سعادة عيسى
باشا لتنفيذ قرار المجلس الطبى وترك الدكتور هيس والدكتور توماس السراى للتوجه
إلى القاهرة وحضر المسيو ملنر الساعة الحادية عشر افرنكى تقريبا وأجرى الحجامة
أمام الصدر وخلفه وجانبه من الجهة اليسرى بكل قوة ودقة وعند الظهر نقد الجناب
الخديوى الوجدان تقريبا وكان ذلك قد ابتدأ فيه تدريجا من صباح يوم الخميس قبل
انعقاد المجلس الطبى الاول بل وقبل دخولى عند الجناب العالى وفى الساعه الاولى
تقريبا بعد الظهر من يوم الخميس المذكور حضر حضرة الدكتور ترمانوس والدكتور
هيس وبحثا جميعا عن الحاله ثانيا فرأينا أنها لم تزل متزايدة فى الخطر واتضحت لنا
أعراض الشمم البولى فبحثنا حينئذ بالدقة عن حاله المثانة والمجارى البولية فوجدنا
أن البول محتبس وبوضع القناطير المرنه فى قناه مجرى البول وجد أن الغدة التى
أمام المثانة وهى المسماه بالبروستاتا وارمة وورما زائدا ولم يمكن دخول تلك القناطير المرنة
فاستحضرت قناطير فضة خصوصية واستخرجت كمية من البول الاحمر الداكن بزيادة
عن الحاله العادية وكان ذلك الساعه الثانية ونصفا بعد الظهر وحينئذ اتضح لنا أن
البروستاتا كانت مريضة من مدة ولم أعلم بذلك إلا ذلك الوقت ولا يمكن جاريا فى
شأنها من المعالجة وعدمها ولابد أن الكليتين والمثانة كانت فى حال التهاب وفى ذلك
الوقت عرضت هذا الامر على أعتاب دولتلو عصمتلو ولية النعم ثم كشفنا عن حاله
البول لنعرف هل به زلال أم لا فاتضح أخيرا أن به زلالا وعندذلك قررنا جميعا رفع
الحراقه واستعمال الكافيين حقنا تحت الجلد وكذا الاثير والكينين والمنعشات
الالكونية والمسهلات الشديده والثلج على الرأس لمقاومة الشحم البولى وإحداث
التحويل على القناة اللعوية وتقويه القلب وفى هذه الجلسه تقرر الحقن ببكلورور
الكينين الذى كنت عرضته على الجلسة السابقة وفى الساعة الخامسة تقريبا حضر
حضره الدكتور ويلر والدكتور صامبرون والدكتور بينيه علاوة على أعضاء المجلس
السابق ذكره وذلك بامر مجلس النظار فقرروا الاستمرار على المعالجة وداومنا
عليها إلى آخر وقت ومع ذلك فلم تفد هذه المعالجة شيئا حتى نفذ أمر الله وكان أمر
الله قدرا مقدورا

خلاصـــة — يتضح من تلاوة هذا التقرير (أولا) أن المغفور له مولانا
الخديوى كان مصابا بالنزله الوافدة (ثانيا) أن هـذا المرض سار سيره الاعتيادى

الطبيعى من ابتداء ظهوره إلى غاية الساعة السادسة افرنكى بعد الظهر من يوم الاربعاء فى ٦ يناير سنة ١٨٩٢ وثالثا أن الحالة الخطرة طرأت من ابتداء الساعة التاسعة افرنكى بعد الظهر من يوم الاربعاء المذكور كما اخبرنا بذلك سعادة عيسى باشا رابعا انه فى فجر يوم الخميس عند دخولى لمشاهدة الحالة المضطربة التى كانت قد طرأت على الحضرة الفخيمة الخديويه شخصها مع سعادة عيسى بانها حالة التهاب شعبى رئوى وقد صدق على ذلك نفس المجلس الذى اجتمع بعد ذلك بثلاث ساعات تقريبا خامسا وقت انعقاد المجلس الثانى فى الساعة الاولى بعد الظهر من يوم الخميس اتضح لنا جميعا انه كان هناك مرض فى المجارى البولية والبروستاتا والكليتين وكان هذا غير معلوم عندى مطلقا من قبل بل اخفى عنى سادسا على رأيى أن المضاعفة الخطره التى كثيرا ما تطرأ فى سير مرض الانفيلونزا قد ساعد على اشتدادها مرض المجارى البولية والبروستاتا

الامضاء

الدكتور سالم

وهذا كل ماجاء فى تقرير الدكتور محمد باشا سالم الطبيب الشهير والجراح الماهر واليك التقرير الآخر

تقرير الدكتور كوماتوس بك والدكتور هيس

الساعة الرابعة الافرنجية من صباح يوم الخميس ٧ يناير الجارى دعينا للتوجه إلى حلوان على قطار مخصوص لاجل عيادة الجناب العالى فوصلناها فى منتصف الساعة السادسة الافرنجية من الصباح واستقبلنا هناك سعادة الدكتور سالم باشا الطبيب المخصوصى للحضرة الخديوية فاعلمنا بالايجاز ان الجناب العالى اصيب منذ ثمانية ايام بالنزلة الوافدة الانفيلونزا وكان سير المرض إلى البارحة عاديا وإن الحمى لم تشتد وطأتها الا فى الليلة الماضية وان الجناب العالى كان يعانى الارق وضيقا فى التنفس وبعض آلام فى الجانب الايسر وانه لاجل تخفيف هذه الآلام أعطيت له حقنة من المؤرفين ولما دخلنا بعد هذا التعريف إلى غرفة المدير اندهشنا إذ رأينا الجناب العالى فى حاله موجبة للقلق الشديد فكان منظره على العموم متغيرا ولونه أصفر وبصره شاخصا وكان متكئا على اذرعه خادمتين وظاهرة عليه شدة ضيق النفس ولم يمكن يميز ماحوله وكان يشكو على العموم عدم ابصاره الضياء وبالفحص وجدنا أن الحمى بلغت درجة اربعين وإن ضربات النبض سريعة وضيقة جدا ويمكن إيقافها بسهولة ثم فحصنا الجسد فوجدنا ارتشاحا شعبيا رئويا زائدا فى الرئة اليسرى ونزلة شعبية عامة فى الرئة اليمنى ومع أن حالة الرئتين هى بهذه الشدة فانها ليست كافية لاحداث الاعراض المخية التى كانت

ظاهرة ولذلك وجهنا نظرنا الى فحص الوظائف الاخرى وخصوصا الكليتين وباستيضاحنا عن الاطباء المعالجين عن حالة البول كان الجواب ان لاشىء فيه خارجا عن الحالة المعتادة وعندما اتممنا الفحص أمرنا بعلاج موافق لما ظهر لنا من التشخيص وشددنا التنبيه باتباعه ثم رجعنا إلى مصر لاخذ الاحتياطات اللازمة لمرضه والعودة إلى جنابه العالى فلما رجعنا إلى حلوان فى الساعة الواحدة الافرنجية بعد الظهر حصل لنا مزيد الكدر لما رأينا حالة سموه آخذة فى الخطر الشديد بكيفية ظاهرة وأن الاعراض التى فى جهة الصدر قد اشتدت وفوق ذلك أن الاعراض المخية قد وصلت إلى درجة ينقطع معها الامل ودلنا ذلك دلاله واضحة على تسمم الدم بالبول فالححنا حينئذ بطلب البول لمعاينته فعلمنا حينئذ أن جنابه الفخيم لم يبول منذ الليلة الماضية فادخلنا المجلس وتحصلنا بواسطة القنطرة على كمية صغيرة من البول [اسمر قاتم] فحللناه تحليلا كيماويا اتضح من وجود كمية عظيمة من الزلال فى البول فقادنا ذلك لان نعرف بلا ريب طبيعه الداء وهو أن الجناب العالى بعد إصابته بالنزله الوافدة أصيب بالتهاب رئوى عفن مصحوب بالتهاب وريدى عفن أيضا وأنه فى هذه الحاله لم يبق لنا أدنى أمل إنما لم يمنعنا ذلك من اتخاذ كافه التدابير والوسائط الفعاله حسب مايقتضيه فن الطب ولكن لم نجد نفعا وبمزيد الاسف علمنا أنه لابد من الوفاة التى حصلت فى الساعه السابعه وربع مساء

الامضاء الدكتور هيس — الامضاء الدكتور كوماتوس

حاشيه

وعند ايابنا من حلوان نحو الساعه الثامنه صباحا رجوت سعادة الدكتور سالم أن يخبر عطوفتلو رئيس مجلس النظار وذولتلو الرئيس حسين باشا بالحاله الخطرة التى فيها الجناب الخديوى

[قال الراوى] هذا ما وصل إلى من تقارير حضرات الاطباء النطاسيين الذين كانوا يعالجون سمو جنابه الفخيم ثم تولى من بعده ولى نعمتنا أفدينا

عباس باشا حلمى الثانى المعظم

سنه ١٩٠٣ هجريه بتاريخ الشاعر

إذا قل الحدثان صلب العنا ... ففرح القلب وأدنى التلف
ثم انثنى يسقيك كاس الهنا ... من كف من أحيا مقام السلف
عباسنا الثانى لخديوى الذى ... تاريخه حرر نعم الخلف

عباس حلمى الثانى

فلما رقى الاريكة الخديوى ابطل العوائد والضرائب الدنيئه وانشأ المحاكم المركزيه

وأصلح طرق الرى وبنى خزانات اسوان وكوبرى زفتى وبنى دار الآثار العربية وزاد كتبها وآثارها واسس المدرسة السعيدية الثانوية ومدرسة البوليس والاداره والطب البيطرى والمساحة ونظم الادارة وجعل للعمد لجان مخصوصة تنظر فى امورهم وصار يسافر سنويا الى بلاد اوربا ويجرى الاتفاقيات والمعاهدات التجارية وكانت ولادته فى ١٤ يوليه سنة (١٠٨٧) وتولى الخديوية سنة (١٨٩٢) ميلادية يوم (٨ يناير) وصدر فرمان التولية له فى ٢٩ مارس واقترن بالاميرة هانم فى ١٩ فبراير سنة (١٨٩٥) ورزق منها باميرات نعمت الله اقبال هانم فى ١٢ فبراير سنة (١٨٩٥) وهبة الله هانم فى ٩ يونيه ١٨٩٦ وفتحية هانم فى ٢٧ نوفمبر ١٨٩٧ ولطيفة هانم (٢٦ سبتمبر ١٩٠٠) وبالاميرين محمد عبد المنعم بك ولى العهد فى ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ ومحمد عبد القادر بك فى ٤ فبراير سنة (١٩٠٢) وأشقاء الجناب العالى هم دولتلو الامير محمد على باشا ولد فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٧٥ ميلادية والاميرتان هديجة هانم ولدت سنة ١٨٧٩ فى ٣ مايو واقترنت بالامير عباس حليم باشا فى ٣١ يناير سنة ١٨٩٥ ونعمت الله هانم ولدت فى ٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ واقترنت بالامير جميل طوسون باشا فى ٨ يناير سنة ١٨٩٦ اما والدة سموه الفخيم فهى عصمتلو كريمتلو أمينة هانم كريمة المرحوم المغفور له الامير الهامى باشا ولدت سنة ١٨٥٩ واقترنت سنة ١٨٨٣ بالمرحوم فقيدنا العزيز أفندينا محمد توفيق باشا السالف الذكر وأما الامراء الباشوات حسين كامل وابراهيم حلمى ومحمود حمدى وأحمد فؤاد والجميع أولاد المرحوم الخديوى الاسبق واعمام أفندينا عباس وحسين كمال الدين بن الامير حسين باشا كامل وعزيز حسن وابراهيم حسن . أولاد المرحوم حسن باشا ومحمد حلمى ابن ابراهيم حلمى باشا وأحمد كمال بن المرحوم أحمد رفعت باشا ومحمد على فاضل وكامل فاضل وابراهيم راشد وعلى فاضل أولاد المرحوم مصطفى فاضل باشا وأحمد سيف الدين ومحمد ابراهيم ابنا المرحوم ابراهيم أحمد باشا ويوسف كمال بن أحمد كمال باشا وأحمد فاضل عثمان بن

المرحوم عثمان فؤاد باشا ومصطفى كامل فاضل بن كامل فاضل باشا وعلى حيدر

فاضل بن المرحوم رشدى بك ومحمد سعيد ومحمد عباس حليم ومحمد على

حليم والمرحوم ابراهيم حليم أولاد المرحوم محمد عبد الحليم

باشا وعمر طوسون ومحمد جميل طوسون ابنا

المرحوم طوسون باشا ومحمد داود

ابن المرحوم اسماعيل بك

تم كتاب الظاهر

ولله الحمد

مطبعة عبد الحميد احمد حنفى بمصر

مجلس شورى ملكى تأسيس ١٣٠٢